

للشيخ الإمام العلامة المفسر
أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي
المتوفى سنة ٧٤١هـ

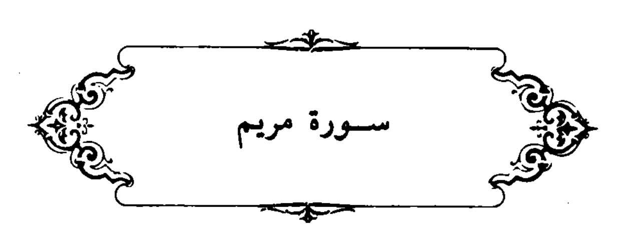
ضبطه وصححه وخرج آياته
محمد سالم هاشم

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٦٠٢١٣٣
فاكس: ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣



سورة مريم

مكيّة إلا آيتي ٥٨ و٧١
فمدنيتان وآياتها ٩٨ نزلت بعد فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

﴿كهيعص﴾ قد تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء، وقيل في هذا إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف، والهاء من هادي، والياء من عليّ، والعين من عزيز أو عليم، والصاد من صادق، وكان عليّ بن أبي طالب يقول في دعائه: يا كهيعص، فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسمًا من أسماء الله تعالى، أو ينادي بالأسماء التي اقتطعت منها هذه الحروف **﴿ذِكْرُ﴾** تقديره هذا ذكر **﴿عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾** وصفه بالعبودية تشريفًا له وإعلامًا له بتخصيصه وتقريبه، ونصب عبده على أنه مفعول لرحمة، فإنها مصدر أُضيف إلى الفاعل، ونصب المفعول، وقيل هو مفعول بفعل مضمر، تقديره رحمة عبده وعلى هذا يوقف على ما قبله وهذا ضعيف، وفيه تكلّف الإضمار من غير حاجة إليه وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له **﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾** يعني دعاه **﴿نِدَاءً خَفِيًّا﴾** أخفاه لأنه يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن

﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ أي ضعف ﴿واشْتَعَلَ﴾ استعارة للشيب من اشتعال النار ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًا﴾ أي قد سعدت بدعائي لك فيما تقدم، فاستجب لي في هذا فتوسّل إلى الله بإحسانه القديم إليه ﴿وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ﴾ يعني الأقارب قيل خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل خاف أن يضيعوا الدين من بعده ﴿مِن وَرَائِي﴾ أي من بعدي ﴿عَاقِرًا﴾ أي عقيمًا ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًا﴾ يعني وارثًا يرثني، قيل يعني وراثة المال، وقيل وراثة العلم والنبوّة، وهو أرجح لقوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» وكذلك ﴿يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ العلم والنبوّة، وقيل الملك، ويعقوب هنا هو يعقوب بن إسحٰق على الأصح ﴿رَضِيًا﴾ أي مرضيًا فهو فعيل بمعنى مفعول ﴿سَمِيًا﴾ يعني مَن سمّي باسمه، وقيل مثيلاً ونظيرًا، والأول أحسن هنا ﴿أَنى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته فسأل ذلك أولاً لعلمه بقدرة الله عليه، وتعجب منه لأنه نادر في العادة، وقيل سأله وهو في سنّ مَن يرجوه، وأُجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ ﴿عِتِيًا﴾ قيل يبسًا في الأعضاء والمفاصل، وقيل مبالغة في الكبر ﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف في موضع رفع أي الأمر كذلك تصديقًا له فيما ذكر من كبره وعقم امرأته، وعلى هذا يوقف على قوله كذلك ثم يبتدىء قال ربك، وقيل إن الكاف في موضع نصب بقال، وذلك إشارة إلى مبهم يفسّره: هو عليّ هيّن ﴿اجْعَلْ لِّي آيَةً﴾ أي علامة على حمل امرأته ﴿سَوِيًا﴾ أي سليمًا غير أخرس وانتصابه على الحال من الضمير في تكلم، والمعنى أنه لا يكلّم الناس مع أنه سليم من الخرس، وقيل إن سويًا يرجع إلى الليالي أي مستويات ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ أي أشار، وقيل كتبه في التراب إذ كان لا يقدر على الكلام ﴿أَن سَبِّحُوا﴾ قيل معناه صلّوا، والسبحة في اللغة الصلاة، وقيل قولوا سبحان الله ﴿يَا يَحْيَىٰ﴾ التقدير قال الله ليحيىٰ بعد

سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ

ولادته ﴿**خُذِ الْكِتَابَ**﴾ يعني التوراة ﴿**بِقُوَّةٍ**﴾ أي في العلم به والعمل به ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ قيل الحكم معرفة الأحكام، وقيل الحكمة، وقيل النبوّة ﴿**وَحَنَانًا**﴾ قيل معناه رحمة وقال ابن عباس لا أدري ما الحنان ﴿**وَزَكَاةً**﴾ أي طهارة، وقيل ثناء كما يزكي الشاهد ﴿**وَاذْكُر فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ**﴾ خطاب لمحمد ﷺ والكتاب والقرآن ﴿**إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا**﴾ أي اعتزلت منهم وانفردت عنهم ﴿**مَكَانًا شَرْقِيًّا**﴾ أي إلى جهة الشرق ولذلك يصلّي النصارى إلى المشرق ﴿**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا**﴾ يعني جبريل، وقيل عيسى، والأول هو الصحيح لأن جبريل هو الذي تمثّل لها باتفاق ﴿**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحمنِ مِنْكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**﴾ لما رأت المَلَك الذي تمثّل لها في صورة البشر، قد دخل عليها خافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه إن كنت ممّن يتّقي الله فابعد عني، فإني أعوذ بالله منك، وقيل إن تقيًّا اسم رجل معروف بالشرّ عندهم وهذا ضعيف وبعيد ﴿**لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا**﴾ الغلام الزكيّ هو عيسى عليه السلام، وقرىء ليهب بالياء، والفاعل فيه هو ضمير الربّ سبحانه وتعالى، وقرىء بهمزة التكلّم، وهو جبريل، وإنما نسب الهبة إلى نفسه، لأنه هو الذي أرسله الله بها أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى ﴿**وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾ البغيّ هي المرأة المجاهرة بالزنا ووزن بغيّ فعول ﴿**وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً**﴾ الضمير للولد واللام تتعلق بمحذوف تقديره لنجعله آية فعلنا ذلك ﴿**فَحَمَلَتْهُ**﴾ يعني في بطنها وكانت مدة حملها ثمانية أشهر، وقال ابن عباس حملته وولدته في ساعة ﴿**مَكَانًا قَصِيًّا**﴾ أي بعيدًا، وإنما بعدت حياءً من قومها أن يظنوا بها الشرّ ﴿**فَأَجَاءَهَا**﴾ معناه ألجأها وهو منقول من جاء بهمزة التعدية ﴿**الْمَخَاضُ**﴾ أي النّفاس ﴿**إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ**﴾ رُوِيَ أنها احتضنت الجذع لشدّة وجع النّفاس

﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ﴾

﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ﴾ إنما تمنت الموت خوفًا من إنكار قومها وظنّهم بها الشرّ ووقوعهم في دمها وتمنّي الموت جائز في مثل هذا، وليس هذا من تمنّي الموت لضرٍّ نزل بالبدن فإنه منهي عنه **﴿وَكُنْتُ نَسْيًا﴾** النسي الشيء الحقير الذي لا يؤبه له، ويقال بفتح النون وكسرها **﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا﴾** قرىء من بفتح الميم وكسرها، وقد اختلف على كلتا القراءتين، هل هو جبريل أو عيسى، وعلى أنه جبريل قيل إنه كان تحتها كالقابلة، وقيل كان في مكان أسفل من مكانها **﴿أَن لاَّ تَحْزَنِي﴾** تفسير للنداء، فأن مفسّرة **﴿سَرِيًّا﴾** جدولاً وهي ساقية من ماء كان قريبًا من جذع النخلة، ورُوِيَ أن النبي ﷺ فسّره بذلك، وقيل يعني عيسى فإن السريّ الرجل الكريم **﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾** كان جذعًا يابسًا فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسًا، وقد استدلّ بعض الناس بهذه الآية على أن الإنسان ينبغي له أن يتسبّب في طلب الرزق، لأن الله أمر مريم بهزّ النخلة، والباء في بجذع زائدة كقوله: **﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُم إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾** [البقرة: ١٩٥] **﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾** الفاعل بتساقط النخلة، وقرىء بالياء والفاعل على ذلك الجذع، ورطبًا تمييز والجني معناه الذي طاب وصلح، لأن يجتنى **﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾** أي كلي من الرطب، واشربي من ماء الجدول، وهو السريّ **﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾** أي طيبي نفسًا بما جعل الله لك من ولادة نبيّ كريم أو من تيسير المأكول والمشروب **﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾** هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد، وترينّ فعل خوطبت به المرأة ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد **﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾** أي صمتًا عن الكلام، وقيل يعني الصيام لأن من شرطه في شريعتهم الصمت، وإنما أُمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتّهمين لها، ولأن عيسى تكلّم عنها فإخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام، وقيل بالإشارة، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت **﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا﴾** لما رأت الآيات: علمت أن الله سيبيّن عذرها فجاءت به من المكان القصيّ إلى قومها **﴿شَيْئًا فَرِيًّا﴾** أي شنيعًا وهو من الفرية **﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾** كان هارون عابدًا من بني إسرائيل شُبّهت به مريم في كثرة العبادة فقيل لها أُخته بمعنى أنها شبهه، وقيل كان أخاها من أبيها، وكان رجلاً صالحًا، وقيل هو هارون النبي أخو موسى وكانت من ذرّيته، فأُخت على هذا كقولك

هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ

أخو بني فلان أي واحد منهم، ولا يتصوّر على هذا القول أن تكون أُخته من النسب حقيقة، فإن بين زمانهما دهرًا طويلاً **﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾** أي إلى ولدها ليتكلم وصمتت هي كما أُمِرت **﴿كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾** كان بمعنى يكون والمهد هو المعروف، وقيل المهد هنا حجرها **﴿آتَانِيَ الكِتَابَ﴾** يعني الإنجيل، أو التوراة والإنجيل **﴿مُبَارَكًا﴾** من البركة وقيل نفاعًا، وقيل معلم للخير واللفظ أعمّ من ذلك **﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ والزَّكَاةِ﴾** هما المشروعتان، وقيل الصلاة هنا الدعاء، والزكاة: التطهير من العيوب **﴿وَبَرًّا﴾** معطوف على **﴿مبَارَكًا﴾**، رُوِيَ أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو في المهد، ثم عاد إلى حالة الأطفال على عادة البشر، وفي كلامه هذا ردّ على النصارى، لأنه اعترف أنه عبد الله وردّ على اليهود لقوله: **﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًا﴾** **﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾** أدخل لام التعريف هنا لتقدّم السلام المنكر في قصة يحيىٰ، فهو كقولك: رأيت رجلاً فأكرمت الرجل، وقال الزمخشري: الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلغة مَن اتّهم مريم كأنه قال السلام كله عليّ لا عليكم، بل عليكم ضدّه **﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾** بالرفع خبر مبتدأ تقديره هذا قول الحق أو بدل أو خبر بعد خبر، وبالنصب على المدح بفعل مضمر أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدّم **﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾** أي يختلفون فهو من المراء، أو يشكون فهو من المرية، والضمير لليهود والنصارى **﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾** من كلام عيسى وقرىء بفتح الهمزة تقديره ولأن الله ربّي وربّكم فاعبدوه، وبكسرها لابتداء الكلام، وقيل هو من كلام النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم، والمعنى يا محمد قل لهم ذلك عيسى ابن مريم وأن الله ربّي وربّكم والأول أظهر **﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ﴾** هذا ابتداء إخبار، والأحزاب اليهود والنصارى، لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلافًا شديدًا فكذّبه اليهود وعبده النصارى، والحق خلاف أقوالهم كلها **﴿مِن**

يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

﴿بَيْنِهِمْ﴾ معناه من تلقائهم ومن أنفسهم وأن الاختلاف لم يخرج عنهم ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة على أنهم في الدنيا في ضلال مبين ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم يأتي بالموت في صورة كبش فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت، وقيل هو يوم القيامة وانتصاب يوم على المفعولية، لا على الظرفية ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يعني في الدنيا فهو متعلق بقوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أو بـ ﴿أَنذِرْهُمْ﴾ ﴿صِدِّيقًا﴾ بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق، ووصفه بأنه صديق قبل الوحي نبيّ بعده، ويحتمل أنه جمع الوصفين ﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ يعني الأصنام ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ أي قويمًا ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قيل يعني الرجم بالحجارة وقيل الشتم ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي حينًا طويلاً، وعطف اهجرني على محذوف تقديره احذر رجمي لك ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ وداع مفارقة، وقيل مسالمة لا تحية لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ وعد وهو الذي أشير إليه بقوله: ﴿عن موعدة وعدها إياه﴾ قال ابن عطية: معناه سأدعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك، وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز، وقيل وعده أن يستغفر له مع كفره، ولعلّه كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفّار حتى أعلمه بذلك، ويقوّي هذا القول قوله ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالّين﴾ [الشعراء: ٨٦]، ومثل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب/«لأستغفرنّ لك ما لم أنهَ عنك» ﴿حَفِيًّا﴾ أي بارًّا متلطفًا ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي ما تعبدون ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هما ابنه وابن ابنه وهبهما الله له عوضًا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ النبوّة، وقيل

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ

المال والولد، واللفظ أعمّ من ذلك لسان صدق يعني الثناء الباقي عليهم إلى آخر الدهر ﴿**مُخْلَصًا**﴾ بكسر اللام أي أخلص نفسه وأعماله لله وبفتحها أي أخلصه الله للنبوّة والتقريب ﴿**وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا**﴾ النبي أعمّ من الرسول لأن النبي كلّ مَن أوحى الله إليه ولا يكون رسولاً حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوّة فكل رسول نبيّ وليس كل نبي رسولاً ﴿**وَنَادَيْنَاهُ**﴾ هو تكليم الله له ﴿**الطُّورِ**﴾ وهو الجبل المشهور بالشام ﴿**الأيمن**﴾ صفة للجانب وكان على يمين موسى حين وقف عليه ويحتمل أن يكون من اليمن ﴿**نَجِيًّا**﴾ النجي فعيل وهو المنفرد بالمناجاة وقيل هو من المناجاة، والأول أصحّ ﴿**مِن رَّحْمَتِنَا**﴾ من سببية أو للتبعيض وأخاه على الأول مفعول وعلى الثاني بدل ﴿**إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ**﴾ رُوِيَ أنه وعد رجلاً إلى مكان فانتظره فيه سنة، وقيل الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبح في قوله ﴿سَتَجِدُني إنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِين﴾ [الصّافّات: ١٠٢]، وهذا يدلّ على قول مَن قال إن الذبيح هو إسماعيل ﴿**إِدْرِيسَ**﴾ هو أول نبيّ بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول مَن خطّ بالقلم، ونظر في علم النجوم وخاط الثياب، وهو من أجداد نوح عليه السلام ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾ قال ابن عباس رفعه الله إلى السماء وهناك مات، وفي حديث الإسراء وإنه في السماء الرابعة، وقيل يعني رفعة النبوّة وتشريف منزلته، والأول أشهر ورجّحه الحديث ﴿**أُولَئِكَ**﴾ إشارة إلى كل مَن ذكر في هذه السورة من زكريا إلى إدريس ﴿**مِّنَ النَّبِيِّينَ**﴾ من هنا للبيان، والتي بعدها للتبعيض ﴿**مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ**﴾ يعني نوحًا وإدريس ﴿**وَمِمَّنْ حَمَلْنَا**﴾ يعني إبراهيم ﴿**وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ**﴾ يعني إسماعيل وإسحٰق ويعقوب ﴿**وَإِسْرَائِيلَ**﴾ يعني أن من ذرّيته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيىٰ ﴿**وَمِمَّنْ هَدَيْنَا**﴾ يحتمل العطف على من الأولى أو الثانية ﴿**بُكِيًّا**﴾ جمع باكٍ ووزنه فعول ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ**﴾ يقال في عقب الخير خلف بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون وهو المعنى هنا واختلف فيمن

يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾

المراد بذلك، فقيل النصارى لأنهم خلفوا اليهود، وقيل كلّ مَن كفر وعصى من بعد بني إسرائيل ﴿**أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ**﴾ قيل تركوها، وقيل أخرجوها عن أوقاتها ﴿**يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ الغيّ الخسران، وقد يكون بمعنى الضلال فيكون على حذف مضاف تقديره يلقون جزاء غيّ ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ**﴾ استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع ﴿**بِالْغَيْبِ**﴾ أي أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم ﴿**مَأْتِيًّا**﴾ وزنه مفعول، فقيل إنه بمعنى فاعل، لأن الوعد هو الذي يأتي وقيل إنه على بابه لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها ﴿**لَغْوًا**﴾ يعني ساقط الكلام ﴿**إِلاَّ سَلامًا**﴾ استثناء منقطع ﴿**بكرةً وعشيًّا**﴾ قيل المعنى أن زمانهم يقدّر بالأيام والليالي، إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل، وقيل المعنى أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه، وعبّر عن ذلك بالبكرة والعشيّ على عادة الناس في أكلهم.

﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ**﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم فقال له: «أبطأت عنّي واشتقت إليك» فقال إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست ونزلت هذه الآية ﴿**لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ**﴾ أي له ما قدّامنا وما خلفنا وما نحن فيه من الجهات والأماكن، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلاّ بأمر الله، وقيل ما بين أيدينا: الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، وما خلفنا: الآخرة، وما بين ذلك: ما بين النفختين وقيل ما مضى من أعمارنا وما بقي منها، والحال التي نحن فيها، والأول أكثر مناسبة لسياق الآية ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول وقيل بمعنى الترك، والأول أظهر ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ أي مثيلاً ونظيرًا فهو من المسامي والمضاهي، وقيل مَن تسمّى باسمه، لأنه لم يتسمّ باسم الله غير الله تعالى ﴿**وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا**﴾ هذه حكاية قول مَن أنكر البعث من القبور، والإنسان هنا جنس يراد به الكفّار، وقيل إن القائل لذلك أُبيّ بن خلف، وقيل أُميّة بن خلف والهمزة التي دخلت على أئذا ما مِتُّ للإنكار والاستبعاد، واللام في

أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن

قوله لسوف: سيقت على الحكاية لقول مَن قال بهذا المعنى، والإخراج يراد به البعث ﴿أَوَ لاَ يَذْكُرُ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ احتجاج على صحة البعث، وردّ على مَن أنكره، لأن النشأة الأولى دليل على الثانية ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني قرناءهم من الشياطين الذين أضلّوهم، والواو للعطف أو بمعنى مع فيكون الشياطين مفعول معه ﴿جِثِيًا﴾ جمع جاث، ووزنه مفعول من قولك جثا الرجل إذا جلس جلسة الذليل الخائف ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة: الطائفة من الناس التي تتفق على مذهب أو اتباع إنسان، ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدّمه إلى النار، وقال بعضهم المعنى نبدأ بالأكبر جرمًا فالأكبر جرمًا ﴿أَيُّهُمْ﴾ اختلف في إعرابه، فقال سيبويه هو مبني على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة، وكأن التقدير أيّهم أشدّ فوجب البناء، وقال الخليل هو مرفوع على الحكاية تقديره الذي يقال له أشدّ، وقال يونس علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء ﴿أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ الصليّ: مصدر صلي النار، ومعنى الآية: أن الله يعلم مَن هو أولى بأن يصلى العذاب ﴿وإن مِّنكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا﴾ خطاب لجميع الناس عند الجمهور، فأما المؤمنون فيدخلونها، ولكنها تخمد فلا تضرّهم، فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله: ﴿حَصَبُ جَهنّم أَنْتُم لَهَا وَارِدُون﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وأوردهم النار، وقيل الورود بمعنى القدوم عليها كقوله: ﴿وَرَدَ مَاءَ مِدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، والمراد بذلك جواز الصراط وقيل الخطاب للكفّار فلا إشكال ﴿حَتْمًا﴾ أي أمرًا لاَ بدّ منه ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِين اتَّقَوا﴾ إن كان الورود بمعنى الدخول فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردًا وسلامًا، ثم بالخروج منها وإن كان بمعنى المرور على الصراط فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها ﴿أَيُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ الفريقان هم المؤمنون والكفّار، والمقام اسم مكان من قام، وقرىء بالضم من أقام، والنديّ المجلس، ومعنى الآية: أن الكفّار قالوا للمؤمنين: نحن خير منكم مقامًا: أي أحسن حالاً في الدنيا، وأجمل مجلسًا فنحن أكرم على الله منكم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ كم مفعول بأهلكنا، ومعنى الآية: ردّ على الكفّار في قولهم المذكور: أي ليس حسن الحال في

كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾

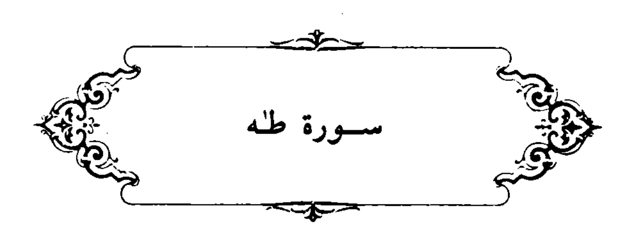
الدنيا دليلاً على الكرامة عند الله، لأن الله قد أهلك مَن كان أحسن حالاً منكم في الدنيا **﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾** قال الزمخشري هذه الجملة في موضع نصب صفة لكم **﴿أَثَاثًا﴾** أي متاع البيت، وقال ابن عطية هو اسم عامّ في المال العين والعروض والحيوان، وهو اسم جمع، وقيل هو جمع، واحده أثاثة **﴿وِرِئْيًا﴾** بهمزة ساكنة قبل الياء: معناه منظر حسن، وهو من الرؤية، والرئيّ اسم المرئي، وقرىء بتشديد الياء من غير همز، وهو تخفيف من الهمز، فالمعنى متفق، وقيل هو من ريّ الشارب أي التنعّم بالمشارب والمآكل، وقرأ ابن عباس زيًّا بالزاي **﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾** أي يمهله ويملي له، واختلف هل هذا الفعل دعاء أو خبر سِيقَ بلفظ الأمر تأكيدًا **﴿حَتَّى﴾** هنا غاية للمدّ في الإضلال **﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾** يعني عذاب الدنيا **﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾** في مقابلة قولهم خير مقامًا وأحسن نديًا **﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾** ذكر في الكهف **﴿خَيْرٌ مَّرَدًّا﴾** أي مرجعًا وعاقبةً **﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ﴾** هو العاصي بن وائل **﴿وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾** كان قد قال لئن بعثت كما يزعم محمد ليكونَنّ لي هناك مالاً وولدًا **﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾** الهمزة للإنكار، والردّ على العاصي في قوله **﴿كَلاَّ﴾** ردّ له عن كلامه **﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾** إنما جعله مستقبلاً لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل **﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾** أي نزيد له فيه **﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾** أي نرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة، وهي المال والولد ووراثتها هي بأن يهلك العاصي ويتركها، وقد أسلم ولداه هشام وعمرو رضي الله عنهما **﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾** أي بلا مال ولا ولد ولا وليّ ولا نصير **﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾** قيل إن الضمير في يكفرون للكفّار وفي عبادتهم للمعبودين، فالمعنى كقولهم: **﴿ما كنّا مشركين﴾**، وقيل إن الضمير في يكفرون للمعبودين، وفي عبادتهم للكفّار، فالمعنى كقولهم ما كنتم إيّانا تعبدون **﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾** معناه يكون لهم خلاف ما أمّلوه منهم فيصير العزّ الذي أمّلوه ذلّة، وقيل معناه أعداء **﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى

فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ

﴿الْكَافِرِينَ﴾ تضمن معنى سلطانًا، ولذلك تعدّى بعلى **﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾** أي تزعجهم إلى الكفر والمعاصي **﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾** أي لا تستبطىء عذابهم وتطلب تعجيله **﴿إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾** أي نعدّ مدّة بقائهم في الدنيا. وقيل نعدّ أنفاسهم **﴿وَفْدًا﴾** قيل معناه ركبانًا، ومعنى الوفد لغة القادمون وعادتهم الركوب فلذلك قيل ذلك، وقيل مكرمون، لأن العادة إكرام الوفود **﴿وِرْدًا﴾** معناه عطاشًا لأن مَن يَرِد الماء لا يرده إلاّ للعطش **﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾** الضمير يحتمل أن يكون للكفّار، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا لهم، ويكون مَن اتخذ: استثناءً منقطعًا بمعنى لكن، أو يكون الضمير للمتّقين فالاستثناء متصل، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا إلاّ لمَن اتخذ عهدًا أو لا يملكون أن يشفع منهم إلاّ مَن اتخذ عهدًا، أو يكون الضمير للفريقين إذ قد ذكروا قبل ذلك؛ فالاستثناء أيضًا متصل، ومَن اتخذ: يحتمل أن يراد به الشافع أو المشفوع له **﴿عَهْدًا﴾** يريد به الإيمان والأعمال الصالحة، ويحتمل أن يريد به الإذن في الشفاعة، وهذا أرجح لقوله: **﴿لا تنفع الشفاعة إلاّ مَن أَذِنَ له الرحمن﴾**، والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيّدنا محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها ويقول غيره من الأنبياء نفسي نفسي **﴿شَيْئًا إِدًّا﴾** أي شيئًا صعبًا **﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾** أي يتشقّقن من قول الكفّار: اتخذ الله ولدًا **﴿هَدًّا﴾** أي انهدامًا **﴿أَن دَعَوْا﴾** أي من أجل أن دعوا **﴿لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾** وقرىء ولدًا بضم الواو وإسكان اللام، وهي لغة **﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** ردّ على مقالة الكفّار، والمعنى أن الكل عبيده، فكيف يكون أحد منهم ولدًا له، وإن نافية، وكل مبتدأ وخبره آتي الرحمن **﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** هي المحبة والقبول الذي يجعله الله في القلوب لمَن شاء من عباده، وقيل إنها نزلت في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه **﴿يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾** الضمير للقرآن وبلسانك أي بلغتك **﴿قَوْمًا لُدًّا﴾** جمع ألدّ، وهو الشديد الخصومة

مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

والمجادلة، والمراد بذلك قريش، وقيل معناه فجّارًا ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ هو الصوت الخفيّ، والمعنى أنهم لم يبقَ منهم أثر، وفي ذلك تهديد لقريش.



سورة طه

مكيّة إلاّ آيتي ١٣ و١٣١
فمدنيّتان وآياتها ١٣٥ نزلت بعد مريم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

قيل في طه إنه من أسماء النبي ﷺ وقيل معناه يا رجل، وانظر الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة **﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾** قيل إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورّمت قدماه، فنزلت الآية تخفيفًا عنه، فالشقاء على هذا إفراط التعب في العبادة، وقيل المراد به التأسّف على كفر الكفّار، واللفظ عامّ في ذلك كله، والمعنى أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة لأنه أنزل عليه القرآن الذي هو سبب السعادة **﴿إلاّ تَذْكِرَةً﴾** نصب على الاستثناء المنقطع، وأجاز ابن عطية أن يكون بدلاً من موضع لتشقى إذ هو في موضع مفعول من أجله، ومنع ذلك الزمخشري لاختلاف الجنسين، ويصحّ أن ينتصب بفعل مضمر تقديره أنزلناه تذكرة **﴿تنزيلاً﴾** نصب على المصدرية والعامل فيه مضمر وما أنزلنا وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله: **﴿مَا أَنزَلْنَا﴾** ثم رجع إلى الغيبة في قوله: **﴿تَنْزِيلاً مِمَّن خَلَقَ الأرْضَ﴾** الآية: وذلك هو الالتفات **﴿والسَّمٰوات العُلَى﴾** جمع

وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

عليا ﴿**عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ تكلمنا عليه في الأعراف ﴿**الثَّرَى**﴾ هو في اللغة التراب النديّ، والمراد به هنا الأرض ﴿**وَإِن تَجْهَرْ**﴾ مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك لأنه يعلم السرّ وأخفى ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ السرّ الكلام الخفيّ، والأخفى ما في النفس، وقيل السرّ ما في نفوس البشر، والأخفى ما انفرد الله بعلمه ﴿**الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ تكلمنا عليها في الأعراف ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ**﴾ لفظ استفهام والمراد به التنبيه ﴿**إِذْ رَأَى**﴾ العامل في إذ حديث لأن فيه معنى الفعل وكان من قصة موسى أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر فسار بالليل واحتاج إلى نار فقدح بزناده فلم ينقدح، فرأى نارًا فقصد إليها فناداه الله، وأرسله إلى فرعون ﴿**آنَسْتُ نَارًا**﴾ أي رأيت ﴿**بِقَبَسٍ**﴾ هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبة ونحوها ﴿**أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدَى**﴾ يعني هدًى إلى الطريق من دليل أو غيره ﴿**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ**﴾ قيل إنما أمر بخلع نعليه، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة، واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعهما ليتأدّب ويعظم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله وهذا أحسن ﴿**بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ**﴾ أي المطهّر ﴿**طُوَى**﴾ في معناه قولان: أحدهما أنه اسم للوادي، وإعرابه على هذا بدل، ويجوز تنوينه على أنه مكان وترك صرفه على أنه بقعة، والثاني أن معناه مرتين، فإعرابه على هذا مصدر: أي قدّس الوادي مرة بعد مرة أو نودي موسى مرة بعد مرة ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾ قيل المعنى لتذكرني فيها، وقيل لأذكرك بها، فالمصدر على الأول مضاف للمفعول وعلى الثاني مضاف للفاعل، وقيل معنى لذكري: عند ذكري كقوله: ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**﴾ [الإسراء: ٧٨]: أي عند دلوك الشمس، وهذا أرجح؛ لأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم استدلّ بالآية: على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها ﴿**أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ اضطرب الناس في معناه، فقيل أخفيها بمعنى أظهرها، وأخفيت هذا من الأضداد، وقال ابن عطية: هذا قول مختلّ، وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال: أخفى بالألف من الإخفاء وخفي بغير ألف بمعنى أظهر فلو كان بمعنى الظهور لقال أخفيها بفتح همزة المضارع، وقد قرىء بذلك

تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ

في الشاذ، وقال الزمخشري قد جاء في بعض اللغات أخفى بمعنى خفي: أي أظهر، فلا يكون هذا القول مختلاً على هذه اللغة، وقيل أكاد بمعنى أريد، فالمعنى أريد إخفاءها وقيل إن المعنى إن الساعة آتية أكاد، وتمّ هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال أخفيها، وقيل المعنى أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم، وهذه الأقوال ضعيفة، وإنما الصحيح أن المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يُطْلع عليه أحد، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه وهذا المعنى عن اختيار المحققين **﴿لِتُجْزَى﴾** يتعلق بآتية **﴿بِمَا تَسْعَى﴾** أي بما تعمل **﴿فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾** الضمير للساعة: أي لا يصدّنك عن الإيمان بها والاستعداد لها، وقيل الضمير للصلاة وهو بعيد، والخطاب لموسى عليه السلام، وقيل لمحمد ﷺ وذلك بعيد **﴿فَتَرْدَى﴾** معناه تهلك، والردى هو الهلاك وهذا الفعل منصوب في جواب لا يصدّنك.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ إنما سأله ليُريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حيّة فمعنى السؤال تقرير أنها عصًى فيتبيّن له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها، وبعد أن قلبها، وقيل إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام **﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾** معناه أضرب بها الشجر لينتشر الورق للغنم **﴿مَآرِبُ﴾** أي حوائج **﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾** أي تمشي **﴿سِيرَتَهَا الأُولَى﴾** يعني أنه لما أخذها عادت كما كانت أول مرة، وانتصب سيرتها على أنه ظرف أو مفعول بإسقاط حرف الجرّ **﴿واضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾** الجناح هنا الجنب أي تحت الإبط، وهو استعارة من جناح الطائر **﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾** رُوِيَ أن يده خرجت وهي بيضاء كالشمس **﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾** يريد من غير برص ولا عاهة **﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾** يحتمل أن تكون الكبرى مفعول لنُريك، وأن تكون صفة للآيات ويختلف المعنى على ذلك **﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾** إن قيل لِمَ قال اشرح لي ويسّر لي، مع أن المعنى يصحّ دون قوله لي؟ فالجواب أن ذلك تأكيد

عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ

وتحقيق للرغبة ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ العقدة هي التي اعترته بالجمرة حين جعلها في فيه وهو صغير حين أراد فرعون أن يجرّبه، وإنما قال عقدة بالتنكير لأنه طلب حلّ بعضها ليفقهوا قوله ولم يطلب الفصاحة الكاملة ﴿وَزِيرًا﴾ أي مُعِينًا، وإعراب هارون بدل أو مفعول أول ﴿أَزْرِي﴾ أي ظهري والمراد القوة ومنه فآزره أي قوّاه ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أي قد أعطيناك كلّ ما طلبت من الأشياء المذكورة ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾ يحتمل أن يكون وحي كلام بواسطة ملك، أو وحي إلهام كقوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، ﴿مَا يُوحَى﴾ إبهام يراد به تعظيم الأمر ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ الضمير الأول لموسى والثاني للتابوت أو لموسى واليمّ البحر، والمراد به هنا النيل، وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولد ذكر يولد لهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في التابوت وتلقي التابوت في البحر ففعلت ذلك، وكان فرعون في موضع يشرف على النيل، فرأى التابوت فأمر به فسِيقَ إليه وامرأته معه ففتحه فأشفقت عليه امرأته وطلبت أن تتخذه ولدًا فأباح لها ذلك ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ هو فرعون ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي أحببتك، وقيل أراد محبة الناس فيه إذ كان لا يراه أحد إلاّ أحبّه، وقيل أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له، وقوله منّي: يحتمل أن يتعلق بقوله. ألقيت، أو يكون صفة لمحبّة فيتعلق بمحذوف ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ أي تربى ويحسن إليك بمرأى مني وحفظ، والعامل في لتصنع محذوف ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ العامل في إذ تصنع أو ألقيت، أو فعل مضمر تقديره ومنّنا عليك ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ﴾ كان لا يقبل ثدي امرأة فطلبوا له مُرضِعة، فقالت أُخته ذلك ليُردّ إلى أمه ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني القبطي الذي وكزه فقضى عليه ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ يعني الخوف من أن يطلب بثأر المقتول ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي اختبرناك اختبارًا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوّة والرسالة، وقيل

يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ

خلّصناك من محنة بعد محنة، لأنه خلّصه من الذبح ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل، والفتون: يحتمل أن يكون مصدرًا أو جمع فتنة ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ يعني الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب ﴿جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ أي بميقات محدود قدّره الله لنبوّتك ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ عبارة عن الكرامة والتقريب أي استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني ﴿وَلاَ تَنِيَا﴾ أي لا تضعفا ولا تقصرا، والونى هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها ﴿أَن يَفْرُطَ﴾ أي يعمل بالشر ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي سرّحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله وتسريح بني إسرائيل ﴿وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ﴾ كان يعذّبهم بذبح أبنائهم وتسخيرهم في خدمته وإذلالهم ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ يعني قلب العصا حيّة وإخراج اليد بيضاء، وإنما وحدهما وهما آيتان، لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى واحد ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ يحتمل أن يريد التحية أو السلامة ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه، لأنه الأصل في النبوّة وأخوه تابع له ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ المعنى أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه فخلقه على هذا بمعنى المخلوقين، وإعرابه مفعول أول، وكل شيء مفعول ثانٍ، وقيل المعنى أعطى كل شيء خلقته وصورته: أي أكمل ذلك وأتقنه فالخلق على هذا بمعنى الخلقة وإعرابه مفعول ثانٍ، وكل شيء مفعول أول، والمعنى الأول أحسن ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ أي هدى خلقه إلى التوصّل لما أعطاهم وعلّمهم كيف ينتفعون به ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى﴾ يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى محاجّة ومناقضة لموسى: أي ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى أو ما بالها لم تكن على دين موسى أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: ٤٨]، ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعًا للكلام الأول وروغانًا عنه وحيرة لما رأى أنه مغلوب بالحجة ولذلك أضرب

رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا

موسى عن الكلام في شأنها، فقال علمها عند ربّي، ثم عاد إلى وصف الله رجوعًا إلى الكلام الأول ﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي فراشًا، وانظر كيف وصف موسى ربّه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتّصف بها لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ولو قال له هو القادر أو الرازق وشبه ذلك لأمكن فرعون أن يغالطه ويدّعي ذلك لنفسه ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾ أي نهج لكم فيها طرقًا تمشون فيها ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى على تقدير يقول الله عزّ وجلّ فأخرجنا، ويحتمل أن يكون كلام موسى تمّ عند قوله: ﴿وأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءَ﴾ ثم ابتدأ كلام الله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ أي أصنافًا مختلفة ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ المعنى أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام، وعبّر عن ذلك بصيغة الأمر لأنه أذن في ذلك فكأنه أمر به ﴿لأُولِي النُّهَى﴾ أي العقول واحدها نهية ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الضمير للأرض يريد خلقه آدم من تراب ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني بالدفن عند الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يعني عند البعث ﴿أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ يعني الآيات التي رآها فرعون وهي تسع آيات، وليس يريد جميع آيات الله على العموم، فالإضافة في قوله آياتنا تجري مجرى التعريف بالعهد: أي آياتنا التي أعطينا موسى كلها، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفًا ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر أو اسم زمان أو اسم مكان ويدلّ على أنه اسم مكان قوله مكانًا سُوًى، ولكن يضعف بقوله موعدكم يوم الزينة، لأنه أجاب بظرف الزمان، ويدلّ على أن الموعد اسم زمان قوله يوم الزينة ولكن يضعف بقوله مكانًا سُوًى، ويدلّ على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله لا نخلفه، لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد لا للزمان ولا للمكان، ولكن يضعف ذلك بقوله مكانًا وبقوله يوم الزينة فلا بدّ على كل وجه من تأويل أو إضمار ويختلف إعراب قوله مكانًا باختلاف تلك الوجوه فأما إن كان الموعد اسم مكان فيكون قوله موعدًا ومكانًا مفعولين لقوله اجعل، ويطابقه قوله يوم الزينة من طريق المعنى، لا من طريق اللفظ، وذلك أن الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورة، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله مكانًا على أنه ظرف زمان، والتقدير موعدًا كائنًا في مكان وإن كان

وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾

الموعد اسم مصدر فينتصب مكانًا على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد، أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله يوم الزينة على حذف مضاف تقديره موعدكم وعد يوم الزينة، وقرأ الحسن يوم الزينة بالنصب وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف **﴿مَكَانًا سُوًى﴾** معناه مستوي في القرب منّا ومنكم، وقيل معناه مستوي الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع، وقرىء بكسر السين وضمها، والمعنى متفق **﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾** يوم عيد لهم وقيل يوم عاشوراء **﴿وَأَن يُحْشَرَ﴾** عطف على الزينة، فهو في موضع خفض أو على اليوم فهو في موضع رفع وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد لتظهر معجزته ويستبين الحق للناس **﴿فَيُسْحِتَكُم﴾** معناه يهلككم، يقال سحت وأسحت، وقد قرىء بفتح الياء وضمها، والمعنى متفق **﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾** قرىء إن هذين بالياء ولا إشكال في ذلك، وقرىء بتخفيف إن وهي مخفّفة من الثقيلة، وارتفع بعدها هذان بالابتداء، وأما قراءة نافع وغيره بتشديد إن ورفع هذان، فقيل إن هنا بمعنى نعم فلا تنصب، ومنه ما رُوِيَ في الحديث أن الحمد لله بالرفع، وقيل اسم إن ضمير الأمر والشأن تقديره إن الأمر، وهذان لساحران مبتدأ وخبر في موضع خبر إن، وقيل جاء القرآن في هذه الآية بلغة بني الحارث بن كعب وهو إبقاء التثنية بالألف حال النصب والخفض، وقالت عائشة رضي الله عنها هذا مما لحن فيه كتاب المصحف **﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾** أي يذهب بسيرتكم الحسنة **﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾** أي اعزموا وأنفذوه **﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾** استدلّ بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييل لا حقيقة، وقال بعضهم إن حيلة السَّحَرَة في سعي الحبال والعصيّ هي أنهم حشوها بالزئبق، وأوقدوا تحتها نارًا وغطّوا النار لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيّهم، وقيل جعلوها للشمس، فلما أحسّ الزئبق بحرّ النار أو الشمس سالَ، وهو في حشو الحِبال والعصيّ فحملها فتخيّل

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ

للناس أنها تمشي فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانًا فابتلعتها **﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾** ما هنا موصولة وهي اسم إن وكيد خبرها **﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾** قدّم هارون لتعادل رؤوس الآي **﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾** أي قطع اليد اليمنى والرِّجل اليسرى **﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾** معطوف على ما جاءنا من البيّنات، وقيل هي واو القسم **﴿هَذِهِ الْحَيَاةَ﴾** نصب على الظرفية أي إنما قضاؤك في هذه الدنيا **﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾** قيل إن هنا وما بعده من كلام السَّحَرَة لفرعون على وجه الموعظة، وقيل هو من كلام الله **﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾** يعني ببني إسرائيل، وأضافهم إلى نفسه تشريفًا لهم، وكانوا فيما قيل ستمائة ألف **﴿يَبَسًا﴾** أي يابسًا، وهو مصدر وصف به **﴿لاَ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى﴾** أي لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه، ولا تخشى الغرق في البحر **﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾** إبهام لقصد التهويل **﴿وَمَا هَدَى﴾** إن قيل إن قوله: **﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾** يُغني عن قوله: **﴿وَمَا هَدَى﴾**، فالجواب أنه مبالغة وتأكيد، وقال الزمخشري هو تهكّم بفرعون في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُم إلاّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خطاب لهم بعد خروجهم من البحر، وإغراق فرعون، وقيل هو خطاب لمَن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ، والأول أظهر **﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ**

مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

الأَيْمَنَ﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبني إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء ليكلّم فيه ربّه، والطور هو الجبل، واختلف هل هذا الطور هو الذي رأى فيه موسى النار في أول نبوّته، أو هو غيره **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾** ذكر في البقرة **﴿فَقَدْ هَوَى﴾** أي هلك، وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفل **﴿وإنّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾** المغفرة لمَن تاب حاصلة ولا بدّ والمغفرة للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل السُّنّة، وقالت المعتزلة لا يغفر إلاّ لمَن تاب **﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾** أي استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح، ويحتمل أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله في قلب مَن تاب وآمن وعمل صالحًا، **﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾** قصص هذه الآية أن موسى عليه السلام لمّا أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور تقدّم هو وحده مبادرة إلى أمر الله، وطلبًا لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون، فأمرهم السامريّ حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى: **﴿مَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾**، وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل، وقيل سأله على وجه الإنكار لتقدّمه وحده دون قومه فاعتذر موسى بعذرين: أحدهما أن قومه على أثره: أي قريب منه، فلم يتقدّم عليهم بكثير فيوجب العتاب، والثاني أنه إنما تقدّم طلبًا لرضا الله **﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾** كان السامريّ رجلاً من بني إسرائيل يقال إنه ابن خال موسى، وقيل لم يكن منهم وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة، وكان ساحرًا منافقًا **﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾** يعني رجع من الطور بعد إكمال الأربعين يومًا التي كلّمه الله فيها **﴿أَسِفًا﴾** ذكر في الأعراف **﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾** يعني ما وعدهم من الوصول إلى الطور **﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾** يعني المدة وهذا الكلام توبيخ لهم **﴿بِمَلْكِنَا﴾**

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ

قرىء بالفتح والضم والكسر، ومعناه ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا، ولكن غلبنا بكيد السامريّ فيحتمل أنهم اعتذروا بقلّة قدرتهم وطاقتهم ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم، واعتذروا بقلّة ملكهم لأنفسهم في النظر وعدم توفيقهم للرأي السديد، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر ﴿حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ الأوزار هنا الأحمال سُمّيت أوزارًا لثقلها، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار أي الذنوب وزينة القوم هي حليّ القبط قوم فرعون كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم السامريّ: اجمعوا هذا الحليّ في حفرة حتى يحكم الله فيه، ففعلوا ذلك وأوقد السامريّ نارًا على الحليّ وصاغ منه عجلاً وقيل بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامريّ، ولذلك قال لموسى قد فتنّا قومك من بعدك ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي قذفنا أحمال الحليّ في الحفرة ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ كان السامريّ قد رأى جبريل عليه السلام، فأخذ من وطء فرسه قبضة من تراب وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء مواتًا صار حيوانًا فألقاها على العجل فخار العجل أي صاح صياح العجول، فالمعنى أنهم قالوا كما ألقينا الحليّ في الحفرة ألقى السامريّ قبضة التراب ﴿جَسَدًا﴾ أي جسمًا بلا روح، والخوار صوت البقر ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾ أي قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض ﴿فَنَسِيَ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون من كلام بني إسرائيل والفاعل موسى: أي نسي موسى إلهه هنا، وذهب يطلبه في الطور، والنسيان على هذا بمعنى الذهول، والوجه الثاني: أن يكون من كلام الله تعالى، والفاعل على هذا السامريّ: أي نسي دينه وطريق الحقّ، والنسيان على هذا المعنى: الترك ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾ معناه لا يردّ عليهم كلامًا إذا كلّموه وذلك ردّ عليهم في دعوى الربوبية له، وقرىء يرجع بالرفع، وأن مخفّفة من الثقيلة، وبالنصب وهي مصدرية ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ﴾ لا زائدة للتأكيد، والمعنى ما منعك أن تتبعني في المشي إلى الطور، أو تتبعني في الغضب لله وشدّة الزجر لمَن عبد العجل وقتالهم بمَن لم يعبده ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ﴾ ذكر في الأعراف ﴿لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي

فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ

﴿وَلاَ بِرَأْسِي﴾ كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدّة غضبه لمّا وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل **﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** أي لو قاتلت مَن عبد العجل منهم بمَن لم يعبده لقلت فرّقت جماعتهم وأدخلت العداوة بينهم، وهذا على أن يكون معنى قوله تتبعني بالزَّجر والقتال ولو اتّبعتك في المشي إلى الطور لاتّبعني بعضهم دون بعض فتفرّقت جماعتهم وهذا على أن يكون معنى تتبعني في المشي إلى الطور **﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾** يعني قوله له: اخلفني في قومي وأصلح **﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾** أي قال موسى ما شأنك ولفظ الخطب يقتضي الانتهار، لأنه يستعمل في المكاره **﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾** أي رأيت ما لم يروه يعني جبريل عليه السلام وفرسه **﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾** أي قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود «من أثر فرس الرسول» وإنما سمّي جبريل بالرسول، لأن الله أرسله إلى موسى، والقبضة مصدر قبض، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير، ويقال قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفّه، وبالصاد المهملة: إذا أخذ بأطراف الأصابع وقد قرىء كذلك في الشاذ **﴿فَنَبَذْتُهَا﴾** أي ألقيتها على الحليّ، فصار عجلاً أو على العجل فصار له خوار **﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ﴾** عاقب موسى عليه السلام السامري بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته، ومكالمته وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته لا مساس: أي لا مماسّة ولا إذاية، ورُوِيَ أنه كان إذا مسّه أحد أصابت الحمّى له وللذي مسّه فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه **﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾** يعني العذاب في الآخرة وهذا تهديد ووعيد **﴿ظَلْتَ﴾** أصله ظللت، حذفت إحدى اللامين والأصل في معنى ظل: أقام بالنهار، ثم استعمل في الدأب على الشيء ليلاً ونهارًا **﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُ﴾** من الإحراق بالنار، وقرىء بفتح النون وضمّ الراء بمعنى نبرده بالمِبرَد، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى، لأنّ الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار، والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته، فيصحّ حمل قراءة الجماعة على ذلك **﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾** أي نلقيه في البحر، والنسف تفريق الغبار ونحوه **﴿إِنَّمَا**

عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ

﴿إلهكُمُ اللَّهُ﴾ الآية: من كلام موسى لبني إسرائيل **﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾** مخاطبة من الله تعالى لسيدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، وأنباء ما قد سبق: أخبار المتقدمين **﴿ذِكْرًا﴾** يعني القرآن **﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾** يعني إعراض تكذيب به **﴿وِزْرًا﴾** الوزر في اللغة الثقل، ويعني هنا العذاب لقوله: **﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾** أو الذنوب لأنها سبب العذاب **﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾** شبّه الوزر بالحمل لثقله، قال الزمخشري ساء تجري مجرى بئس، ففاعلها مضمر يفسّره حملاً، وقال غيره فاعلها مضمر يعود على الوزر **﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾** أي ينفخ الملك في القرن، وقرىء بالنون أي بأمرنا **﴿زُرْقًا﴾** أي زرق الألوان كالسواد، وقيل زرق العيون من العمى **﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا﴾** أي يقول بعضهم لبعض في السرّ إن لبثتم في الدنيا إلاّ عشر ليالٍ وذلك لاستقلالهم مدّة الدنيا، وقيل يعنون لبثهم في القبور **﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَة إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا﴾** أي يقول أعلمهم بالأمور، فالإضافة إليهم إن لبثتم إلاّ يومًا واحدًا فاستقلّ المدّة أشدّ مما استقلها غيره **﴿يَنسِفُهَا رَبِّي﴾** أي يجعلها كالغبار ثم يفرّقها **﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾** الضمير في يذرها للجبال، والمراد موضعها من الأرض، والقاع الصفصف: المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه **﴿لاَّ تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾** المعروف في اللغة أن العوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في الأشخاص والأرض شخص، فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح، وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه، فإن الذي في المعاني أدقّ من الذي في الأشخاص، فنفاه ليكون غاية في نفي العوج من كل وجه **﴿وَلاَ أَمْتًا﴾** الأمت: هو الارتفاع اليسير **﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾** يعني الذي يدعو الخلق إلى الحشر **﴿لاَ عِوَجَ لَهُ﴾** أي لا يعوج أحد عن اتّباعه والمشي نحو صوته، أو لا عوج لدعوته لأنها حق **﴿هَمْسًا﴾** هو الصوت الخفيّ **﴿لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾** يحتمل أن يكون الاستثناء متّصلاً، ومن في موضع نصب بتنفع، وهي واقعة على المشفوع له،

وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا

فالمعنى لا تنفع الشفاعة أحد إلاّ مَن أذِنَ له الرحمن في أن يشفع له، وأن يكون الاستثناء منقطعًا ومن واقعة على الشافع، والمعنى لكن مَن أذِنَ له الرحمن يشفع ﴿**وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾ إن أُريد بمَن أذِنَ له الرحمن المشفوع فيه، فاللام في له بمعنى لأجله، أي رضي قول الشافع لأجل المشفوع فيه، وإن أُريد الشافع فالمعنى رضي له قوله في الشفاعة ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ الضميران لجميع الخلق، والمعنى ذكر في آية الكرسي ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ قيل المعنى لا يحيطون بمعلوماته كقوله: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والصحيح عندي أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلاّ الله، ولو أراد المعنى الأول لقال ولا يحيطون بعلمه، ولذلك استثنى إلاّ بما شاء هناك ولم يستثنِ هنا ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ**﴾ أي ذلّت يوم القيامة ﴿**وَلاَ هَضْمًا**﴾ أي بخسًا ونقصًا لحسناته ﴿**أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**﴾ أي تذكّرًا، وقيل شرفًا وهو هنا بعيد ﴿**وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ أي إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت فالآية: كقوله: ﴿لا تُحرّك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَل بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، وقيل كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا أُوحِيَ إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين، فأُمِرَ أن يتأنّى حتى تُفسّر له المعاني، والأول أشهر ﴿**عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ**﴾ أي وصّيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿**فَنَسِيَ**﴾ يحتمل أن يكون النسيان الذي هو ضدّ الذكر، فيكون ذلك عذرًا لآدم أو يريد الترك، وقال ابن عطيّة: لا يمكن غيره، لأن الناسي لا عقاب عليه، وقد تقدّم الكلام على قصّة آدم وإبليس في البقرة ﴿**فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**﴾ أي لا تطيعاه فيُخرجكما من الجنة فجعل المسبّب موضع السبب وخصّ آدم بقوله: ﴿**فَتَشْقَى**﴾ لأنه كان المُخاطَب أولاً، والمقصود بالكلام، وقيل لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختصّ بالرجال

تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ

﴿لاَ تَظْمَؤُا فِيهَا وَلاَ تَضْحَىٰ﴾ الظمأ هو العطش، والضحى هو البروز للشمس **﴿يَخْصِفَانِ﴾** ذكر في الأعراف وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في البقرة **﴿اهْبِطَا﴾** خطاب لآدم وحوّاء **﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾** هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة وجوابها فمَن اتّبع **﴿فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾** أي لا يضلّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة **﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾** أي ضيقة. فقيل إن ذلك في الدنيا، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدّة حرصه وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفيّة لا يعرض أحد عن ذكر الله إلاّ أظلم عليه وقته وتكدّر عليه عيشه، وقيل إن ذلك في البرزخ، وقيل في جهنم بأكل الزقّوم، وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة **﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾** أي يعني أعمى البصر.

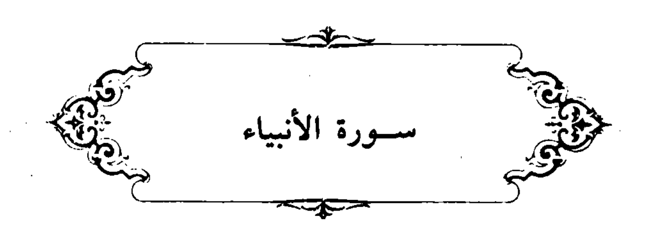
﴿فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ من الترك لا من الذهول **﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾** أي عذاب جهنم أشدّ وأبقى من العيشة الضنك ومن الحشر أعمى **﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾** معناه أفلم يتبيّن لهم، والضمير لقريش والفاعل بيهد مقدّر تقديره أو لَم يَهدِ لهم الهدى أو الأمر، وقال الزمخشري الفاعل الجملة التي بعده، وقيل الفاعل ضمير الله عزّ وجلّ، ويدلّ عليه قراءة أفلم نهدِ بالنون، وقال الكوفيون الفاعل كم **﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾** يريد أن قريشًا يمشون في مساكن عاد وثمود، ويعاينون آثار هلاكهم **﴿لأولِي النُّهَى﴾** أي ذوي العقول **﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾** الكلمة هنا القضاء السابق، والمعنى لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزامًا: أي واقعًا بهم **﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾** معطوف

وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى

على كلمة: أي لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزامًا وإنما أخّره لتعتدل رؤوس الآي، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري، وقيل المراد به أجل الموت، وقيل القيامة ﴿وَسَبِّح﴾ يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة، أو قول سبحان الله وهو ظاهر اللفظ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفّقك للتسبيح، ويحتمل أن يكون المعنى سبّح تسبيحًا مقرونًا بحمد ربّك فيكون أمرًا بالجمع بين قوله سبحان الله وقوله الحمد لله، وقد قال رسول الله ﷺ: «وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض» ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إشارة إلى الصلوات الخمس عند مَن قال إن معنى فسبّح: الصلاة، فالتي قبل طلوع الشمس الصبح، والتي قبل غروبها الظهر والعصر، ومن آناء الليل المغرب والعشاء الآخرة وأطراف النهار المغرب والصبح، وكرّر الصبح في ذلك تأكيدًا للأمر بها، وسُمّي الطرفين أطرافًا لأحد وجهين: إما على نحو ﴿فقد صغت قلوبكما﴾، وإما أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف، وآناء الليل ساعاته، واحدها إنى ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في الحجر ومدّ العينين هو تطويل النظر ففي ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفوّ عنه ﴿زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شبّه نِعَم الدنيا بالزهر وهو النوار، لأن الزهر له منظر حسن، ثم يذبل ويضمحل، وفي نصب زهرة خمسة أوجه أن ينتصب بفعل مضمر على الذمّ، أو يضمن متّعنا معنى أعطينا، ويكون زهرة مفعولاً ثانيًا له، أو يكون بدلاً من موضع الجار والمجرور أو يكون بدلاً من أزواجًا على تقدير ذوي زهرة أو ينتصب على الحال ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي لنختبرهم ﴿لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن نرزقك، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلّوا بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية ﴿أَوَ لَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولى﴾ البيّنة هنا البرهان، والصحف الأولى هي التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، والضمير في قالوا وفي أوَ لَمْ تَأْتهم لقريش لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنّت: أجابهم الله بهذا الجواب، والمعنى قد جاءكم برهان ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ، فلأيّ شيء تطلبون آية أخرى، ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص ما في الصحف الأولى، فذلك بيّنة وبرهان على أنه من عند الله

ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ الآية: معناها لو أهلكنا هؤلاء الكفّار قبل بعث محمد ﷺ لاحتجّوا على الله بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولاً، ولولا هنا عرض فقامت عليهم الحجّة ببعثه ﷺ ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي قل كل واحد منّا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد ﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم.



مكية وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم

﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**﴾ الناس لفظ عامّ، وقال ابن عباس: المراد به هنا المشركون من قريش بدليل ما بعد ذلك، لأنه من صفاتهم، وإنما أخبر عن الساعة بالقرب، لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقي لها ولأن كل آتٍ قريب ﴿**مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ**﴾ يعني بالذكر القرآن، ومحدث: أي محدث النزول ﴿**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ الواو في أسرّوا ضمير فاعل يعود على ما قبله، والذين ظلموا: بدل من الضمير، وقيل إن الفاعل هو الذين ظلموا، وجاء ذلك على لغة مَن قال أكلوني البراغيث، وهي لغة بني الحارث بن كعب، وقال سيبويه لم تأْتِ هذه اللغة في القرآن ويحتمل أن يكون الذين ظلموا منصوبًا بفعل مضمر على الذمّ أو خبر ابتداء مضمر، والأول أحسن ﴿**هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ هذا الكلام في موضع نصب بدل من النجوى، لأنه هو الكلام الذي تناجوا به، والبشر المذكور في الآية هو سيّدنا محمد ﷺ ﴿**قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ**﴾ إخبار بأنه ما

مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا

تناجوا به على أنهم أسروه، فإن قيل هلاّ قال يعلم السرّ مناسبة لقوله أسرّوا النجوى؟ فالجواب: أن القول يشمل السرّ والجهر فحصل به ذكر السرّ وزيادة **﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾** أي أخلاط منامات، وحُكِيَ عنهم هذه الأقوال الكثيرة ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم **﴿كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾** أي كما جاء الرُّسُل المتقدّمون بالآيات فليأتنا محمد بآية فالتشبيه في الإتيان بالمعجزة **﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾** لما قالوا فليأتنا بآية أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا، ثم قال **﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾** أي أن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال مَن قبلهم، ويحتمل أن يكون المعنى: أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك ولا يكون على هذا جوابًا لقولهم فليأتنا بآية بل يكون إخبارًا مستأنفًا على وجه التهديد؛ وأهلكناها في موضع الصفة لقرية، والمراد أهل القرية **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً﴾** ردّ على قولهم هل هذا إلاّ بشر مثلكم والمعنى أن الرُّسل المتقدمين رجالاً من البشر فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولاً **﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾** يعني أحبار أهل الكتاب **﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾** أي ما جعلنا الرُّسُل أجسادًا غير طاعمين، ووحّد الجسد لإرادة الجنس، ولا يأكلون الطعام صفة لجسد، وفي الآية ردّ على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام **﴿وَمَن نَّشَاءُ﴾** يعني المؤمنين **﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾** أي شرفكم وقيل تذكيركم **﴿قَصَمْنَا﴾** أي أهلكنا، وأصله من قصم الظهر أي كسره **﴿مِن قَرْيَةٍ﴾** يريد أهل القرية؛ قال ابن عباس: هي قرية باليمن يقال لها حضور بعث الله إليهم نبيًا فقتلوه فسلّط الله عليهم بختنصّر ملك بابل فأهلكهم بالقتل، وظاهر اللفظ أنه على العموم لأن كم للتكثير، فلا يريد قرية معينة **﴿يَرْكُضُونَ﴾** عبارة عن فرارهم، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب وركضوها لتسرع الجري أو شبّهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمَن

يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

يركض الدابّة ﴿**لاَ تَرْكُضُوا**﴾ أي قيل لهم لا تركضوا والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تهكّمًا بهم، أو رجال بختنصّر إن كانت القرية المعينة قالوا ذلك لهم خداعًا ليرجعوا فيقتلوهم ﴿**أُتْرِفْتُمْ**﴾ أي نعمتم ﴿**لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ**﴾ تهكّم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلّكم تُسئَلون عمّا جرى عليكم، ويحتمل أن يكون تُسئَلون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم وهذا أيضًا تهكّم ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا**﴾ الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم ﴿**حَصِيدًا خَامِدِينَ**﴾ شُبّهوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى خامدين: موتى وهو تشبيه بخمود النار ﴿**لاَعِبِينَ**﴾ حال منفيّة أي ما خلقنا السمٰوات والأرض لأجل اللعب بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها ﴿**لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا**﴾ اللهو في لغة اليمن: الولد، وقيل المرأة، ومن لَدُنّا: أي من الملائكة، فالمعنى على هذا لو أردنا أن نتّخذ ولدًا لاتخذناه من الملائكة، لا من بني آدم، فهو ردّ على مَن قال إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله، والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب لاتصاله بقوله لاعبين، وقال الزمخشري المعنى على هذا لو أردنا أن نتّخذ لهوًا لكان ذلك في قدرتنا ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناقض للحكمة، وفي كِلا القولين نظر ﴿**إِن كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ يحتمل أن تكون إن شرطية وجوابها فيما قبلها، أو نافية، والأوّل أظهر ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ**﴾ الحق عامّ في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل عامّ في أضداد ذلك ﴿**فَيَدْمَغُهُ**﴾ أي يقمعه ويبطله، وأصله من إصابة الدماغ ﴿**وَمَنْ عِندَهُ**﴾ يعني الملائكة ﴿**وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ**﴾ أي لا يعيون ولا يملّون ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ**﴾ أم هنا للإضراب عمّا قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها من الأرض يتعلق بينشرون والمعنى أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدرون أن ينشروا الموتى من الأرض فليست بآلهة في الحقيقة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ هذا برهان على وحدانية الله

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم﴾

تعالى، والضمير في قوله فيهما للسمٰوات والأرض، وإلاّ الله صفة لآلهة، وإلاّ بمعنى غير، فاقتضى الكلام أمرين أحدهما نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحدًا، والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودلّ على ذلك قوله إلاّ الله، وأما الأوّل فكانت الآية تدلّ عليه لو لم تذكر هذه الكلمة، وقال كثير من الناس في معنى الآية: إنها دليل على التمانع الذي أورده الأصوليون، وذلك أنّا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئًا وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك مُحال لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما، وذلك أيضًا مُحال، لأن النقيضين لا يرتفعان معًا، ولأن ذلك يؤدّي إلى عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن ينفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذي تنفذ إرادته هو الإله، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد. وهذا الدليل إن سلّمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصحّ من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا، لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة، ولا وليّان لخطة واحدة ﴿**لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ**﴾ لأنه مالك كل شيء والمالك يفعل في مُلكه ما يشاء، ولأنه حكيم، فأفعاله كلها جارية على الحكمة ﴿**وَهُمْ يُسْئَلُونَ**﴾ لفقد العلّتين ﴿**أَم اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً**﴾ كرّر هذا الإنكار استعظامًا للشرك ومبالغةً في تقبيحه لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده وليُناط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لا من جهة العقل ولا من جهة الشرع ﴿**هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾ تعجيز لهم وقد تكلمنا على هاتوا في البقرة ﴿**هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعي وذِكْرُ مَن قَبْلِي**﴾ ردّ على المشركين والمعنى هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي ليس فيهما ما يقتضي الإشراك بالله، بل كلها متّفقة على التوحيد ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا**﴾ الآية: ردّ على المشركين، والمعنى أن كل رسول إنما أتى بلا إله إلاّ الله ﴿**عِبَادٌ مُكْرَمُونَ**﴾ يعني الملائكة وهم الذين قال فيهم بعض الكفّار أنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية لأنها تناقض النبوءة، ووصفهم بالكرامة، لأن ذلك هو الذي غرّ الكفّار حتى قالوا فيهم ما قالوا ﴿**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ**﴾ أي لا يتكلمون حتى

بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ

يتكلم هو تأدّبًا معه ﴿**وَلاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ أي لمَن ارتضى أن يشفع له، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة في الآخرة أو في الدنيا وهي استغفارهم لمَن في الأرض ﴿**مُشْفِقونَ**﴾ أي خائفون ﴿**وَمَن يَقُلْ مِنهُمْ**﴾ الآية على فرض أن لو قالوا ذلك، ولكنهم لا يقولونه، وإنما مقصد الآية الردّ على المشركين وقيل إن الذي قال إني إله هو إبليس لعنه الله ﴿**كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ الرتق مصدر وصف به، ومعناه الملتصق بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح، والفتق الفتح فقيل كانت السمٰوات ملصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء، وقيل كانت السمٰوات ملتصقة بعضها ببعض والأرضون كذلك ففتقهما الله سبعًا سبعًا والرؤية في قوله أوَ لم يَرَ على هذا رؤية قلب، وقيل فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، فالرؤية على هذا رؤية عين ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ**﴾ أي خلقنا من الماء كل حيوان ويعني بالماء المنيّ وقيل الماء الذي يشرب لأنه سبب لحياة الحيوان، ويدخل في ذلك النبات باستعارة ﴿**رَوَاسِيَ**﴾ يعني الجبال ﴿**أَن تَمِيدَ**﴾ تقديره كراهية أن تميد ﴿**فِجَاجًا**﴾ يعني الطرق الكبار، وإعرابه عند الزمخشري حال من السبل، لأنه صفة تقدّمت على النكرة ﴿**لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ يعني في طرقهم وتصرفاتهم ﴿**سَقْفًا مَّحْفُوظًا**﴾ أي حفظ من السقوط ومن الشياطين ﴿**عن آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**﴾ يعني الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ التنوين في كل عوض عن الإضافة أي كلهم في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر دون الليل والنهار، إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح في الفلك فالجملة في موضع حال من الشمس والقمر أو مستأنفًا، فإن قيل: لفظ كلّ ويسبحون جمع، فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان؟ فالجواب: أنه أراد جنس مطالعها كل يوم وليلة وهي كثيرة قاله الزمخشري وقال القزنوي: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيّارة، وعبّر عنهما بضمير الجماعة العقلاء في قوله يسبحون، لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح، فإن قيل: كيف قال في فلك، وهي أفلاك كثيرة؟ فالجواب أنه أراد كل واحد يسبح في فلكه،

ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ

وذلك كقولهم: كساهم الأمير حلّة أي كسا كل واحد منهم حلّة، ومعنى الفلك جسم مستدير، وقال بعض المفسّرين إنه من موج، وذلك بعيد، والحق أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلاّ بإخبار صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود، ومعنى يسبحون يجرون، أو يدورون، وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء، وقوله كلٌّ في فلك من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين **﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾** سببها أن الكفّار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت، وقيل إنهم تمنّوا موته ليشمتوا به، وهذا أنسب لما بعده **﴿أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾** موضع دخول الهمزة فهم الخالدون وتقدّمت لأن الاستفهام له صدر الكلام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي كل نفس مخلوقة لا بدّ لها أن تذوق الموت، والذوق هنا استعارة **﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾** أي نختبركم بالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك من أحوال الدنيا ليظهر الصبر على الشرّ والشكر على الخير، أو خلاف ذلك **﴿فِتْنَةً﴾** مصدر من معنى نبلوكم **﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾** أي يذكرهم بالذم دلّت على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بذمّ أو مدح، والجملة تفسير للهزء أي يقولون أهذا الذي **﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هم كَافِرُونَ﴾** الجملة في موضع الحال أي كيف ينكرون ذمّك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحقّ بالملامة، وقيل معنى بذكر الرحمن تسميته بهذا الاسم، لأنهم أنكروها، والأول أغرق في ضلالهم **﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾** خلق شديد الاستعجال وجاءت هذه العبارة للمبالغة: كقولهم خلق حاتم من جود، والإنسان هنا جنس، وسبب الآية: أن الكفّار استعجلوا الآيات التي اقترحوها والعذاب الذي طلبوه، فذكر الله هذا توطئة لقوله: ﴿فلا تستعجلون﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وقيل المراد هنا آدم لأنه لما وصلت الروح إلى صدره أراد أن يقوم وهذا ضعيف، وقيل من عجل: أي من طين، وهذا أضعف **﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾** وعيد وجواب على ما طلبوه من التعجيل **﴿وَيَقُولُونَ﴾** الآية: تفسير لاستعجالهم **﴿الْوَعْدُ﴾** القيامة وقيل نزول العذاب بهم **﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾** جواب لو محذوف **﴿حِينَ﴾** مفعول به ليعلموا: أي لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما

كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ

استعجلوا **﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾** الضمير الفاعل للنار، وقيل الساعة **﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾** أي تفجؤهم **﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾** أي لا يؤخّرون عن العذاب **﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ﴾** الآية تسلية بالتأسّي **﴿فَحَاقَ﴾** أي أحاط **﴿مَنْ يَكْلَؤُكُم﴾** أي مَن يحفظكم من أمر الله، ومن استفهامية، والمعنى تهديد، وإقامة حجة، لأنهم لو أجابوا عن هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ، ثم جاء قوله **﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكرِ رَبِّهِم مُعرِضونَ﴾** بمعنى أنهم إذا سُئلوا عن ذلك السؤال لم يجيبوا عنه لأنهم تقوم عليهم الحجة إن أجابوا، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله: أي عن الجواب الذي فيه ذكر الله، وقال الزمخشري معنى الإضراب هنا أنهم معرضون عن ذكره فضلاً عن أن يخافوا بأسه **﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾** أي تمنعهم من العذاب، وأم هنا للاستفهام، والمعنى الإنكار والنفي، وذلك أنه لما سألهم عمّن يكلؤهم: أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم ثم احتجّ عن ذلك بقوله: **﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾**، فإن مَن لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره **﴿وَلاَ هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾** الضمير للكفار: أي لا يصحبون منّا بنصر ولا حفظ **﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاَءِ وَآبَاءَهُمْ﴾** أي متّعناهم بالنِّعم والعافية في الدنيا فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله، والإضراب ببل عن معنى الكلام المتقدّم: أي لم يحملهم على الكفر والاستهزاء نصر ولا حفظ، بل حملهم على ذلك أنّا متّعناهم وآباءهم **﴿نَنْقُصُهَا من أَطْرَافِها﴾** ذكر في الرعد **﴿وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾** إشارة إلى الكفّار، والصّمّ استعارة في إفراط إعراضهم **﴿نَفْحَةٌ﴾** أي خطرة وفيها تقليل العذاب، والمعنى أنهم لو رأوا أقل شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم **﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾** أي العدل، وإنما أفرد القسط وهو صفة للجمع، لأنه مصدر وصف به كالعدل والرضا، وعلى تقدير

ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا

ذوات القسط، ومذهب أهل السُّنّة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال، والخفّة والثقل متعلقة بالأجسام، إما صحف الأعمال، أو ما شاء الله، وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارة عن العدل في الجزاء **﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾**، وقال ابن عطية تقديره لحساب يوم القيامة، أو لحكمة، فهو على حذف مضاف وقال الزمخشري هو كقولك كتبت الكتاب لستّ خلون من الشهر **﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾** أي وزنها والرفع على أن كان تامة، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمر **﴿الْفُرْقَانَ﴾** هنا التوراة، وقيل التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة **﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾** يعني القرآن **﴿رُشْدَهُ﴾** أي إرشاده إلى توحيد الله وكسر الأصنام وغير ذلك **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** أي قبل موسى وهارون، وقيل آتيناه رشده قبل النبوّة **﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾** أي علّمناه أنه يستحق ذلك **﴿التَّمَاثِيلُ﴾** يعني الأصنام وكانت على صور بني آدم **﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾** اعتراف بالتقليد من غير دليل **﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾** أي هل الذي تقول حق أم مزاح، وانظر كيف عبّر عن الحق بالفعل، وعن اللعب بالجملة الاسمية، لأنه أثبت عندهم **﴿فَطَرَهُنَّ﴾** أي خلقهنّ، والضمير للسمٰوات والأرض، أو التماثيل، وهذا أليق بالردّ عليهم **﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾** يعني خروجهم إلى عيدهم **﴿جُذَاذًا﴾** أي فتاتًا، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح، وهو من الجذ بمعنى القطع **﴿إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ﴾** ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلّق القدّوم في يده **﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾** الضمير للصنم الكبير أي يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء، وقيل الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، أي يرجعون إليه فيبيّن لهم الحق **﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا﴾** قبله محذوف تقديره فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة، فقالوا من

بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ

فعل هذا ﴿**فَتًى يَذْكُرُهُمْ**﴾ أي يذكرهم بالذمّ وبقوله: ﴿**لأكيدنَّ أصنامكم**﴾ ﴿**يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمَ**﴾ قيل إن إعراب إبراهم منادى، وقيل خبر ابتداء مضمر، وقيل رفع على الإهمال، والصحيح أنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله، لأن المراد الاسم لا المسمّى وهذا اختيار ابن عطية والزمخشري ﴿**لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ**﴾ أي يشهدون عليه بما فعل أو يحضرونَ عقوبتنا له ﴿**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ**﴾ قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم، كأنه يقول إن كان إلهًا فهو قادر على أن يفعل، وإن لم يقدر فليس بإله ولم يقصد الإخبار المحض، لأنه كذب، فإن قيل: فقد جاء في الحديث أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات: أحدها قوله فعله كبيرهم، فالجواب أن معنى ذلك أنه قال قولاً ظاهره الكذب، وإن كان القصد به معنًى آخر، ويدلّ على ذلك قوله: ﴿**فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ**﴾ لأنه أراد به أيضًا تبكيتهم وبيان ضلالهم ﴿**فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ**﴾ أي رجعوا إليها بالفكرة والنظر، أو رجعوا إليها بالملامة ﴿**فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ أي الظالمون لأنفسكم في عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شيء أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه إنه لمن الظالمين، وفي تعنيفه على أعين الناس ﴿**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ**﴾ استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة فقالوا ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ**﴾ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال في فعلهم، وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم، ويحتمل أن يكون نكسوا على رؤوسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع فإن قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون: اعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجّة، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رؤوسهم حقيقة: أي أطرقوا من الخجل لمّا قامت عليهم الحجة ﴿**أُفٍّ لَّكُمْ**﴾ تقدّم الكلام على أفٍّ في الإسراء ﴿**قَالُوا حَرِّقُوهُ**﴾ لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلّب عليه بالظلم.

كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي ذات برد وسلام، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة، واختلف كيف بردت النار فقيل أزال الله عنها ما فيها من الحرّ، والإحراق، وقيل دفع عن جسم إبراهيم حرّها وإحراقها مع ترك ذلك فيها، وقيل خلق بينه وبينها حائلاً، ومعنى السلام هنا السلامة، وقد رُوِيَ أنه لو لم يقل سلامًا لهلك إبراهيم من البرد وقد أضربنا عمّا ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه **﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾** هي الشام خرج إليها من العراق، وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها **﴿نَافِلَةً﴾** أي عطية، والتنفيل العطاء، وقيل سمّاه نافلة: لأنه عطاء بغير سؤال، فكأنه تبرّع، وقيل الهبة إسحٰق، والنافلة يعقوب، لأنه سأل إسحٰق، بقوله هب لي من الصالحين فأعطي يعقوب زيادة على ما سأل، واختار بعضهم على هذا الوقف على إسحٰق لبيان المعنى، وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول **﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾** أي يرشدون الناس بإذننا **﴿وَلُوطًا﴾** قيل إنه انتصب بفعل مضمر يفسّره آتيناه والأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون أو إبراهيم وانتصب ونوحًا وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضًا، وقيل بفعل تقديره اذكر **﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾** أي حكمًا بين الناس: أو حكمة **﴿مِنَ الْقَرْيَةِ﴾** هي سدوم من أرض الشام **﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾** أي في الجنة أو في أهل رحمتنا **﴿نَادَى مِن قَبْلُ﴾** أي دعا قبل إبراهيم ولوط **﴿من الكرب﴾** يعني من الغرق **﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾** تعدى نصرناه بمن لأنه مطاوع انتصر المتعدّي بمن، أو تضمن معنى نجّيناه أو أجرناه **﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾** كان داود نبيًّا ملكًا، وكان ابنه سليمان ابن أحد عشر عامًا **﴿فِي الْحَرْثِ﴾** قيل زرع، وقيل كرم، والحرث يقال فيهما **﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾** رعت فيه بالليل **﴿لِحُكْمِهِمْ﴾** الضمير لداود وسليمان

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ﴾

والمتخاصمين، وقيل لداود وسليمان خاصة، على أن يكون أقلّ الجمع اثنان **﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾** تخاصم إلى داود رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم، ووجه هذا الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة الغنم فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب، فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال يا نبيّ الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع، قال وما هو: قال يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها، فإذا كمل الزرع رُدّت الغنم إلى صاحبها، والأرض بزرعها إلى ربّها، فقال له داود: وُفِّقت يا بنيّ، وقضى بينهما بذلك، ووجه حكم سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وواجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان، ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحًا لا حكمًا، واختلف الناس هل كان حكمهما بوحي أو اجتهاد فمَن قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد للأنبياء، ورُوِيَ أن داود رجع عن حكمه لما تبيّن له أن الصواب خلافه، وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حقّ الأنبياء، وعلى القول بالجواز اختلف، هل وقع أم لا؟ وظاهر قوله ففهمناها سليمان: أنه كان باجتهاد فخصّ الله به سليمان ففهم القضية، ومَن قال كان بوحي جعل حكم سليمان ناسخًا لحكم داود، وأما حكم إفساد المواشي الزرع في شرعنا، فقال مالك والشافعي: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون النهار للحديث الوارد في ذلك، وعلى هذا يدلّ حكم داود وسليمان، لأن النفش لا يكون إلاّ بالليل، وقال أبو حنيفة: لا يضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار، لقوله ﷺ: «العجماء جرحها جبّار» **﴿وَكُلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾** قيل يعني في هذه النازلة، وأن داود لم يخطىء فيها، ولكنه رجع إلى ما هو أرجح، ويدلّ على هذا القول أن كل مجتهد مصيب، وقيل بل يعني حكمًا وعلمًا في غير هذه النازلة، وعلى هذا القول فإنه أخطأ فيها، وأن المصيب واحد من المجتهدين **﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾** كان هذا التسبيح قول سبحان الله، وقيل الصلاة معه إذا صلّى، وقدّم الجبال على الطير، لأن تسبيحها أغرب إذ هي جماد **﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾** أي قادرين على أن نفعل هذا، وقال ابن عطية: معناه كان ذلك في حقه لأجل أن داود استوجب ذلك مناصفة **﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾** يعني دروع الحديد، وأول مَن صنعها داود عليه السلام، وقال ابن عطية اللبوس في اللغة السلاح وقال الزمخشري اللبوس اللباس **﴿لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾** أي لتقيكم في القتال

بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾

وقرىء بالياء والتاء والنون، فالنون لله تعالى، والتاء للصنعة، والياء لداود أو للبوس **﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾** لفظ استفهام، ومعناه استدعاء إلى الشكر **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾** عطف الريح على الجبال، والعاصفة هي الشديدة فإن قيل: كيف يقال عاصفة وقال في ص رخاء أي ليّنة؟ فالجواب: أنها كانت في نفسها ليّنة طيّبة، وكانت تسرع في جريها كالعاصف فجمعت الوصفين، وقيل كانت رخاء في ذهابه، وعاصفة في رجوعه إلى وطنه، لأن عادة المسافرين الإسراع في الرجوع؛ وقيل كانت تشتدّ إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته **﴿إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾** يعني أرض الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه فخصّ في الآية الرجوع إليها لأنه يدلّ على الانتقال منها **﴿يَغُوصُونَ لَهُ﴾** أي يدخلون في الماء ليستخرجوا له الجواهر من البحار **﴿عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾** أقلّ من الغوص كالبنيان والخدمة **﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾** أي نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه، وقيل معناه عالمين بعددهم **﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾** كان أيوب عليه السلام نبيًّا من الروم، وقيل من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك الأولاد فصبر، ثم سلّط البلاء[1] على جسمه فصبر إلى أن مرّ به قومه فشمتوا به، فحينئذ دعا الله تعالى، على أن قوله **﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** ليس تصريحًا بالدعاء، ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ووصف ربّه بغاية الرحمة ليرحمه، فكان في ذلك من حُسْن التلطّف ما ليس في التصريح بالطلب **﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرّ﴾** لما استجاب الله له أنبع له عينًا من ماء فشرب منه واغتسل فبرىء من المرض والبلاء **﴿وآتيناه أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾** رُوِيَ أن الله أحيا أولاده الموتى ورزقهم مثلهم معهم في الدنيا وقيل في الآخرة، وقيل ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى ومثلهم معهم، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله **﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾** أي رحمة لأيوب، وذكرى لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معًا للعابدين **﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾** قيل هو إلياس وقيل زكريا، وقيل نبيّ بعث إلى رجل

---

(١) المراد بالبلاء المرض الذي أصابه وهو مرض باطني لا تنفر منه الطباع البشرية لعصمة الأنبياء من ذلك.

وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا

واحد، وقيل رجل صالح غير نبي، وسُمّي ذَا الكفل: أي ذا الحظ من الله وقيل لأنه تكفّل لليسع بالقيام بالأمر من بعده **﴿وَذَا النُّونِ﴾** هو يونس عليه السلام، والنون هو الحوت نسب إليه لأنه التقمه **﴿إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾** أي مغاضبًا لقومه إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم،ولذلك قال الله: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾، ولا يصحّ قول مَن قال مغاضبًا لربّه **﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيه﴾** أي ظن أن نضيق عليه، فهو من معنى قوله قدر عليه رزقه، وقيل هو من القدر والقضاء: أي ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة، ولا يصحّ قول مَن قال إنه من القدرة **﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾** قيل هذا الكلام محذوف لبيانه في غير هذه الآية، وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرُمِيَ في البحر فالتقمه الحوت فنادى في الظلمات، وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ويحتمل أنه عبّر بالظلمة عن بطن الحوت لشدّة ظلمته كقوله: ﴿وتركهم في ظلمات﴾ **﴿أَنْ لاَ إِلهَ إلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** أن مفسّرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن، والظلم الذي اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم **﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾** يعني من بطن الحوت وإخراجه إلى البرّ **﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾** يحتمل أن يكون مطلقًا أو لمَن دعا بدعاء يونس، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «دعوة أخي يونس ذي النون ما دعا بها مكروب إلاّ استجيب له» **﴿لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا﴾** أي بلا ولد ولا وارث **﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾** إن لم ترزقني وارثًا فأنت خير الوارثين، فهو استسلام لله **﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾** يعني ولدت بعد أن كانت عقيمًا، واسم زوجته أشياع، قاله السهيلي **﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾** والضمير للأنبياء المذكورين **﴿رغبًا وَرَهَبًا﴾** الرغب الرجاء، والرهب الخوف، وقيل الرغب أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب أن ترفع ظهورها **﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾** هي مريم بنت عمران ومعنى أحصنت من العفّة أي أعفته عن الحرام والحلال، كقولها لم يمسسني بشر **﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾**

وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

أي أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه لأنه كان بأمره والروح هنا هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه للتشريف أو للملك **﴿آيَةً﴾** أي دلالة، ولذلك لم يثنِ **﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾** أي ملّتكم ملّة واحدة، وهو خطاب للناس كافّة، أو للمعاصرين لسيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم: أي إنما بعث الأنبياء المذكورون بما أمرتم به من الدين، لأن جميع الأنبياء متّفقون في أُصول العقائد **﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم﴾** أي اختلفوا فيه، وهو استعارة من جعل الشيء قطعًا، والضمير للمخاطبين، قيل فالأصل تقطعتم **﴿فَلاَ كُفرَانَ لِسَعْيِهِ﴾** أي لإبطال ثواب عمله **﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾** أي نكتب عمله في صحيفته **﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾** قرىء حرام بكسر الحاء وهو بمعنى حرام، واختلف في معنى الآية، فقيل حرام بمعنى ممتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة، أو ممتنع على قرية أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا، ولا زائدة في الوجهين، وقيل حرام بمعنى حتم واقع لا محالة، ويتصوّر فيه الوجهان، وتكون لا نافية فيهما أي حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا وقيل المعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة، ولا على هذا نافية أيضًا، ففيه ردّ على مَن أنكر البعث **﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾** حتى هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بيرجعون، وجواب إذا: فإذا هي شاخصة، وقيل الجواب يا ويلنا لأن تقديره يقولون يا ويلنا، وفتحت يأجوج ومأجوج أي فتح سدّها فحذف المضاف **﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾** الحدب المرتفع من الأرض، وينسلون: أي يسرعون، والضمير ليأجوج ومأجوج: أي يخرجون من كل طريق لكثرتهم، وقيل لجميع الناس **﴿الوَعْدُ الْحَقُّ﴾** يعني القيامة **﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾** إذا هنا للمفاجأة، والضمير عند سيبويه ضمير القصة، وعند الفرّاء، للأبصار، وشاخصة من الشخوص وهو إحداد النظر من

حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ

الخوف ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطاب للمشركين، والحصب: ما توقد به النار: كالحطب وقرأ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه «حطب جهنم» والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها تحرق في النار توبيخًا لمَن عبدها ﴿وَارِدُونَ﴾ الورود هنا الدخول ﴿زَفِيرٌ﴾ ذكر في هود ﴿لا يَسْمَعُونَ﴾ قيل يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيئًا، وقيل يصمّهم الله كما يعميهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى﴾ سبقت أي قضيت في الأزل، والحسنى السعادة، ونزلت الآية لما اعترض ابن الزبعرى على قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، فقال إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا، فالمعنى إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد. واللفظ مع ذلك على عمومه في كل مَن سبقت له السعادة ﴿حَسِيسَهَا﴾ أي صوتها ﴿الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ أهوال القيامة على الجملة، وقيل ذبح الموت وقيل النفخة الأولى في الصور لقوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]، ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ السجل الصحيفة والكتاب مصدر: أي كما يطوى السجل ليُكتَب فيه، أو ليُصان الكتاب الذي فيه، وقيل السجل رجل كاتب وهذا ضعيف، وقيل هو مَلَك في السماء الثانية تُرفَع إليه الأعمال، وهذا أيضًا ضعيف ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ أي كما قدرنا على البداءة نقدر على الإعادة، فهو كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، وقيل المعنى نعيدهم على الصورة التي بدأناهم كما جاء في الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة حُفاة عُراة غُرْلاً»، ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده، والكاف متعلقة بقوله نعيده ﴿فَاعِلِينَ﴾ تأكيدًا لوقوع البعث.

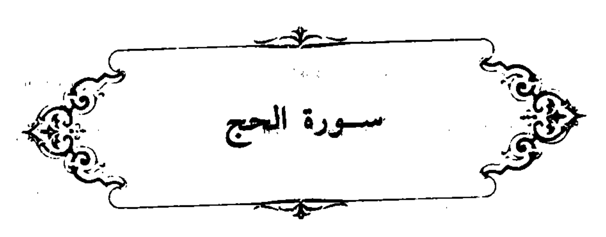
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ في الزبور هنا قولان: أحدهما أنه كتاب داود، والذكر هنا على هذا التوراة التي أنزل الله على موسى، وما في الزبور من ذكر الله تعالى، والقول الثاني أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء، والذكر

ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ

على هذا هو اللوح المحفوظ: أي كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرد له بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها، والأول أرجح، لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهر وأكثر استعمالاً، ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع ولأن النص قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون **﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾** الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها، وقيل الأرض المقدسة، وقيل أرض الجنة، والأول أظهر، والعباد الصالحون: أمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ففي الآية ثناء عليهم، وإخبار بظهور غير مصداقه في الوجود إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** هذا خطاب لسيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وفيه تشريف عظيم، وانتصب رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول، والمعنى على هذا أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الرحمة، ويحتمل أن يكون مصدرًا في موضع الحال من ضمير الفاعل تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين، أو يكون مفعولاً من أجله، والمعنى على كل وجه: أن الله رحم العالمين بإرسال سيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلّمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة، فإن قيل: رحمة للعالمين عموم والكفّار لم يرحموا به فالجواب من وجهين: أحدهما أنهم كانوا معرضين للرحمة لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم، وبالآخر أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفّار المتقدمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك **﴿آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾** أي أعلمتكم بالحق على استواء في الإعلام وتبليغ إلى جميعكم لم يختصّ به واحد دون آخر **﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾** إن هنا وفي الموضع الآخر نافية، وأدري فعل علق من معموله لأنه من أفعال القلوب وما بعده في موضع المعمول من طريق المعنى فيجب وصله معه، والهمزة في قوله أقريب للتسوية لا لمجرد الاستفهام، وقيل يوقف على إن أدري في الموضعين، ويبتدأ بما

فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

بعده، وهذا خطأ لأنه يطلب ما بعده ﴿**لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ**﴾ الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم ﴿**وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ أي الموت أو القيامة ﴿**الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ أي أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب.



سورة الحج

مدنيّة إلاّ الآيات ٥٢ و٥٣ و٥٤ و٥٥
فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ تكلمنا على التقوى في أول البقرة **﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾** أي شدّتها وهولها كقوله: ﴿وزلزلوا﴾ [البقرة: ٢١٤]، أو تحريك الأرض حينئذ كقوله: ﴿إذا زلزلت الأرضُ زِلزَالها﴾ [الزلزلة: ١]، والجملة تعليل للأمر بالتقوى، واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدي القيامة، أو بعد أن تقوم القيامة، والأرجح أن ذلك قبل القيامة، لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة **﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾** العامل في الظرف تذهل، والضمير للزلزلة، وقيل الساعة، وذلك ضعيف لما ذكرنا إلاّ أن يريد ابتداء أمرها **﴿تَذْهَلُ﴾** الذهول هو الذهاب عن الشيء مع دهشة **﴿مُرْضِعَةٍ﴾** إنما لم يقل مرضع، لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع مُلقِمة ثديها للصبي، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقال مرضعة ليكون ذلك أعظم في الذهول إذ تنزع ثديها من فم الصبي حينئذ **﴿وَتَرَى النَّاسَ**

هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ

سُكَارَى﴾ تشبيه بالسكارى من شدّة الغمّ **﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾** نفي لحقيقة السكر، وقرىء سكرى والمعنى متّفق **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾** نزلت في النضر بن الحارث، وقيل في أبي جهل، وهي تتناول كلّ مَن اتّصف بذلك **﴿شَيطَانٍ مُرِيدٍ﴾** أي شديد الإغواء، ويحتمل أن يريد شيطان الجنّ أو الإنس **﴿كُتِبَ﴾** تمثيل لثبوت الأمر كأنه مكتوب، ويحتمل أن يكون بمعنى قضى كقولك كتب الله أنه في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله وفي أنه عطف عليه وقيل تأكيد **﴿مَن تَوَلاَّهُ﴾** أي تبعه أو اتخذه وليًا، والضمير في عليه وفي أنه في الموضعين وفي تولاّه للشيطان، وفي يضلّه، ويهديه للمتولّي له، ويحتمل أن تكون تلك الضمائر أولاً لمَن يجادل **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾** الآية: معناها إن شككتم في البعث الأُخروي فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خلقتكم فتعلموا أن الذي قدر على أن خلقكم أول مرة، قادر على أن يعيدكم ثاني مرة، وأن الذي قدر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها: قادر على أن يخرجكم من قبوركم **﴿خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ﴾** إشارة إلى خلق آدم، وأسند ذلك إلى الناس لأنهم من ذرّيّته وهو أصلهم **﴿مِنْ عَلَقَةٍ﴾** العلقة قطعة من دم جامدة **﴿مِن مُّضْغَةٍ﴾** أي قطعة من لحم **﴿مُخَلَّقَةٍ﴾** المخلقة التامّة الخلقة، وغير المخلقة الغير التامّة: كالسقط، وقيل المخلّقة المسوّاة السالمة من النقصان **﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾** اللام تتعلق بمحذوف تقديره ذكرنا ذلك لنبيّن لكم قدرتنا على البعث **﴿وَنُقِرُّ﴾** فعل مستأنف **﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾** يعني وقت وضع الحمل وهو مختلف وأقلّه ستّ أشهر إلى ما فوق ذلك **﴿نُخْرِجُكُمْ طِفلاً﴾** أفرده لأنه أراد الجنس، أو أراد نخرج كل واحد منكم طفلاً **﴿لِتَبْلُغوا أَشُدَّكُمْ﴾** هو كمال القوّة والعقل والتمييز، وقد اختلف فيه من ثماني عشرة سنة إلى خمس وأربعين **﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾** ذكر في النحل **﴿هَامِدَةً﴾** يعني لا نبات فيها **﴿اهْتَزَّتْ﴾** تحرّكت بالنبات وتخلخلت أجزاؤها لما دخلها الماء **﴿وَرَبَتْ﴾** انتفخت **﴿زَوْج**

وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ۚ

﴿بَهِيجٍ﴾ أي صنف عجيب **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾** أي ذلك المذكور من أمر الإنسان والنبات حاصل، بأن الله هو الحق، هكذا قدّره الزمخشري، والباء على هذا سببية، وبهذا المعنى أيضًا فسّره ابن عطيّة، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله: **﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾**: معطوفًا على ذلك، لأنه ليس بسبب لما ذكر، فقال ابن عطية قوله أن الساعة ليس بسبب لما ذكر، ولكن المعنى أن الأمر مرتبط بعضه ببعض، أو على تقدير والأمر أن الساعة وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان: أما قوله إن الأمر مرتبط بعضه ببعض فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف، والعطف لا يصحّ، وأما قوله على تقدير الأمر أن الساعة، فذلك استئناف وقطع للكلام الأول، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول: هو إثبات الساعة فكيف يجعل ذكرها مقطوعًا مما قبله، والذي يظهر لي أن الباء ليست بسببية، وإنما يقدّر لها فعل تتعلق به ويقتضيه المعنى؛ وذلك أن يكون التقدير ذلك الذي تقدّم من خلقة الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق، وأنه يحيي الموتى، وبأن الساعة آتية فيصحّ عطف وأن الساعة على ما قبله بهذا التقدير، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله ذلك مما استدلّ عليها بخلقة الإنسان والنبات **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** نزلت فيمَن نزلت فيه الأولى وقيل في الأخنس بن شريق **﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾** كناية عن المتكبّر المعرض **﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾** إن كانت في النضر بن الحارث: فالخزي أسره ثم قتله، وكذلك قتل أبي جهل **﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾** أي يقال له ذلك بما فعلت وبعدل الله، لأنه لا يظلم العباد **﴿مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾** نزلت في قوم من الأعراب كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال هذا دين حسن، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به وارتدّ عن الإسلام، فالحرف هنا كناية عن المقصد، وأصله من الانحراف عن الشيء، أو من الحرف بمعنى الطرف أي أنه في طرف من الدين لا في وسطه **﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾** خسارة الدنيا بما جرى عليه فيها، وخسارة الآخرة بارتداده وسوء اعتقاده **﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾** يعني الأصنام

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾

ويدعو بمعنى يعبد في الموضعين ﴿**يَدْعُوا لِمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ**﴾ فيها إشكالان: الأول في المعنى وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضرّ ولا تنفع، ثم وصفها بأن ضرّها أقرب من نفعها فنفى الضرّ ثم أثبته، فالجواب أن الضرّ المنفي أولاً يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئًا، والضرّ الثاني يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره، والإشكال الثاني دخول اللام على من وهي في الظاهر مفعول واللام لا تدخل على المفعول، وأجاب الناس على ذلك بثلاثة أوجه: أحدها أن اللام مقدّمة على موضعها، كأن الأصل أن يقال يدعو من لضرّه أقرب من نفعه، فموضعها الدخول على المبتدأ، والثاني أن يدعو هنا كرر تأكيدًا ليدعو الأول وتمّ الكلام عنده، ثم ابتدأ قوله لَمَن ضرّه، فمن مبتدأ وخبره لبئس المولى، وثالثها أن معنى يدعو يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرّة الأصنام فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام ﴿**المولى**﴾ هنا بمعنى الوليّ ﴿**العشير**﴾ الصاحب فهو من العشيرة ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ الآية: لما ذكر أن الأصنام لا تنفع من عبدها، قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع، وهو دخول الجنة ﴿**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ**﴾ السبب هنا الحبل، والسماء هنا سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تعلق منها الحبال، والقطع هنا يراد به الاختناق بالحبل، يقال قطع الرجل إذا اختنق، ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد ربط الحبل في العنق، وربطه في السقف، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله مَن اشتدّ غيظه وحسرته أو طمعًا فيما لا يصل إليه، كقوله للحسود: مت كمدًا، أو اختنق؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك، وفي معنى الآية قولان الأول أن الضمير في ينصره لسيّدنا محمد ﷺ، والمعنى على هذا مَن كان من الكفّار يظنّ أن لن ينصر الله محمدًا فليختنق بحبل، فإن الله ناصره ولا بدّ على غيظ الكفّار، فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيّدنا محمد ﷺ، والقول الثاني أن الضمير في ينصره عائد على من، والمعنى على هذا من ظنّ بسبب ضيق صدره وكثرة غمّه أن لن ينصره الله: فليختنق وليمت بغيظه، فإنه لا يقدر على غير ذلك، فموجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظنّ بالله حتى ييأس من نصره، ولذلك فسّر بعضهم أن لن ينصره الله بمعنى أن لن يرزقه، وهذا القول أرجح من الأول لوجهين: أحدهما أن هذا

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ۝١٥ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ۝١٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١٧ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾

القول مناسب لمَن يعبد الله على حرف، لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظنّ أن الله لن ينصره، فيكون هذا الكلام متصلاً بما قبله: ويدلّ على ذلك قوله قبل هذه الآية: إن الله يفعل ما يريد: أي الأمور بيد الله فلا ينبغي لأحد أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة، والوجه الثاني، أن الضمير في ينصره على هذا القول يعود على ما تقدّمه وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله لأن النبي ﷺ لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ولا يدلّ سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ الكيد هنا يراد به اختناقه، وسُمّي كيدًا لأنه وضعه موضع الكيد، إذ هو غاية حيلته، والمعنى إذا خنق نفسه فلينظر هل يذهب ذلك ما يغيظه من الأمر، أي ليس يذهبه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن أي مثل هذا أنزلنا القرآن كله ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ قال ابن عطية أن في موضع خبر الابتداء والتقدير الأمر أن الله، وهذا ضعيف، لأن فيه تكلّف إضمار وقطع للكلام عن المعنى الذي قبله، وقال الزمخشري التقدير لأن الله يهدي مَن يريد أنزلناه كذلك آيات بيّنات، فجعل أن تعليلاً للإنزال، وهذا ضعيف للفصل بينهما بالواو والصحيح عندي أن قوله وأن الله معطوف على آيات بيّنات، لأنه مقدّر بالمصدر، فالتقدير أنزلناه آيات بيّنات وهدًى لمَن أراد الله أن يهديه ﴿والصَّابِئِينَ﴾ ذكر في البقرة وكذلك الذين هادوا ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن الخير من النور والشرّ من الظلمة ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه الجملة هي خبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية، وكرّرت مع الخبر للتأكيد، وفصل الله بينهم بأن يبيّن لهم أن الإيمان هو الحق، وسائر الأديان باطلة، وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار ﴿يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوات وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ دخل في هذا مَن في السمٰوات من الملائكة ومَن في الأرض من الملائكة والجنّ ولم يدخل الناس في ذلك لأنه ذكرهم في آخر الآية، إلاّ أن يكون ذكرهم في آخرها على وجه التجريد، وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف لأنه لا يصحّ في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما، وإنما المراد به الانقياد ثم إن الانقياد يكون على وجهين أحدهما

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ﴾

الانقياد لطاعة الله طوعًا، والآخر الانقياد لما يجري الله على المخلوقات في أفعاله وتدبيره شاؤوا أو أبوا ﴿**وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ**﴾ إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لطاعة الله، فيكون كثير من الناس معطوفًا على ما قبله من الأشياء التي تسجد ويكون قوله: ﴿**وكثيرٌ حقّ عليه العذاب**﴾ مستأنفًا يُراد به لا ينقاد للطاعة ويوقف على قوله وكثير من الناس، وهذا القول هو الصحيح: وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدبيره فلا يصحّ تفضيل الناس على ذلك إلى مَن يسجد ومَن لا يسجد لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى، وقيل إن قوله وكثير من الناس معطوف على ما قبله ثم عطف عليه كثيرٌ حقّ عليه العذاب فالجميع على هذا يسجد وهذا ضعيف لأن قوله حقّ عليه العذاب يقتضي ظاهره أنه إنما حقّ عليه العذاب بتركه للسجود، وتأوّله الزمخشري على هذا المعنى، بأن إعراب كثير من الناس فاعل بفعل مضمر تقديره يسجد سجود طاعة أو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره مُثاب وهذا تكلّف بعيد.

﴿**هَٰذَانِ خَصْمَانِ**﴾ الإشارة إلى المؤمنين والكفّار على العموم ويدلّ على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس، وقيل نزلت في عليّ بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ستّ آيات، والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة، والمراد به هنا الجماعة؛ والإشارة بهذان إلى الفريقين ﴿**اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾ أي في دينه وفي صفاته والضمير في اختصموا لجماعة الفريقين ﴿**فَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ الآية: حكم بين الفريقين بأن جعل للكفّار النار وللمؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا ﴿**قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ**﴾ أي فُصّلت على قدر أجسادهم، وهو مستعار من تفصيل الثياب ﴿**الْحَمِيمُ**﴾ الماء الحارّ ﴿**يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ**﴾ أي يُذاب، وذلك أن الحميم إذا صُبّ على رؤوسهم وصل حرّه إلى بطونهم فأذاب ما فيها، وقيل معنى يصهر ينضج ﴿**مَّقَامِعُ**﴾ جمع مقمعة أي مقرعة ﴿**مِنْ حَدِيدٍ**﴾ يضربون بها، وقيل هي السِّياط ﴿**مِنْ**

ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ

غَمّ﴾ بدل من المجرور قبله **﴿وَذُوقُوا﴾** التقدير يقال لهم ذوقوا **﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾** من لبيان الجنس أو للتبعيض وفسّرنا الأساور في الكهف **﴿وَلُؤْلُؤًا﴾** بالنصب مفعول بفعل مضمر أي يعطون لؤلؤًا، أو معطوف على موضع من أساور إذ هو مفعول، وبالخفض معطوف على أساور أو على ذهب **﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾** قيل هو لا إله إلاّ الله، واللفظ أعمّ من ذلك **﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾** أي صراط الله، فالحميد اسم الله، ويحتمل أن يريد الصراط الحميد، وأضاف الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** خبره محذوف يدلّ عليه قوله نذقه من عذاب أليم، وقيل الخبر يصدّون على زيادة الواو، وهذا ضعيف، وإنما يقال يصدّون بلفظ المضارع ليدلّ على الاستمرار على الفعل **﴿سَوَاءً﴾** بالرفع مبتدأ وخبره مقدّر والجملة في موضع المفعول الثاني لجعلنا، وقرىء بالنصب على أنه المفعول الثاني والعاكف فاعل به **﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾** العاكف المقيم في البلد والبادي القادم عليه من غيره والمعنى أن الناس سواء في المسجد الحرام لا يختصّ به أحد دون أحد وذلك إجماع، وقال أبو حنيفة حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء، وليس لأحد فيها ملك، والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع مكة، وقال مالك وغيره ليست الدور في ذلك كالمسجد، بل هي متملّكة **﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾** الإلحاد الميل عن الصواب، والظلم هنا عامّ في المعاصي من الكفر إلى الصغائر، لأنّ الذنوب في مكة أشدّ منها في غيرها، وقيل هو استحلال الحرام ومفعول يرد محذوف تقديره مَن يرد أحدًا أو مَن يرد شيئًا، وبإلحاد بظلم: حالان مترادفان، وقيل المفعول قوله بإلحاد على زيادة الباء **﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾** العامل في إذ مضمر تقديره اذكر وبوّأنا أصله من باء بمعنى رجع، ثم ضوعف ليتعدّى، واستعمل بمعنى أنزلنا في الموضع كقوله تبوّىء المؤمنين، إلاّ أن هذا المعنى يُشكِل هنا لقوله لإبراهيم لتعدّي الفعل باللام، وهو يتعدّى بنفسه حتى قيل اللام زائدة، وقيل معناه هيّأنا، وقيل جعلنا، والبيت هنا الكعبة، ورُوِيَ أنه كان آدم يعبد الله

لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾

فيه، ثم درس بالطوفان، فدلّ الله إبراهيم عليه السلام على مكانه، وأمره ببنيانه **﴿أَن لاَّ تُشْرِكْ﴾** أن مفسّرة، والخطاب لإبراهيم عليه السلام، وإنما فسّرت تبوئة البيت بالنهي عن الإشراك، والأمر بالتطهير، لأنه التبوئة إنما قصدت لأجل العبادة التي تقتضي ذلك **﴿طَهِّرْ بَيْتِيَ﴾** عامّ في التطهير من الكفر والمعاصي والأنجاس وغير ذلك **﴿وَالْقَائِمِينَ﴾** يعني المصلّين **﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾** خطاب لإبراهيم، وقيل لسيدنا محمد ﷺ، والأول هو الصحيح، رُوِيَ أنه لمّا أمر بالأذان بالحج: صعد على جبل أبي قبيس، ونادى: أيّها الناس إن الله قد أمركم بحجّ هذا البيت فحجّوا، فسمعه كلّ مَن يحجّ إلى يوم القيامة وهم في أصلاب آبائهم وأجابه في ذلك الوقت كل شيء من جماد وغيره. لبّيك اللّهمّ لبّيك، فجرت التلبية على ذلك **﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾** جمع راجل أي ماشيًا على رجليه **﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾** الضامر يراد به كل ما يُركَب من فرس وناقة وغير ذلك وإنما وصفه بالضمور لأنه لا يصل إلى البيت إلاّ بعد ضموره، وقوله وعلى كل ضامر حال معطوف على حال كأنه قال رجالاً وركبانًا، واستدلّ بعضهم بتقديم الرجال في الآية على أن المشي إلى الحج أفضل من الركوب، واستدل بعضهم بسقوط ذكر البحر بهذه الآية، على أنه يسقط فرض الحج على مَن يحتاج إلى ركوب البحر **﴿يَأْتِينَ﴾** صفة لكل ضامر، لأنه في معنى الجمع **﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾** أي طريق بعيد **﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾** أي بالتجارة، وقيل أعمال الحج وثوابه، واللفظ أعمّ من ذلك **﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾** يعني التسمية عند ذبح البهائم ونحرها وفي الهدايا والضحايا، وقيل يعني الذكر على الإطلاق، وإنما قال اسم الله، لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء **﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾** هي عند مالك يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة لأن هذه هي أيام الضحايا عنده، ولم يجز ذبحها بالليل لقوله في أيام وقيل الأيام المعلومات عشر ذي الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده، وقيل عشر ذي الحجة خاصّة، وأما الأيام المعدودات فهي الثلاثة بعد يوم النحر، فيوم النحر من المعلومات لا من المعدودات واليومان بعده من المعلومات والمعدودات ورابع النحر من المعدودات لا من المعلومات **﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾** ندب أو إباحة ويستحبّ أن يأكل الأقل من الضحايا ويتصدّق بالأكثر **﴿الْبَائِسَ﴾** الذي أصابه البؤس وقيل هو المتكفّف وقيل الذي يظهر عليه أثر الجوع **﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾** التفث في اللغة الوسخ

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ﴾

فالمعنى ليقضوا إزالة تفثهم بقصّ الأظفار والاستحداد وسائر خصال الفطرة والتنظيف بعد أن يحلّوا من الحج، وقيل التفث أعمال الحج، وقرىء بكسر اللام وإسكانها، وهي لام الأمر وكذلك وليوفوا وليطوّفوا ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ المراد هنا طواف الإفاضة عند جميع المفسّرين وهو الطواف الواجب ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي القديم، لأنه أول بيت وضع للناس وقيل العتيق الكريم، كقولهم: فرس عتيق، وقيل أعتق من الجبابرة أي منع منهم، وقيل العتيق هو الذي لم يملكه أحد قطّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ هنا وفي الموضع الثاني مرفوع على تقدير الأمر ذلك كما يقدّم الكاتب جملة من كتابه، ثم يقول هذا وقد كان كذا، وأجاز بعضهم التوقف على قوله ذلك في ثلاثة مواضع من هذه السورة وهي هذا و﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ وذلك ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ لأنها جملة مستقلة أو هو خبر ابتداء مضمر، والأحسن وصلها بما بعدها عند شيخنا أبي جعفر بن الزبير، لأن ما بعدها ليس كلامًا أجنبيًا، ومثلها ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ و﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ في الأنفال [١٤]، و﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ في ص [٥٥]، ﴿حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ جمع حرمة، وهو ما لا يحلّ هتكه من جميع الشريعة، فيحتمل أن يكون هنا على العموم، أو يكون خاصًا بما يتعلق بالحج لأن الآية فيه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ أي التعظيم للحرمات خير ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُم﴾ يعني ما حرّمه في غير هذا الموضع كالميتة ﴿الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ من لبيان الجنس كأنه قال الرجس الذي هو الأوثان، والمراد النهي عن عبادتها أو عن الذبح تقرّبًا إليها كما كانت العرب تفعل ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي الكذب، وقيل شهادة الزور ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية، تمثيل للمشرك بمَن أهلك نفسه أشدّ الهلاك ﴿سَحِيقٍ﴾ أي بعيد ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ قيل هي الهدايا في الحج وتعظيمها بأن تختار سمانًا عظامًا غالية الأثمان، وقيل مواضع الحج كعرفات ومنى والمزدلفة، وتعظيمها إجلالها وتوقيرها والقصد إليها، وقيل الشعائر أمور الدين على الإطلاق وتعظيمها القيام بها وإجلالها ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الضمير عائد على الفعلة التي يتضمنها الكلام وهي مصدر يعظم، وقال الزمخشري: التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت

مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا

هذه المضافات ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ مَن قال إن شعائر الله هي الهدايا، فالمنافع بها شرب لبنها وركوبها لمَن اضطر إليها، والأجل المسمّى نحرها. ومَن قال إن شعائر الله مواضع الحج، فالمنافع التجارة فيها أو الأجْر، والأجل المسمى: الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ مَن قال إن شعائر الله الهدايا فمحلها موضع نحرها وهي منى ومكة، وخصّ البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدي، وثم على هذا القول ليست للترتيب في الزمان لأن محلها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجمل، ومَن قال إن الشعائر موضع الحج، فمحلها مأخوذ من إحلال المحرم: أي آخر ذلك كله الطواف بالبيت يعني طواف الإفاضة إذ به يحلّ المحرم من إحرامه ومَن قال إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق فذلك لا يستقيم مع قوله محلها إلى البيت ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أي لكل أمة مؤمنة، والمنسك اسم مكان أي موضعها لعبادتهم، ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى عبادة، والمراد بذلك الذبائح لقوله: ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ بخلاف ما يفعله الكفّار من الذبح تقرّبًا إلى الأصنام ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ في وجه اتصاله بما قبله وجهان: أحدهما أنه لما ذكر الأمم المتقدّمة خاطبها بقوله فإلهكم إله واحد أي هو الذي شرع المناسك لكم ولمَن تقدّم قبلكم، والثاني أنه إشارة إلى الذبائح أي إلهكم إله واحد فلا تذبحوا تقرّبًا لغيره ﴿الْمُخْبِتِينَ﴾ الخاشعين وقيل المتواضعين، وقيل نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وكذلك قوله بعد ذلك ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ واللفظ فيهما أعمّ من ذلك ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿والْبُدْنَ﴾ جمع بدنة، وهو ما أشعر من الإبل، واختلف هل يقال للبقرة بدنة، وانتصابه بفعل مضمر ﴿مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ واحدها شعيرة، ومن للتبعيض، واستدلّ بذلك مَن قال إن شعائر الله المذكورة أو على العموم في أمور الدين ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قيل الخير هنا المنافع المذكورة قبل، وقيل الثواب، والصواب العموم في خير الدنيا والآخرة ﴿صَوَافَّ﴾ معناه قائمات قد صففن أيديهنّ وأرجلهنّ، وهي منصوبة على الحال من الضمير المجرور، ووزنه فواعل، وواحده صافة ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي سقطت إلى الأرض عند موتها، يقال وجب الحائط وغيره إذا سقط ﴿الْقَانِعَ﴾ معناه السائل، وهو من قولك قنع

﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ﴾

الرجل بفتح النون: إذا سأل، وقيل معناه المتعفف عن السؤال، فهو على هذا من قولك قنع بالكسر إذا رضي بالقليل ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، ووزنه مفتعل، يقال اعتررت بالقوم إذا تعرّضت لهم، فالمعنى أطعموا مَن سأل ومَن لم يسأل ممّن تعرّض بلسان حاله، وأطعموا مَن تعفّف عن السؤال بالكليّة، ومَن تعرّض للعطاء ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ أي كما أمرناكم بهذا كله سخّرناها لكم، وقال الزمخشري التقدير مثل التخيير الذي علمتم سخّرناها لكم ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا﴾ المعنى لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنما تصلون إليه بالتقوى أي بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا، فعبّر عن هذا المعنى بلفظ ينال مبالغةً وتأكيدًا، لأنه قال لن تصل لحومها، ولا دماؤها إلى الله، وإنما تصل بالتقوى منكم، فإن ذلك هو الذي طلب منكم، وعليه يحصل لكم الثواب، وقيل كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك فنهوا عنه ونزلت الآية ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرّر للتأكيد ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ قيل يعني قول الذابح بسم الله والله أكبر، واللفظ أعمّ من ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كان الكفّار يؤذون المؤمنين بمكة، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرّهم وأذاهم، وحذف مفعول يدافع ليكون أعظم وأعمّ، وقرىء يدافع بالألف، ويدفع بسكون الدال من غير الألف، وهما بمعنى واحد أُجريت فاعل مجرى فعل من قولك عاقبة الأمر، وقال الزمخشري: يدافع: معناه يبالغ في الدفع عنهم، لأنه للمبالغة، وفعل المغالبة أقوى ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الخوّان مبالغة في خائن، والكفور مبالغة في كافر، قال الزمخشري هذه الآية علّة لما قبلها ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال، ونسخت الموادعة مع الكفّار، وكان نزولها عند الهجرة، وقرىء أُذن بضم الهمزة على البناء لما لم يُسَمّ فاعله، وبالفتح على البناء للفاعل وهو الله تعالى، والمعنى أُذِنَ لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه، وقرىء يقاتلون بفتح التاء وكسرها ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ أي بسبب أنهم ظلموا ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ يعني الصحابة فإن الكفّار آذوهم وأضرّوا بهم حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة، فمنهم مَن هاجر إلى أرض الحبشة، ومنهم مَن

حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ

هاجر إلى المدينة ونسب الإخراج إلى الكفّار لأن الكلام في معرض إلزامهم الذنب ووصفهم بالظلم ﴿**إلاّ أن يقولوا ربّنا اللّهُ**﴾ قال ابن عطية هو استثناء منقطع لا يجوز فيه البدل عند سيبويه، وقال الزمخشري **أن** يقولوا: في محل الجر على الإبدال من حق ﴿**ولولاَ دفعُ اللهِ النّاسَ**﴾ الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه كأنه يقول لولا القتال والجهاد لاستولى الكفّار على المسلمين وذهب الدين، وقيل المعنى: لولا دفع ظلم الظّلَمَة بعدل الوُلاة، والأول أليق بسياق الآية، وقرىء دفاع بالألف مصدر دافع، وبغير ألف مصدر دفع ﴿**لَّهُدِّمَتْ**﴾ قرىء بالتخفيف والتشديد للمبالغة ﴿**صَوَامِعُ**﴾ جمع صومعة بفتح الميم وهي موضع العبادة وكانت للصابئين ولرهبان النصارى، ثم سمّي بها في الإسلام موضع الأذان، والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهي كنائس النصارى والصلوات كنائس اليهود، وقيل هي مشتركة لكل أمّة، والمراد بها مواضع الصلوات، والمساجد للمسلمين، فالمعنى لولا دفع الله لاستولى الكفّار على أهل المِلَل المتقدمة في أزمانهم، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهدموا مواضع عباداتهم ﴿**يُذكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ**﴾ الضمير لجميع ما تقدّم من المتعبدات، وقيل للمساجد خاصّة ﴿**ولَيَنصُرَنَّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ**﴾ أي مَن ينصر دينه وأولياءه، وهو وعد تضمن الحضّ على القتال.

﴿**الّذينَ إن مّكَّنّاهُمْ**﴾ الآية: قيل يعني أمة سيدنا محمد ﷺ، وقيل الصحابة، وقيل الخلفاء الأربعة لأنهم الذين مكّنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به ﴿**وإن يُكَذِّبُوكَ**﴾ الآية ضمير الفاعل لقريش، والخطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له والوعيد لهم ﴿**نَكِيرِ**﴾ مصدر بمعنى الإنكار ﴿**عَلَى عُرُوشِهَا**﴾ العروش السقف فإن تعلق الجار

يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ

بخاوية: فالمعنى أن العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهي فوقها، وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال: فالمعنى أنها خاوية مع بقاء عروشها ﴿**بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ**﴾ أي لا يستقى الماء منها لهلاك أهلها، ورُوِيَ أن هذه البئر هي الرس، وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود، والأظهر أنه لم يرد التعيين، لقوله: ﴿**فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ**﴾ وهذا اللفظ يراد به التكثير ﴿**وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ**﴾ أي مبني بالشيد وهو الجص، وقيل المشيّد المرفوع البنيان ﴿**قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ**﴾ دليل على أن العقل في القلب خلافًا للفلاسفة في قولهم العقل في الدماغ ﴿**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ**﴾ أي لا تعمى الأبصار عمًى يعتدّ به، وإنما العمى الذي يعتدّ به عمى القلوب، وإن هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم ولكن عميت قلوبهم، فالمعنى الأول لقصد المبالغة، والثاني خاصّ بهؤلاء القوم ﴿**الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ مبالغة كقوله يقولون بأفواههم ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ**﴾ الضمير لكفّار قريش ﴿**وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ**﴾ إخبار يتضمن الوعيد بالعذاب، وسمّاه وعدًا؛ لأن المراد به مفهوم ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ المعنى أن يومًا من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا، ولذلك قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة» وقيل المعنى إن يومًا واحدًا من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب فإن أيام البؤس طويلة، وإن كانت في الحقيقة قصيرة، وفي كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب، إلاّ أن الأول أرجح، لأن الألف سنة فيه حقيقة، وقيل إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستّة التي خلق الله فيها السمٰوات والأرض ﴿**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ**﴾ ذكر أولاً القرى التي أهلكها بغير إملاء، وذكر هنا التي أهلكها بعد الإملاء، والإملاء هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد، وعطف هذه الجملة بالواو على الجمل المعطوفة قبلها بالواو، وقال في الأولى فكأيّن لأنه بدل من قوله فكيف كان نكير ﴿**سَعَوْا فِي آيَاتِنَا**﴾ أي سعوا فيها بالطعن عليها، وهو من قولك سعى في الأمر إذا جدّ فيه لقصد إصلاحه أو إفساده

مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ

﴿مُعَاجِزِين﴾ بالألف: أي مغالبين، لأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي عجزهم، فصارت مفاعلة، وقرىء بالتشديد من غير ألف ومعناه أنهم يعجزون الناس عن الإسلام أي يثبطونهم عنه ﴿مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ﴾ النبيّ أعمّ من الرسول فكل رسول نبيّ وليس كل نبيّ رسولاً، فقدّم الرسول لمناسبته لقوله أرسلنا وأخّر النبي لتحصيل العموم، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل في ذلك مَن كان نبيًا غير رسول ﴿إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيطَانُ فِي أُمنِيَّتِهِ﴾ سبب هذه الآية أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قرأ سورة والنجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين فلما بلغ إلى قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُم اللاَّتَ والعُزّى ومَناة الثالثة الأخرَى﴾ [النجم: ١٩] ألقى الشيطان، تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به وقالوا هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد واختلف في كيفية إلقاء الشيطان، فقيل إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك، وظن الناس أن النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم هو المتكلّم به لأنه قرّب صوته من صوت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم حتى التبس الأمر على المشركين وقيل إن النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم هو الذي تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو؛ لأن الشيطان ألقاه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد، والقول الثاني أشهر عند المفسّرين والناقلين لهذه القصة، والقول الأول أرجح. لأن النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم معصوم في التبليغ، فمعنى الآية أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان، واختلف في معنى تمنى وأُمنيته في هذه الآية فقيل تمنى بمعنى تلا، والأمنية: التلاوة: أي إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده في تلاوته، وقيل هو من التمنّي بمعنى حبّ الشيء، وهذا المعنى أشهر في اللفظ: أي تمنى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم مقاربة قومه واستئلافهم، وألقى الشيطان ذلك في هذه الأمنية ليعجبهم ذلك ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيطَانُ﴾ أي يبطله كقولك نسخت الشمس الظلّ ﴿لِيَجْعَلَ﴾ متعلق بقوله ينسخ ويحكم ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي أهل الشك ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المكذبون، وقيل الذين في قلوبهم مرض عامّة الكفّار، والقاسية قلوبهم أشدّ كفرًا وعُتوًّا كأبي جهل ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ يعني بالظالمين المذكورين قبل، ولكنه جعل الظاهر موضع

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى

المضمر، ليقضي عليهم بالظلم، والشقاق: العداوة، ووصفه ببعيد، لأنه في غاية الضلالة والبعد عن الخير ﴿**الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ قيل يعني الصحابة، واللفظ أعمّ من ذلك ﴿**أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ الضمير عائد على القرآن، وقال الزمخشري هو لتمكين الشيطان من الإلقاء ﴿**فَتُخْبِتَ**﴾ أي تخشع ﴿**فِي مِرْيَةٍ مِنْه**﴾ الضمير للقرآن، أو للنبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أو للإلقاء ﴿**يَوْمٍ عَقِيمٍ**﴾ يعني يوم بدر، ووصفه بالعقيم لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم، لأنهم يقتلون فيه، وقيل هو يوم القيامة، والساعة مقدّماته، ويقوّي ذلك قوله: ﴿**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾، ثم قسم الناس إلى قسمين: أصحاب الجحيم وأصحاب النعيم ﴿**قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا**﴾ رُوِيَ أن قومًا قالوا يا رسول الله قد علمنا ما أعطى الله لمَن قتل من الخيرات، فما لمَن مات معك، فنزلت الآية مُعلِمَة أن الله يرزق مَن قتل ومَن مات معًا، ولا يقتضي ذلك المساواة بينهم لأن تفضيل الشهداء ثابت ﴿**رِزْقًا حَسَنًا**﴾ يحتمل أن يريد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة، أو رزق الشهداء في البرزخ، والأول أرجح، لأنه يعمّ الشهداء والموتى ﴿**مُدْخَلاً**﴾ يعني الجنة ﴿**ذَلِكَ**﴾ تقديره هنا: الأمر ذلك كما يقول الكاتب هذا وقد كان كذا إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر ﴿**وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ**﴾ سمّى الابتداء عقوبة باسم الجزاء عليها تجوّزًا كما تسمى العقوبة أيضًا باسم الذنب ووعد بالنصر لمَن بغى عليه ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾ إن قيل ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أن في ذكر هذين الوصفين إشعار بأن العفو أفضل من العقوبة، فكأنه حضّ على العفو، والثاني أن في ذكرهما إعلامًا بعفو الله عن المعاقب حين عاقب، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ**﴾ أي ذلك النصر بسبب أن الله قادر، ومن آيات

ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى

قدرته أنه يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ومعنى الإيلاج هنا أنه يدخل ظلمة هذا في مكان ضوء هذا، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا، وقيل الإيلاج هو ما ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**﴾ أي ذلك الوصف الذي وصف الله به هو بسبب أنه الحق.

﴿**فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً**﴾ تصبح هنا بمعنى تصير، وفهم بعضهم أنه أراد صبيحة ليلة المطر، فقال لا تصبح الأرض مخضرّة إلاّ بمكة، والبلاد الحارّة، وأما على معنى تصير فذلك عامّ في كل بلد، والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جوابًا لقوله ألم ترَ لنصبت الفعل، وكان المعنى نفي خضرتها وذلك خلاف المقصود، وإنما قال تصبح بلفظ المضارعة ليفيد بقاءها كذلك مدة ﴿**سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ**﴾ يعني البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك ﴿**أَن تَقَعَ**﴾ في موضع مفعول على تقدير عن أن تقع، وقال الزمخشري كراهة أن تقع فهو مفعول من أجله ﴿**إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة، فجعل طيّ السماء كوقوعها أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء ﴿**أَحْيَاكُمْ**﴾ أي أوجدكم بعد العدم، وعبّر عن ذلك بالحياة لأن الإنسان قبل ذلك تراب فهو جماد بلا روح، ثم أحياه بنفخ الروح ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**﴾ يعني الموت المعروف ﴿**ثُمَّ يُحيِيكُمْ**﴾ يعني البعث ﴿**لَكَفُورٌ**﴾ أي جحود للنعمة ﴿**مَنسَكًا**﴾ هو اسم مصدر لقوله ناسكوه ولو كان اسم مكان لقال ناسكون فيه ﴿**فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ**﴾ ضمير الفاعل للكفّار، والمعنى: أنه لا ينبغي منازعة النبي ﷺ، لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي والمراد غير النهي، وقيل إن المعنى لا تنازعهم فينازعوك فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، ويحتمل أن يكون نهيًا لهم عن

مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ

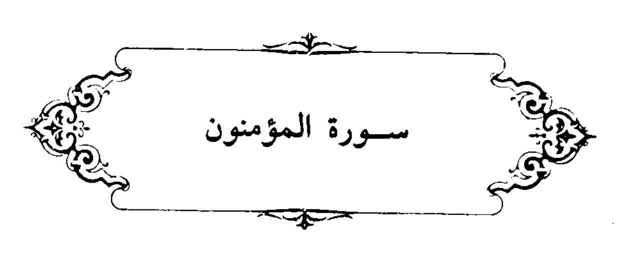
المنازعة على ظاهر اللفظ **﴿فِي الأَمْرِ﴾** أي في الدين والشريعة أو في الذبائح **﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾** أي ادع الناس إلى عبادة ربك **﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾** الآية: تقتضي موادعة منسوخة بالقتال **﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾** يعني اللوح المحفوظ، والإشارة بذلك إلى معلومات الله **﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** يحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات في الكتاب، أو إلى الحكم في الاختلاف والأول أظهر **﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾** يعني الأصنام؛ والسلطان هنا: الحجة والبرهان، وما ليس لهم به علم: قيل إنه يعني ما ليس لهم به علم ضروري، فنفى أولاً البرهان النظري، ثم العلم الضروري، وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظري معًا **﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾** أي الإنكار لما يسمعون فالمنكر مصدر: كالمكرم بمعنى الإكرام ويعرف ذلك في وجوههم بعبوسها وإعراضها **﴿يَسْطُونَ﴾** من السطوة وهي سرعة البطش **﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾** يحتمل أن تكون النار مبتدأ، ووعدها الله خبرًا أو يكون النار خبر ابتداء مضمر كأنّ قائلاً قال ما هو؟ فقيل هو النار، ويكون وعدها الله استئنافًا وهذا أظهر **﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾** أي ضربه الله لإقامة الحجة على المشركين **﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾** تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأخرى والمعنى أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذُّباب ولا غيره، فكيف تعبد من دون الله الذي خلق كل شيء، ثم أوضح عجزهم بقوله: **﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾** أي لو تعاونوا على خلق الذُّباب لم يقدروا عليه **﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾** بيان أيضًا لعجز الأصنام بحيث لو اختطف الذُّباب منهم شيئًا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه، وقد قيل إن المراد بما يسلب الذُّباب منهم الطيب الذي كانت تجعله العرب على الأصنام واللفظ أعمّ من ذلك **﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾** المراد بالطالب الأصنام وبالمطلوب

شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ

الذباب لأن الأصنام تطلب من الذُباب ما سلبته منها. وقيل الطالب الكفّار والمطلوب الأصنام. لأن الكفّار يطلبون الخير منهم و﴿**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ أي ما عظّموه حقّ تعظيمه ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾ ردّ على مَن أنكر أن يكون الرسول من البشر ﴿**ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا**﴾ في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره للحديث الصحيح الوارد في ذلك خلافًا للمالكية ﴿**واعْبُدُوا رَبَّكُمْ**﴾ عموم في العبادة بعد ذكر الصلاة التي عبّر عنها بالركوع والسجود، وإنما قدّمها لأنها أهم العبادات ﴿**وَافْعَلُوا الْخَيْرَ**﴾ قيل المراد صلة الرحم، وقال ابن عطية هي في الندب فيما عدا الواجبات، واللفظ أعمّ من ذلك كله ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ**﴾ يحتمل أن يريد جهاد الكفّار، أو جهاد النفس والشيطان أو الهوى، أو العموم في ذلك ﴿**حَقَّ جِهَادِهِ**﴾ قيل إنه منسوخ كنسخ حقّ تقاته بقوله ما استطعتم، وفي ذلك نظر، وإنما أضاف الجهاد إلى الله ليبيّن بذلك فضله واختصاصه بالله ﴿**اجْتَبَاكُمْ**﴾ أي اختاركم من بين الأمم ﴿**مِنْ حَرَجٍ**﴾ أي مشقّة، وأصل الحرج الضيق ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ انتصب ملّة بفعل مضمر تقديره أعني بالدين ملّة إبراهيم، أو التزموا ملّة إبراهيم وقال الفرّاء انتصب على تقدير حذف الكاف كأنه قال كملة، وقال الزمخشري انتصب بمضمون ما تقدم: كأنه قال وسّع عليكم توسعة ملّة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف، فإن قيل: لم يكن إبراهيم أبًا للمسلمين كلهم، فالجواب: انه أبًا لرسول الله ﷺ، وكان أبًا لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده، ولذلك قرىء وأزواجه أُمهاتهم، وهو أب لهم، وأيضًا فإن قريشًا وأكثر العرب من ذرّيّة إبراهيم، وهم أكثر الأمة فاعتبرهم دون غيرهم ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ**﴾ الضمير لله تعالى ومعنى من قبل في الكتب المتقدمة، وفي هذا أي في القرآن، وقيل الضمير لإبراهيم والإشارة إلى قوله: ﴿ومِن ذُرّيّتِنا أُمّة مُسْلِمَة لكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ومعنى من قبل على هذا: من قبل وجودكم، وهنا يتم الكلام على هذا القول ويكون في قوله: ﴿**وَفِي**

عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

هَذَا مستأنفًا: أي وفي هذا البلاغ، والقول الأول أرجح وأقلّ تكلّفًا، ويدلّ عليه قراءة أُبيّ بن كعب: اللَّهُ سَمّاكم المسلمين **﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾** تقدّم معنى هذه الشهادة في البقرة **﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾** الظاهر أنها المكتوبة لاقترانها مع الزكاة **﴿هُوَ مَوْلاَكُمْ﴾** معناه هنا وليّكم وناصركم بدلالة ما بعد ذلك.



سورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا

بِسْــم اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلّل لعظمة المولى جلّ جلاله ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرّع وقد عدّ بعض الفقهاء الخشوع في فرائض الصلاة، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها،وقد جاء في الحديث «لا يكتب للعبد من صلاته إلاّ ما عقل منها»، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب، فقد يحضر القلب ولا يخشع **﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾** اللغو هنا الساقط من الكلام كالسب واللهو، والكلام بما لا يعني، وعدد أنواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعًا، ومعنى الإعراض عنه: عدم الاستماع إليه والدخول فيه، ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى **﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾** أي مؤدّون، فإن قيل: لِمَ قال فاعلون ولم يقل مؤدّون؟ فالجواب: أن الزكاة لها معنيان أحدهما الفعل الذي يفعله المزكّي

مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

أي أداء ما يجب على المال، والآخر المقدار المُخرَج من المال كقولك هذه زكاة مالي، والمراد هنا الفعل لقوله: ﴿**فَاعِلُونَ**﴾ ويصحّ المعنى الآخر على حذف تقديره هم لأداء الزكاة فاعلون ﴿**عَلَى أَزْوَاجِهِمْ**﴾ هذا المجرور يتعلق بفعل يدلّ عليه قوله: ﴿**غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾ أي لا يُلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق بقوله: ﴿**حَافِظُونَ**﴾ على أن يكون على بمعنى عن ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾ يعني النساء المملوكات، قال الزمخشري إنما قال: ما ملكت، ولم يقل من، لأن الإناث يجرين مجرى غير العقلاء ﴿**وَرَاءَ ذَلِكَ**﴾ يعني ما سوى الزوجات والمملوكات ﴿**لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ**﴾ يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم وأمانة الله وعهده في دينه أو العموم، والأمانة أعمّ من العهد لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد متقدّم ﴿**رَاعُونَ**﴾ أي حافظون لها قائمون بها ﴿**عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ المحافظة عليها هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها، فإن قيل: كيف كرّر ذكر الصلوات أولاً وآخرًا؟ فالجواب: أنه ليس بتكرار، لأنه قد ذكر أولاً الخشوع فيها وذكر هنا المحافظة عليها، فهما مختلفان، وأضاف الصلاة في الموضعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها ﴿**الْوَارِثُونَ**﴾ أي المستحقّون للجنة، فالميراث استعارة، وقيل إن الله جعل لكل إنسان مسكنًا في الجنة ومسكنًا في النار، فيرث المؤمنون مساكن الكفّار في الجنة ﴿**الْفِرْدَوْسَ**﴾ مدينة الجنة وهي جنة الأعناب، وأعاد الضمير عليها مؤنّثًا على معنى الجنة ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ**﴾ اختلف هل يعني آدم، أو جنس بني آدم ﴿**مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ**﴾ السلالة: هي ما يسلّ من الشيء: أي ما يستخرج منه، ولذلك قيل إنها الخلاصة، والمراد بها هنا القطعة التي أُخِذَت من الطين وخُلِقَ منها آدم، فإن أراد بالإنسان آدم: فالمعنى أنه خلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً**﴾ لا بدّ أن يُراد به بنو آدم، فيكون الضمير يعود على غير مَن ذكر أولاً، ولكن يفسّره سياق الكلام، وإن أراد بالإنسان ابن آدم فيستقيم عَوْد الضمير عليه، ويكون معنى خلقه من سلالة من طين: أي خلق أصله وهو أبوه آدم ويحتمل عندي أن يراد بالإنسان الجنس الذي يعمّ آدم وذرّيّته، فأجمل ذكر الإنسان أولاً ثم فصله بعد ذلك إلى الخلقة المختصّة بآدم: وهي من طين، وإلى الخلقة المختصّة بذرّيته.. وهي النطفة، فإن

ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم

قيل: ما الفرق بين من ومن؟ فالجواب على ما قال الزمخشري: أن الأولى للابتداء، والثانية للبيان. كقوله من الأوثان ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني رحم الأمّ، ومعنى مكين: متمكّن وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقرّة، لا من صفة المحل المستقرّ فيه، ولكنه كقولك طريق سائر: أي يسير الناس فيه، وقد تقدّم تفسير النطفة والمضغة والعلقة في أول الحج ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ قيل هو نفخ الروح فيه، وقيل خروجه إلى الدنيا، وقيل استواء الشباب وقيل على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ هو مشتق من البركة، وقيل معناه تقدس ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي أحسن الخالقين خلقًا، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه، وفسّر بعضهم الخالقين بالمقدّرين فرارًا من وصف المخلوق بأنه خالق، ولا يجب أن ينفى عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع كقوله: ﴿وإذ تخلق مِن الطّين﴾ [المائدة: ١١٠] وإنما الذي يجب أن ينفى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم، فهذا هو الذي انفرد الله به ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ يعني السمٰوات، وسمّاها طرائق لأن بعضها طورق فوق بعض كمطارقة النعل، وقيل يعني الأفلاك لأنها طرق للكواكب ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين أو المصدر ﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾ يعني المطر الذي ينزل من السماء فتكون منه العيون والأنهار في الأرض، وقيل يعني أربعة أنهار وهي النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان، ولا دليل على هذا التخصيص، ومعنى بقدر: بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص منه ﴿وَشَجَرَةً تَخرُجُ مِن طُورِ سَينَاءَ﴾ يعني الزيتون، وإنما خصّ النخيل والأعناب والزيتون بالذكر: لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع، وطور سيناء جبل بالشام وهو الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام وينسب الزيتون إليه لأنها فيه كثيرة وسيناء اسم جبل أضافه إليه كقوله: جبل أُحُد، وقرىء بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث اللازم، وقرىء بالكسر، ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف، لأن فعلاء بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث، وقيل معناه مبارك، وقيل ذو شجرة، ويلزم على ذلك صرفه ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ يعني الزيت، وقرىء تنبت بفتح التاء، فالمجرور على هذا في موضع الحال. كقولك جاء زيد بسلاحه،

مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

وقرىء بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه: الأول أن أنبت بمعنى نبت والثاني حذف المفعول تقديره تنبت ثمرتها بالدهن والثالث زيادة الباء **﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾** الصبغ الغمس في الإدام **﴿فِي الْأَنْعَامِ﴾** هي الإبل والبقر والغنم والمقصود بالذكر الإبل، لقوله: **﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾** وقد تقدّم في النحل ذكر المنافع التي فيها وتذكيرها وتأنيثها **﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ﴾** استبعدوا أن تكون النبوّة لبشر؛ فيا عجبًا منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر **﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾** أي يطلب الفضل والرياسة عليكم **﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾** أي بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله، أو بمثل الكلام الذي قال لهم، وهذا يدلّ على أنه كان قبل نوح فترة طويلة **﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾** أي جنون. فانظر اختلاف قولهم فيه: فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون **﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾** أي إلى وقت لم يعينوه، ولكن أرادوا وقت زوال جنونه على قولهم، أو وقت موته **﴿انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾** تضمن هذا دعاء عليهم، لأن نصرته إنما هي بإهلاكهم وقد تقدّم في هود تفسير بأعيننا ووحينا، وفار التنور، ولا تخاطبني **﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾** أي ادخل فيها، وقد تقدّم تفسير زوجين اثنين **﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾** إن مخفّفة من الثقيلة، ومبتلين: اسم فاعل من ابتلى، ويحتمل أن يكون بمعنى الاختبار، أو إنزال البلاء.

﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾ قيل إنهم عاد ورسولهم هود، لأنهم الذين يلون قوم نوح، وقيل إنهم ثمود ورسولهم صالح، وهذا أصحّ لقوله: فأخذتهم الصيحة، وثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة، وأما عاد فأهلكوا بالريح **﴿مِن قَوْمِهِ﴾** قدّم هذا المجرور على قوله: **﴿الَّذِينَ**

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ

﴿كَفَرُوا﴾ لئلا يوهم أنه متصل بقوله: **﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** بخلاف قوله: قال الملأ الذين كفروا من قومه في غير هذا الموضع **﴿أتْرَفْنَاهُمْ﴾** أي نعّمناهم **﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾** يحتمل أنهم قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبيّ من البشر، أو قالوه أنفة من اتّباع بشر مثلهم، وكذلك قال قوم نوح **﴿أيَعِدُكُمْ﴾** استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد **﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾** كرّر أن تأكيدًا للأولى؛ ومخرجون خبر عن الأولى **﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾** هذا من حكاية كلامهم، وهيهات اسم فعل بمعنى بعد، وقال الغزنوي هي للتأسّف والتأوّه، ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان، وتارة يجيء فاعله دون لام كقوله، فهيهات هيهات العقيق وأهله، وتارة يجيء باللام كهذه الآية، قال الزجّاج في تفسيره: البعد لما توعدون، فنزّله منزلة المصدر، قال الزمخشري: وفيه وجه آخر وهي أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به **﴿إنْ هِيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنيَا﴾** أي ما الحياة إلاّ حياتنا الدّنيا، فوضع هي موضع الحياة لدلالة الخبر عليها **﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾** أي يموت بعض ويولد بعض، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر ومرادهم إنكارهم البعث **﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾** ما زائدة، وقيل صفة للزمان والتقدير عن زمان قليل يندمون **﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾** يعني هالكين كالغثاء والغثاء ما يحمله السيل من الورق وغيره مما يبلى ويسود، فشبّه به الهالكين **﴿فَبُعْدًا﴾** مصدر وضع موضع الفعل بمعنى بعدوا: أي هلكوا، والعامل فيه مضمر لا يظهر **﴿تَتْرَا﴾** مصدر ووزنه فعلى، ومعناه التواتر والتتابع، وهو موضوع موضع الحال: أي متواترين واحدًا بعد واحد، فمَن قرأه بالتنوين: فألفه للإلحاق، ومَن قرأه بغير تنوين: فألفه للتأنيث فلم ينصرف، وتأنيثه لأن الرّسل جماعة والتاء الأولى

أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ

فيه بدل من واو هي فاء الكلمة **﴿وَجَعَلْنَاهُم أَحَادِيثَ﴾** أي يتحدث الناس بما جرى عليهم ويحتمل أن يكون جمع حديث أو جمع أُحدوثة، وهذا أليق لأنها تُقال في الشرّ **﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾** أي متكبّرين **﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾** أي حامدون متذلّلون **﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾** الضمير لبني إسرائيل لا اقوم فرعون، لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة **﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾** الربوة الموضع المرتفع من الأرض، ويجوز فيها فتح الراء وضمّها وكسرها، واختلف في موضع هذه الربوة، فقيل بيت المقدس، وقيل بغوطة دمشق، وقيل بفلسطين **﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾** القرار المستوي من الأرض فمعناه أنها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل إن القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجاري، فقيل إنه مشتق من قولك معن الماء إذا كثر، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فعيل، وقيل إنه مشتق من العين، فالميم زائدة، ووزنه مفعول **﴿يَا أَيُّها الرُّسُلُ﴾** هذا النداء ليس على ظاهره، لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرّقة، وإنما المعنى أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك، وقيل الخطاب لسيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأقامه مقام الجماعة وهذا بعيد **﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾** أي من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلذّات فالأمر للإباحة **﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾** قرىء إن بالكسر على الاستئناف وبالفتح على معنى لأن، وهي متعلقة بقوله آخرًا: **﴿فَاتَّقُونِ﴾** وقيل تتعلق بفعل مضمر تقديره واعلموا، والأمة هنا الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره **﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم﴾** أي افترقوا واختلفوا، والضمير لأُمم الرُّسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم **﴿زُبُرًا﴾** جمع زبور: وهو الكتاب، والمعنى أنهم افترقوا في اتّباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك، ووضعوا كتابًا من عند أنفسهم **﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾** الضمير لقريش، والغمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء **﴿حَتَّى حِينٍ﴾** هنا يوم بدر أو يوم موتهم **﴿أَيَحْسَبُونَ﴾** الآية: ردّ عليهم فيما

حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم

ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم وأنهم سبب لرضا الله عنهم **﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾** هذا خبر أن، والضمير الرابط محذوف تقديره نسارع به **﴿بَلْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾** أي لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم، ففيه معنى التهديد **﴿يُؤْتُونَ مَا آتوا﴾** قيل معناه يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل إنه عام في جميع أفعال البرّ أي يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم وقد رَوَت عائشة هذا المعنى عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، إلاّ أنها قرأت يؤتون ما أتوا بالقصر، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيرًا لهذه القراءة، وقيل إنه عامّ في الحسنات والسيئات: أي يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله **﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾** أن في موضع المفعول من أجله، أو في موضع المفعول بوجلت، إذ هي في معنى خائفة **﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾** فيه معنيان: أحدهما أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات، والآخر أنهم يتعجّلون ثواب الخيرات، وهذا مطابق للآية المتقدّمة، لأنه أثبت فيهم ما نفي عن الكفّار من المسارعة **﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾** فيه المعنيان المذكوران في يسارعون للخيرات، وقيل معناه سبقت لهم السعادة في الأزل **﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾** يعني أن هذا الذي وصف به الصالحون غير خارج عن الوسع والطاقة، وقد تقدّم الكلام على تكليف ما لا يطاق في البقرة **﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾** يعني صحائف الأعمال، ففي الكلام تهديد وتأمين من الظلم والحيف **﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾** أي في غفلة من الدين بجملته ومن القرآن، وقيل من الكتاب المذكور، وقيل من الأعمال التي وصف بها المؤمنون **﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ﴾** أي لهم أعمال سيئة دون الغمرة التي هم فيها، فالمعنى أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال، والإشارة بذلك على هذا إلى الغمرة، وإنما أشار إليها بالتأكيد لأنها في معنى الكفر، وقيل الإشارة إلى قوله من هذا: أي لهم أعمال سيئة غير المشار إليه حسبما اختلف فيه **﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾** قيل هي إخبار عن أعمالهم في الحال، وقيل عن الاستقبال، وقيل المعنى أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله فجعل **﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾** غاية لقوله عاملون **﴿مُتْرَفِيهِم﴾** أي أغنياؤهم وكبراؤهم **﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾** أي يستغيثون ويصيحون، فإن أراد

﴿بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾

بالعذاب قتل المترفين يوم بدر: فالضمير في يجأرون لسائر قريش: أي صاحوا وناحوا على القتلى، وإن أراد بالعذاب شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة: فالضمير لجميعهم **﴿لاَ تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾** تقديره يقال لهم يوم العذاب لا تجأروا ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة، وأن يكون بلسان الحال ولفظه نهي، ومعناه: أن الجؤار لا ينفعهم **﴿عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾** أي ترجعون إلى وراء وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهي القرآن **﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾** قيل إن الضمير عائد على المسجد الحرام وقيل إنه على الحرم وإن لم يذكر؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام والمعنى أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام لأنهم أهله وولاته، وقيل إنه عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات، والمعنى على هذا أن القرآن يحدث لهم عتوًا وتكبرًا، وقيل إنه يعود على النبي ﷺ وهو على هذا متعلق بسامرًا **﴿سَامِرًا﴾** مشتق من السمر وهو الجلوس بالليل للحديث، وكانت قريش تجتمع بالليل في المسجد فيتحدّثون وكان أكثر حديثهم سبّ النبي ﷺ، وسامراً مفرد بمعنى الجمع، وهو منصوب على الحال فمَن جعل الضمير في به للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. فالمعنى أنهم سامرون بذكره وسبّه **﴿تَهْجُرُونَ﴾** مَن قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه تقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام، ومَن قرأ بفتح التاء وضم الجيم فهو من الهجر بفتح الهاء أي تهجرون الإسلام، والنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين، أو من قولك هجر المريض إذا هذى أي تقولون اللغو من القول **﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾** يعني القرآن، وهذا توبيخ لهم **﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾** معناه أن النبوّة ليست ببدع فينكرونها بل قد جاءت آباؤهم الأوّلين فقد كانت النبوّة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم **﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾** المعنى أم لم يعرفوا محمدًا ﷺ ويعلموا أنه أشرفهم حسبًا وأصدقهم حديثًا وأعظمهم أمانة وأرجحهم عقلاً، فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى الجنون، أو غير ذلك من النقائص، مع أنه جاءهم بالحق الذي لا يخفى على كل ذي عقل سليم، وأنه عين الصواب **﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَٰوَاتُ وَالأَرْضُ﴾** الاتّباع هنا استعارة، والحق هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم، فالمعنى لو كان الأمر على ما تقتضي أهواءهم من الشرك بالله واتّباع الباطل

وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا

لفسدت السمٰوات والأرض كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَة إلاّ الله لَفَسَدَتا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقيل إن الحق في الآية هو الله تعالى، وهذا بعيد في المعنى، وإنما حمله عليه أن جعل الاتّباع حقيقة ولم يفهم فيه الاستعارة، وإنما الحق هنا هو المذكور في قوله: **﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾** **﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾** يحتمل أن يكون بتذكيرهم ووعظهم أو بفخرهم وشرفهم وهذا أظهر **﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾** الخرج هو الأُجرة ويقال فيه خراج والمعنى واحد، وقرىء بالوجهين في الموضعين فهو كقوله: **﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾** أي لست تسألهم أجرًا فيثقل عليهم اتباعك **﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾** أي رزق ربك خير من أموالهم فهو يرزقك ويغنيك عنهم **﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾** أي عادلون ومعرضون عن الصراط المستقيم **﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾** الآية: قال الأكثرون: نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله ﷺ على قريش بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها، فالمعنى رحمناهم بالخصب وكشفنا ما بهم من ضرّ الجوع والقحط: لتمادوا على طغيانهم، وفي هذا عندي نظر، فإن الآية مكية باتفاق، وإنما دعا النبي ﷺ على قريش بعد الهجرة حسبما ورد في الحديث، وقيل المعنى لو رحمناهم بالردّ إلى الدنيا لعادوا لما نُهوا عنه، وهذا القول لا يلزم عليه ما لزم على الآخر، ولكنه خرج عن معنى الآية **﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾** قيل إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر، وهذا مردود بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر، وقيل إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر، والباب المتوعّد به هو القحط، وقيل الباب ذو العذاب الشديد: عذاب الآخرة، وهذا أرجح، ولذلك وصفه بالشدّة لأنه أشدّ من عذاب الدنيا، وقال: إذا هم فيه مبلسون: أي يائسون من الخير، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة كقوله: ﴿ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يبلس المُجرمون﴾ [الروم: ١٢] **﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾** أي ما تذللوا لله عزّ وجلّ، وقد تقدّم الكلام على هذه الكلمة في آخر آل عمران **﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾** إن قيل: هلاّ قال فما استكانوا وما تضرّعوا، أو فما يستكينون وما يتضرعون باتفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال؟ فالجواب: أن ما استكانوا عند العذاب الذي أصابهم، وما يتضرعون حتى يفتح عليهم باب

ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ

عذاب شديد فنفى الاستكانة فيما مضى، ونفى التضرّع في الحال والاستقبال **﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾** ما زائدة، وقليلاً صفة لمصدر محذوف تقديره شكرًا قليلاً تشكرون، وذكر السمع والبصر والأفئدة ـ وهي القلوب ـ لعظم المنافع التي فيها فيجب شكر خالقها ومن شكره: توحيده واتّباع رسوله عليه الصلاة والسلام، ففي ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجّة **﴿ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾** أي نشركم فيها **﴿وَلَهُ اخْتِلاَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** أي هو فاعله ومختص به فاللام على هذا للاختصاص، وقد ذكر في البقرة معنى اختلاف الليل والنهار **﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ﴾** أي قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة، ثم فسّر قولهم بإنكارهم البعث، وإليه الإشارة بقولهم: لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا، وقد ذكر الاستفهامان في الرعد، وأساطير الأوّلين في الأنعام **﴿قُلْ لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا﴾** هذه الآيات توقيف لهم على أمور لا يمكنهم الإقرار بها، وإذا أقرّوا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة **﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾** قرىء في الأول لله باللام بإجماع، جوابًا لقوله لمَن الأرض، وكذلك قرأ الجمهور الثاني والثالث، وذلك على المعنى لأن قوله **﴿مَن رَّبُّ السَّمَـٰوَاتِ﴾** في معنى لمَن هي، وقرأ أبو عمرو الثاني والثالث بالرفع على اللفظ **﴿مَلَكُوتُ﴾** مصدر وفي بنائه مبالغة **﴿يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ﴾** الإجارة المنع من الإهانة، يقال أجرت فلانًا على فلان إذا منعته من مضرّته وإهانته، فالمعنى أن الله تعالى يغيث مَن شاء ممّن شاء ولا يغيث أحد منه أحدًا **﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾** أي تخدعون عن الحق والخادع لهم الشيطان، وذلك تشبيه بالسحر في التخليط والوقوع في الباطل، ورتّب هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج فقال أولاً أفلا تذكرون، ثم قال ثانيًا أفلا تتّقون، وذلك أبلغ، لأن فيه زيادة تخويف، ثم قال ثالثًا فأنّى تسحرون

ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ

وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره ﴿**وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ يعني فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد ولذلك ردّ عليهم بنفي ذلك، ﴿**إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ**﴾ هذا برهان على الوحدانية، وبيانه أن يقال لو كان مع الله إلهًا آخر لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر، واستبدّ كل واحد منهما بملكه وطلب غلبة الآخر والعلوّ عليه كما ترى حال ملوك الدنيا ولكن لمّا رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كرة واحدة: علمنا أن مالكه ومدبّره واحد، لا إله غيره وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية وغيره، بل هو دليل آخر، فإن قيل: إذ لا تدخل إلاّ على كلام هو جزاء وجواب، فكيف دخلت هنا ولم يتقدّم قبلها شرط ولا سؤال سائل؟ فالجواب: أن الشرط محذوف تقديره لو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله، وهو جواب للكفّار الذين وقع الردّ عليهم ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ**﴾ بالرفع خبر ابتداء، وبالخفض صفة لله.

﴿**قُلْ رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ**﴾ الآية: معناه أن الله أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قضى أن يرى ذلك، وفيها تهديد للظالمين وهم الكفّار، وإن شرطية وما زائدة، وجواب الشرط فلا تجعلني، وكرّر قوله ربّ مبالغة في الدعاء والتضرّع ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ**﴾ قيل التي هي أحسن لا إله إلاّ الله، والسيئة الشرك، والأظهر أنه أمر بالصفح والاحتمال وحُسْن الخلق وهو محكم غير منسوخ، وإنما نسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفّار ﴿**مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ**﴾ يعني نزغاته ووساوسه، وقيل يعني الجنون، واللفظ أعمّ من ذلك ﴿**أَن يَحْضُرُونِ**﴾ معناه أن يكونوا معه، وقيل يعني حضورهم عند الموت ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ**﴾ قال ابن عطية: حتى هنا حرف ابتداء: أي ليست غاية لما قبلها، وقال الزمخشري حتى تتعلق بيصفون: أي لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت ﴿**قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ**﴾ يعني الرجوع إلى الدنيا، وخاطب

ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ

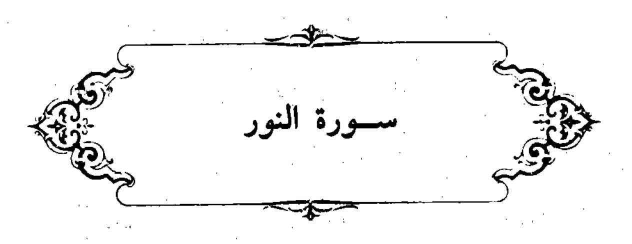
به مخاطبة الجماعة للتعظيم، قال ذلك الزمخشري وغيره، ومثله قول الشاعر:

ألا فارحمون يا آل محمد

وقيل إنه نادى ربّه ثم خاطب الملائكة ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قيل يعني فيما تركت من المال، وقيل فيما تركت من الإيمان فهو كقوله: ﴿أو كسبت في إيمانها خيرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والمعنى أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحًا في الإيمان الذي تركه أول مرة ﴿كَلاَّ﴾ ردع له عمّا طلب ﴿إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يعني قوله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ فسمّى هذا الكلام كلمة وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال: أحدها أن يقول هذه الكلمة لا محالة لإفراط ندمه وحسرته فهو إخبار بقوله، والثاني أن المعنى انها كلمة يقولها ولا تنفعه ولا تُغني عنه شيئًا، والثالث أن يكون المعنى أنه يقولها كاذبًا فيها، ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحًا ﴿وَمِن وَرَائِهِمْ﴾ أي فيما يستقبلون من الزمان والضمير للجماعة المذكورين في قوله جاء أحدهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ يعني المدة التي بين الموت والقيامة، وهي تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وأصل البرزخ الحاجز بين شيئين ﴿فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المعنى أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة لاشتغال كل أحد بنفسه كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِن أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] فتكون الأنساب كأنها معدومة ﴿وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضًا لاشتغال كل أحد بنفسه، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وأَقْبَلَ بَعْضُهُم عَلى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُون﴾ [الصّافّات: ٢٧] فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ثم يتساءلون بعد ذلك فإن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف كثيرة ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُم النَّارُ﴾ أي تصيبهم بالإحراق ﴿كَالِحُونَ﴾ الكلوح انكشاف الشفتين عن الأسنان، وكثيراً ما يجري ذلك للكلاب، وقد يجري للكباش إذا شُويَت رؤوسها، وفي الحديث إن شفة الكافر ترتفع في النار حتى تبلغ وسط رأسه، وفي ذلك عذاب وتشويه ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي ما قدر عليهم من الشقاء، وقرىء شقاوتنا،

عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

والمعنى واحد **﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا﴾** كلمة تستعمل في زجر الكلاب، ففيها إهانة وإبعاد **﴿وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾** أي لا تكلمون في رفع العذاب فحينئذ ييأسون من ذلك، أعاذنا الله من ذلك برحمته **﴿سِخْرِيًّا﴾** بضم السين من السخرة بمعنى التخديم، وبالكسر من السخر بمعنى الاستهزاء، وقد يقال هذا بالضم، وقرىء هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين، على أن معنى الاستهزاء هنا أليق بقوله: **﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾** **﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾** يعني في جوف الأرض أمواتًا، وقيل أحياءً في الدنيا، فأجابوا بأنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم لاستقصارهم المدة أو لما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئًا **﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾** أي اسأل مَن يقدر على أن يعدّ، وهو من عوفي مما ابتلوا به أو يعنون الملائكة **﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾** معناه أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين أبدًا **﴿عَبَثًا﴾** أي باطلاً، والمعنى إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب **﴿لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾** أي لا حجة ولا دليل، والجملة صفة لقوله إلهًا آخر، وجواب الشرط **﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾** الضمير للأمر والشأن، وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين، ليبيّن البون بين الفريقين والله أعلم.



سورة النور

مدنيّة وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ السورة خبر ابتداء مضمر، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره فيما أنزل عليكم سورة، وأنزلناها صفة للسورة، وفرضناها: أي فرضنا الأحكام التي فيها وقرىء بالتشديد للمبالغة **﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾** يعني ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال، وقيل معنى بيّنات هنا ليس فيها مشكل **﴿الزَّانِيَةُ والزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾** الزانية والزاني يراد بهما الجنس، وقدّم الزانية لأن الزنا كان حينئذ في النساء أكثر، فإنه كان منهنّ إماء وبغايا يجاهرن بذلك، وإعراب الزاني والزانية كإعراب: **﴿السّارِق والسّارِقَة فَاقْطَعُوا أيْدِيهما﴾** [المائدة: ٣٨]، وقد ذكر في المائدة، وهذه الآية ناسخة بإجماع لما في سورة النساء من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة ومن الأذى في الأخرى، ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومه، فإن جلد المائدة إنما هو حدّ الزاني والزانية إذا كانا مسلمين حُرّين غير محصنين، فيخرج منها الكفّار، فيردّون إلى أهل دينهم، ويخرج منها

العبد والأمة والمحصن والمحصنة، فأما العبد والأمة: فحدّهما خمسون جلدة سواء كانا محصنين أو غير محصنين، وأما المحصنان الحُرّان فحدّهما الرجم هذا على مذهب مالك، وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب، فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم في المسلمين والكافرين، وفي الأحرار والعبيد والإماء، وفي المحصن وغير المحصن، ثم إن العلماء خصّصوا من هذا العموم أشياء، منها باتفاق، ومنها باختلاف، فأما الكفّار فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدّهم جلد مائة أحصنوا أو لم يحصنوا: أخذًا بعموم الآية، ورأى الشافعي أن حدّهم كحدّ المسلمين الجلد إن لم يحصنوا، والرجم إن أحصنوا أخذًا بالآية، وبرجم النبي ﷺ لليهودي واليهودية إذْ زنيا، ورأى مالك أن يردّوا إلى أهل دينهم لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿والـلاّتِي يَأْتِين الفَاحِشَةَ مِن نِسَائِكم﴾ [النساء: ١٥] فخصّ نساء المسلمين على أنها قد نسختها هذه، ولكن بقيت في محلها، وأما العبد والأمة: فرأى أهل الظاهر أن حدّ الأمة خمسون جلدة لقوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنّ نِصف مَا عَلَى المُحْصنات مِنَ العَذَاب﴾ [النساء: ٢٥] وأن حدّ العبد الجلد مائة لعموم الآية، وقال غيرهم يجلد العبد خمسين بالقياس على الأمة، إذ لا فرق بينهما، وأما المحصن فقال الجمهور حدّه الرجم فهو مخصوص في هذه الآية، وبعضهم يسمّي هذا التخصيص نسخًا، ثم اختلفوا في المخصّص أو الناسخ، فقيل الآية التي ارتفع لفظها وبقي حكمها وهي قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة نكالاً من الله والله عزيز حكيم» وقيل الناسخ لها السُّنّة الثابتة في الرجم، وقال أهل الظاهر وعليّ بن أبي طالب: بجلد المحصن بالآية، ثم يرجم بالسُّنّة فجمعوا عليه الحدّين، ولم يجعلوا الآية منسوخة، ولا مخصّصة، وقال الخوارج لا رجم أصلاً فإن الرجم ليس في كتاب الله، ولا يعتدّ بقولهم، وظاهر الآية الجلد دون تغريب، وبذلك قال أبو حنيفة، وقال مالك الجلد والتغريب سُنّة للحديث، وهو قوله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»، ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك، وصفة الجلد عند مالك في الظهر والمجلود جالس وقال الشافعي يفرّق على جميع الأعضاء والمجلود قائم، وتستر المرأة بثوب لا يقيها الضرب، ويجرّد الرجل عند مالك وقال قوم يجلد على قميص ﴿**وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ**﴾ قيل يعني في إسقاط الحدّ: أي أقيموه ولا بدّ، وقيل في خفيف الضرب، وقيل في الوجهين. فعلى القول الأول يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرح، وهو مذهب مالك والشافعي، وعلى القول الثاني والثالث يكون الضرب في الزنا أشدّ، واختلف هل يجوز أن يجمع مائة سوط يضرب بها مرة واحدة فمنعه مالك وأجازه أبو حنيفة لِمَا ورد في قصة أيوب عليه السلام، وأجازه الشافعي

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ

للمريض لورود ذلك في الحديث ﴿**وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ المراد بذلك توبيخ الزناة والغلظة عليهم، واختلف في أقلّ ما يجزىء من الطائفة فقيل أربعة اعتبارًا بشهادة الزنا وهو قول ابن أبي زيد، وقيل عشرة، وقيل اثنين وهو مشهور مذهب مالك، وقيل واحد ﴿**الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً**﴾ الآية: معناها ذمّ الزناة وتشنيع الزنا، وأنه لا يقع فيه إلاّ زانٍ أو مشرك ولا يوافقه عليه من النساء إلاّ زانية أو مشركة، وينكح على هذا بمعنى يجامع، وقيل معناها لا يحلّ لزانٍ أن يتزوّج إلاّ زانية أو مشركة، ولا يحلّ لزانية أن تتزوج إلاّ زانيًا أو مشركًا، ثم نسخ هذا الحكم وأبيح لهما التزوّج ممّن شاؤوا، والأول هو الصحيح ﴿**وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الإشارة بذلك إلى الزنا أي حرّم الزنا على المؤمنين وقيل الإشارة إلى تزوّج المؤمن غير الزاني بزانية، فإن قومًا منعوا أن يتزوجها، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها وهو بعيد، وأجاز تزويجها مالك وغيره، ورُوِيَ عنه كراهته ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً**﴾ هذا حدّ القذف وهو الفرية التي عبّر الله عنها بالرمي والمحصنات يراد بهنّ هنا العفائف من النساء، وخصّهنّ بالذكر لأن قذفهنّ أكثر وأشنع من قذف الرجال، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى إذ لا فرق بينهم، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد، وقيل إن المعنى يرمون الأنفس المحصنات فيعمّ اللفظ على هذا النساء والرجال، ويحتاج هنا إلى الكلام في القذف والقاذف والمقذوف والشهادة في ذلك، فأما القذف فهو الرمي بالزنا اتفاقًا. أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعي لعموم لفظ الرمي في الآية، خلافًا لأبي حنيفة، أو النفي من النسب، ومذهب مالك أن التعريض بذلك كله كالتصريح خلافًا للشافعي وأبي حنيفة، وأما القاذف فيحدّ: سواء كان مسلمًا أو كافرًا لعموم الآية، وسواء كان حرًا أو عبدًا إلاّ أن العبد والأمة إنما يحدّان أربعين عند الجمهور فنصفوا حدّهما قياسًا على تنصيفه في الزنا خلافًا للظاهرية، ولا يحدّ الصبي ولا المجنون لكونهما غير مكلّفين، وأما المقذوف فمذهب مالك أنه يشترط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عمّا رُمِيَ به، والتمكّن من الوطء تحرّزًا من المجبوب وشبهه، فلا يحدّ عنده من قذف صبيًا أو كافرًا أو مجبوبًا أو عبدًا ومَن لا يمكنه الوطء وقد قيل يحدّ مَن قذف واحدًا منهم لعموم الآية واتفقوا على اشتراط البراءة مما رُمِي به وأما الشهادة التي تسقط حدّ القذف، فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن

شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ

المقذوف عبدًا أو كافرًا ويشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قذف به كالمرود في المكحلة، ويؤدّون الشهادة مجتمعين **﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾** تقدم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام، وهي الحدّ وردّ شهادة القاذف وتفسيقه، فاتفق على أن الاستثناء راجع إلى التفسيق وأن ذلك يزول عنه بالتوبة، واتفق على أنه لا يرجع إلى الحدّ وأنه لا يسقط عنه بالتوبة، واختلف هل يرجع إلى ردّ الشهادة أم لا؟ فقال مالك إذا تاب قُبلَت شهادته، خلافًا لأبي حنيفة، وتوبته هو صلاح حاله في دينه وقيل إكذاب نفسه **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إلاَّ أَنفُسُهُمْ﴾** هذه الآية في قذف الرجل لامرأته فيجب اللعان بذلك، وسببها أن رجلاً قال يا رسول الله الرجل يجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع، فسكت عنه نبيّ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثم عاد فقال مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك فأتني بها فأتى بها فتلاعنا وفرّق رسول الله ﷺ بينهما وموجب اللعان عند مالك شيئان: أحدهما أن يدّعي الزوج أنه رأى امرأته تزني، والآخر أن ينفي حملها ويدّعي الاستبراء قبله، فإذا تلاعن الزوج تعلّقت به ثلاثة أحكام نفي حدّ القذف عنه، وانتفاء سبب الولد منه ووجوب حدّ الزنا عليها إن لم تلاعن، فإذا تلاعنت سقط الحدّ عنها، ولفظ الآية عامّ في الزوجات الحرائر والمماليك، والمسلمات والكافرات والعدول وغيرهم، وبذلك أخذ مالك واشترط في الزوج الإسلام واشترط أبو حنيفة أن يكونا مسلمين حُرّين عدلين **﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾** أي يقول الزوج أربع مرّات أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني أو أشهد بالله ما هذا الحمل منّي ولقد زنت وإني في ذلك لمن الصادقين، ثم يقول في الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، وزاد أشهب أن يقول أشهد بالله الذي لا إله إلاّ هو، وانتصب أربع شهادات بالله على المصدرية، والعامل فيه شهادة أحدهم وقرىء بالرفع وهو خبر شهادة أحدهم، وقوله بالله وإنه لمن الصادقين من صلة أربع شهادات أو من صلة شهادة أحدهم **﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾** قرىء بنصب الخامسة هنا وفي الموضع الثاني، وانتصب بفعل مضمر تقديره ويشهد الخامسة، أو بالعطف على أربع شهادات على قراءة النصب، وقرىء بالرفع على الابتداء أو عطف على أربع شهادات بقراءة الرفع، وقرىء أن

﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا

لعنة، وأن غضب: بتشديد أن، ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب على الابتداء **﴿وَيَدْرَؤُا عَنهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾** العذاب هنا حدّ الزنا أي يدفعه التعان المرأة، وهي أن تقول أربع مرات أشهد بالله ما زنيت، وإنه في ذلك لمن الكاذبين، ثم تقول في الخامسة: غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ويتعلق بالتعانها ثلاثة أحكام: دفع الحدّ عنها، والتفريق بينها وبين زوجها، وتأبيد الحرمة **﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ﴾** جواب لو محذوف هنا وفي الموضع الآخر تقديره لولا فضل الله عليكم لآخذكم، أو نحو هذا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ﴾ **الإفك**: أشدّ الكذب، ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ستة عشر آية في شأن سيدتنا عائشة رضي الله عنها وفي براءتها مما رماها به أهل الإفك وذلك أن الله برّأ أربعة بأربعة برّأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها وبرّأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرّأ مريم بكلام ولدها في حجرها وبرّأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن في شأنها ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى في الاعتناء بها والكرامة لها والتشديد على مَن قذفها وقد خرّج حديث الإفك البخاري ومسلم وغيرهما، واختصاره أن عائشة خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل، فرآها فنزل عن ناقته وتنحّى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال ما بال رجال رموا أهلي والله ما علمت على أهلي إلاّ خيرًا ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاّ خيرًا، وسأل جارية عائشة، فقالت: والله ما علمت عليها إلاّ ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ولم يذكر في الحديث من أهل الإفك إلاّ أربعة، وهم عبد الله بن أُبيّ ابن سلّول رأس المنافقين، وحمنة بنت جحش، ومسطح بن أثاثة، وحسّان بن ثابت، وقيل إن حسّانًا لم يكن منهم وارتفاع عصبة لأنه خبر إن، واختار ابن عطية أن يكون عصبة بدلاً من الضمير في جاءوا، ويكون الخبر لا تحسبوه شرًّا لكم على تقدير إن حديث الذين جاءوا بالإفك، والأول أظهر **﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾** خطاب للمسلمين، والخير في ذلك من خمسة أوجه: تبرئة أُم المؤمنين، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر الجزيل

تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟

لها في الفرية عليها، وموعظة المؤمنين، والانتقام من المفترين ﴿**وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ**﴾ هو عبد الله بن أُبيّ ابن سلّول المنافق، وقيل الذي بدأ بهذه الفرية غير معين والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يراد به الحدّ أو عذاب الآخرة ﴿**لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا**﴾ لولا هنا عرض والمعنى أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم فإن كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عائشة أبعد لفضلها، ورُوِيَ أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري، فقال لزوجته: أكنت أنت تفعلين ذلك؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة أفضل منك؟ قالت: نعم. فإن قيل: لِمَ قال سمعتموه بلفظ الخطاب، ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله ظنّ المؤمنون، ولم يقل ظننتم؟ فالجواب أن ذلك التفات قصد به المبالغة والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شرًّا ﴿**لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ**﴾ لولا هنا عرض، والضمير في جاءوا لأهل الإفك، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء ﴿**أَفَضْتُمْ فِيهِ**﴾ يقال أفاض في الحديث وخاض فيه إذا أكثر الكلام فيه ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ**﴾ العامل في إذ قوله مسّكم أو أفضتم، ومعنى تلقونه: يأخذه بعضكم من بعض، وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم في حديث الإفك، وإن كانوا لم يصدقوه، فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والترك له بالكليّة، فعاتبهم على ثلاثة أشياء، وهي: تلقّيه بالألسنة: أي السؤال عنه وأخذه من المسؤول والثاني قولهم ذلك، والثالث أنهم حسبوه هيّنًا وهو عند الله عظيم، وفائدة قوله بألسنتكم وبأفواهكم الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم ﴿**وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا**﴾ أي كان الواجب أن يبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعهم له، ولولا أيضًا في هذه الآية عرض، وكان حقها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما، ولكنه فصل بينهما بقوله إذ

لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟

سمعتموه لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، والقصد بتقديم هذا الظرف الاعتناء به، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار الكلام في أول وقت سمعتموه، ومعنى ما يكون لنا ما ينبغي لنا ولا يحلّ لنا أن نتكلم بهذا ﴿**سُبْحَانَكَ**﴾ تنزيه لله عن أن تكون زوجة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما قال أهل الإفك، وقال الزمخشري: هو بمعنى التعجّب من عظيم الأمر، والاستبعاد له، والأصل في ذلك أن يسبّح الله عند رؤية العجائب ﴿**بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾ البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه والغيبة أن يقال ما فيه ﴿**أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ**﴾ تقديره يعظكم كراهة أن تعودوا لمثله، ثم عظم الأمر وأكده بقوله إن كنتم مؤمنين ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ**﴾ الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبّوا أن يشيع حديث الإفك، ثم هو عامّ في غيرهم ممّن اتّصف بصفتهم، والعذاب في الدنيا الحدّ، وأما عذاب الآخرة، فقد ورد في الحديث أن مَن عوقب في الدنيا على ذنب لم يعاقب عليه في الآخرة فأشكل اجتماع الحدّ مع عذاب الآخرة في هذا الموضع، فيحتمل أن يكون القاذف يعذّب في الآخرة ولا يسقط الحدّ عنه عذاب الآخرة بخلاف سائر الحدود، أو يكون هذا مختصًا بمَن قذف عائشة، فإنه رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: مَن أذنب ذنبًا ثم تاب منه قبلت توبته إلاّ مَن خاض في أمر عائشة أو يكون لمَن مات مصرًا غير تائب، أو يكون للمنافقين ﴿**خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾ ذكر في البقرة ﴿**بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ ذكر في النحل ﴿**زَكَىٰ**﴾ أي تطهر من الذنوب، وصلح دينه ﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ**﴾ معنى يأتل يحلف، فهو من قولك آليت إذا حلفت، وقيل معناه يقصر فهو من قولك ألوت أي قصرت ومنه لا يألونكم خبالاً، والفضل هنا يحتمل أن يريد به الفضل في الدين أو الفضل في المال وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه، والسّعة هي اتّساع المال، نزلت الآية بسبب أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه حين حلفت أن لا ينفق على

وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ

مسطح لما تكلم في حديث الإفك وكان ينفق عليه لمسكنته؛ ولأنه قريبه، وكان ابن بنت خالته، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان، وكفّر عن يمينه، قال بعضهم هذه أرجى آية في القرآن لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف، ثم إن لفظ الآية على عمومه في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح **﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾** أي كما تحبّون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أنتم لمَن أساء إليكم، ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه إني لأحبّ أن يغفر الله لي، ثم ردّ النفقة إلى مسطح **﴿المحصنات الغافلات﴾** معنى المحصنات هنا العفائف ذوات الصون، ومعنى الغافلات السليمات الصدور، فهو من الغفلة عن الشر **﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾** هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ابن عباس كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلاّ مَن خاض في حديث عائشة وقيل الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يحتمل أن يريد به الحدّ أو عذاب الآخرة **﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾** العامل فيه يوفيهم، وكرّر يومئذ توكيدًا وقيل العامل فيه عذاب أو فعل مضمر **﴿دِينهم الحقّ﴾** أي جزاؤهم الواجب لهم **﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾** هذه الآية تدلّ على أن ما قبلها في المنافقين، لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين، ومعنى المبين الظاهر الذي لا شك فيه **﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾** الآية: معناها أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ففي ذلك ردّ على أهل الإفك، لأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هو أطيب الطيبين فزوجته أطيب الطيبات، وقيل المعنى أن الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس ففيه أيضًا ردّ على أهل الإفك، وقيل معناه أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك: أي أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلاّ خبيث مثلهم **﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾** الإشارة بأولئك إلى الطيبين والطيبات والضمير في يقولون للخبيثات والخبيثين والمراد تبرئة عائشة رضي الله عنها مما رميت به **﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ**

بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ

حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ هذه الآية أمر بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعمّ بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن يراها عريانة، ومعنى تستأنسوا: تستأذنوا وهو مأخوذ من قولك آنست الشيء إذا علمته، فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ وقيل هو مأخوذ من الأنس ضدّ الوحشة؛ وقرأ ابن عباس حتى تستأذنوا، والاستئذان واجب، وأما السلام فلا ينتهي إلى الوجوب، واختلف أيّهما يقدّم، فقيل يقدّم السلام ثم يستأذن فيقول السلام عليكم، ثم يقول أأدخل، وقيل يقدّم الاستئذان لتقديمه في الآية، وليس في الآية عدد الاستئذان، وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاث مرات، وهو تفسير للآية **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾** سبب هذه الآية أنه لمّا نزلت آية الاستئذان تعمق قوم فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون، فأباحت هذه الآية دخولها بغير استئذان، واختلف في البيوت غير المسكونة في هذه الآية، فقيل هي الفنادق التي في الطرق ولا يسكنها أحد بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل، والمتاع على هذا التمتّع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك، وقيل هي الخرب التي تدخل للبول والغائط، والمتاع على هذا حاجة الإنسان، وقيل هي حوانيت القيسارية والمتاع على هذا الثياب والبسط وشبهها، وهذا القول خطأ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع **﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾** إعرابها كإعراب يقيموا الصلاة في إبراهيم، وقد ذكر ومن أبصارهم للتبعيض، والمراد غضّ البصر عما يحرم، والاقتصار به على ما يحل، وقيل معنى التبعيض فيه أن النظرة الأولى لا حرج فيها، ويمنع ما بعدها، وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة، وقيل هي لابتداء الغاية لأن البصر مفتاح القلب والغضّ المأمور به هو عن النظر إلى العورة، أو إلى ما لا يحلّ من النساء أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستتر وحفظ الفروج المأمور به: هو عن الزنا، وقيل أراد ستر العورة، والأظهر أن الجميع مراد **﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾** تؤمَر المرأة بغضّ بصرها عن عورة الرجل وعن

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ

عورة المرأة إجماعًا، واختلف هل يجب عليها غضّ بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا، وعن سائر جسد المرأة أم لا، فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه، والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال ﴿**وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ نهى عن إظهار الزينة بالجملة ثم استثنى الظاهر منها، وهو ما لا بدّ من النظر إليه عند حركتها أو إصلاح شأنها وشبه ذلك، فقيل إلاّ ما ظهر منها يعني الثياب فعلى هذا يجب ستر جميع جسدها، وقيل الثياب والوجه والكفّان، وهذا مذهب مالك لأنه أباح كشف وجهها وكفّيها في الصلاة وزاد أبو حنيفة القدمين ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾ الجيوب هي التي يقول لها العامّة أطواق، وسببها أن النساء كنّ في ذلك الزمان يلبسن ثيابًا واسعات الجيوب يظهر منها صدورهنّ، وكنّ إذا غطّين رؤوسهنّ بالأخمرة سدلها من وراء الظهر، فيبقى الصدر والعنق والأذُنان لا ستر عليها، فأمرهنّ الله بليّ الأخمرة على الجيوب ليستر جميع ذلك ﴿**وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ**﴾ الآية: المراد بالزينة هنا الباطنة، فلما ذكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذوي المحرم من الزينة الظاهرة، وذكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج وذوي المحارم من الزينة الباطنة، وبدأ بالبعولة وهم الأزواج لأن اطّلاعهم يقع على أعظم من هذا، ثم ثنى بذوي المحارم وسوّى بينهم في إبداء الزينة، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب، والمراد بالآباء كل مَن له ولادة من والد وجدّ، وبالأبناء كل مَن عليه ولادة من ولد وولد ولد، ولم يذكر في هذه الآية من ذوي المحارم: العمّ والخال ومذهب جمهور العلماء جواز رؤيتهما للمرأة، لأنهما من ذوي المحارم، وكره ذلك قوم، وقال الشافعيّ إنما لم يذكر العمّ والخال لئلا يصفا زينة المرأة لأولادهما ﴿**أَوْ نِسَائِهِنَّ**﴾ يعني جميع المؤمنات، فكأنه قال أو صنفهنّ ويخرج عن ذلك نساء الكفّار ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ**﴾ يدخل في ذلك الإماء المسلمات والكتابيات، وأما العبيد: ففيهم ثلاثة أقوال: منع رؤيتهم لسيدتهم وهو قول الشافعي، والجواز وهو قول ابن عباس وعائشة، والجواز بشرط أن يكون العبد وغدًا وهو مذهب مالك، وإنما أخذ جوازه من قوله: ﴿**أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ**﴾ واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبيّ أم لا؟ على

بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ

قولين: **﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾** شرط في رؤية غير ذوي المحارم شرطين: أحدهما أن يكونا تابعين، ومعناه أن يتبع لشيء يعطاه كالوكيل والمتصرّف، ولذلك قال بعضهم هو الذي يتبعك وهمّته بطنه، والآخر أن لا يكون لهم إربة في النساء كالخصي والمخنث والشيخ الهرم والأحمق، فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلاّ باجتماع الشرطين، وقيل بأحدهما، ومعنى الإربة الحاجة إلى الوطء **﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾** أراد بالطفل الجنس، ولذلك وصفه بالجمع، ويقال طفل ما لم يراهق الحلم ويظهروا معناه يطّلعون بالوطء على عورات النساء، فمعناه الذين لم يطؤوا النساء، وقيل الذين لا يدرون ما عورات النساء، وهذا أحسن **﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾** رُوِيَ أن امرأة كان لها خلخالان، فكانت تضرب بهما ليسمعهما الرجال، فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك، قال الزجّاج إسماع صوت الزينة أشدّ تحريكًا للشهوة من إبدائها **﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾** التوبة واجبة على كلّ مؤمن مكلّف بدليل الكتاب والسُّنّة وإجماع الأمة، وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصى به ذو الجلال، لا من حيث أضرّ ببدن أو مال، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توانٍ، والعزم أن لا يعود إليها أبدًا ومهما قضي عليه بالعود أحدث عزمًا مجدّدًا، وآدابها ثلاثة: الاعتراف بالذنب مقرونًا بالانكسار، والإكثار من التضرّع والاستغفار، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدّم من السيئات، ومراتبها سبع: فتوبة الكفّار من الكفر، وتوبة المخلصين من الذنوب الكبائر، وتوبة العدول من الصغائر، وتوبة العابدين من الفترات، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات، وتوبة أهل الورع من الشبهات، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات. والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم بالمقام، وشكر الإنعام.

﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ﴾ الأيامى جمع أيم ومعناه الذين لا أزواج لهم رجالاً كانوا أو نساءً أبكارًا أو ثيّبات، والخطاب هنا للأولياء والحكّام أمرهم الله بتزويج الأيامى، فاقتضى ذلك النهي عن عضلهنّ من التزويج، وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح؛ واشتراط الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي خلافًا لأبي حنيفة

مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يعني الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم، وقال الزمخشري: الصالحين بمعنى الصلاح في الدين، قال وإنما خصّهم الله بالذكر ليحفظ عليهم صلاحهم والمخاطبون هنا ساداتهم؛ ومذهب الشافعي أن السيد يجبر على تزويج عبيده على هذه الآية خلافًا لمالك، ومذهب مالك أن السيد يجبر عبده وأمته على النكاح خلافًا للشافعي **﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾** وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح **﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾** أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد في طلب العفّة من الحرام لمَن لا يقدر على التزوّج، فقوله لا يجدون نكاحًا معناه لا يجدون استطاعة على التزوّج بأي وجه تعذر التزوّج، وقيل معناه لا يجدون صداقًا للنكاح، والمعنى الأول أعمّ، والثاني أليق بقوله حتى يغنيهم الله من فضله **﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾** الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة، وهي مقاطعة العبد على مال منجم فإذا أدّاه خرج حرًّا، وإن عجز بقي رقيقًا، وقيل إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزّى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، وحكمها مع ذلك عامّ فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور، وقال الظاهرية وغيرهم هو على الوجوب وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة فتلكأ أنس فقال له عمر لتكاتبنّه أو لأُوجعنّك بالدرّة، وإنما حمله مالك على الندب لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها، واختلف هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب **﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾** الخير هنا القوة على أداء الكتابة بأيّ وجه كان، وقيل هو المال الذي يؤدّي منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس، وقيل هو الصلاح في الدين **﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾** هذا أمر بإعانة المكاتب على كتابته واختلف فيمن المخاطب بذلك فقيل هو خطاب للناس أجمعين، وقيل للولاة، والأمر على هذين القولين للندب، وقيل هو خطاب لسادات المكاتبين، وهو على هذا القول ندب عند مالك، ووجوب عند الشافعي فإن كان الأمر للناس، فالمعنى أن يعطوهم صدقات من أموالهم، وإن كان للولاة فيعطوهم من الزكاة،

﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾

وإن كان للسادات فيحطّوا عنهم من كتابتهم، وقيل يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة، وعلى القول بالحطّ من الكتابة اختلف في مقدار ما يحط، فقيل الربع، ورُوِيَ ذلك عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وقيل الثلث، وقال مالك والشافعي: لا حدّ في ذلك، بل أقلّ ما ينطلق عليه اسم شيء إلاّ أن الشافعي يجبره على ذلك، ولا يجبره مالك، وزمان الحطّ عنه في آخر الكتابة عند مالك، وقيل في أول نجم ﴿**وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ**﴾ معنى البغاء الزنا، نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك وسبب الآية أن عبد الله بن أُبيّ ابن سلول المنافق كان له جاريتان، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة، ويضربهما على ذلك، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله ﴿**إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا**﴾ هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لا يتصور إكراههنّ إلاّ إذا أردن التحصّن وهو التعفّف، وقيل هو راجع إلى قوله وأنكحوا الأيامى وذلك بعيد ﴿**لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ يعني ما تكسبه الأمَة بفرجها، وما تلده من الزنا؛ ويتعلق لتبتغوا بقوله لا تكرهوا ﴿**وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ المعنى غفور لهنّ رحيم بهنّ لا يؤاخذهنّ بالزنا، لأنهم أُكرهن عليه، ويحتمل أن يكون المعنى غفور رحيم للسيد الذي يكرههنّ إذا تاب من ذلك ﴿**آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ**﴾ بفتح الياء: أي بيّنها الله؛ وبالكسر مبينات للأحكام والحلال والحرام ﴿**وَمَثَلاً**﴾ يعني ضرب لكم الأمثال بمَن كان قبلكم في تحريم الزنا، لأنه كان حرامًا في كل ملّة أو في براءة عائشة كما برّأ يوسف ومريم ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَاتِ والأَرْضِ**﴾ النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالأبصار، ومجازًا على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء، فتأويل الآية الله ذو نور السمٰوات والأرض؛ ووصف نفسه بأنه نور كما تقول زيد كرم إذا أردت المبالغة في أنه كريم، فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار، فمعنى نور السمٰوات والأرض أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء، ومن هذا المعنى قرأ عليّ بن أبي طالب «الله نوّر السمٰوات والأرض» بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو: أي جعل فيهما النور، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب، فمعنى نور السمٰوات والأرض جاعل النور في قلوب أهل السمٰوات والأرض ولهذا قال ابن عباس: معناه هادي أهل السمٰوات والأرض ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾ المشكاة هي الكوّة غير النافذة تكون في الحائط ويكون المصباح فيها شديد

ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ

الإضاءة، وقيل المشكاة العمود الذي يكون المصباح على رأسه، والأوّل أصحّ وأشهر، والمعنى صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوّره البشر من الإضاءة والإنارة، وإنما شبّه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم، لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه وقيل الضمير في نوره عائد على سيدنا محمد ﷺ، وقيل على القرآن، وقيل على المؤمن، وهذه الأقوال ضعيفة لأنه لم يتقدّم ما يعود عليه الضمير، فإن قيل: كيف يصحّ أن يقول الله نور السمٰوات والأرض فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله مثل نوره، والمضاف عين المضاف إليه؟ فالجواب أن ذلك يصحّ مع التأويل الذي قدّمناه أي الله ذو نور السمٰوات والأرض، أو كما تقول زيد كرم، ثم تقول ينعش الناس بكرمه **﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾** المصباح هو الفتيل بناره، والمعنى أنه في قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزهر، لأنه جسم شفّاف **﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾** شبّه الزجاجة في إنارتها بكوكب دريّ، وذلك يحتمل معنيين إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها، وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفائها ورقة جوهرها، وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح، والمراد بالكوكب الدرّيّ أحد الدراري المضيئة: كالمشتري، والزهرة، وسهيل، ونحوها، وقيل أراد الزهرة، ولا دليل على هذا التخصيص، وقرأ نافع دري بضمّ الدال وتشديد الياء بغير همزة ولهذه القراءة وجهان: إما أن ينسب الكوكب إلى الدرّ لبياضه وصفائه، أو يكون مسهّلا من الهمز، وقرىء بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع **﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾** مَن قرأ يوقد بالياء أو توقد بالفعل الماضي فالفعل مسند إلى المصباح، ومَن قرأ توقد بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجة، والمعنى: توقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها، أو لأنها تنبت في الأرض المباركة وهي الشام **﴿لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾** قيل يعني أنها بالشام فليست من شرق الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام، وقيل هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست خالصة للشرق فتسمّى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية بل هي غربية شرقية، لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب، وقيل إنها في وسط دوحة لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب، وقيل إنها من شجرة الجنة ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية **﴿يَكَادُ**

ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ

﴿زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ مبالغة في وصف صفائه وحُسْنه **﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾** يعني اجتماع نور المصباح وحُسْن الزجاجة وطيب الزيت، والمراد بذلك كمال النور الممثّل به **﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾** أي يوفّق الله مَن يشاء لإصابة الحق **﴿فِي بُيُوتٍ﴾** يعني المساجد، وقيل بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن، والأول أصحّ، والجار يتعلق بما قبله: أي كمشكاة في بيوت، أو توقد في بيوت، وقيل بما بعده وهو يسبح، وكرّر الجارّ بعد ذلك تأكيدًا، وقيل بمحذوف: أي سبّحوا في بيوت أذِنَ الله أن تُرفَع، والمراد بالإذن الأمر، ورفعها بناؤها، وقيل تعظيمها **﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾** أي غدوة وعشية وقيل أراد الصبح والعصر وقيل صلاة الضحى والعصر **﴿رِجَالٌ﴾** فاعل يسبح على القراءة بكسر الباء، وأما على القراءة بالفتح فهو مرفوع بفعل مضمر يدلّ عليه الأول **﴿لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾** أي لا تشغلهم، ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها، والبيع من التجارة، ولكنه خصّه بالذكر تجريدًا كقوله: فاكهة ونخل ورمان، أو أراد بالتجارة الشراء **﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾** أي تضطرب من شدّة الهول والخوف، وقيل تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى، لأن الحقائق تنكشف حينئذ، والأول أصحّ كقوله: **﴿وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الحَنَاجِرَ﴾** [الأحزاب: ١٠]، وفي قوله: **﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ﴾** تجنيس **﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾** متعلق بما قبله، أو بفعل من معنى ما قبله **﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾** تقديره جزاء أحسن ما عملوا **﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾** يعني زيادة على ثواب أعمالهم **﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** ذكر في البقرة **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾** لما ذكر الله حال المؤمنين أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكافرين: الأول يقتضي حال أعمالهم في الآخرة، وأنها لا تنفعهم، بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب، والثاني يقتضي حال أعمالهم في الدنيا، وأنها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض، والسراب هو ما يُرَى في الفلوات من ضوء الشمس في الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض والقيعة جمع قاع وهو المنبسط من الأرض، وقيل بمعنى القاع وليس بجمع **﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾** الظمآن العطشان: أي يظن العطشان

ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ

أن السراب ماء، فيأتيه ليشربه، فإذا جاء خاب ما أمل، وبطل ما ظنّ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾** ضمير الفاعل للظمآن، وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله **﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾** أي شيئًا ينتفع به أو شيئًا موجودًا على العموم لأنه معدوم، ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل للظمآن وضمير المفعول للسراب. أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله **﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾** ضمير الفاعل في وجد الكافر، والضمير في عنده لعمله، والمعنى وجد الله عنده بالجزاء، أو وجد زبانية الله **﴿أَو كَظُلُمَاتٍ﴾** هذا هو المثال الثاني، وهو عطف على قوله كسراب، والمشبّه بالظلمات أعمال الكافر: أي هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب **﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾** منسوب إلى اللج، وهو معظم الماء، وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال قوبلت به أجزاء الممثل به: فالظلمات أعمال الكافر، والبحر اللجي صدره، والموج جهله، والسحاب الغطاء الذي على قلبه، وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة كما أن وصف النور المذكور قبلها مبالغة **﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾** المعنى مبالغة في وصف الظلمة، والضمير في أخرج وما بعده للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة واختلف في تأويل الكلام: فقيل المعنى إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها، فنفى الرؤية ومقاربتها، وقيل بل رآها بعد عسر وشدّة، لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإيجاب، وإذا أوجبت تقتضي النفي، وقال ابن عطية: إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذي بعدها فأما إذا دخل حرف النفي على كاد كقوله لم يكد، فإنه يحتمل النفي والإيجاب **﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾** أي مَن لم يهده الله لم يهتد، فالنور كناية عن الهدى، والإيمان في الدنيا، وقيل أراد في الآخرة أي مَن لم يرحمه الله فلا رحمة له، والأول أليق بما قبله **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** الرؤية هنا بمعنى العلم والتسبيح التنزيه والتعظيم وهو من العقلاء بالنطق، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل، فقال الجمهور إنه حقيقي، ولا يبعد أن يلهمها الله التسبيح، كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدي إليها العقلاء، وقيل تسبيحه ظهور

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ

الحكمة فيه ﴿صَافَّاتٍ﴾ يصففن أجنحتهنّ في الهواء ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الضمير في علم لله، أو لكل، والضمير في صلاته وتسبيحه لكل ﴿يُزْجِي﴾ معناه يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثقيل كالسحاب ﴿رُكَامًا﴾ متكاثف بعضه فوق بعض ﴿الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي من بينه، وهو جمع خلل كجبل وجبال ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ قيل إن الجبال هنا حقيقة وأن الله جعل في السماء جبالاً من برد، وقيل إنه مجاز كقولك عند فلان جبال من مال أو علم: أي هي في الكثرة كالجبال، ومن في قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ لابتداء الغاية، وفي قوله: ﴿مِن جِبَالٍ﴾ كذلك، وهي بدل من الأولى، وتكون للتبعيض، فتكون مفعول ينزل، ومن في قوله: ﴿مِن بَرَدٍ﴾ لبيان الجنس أو للتبعيض فتكون مفعول ينزل، وقال الأخفش هي زائدة، وذلك ضعيف، وقوله: ﴿فِيهَا﴾ صفة للجبال، والضمير يعود على السماء ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ السنا بالقصر الضوء، وبالمدّ المجد والشرف.

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي يأتي بهذا بعد هذا ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ يعني بني آدم والبهائم والطير لأن ذلك كله يدبّ ﴿مِّن مَّاءٍ﴾ يعني المنيّ، وقيل الماء الذي في الطين الذي خلق منه آدم وغيره ﴿عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيّات والحوت ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا﴾ الآية: نزلت في المنافقين، وسببها أن رجلاً من المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه، ودعاه إلى كعب بن الأشرف ﴿مُذْعِنِينَ﴾ أي منقادين طائعين لقصد الوصول إلى حقوقهم ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ توقيف يراد به التوبيخ، وكذلك

ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

ما بعده ﴿**أَن يَحِيفَ**﴾ معناه أن يجور، والحيف الميل، وأسنده إلى الله، لأن الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الآية. معناها إنما الواجب أن يقول المؤمنون: سمعنا وأطعنا إذا دعوا إلى الله ورسوله، وجعل الدعاء إلى الله من حيث هو إلى شرعه ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ الآية: قال ابن عباس: معناها من يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ﴿**وَيَخْشَ اللَّهَ**﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿**وَيَتَّقْهِ**﴾ فيما يستقبل، وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة فذكرت له هذه الآية، وسمعها بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال إنها جمعت كل ما في التوراة والإنجيل ﴿**وَأَقْسَمُوا**﴾ أي حلفوا، والضمير للمنافقين ﴿**جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ**﴾ أي بالغوا في اليمين وأكدوها ﴿**لَيَخْرُجُنَّ**﴾ يعني إلى الغزو ﴿**قُل لاَّ تُقْسِمُوا**﴾ نهى عن اليمين الكاذبة لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل ﴿**طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ**﴾ مبتدأ وخبره محذوف أي طاعة معروفة أمثل وأولى بكم، أو خبر مبتدأ محذوف أي المطلوب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها ﴿**عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ**﴾ يعني تبليغ الرسالة ﴿**وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ**﴾ يعني السمع والطاعة واتّباع الشريعة ﴿**لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ**﴾ وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة، وقيل إن المراد بالآية: خلافة أبي بكر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم لقول رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة عليّ، فإن قيل، أين القسم الذي جاء قوله: ﴿**لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ**﴾ جوابًا له؟ فالجواب أنه محذوف تقديره: وعده الله وأقسم، أو جعل

مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ

الوعد بمنزلة القسم لتحقّقه **﴿لِيَسْتَأْذِنكُم الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** قيل المراد بالذين ملكت أيمانكم: الرجال خاصّة، وقيل النساء خاصّة، لأن الرجال يستأذنون في كل وقت وقيل الرجال والنساء **﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾** يعني الأطفال غير البالغين **﴿ثَلاثَ مَرَّاتٍ﴾** نصب على الظرفية لأنهم أُمروا بالاستئذان في ثلاثة مواطن، فمعنى الآية أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وهي قبل الصبح وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الأخيرة، لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم في غالب أمرهم، وهذه الآية محكمة؛ وقال ابن عباس: ترك الناس العمل بها، وحملها بعضهم على الندب **﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾** يعني تتجرّدون **﴿الظَّهِيرَةِ﴾** وسط النهار **﴿ثَلاثُ عَوْرَاتٍ﴾** جمع عورة من الانكشاف كقوله بيوتنا عورة، ومَن رفع ثلاث فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هذه الأوقات ثلاث عورات لكم: أي تنكشفون فيها، ومَن نصبه فهو بدل من ثلاث مرات **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾** هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدّمة أي ليس عليكم ولا على المماليك والأطفال جُناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة **﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾** تقديره المماليك والأطفال طوّافون عليكم، فلذلك يؤمر بالاستئذان في كل وقت **﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾** بدل من طوّافون: أي بعضكم يطوف على بعض وقال الزمخشري هو مبتدأ أي بعضكم يطوف على بعض أو فاعل بفعل مضمر **﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَئْذِنُوا﴾** لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها: أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال **﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾** جمع قاعد وهي العجوز، فقيل هي التي قعدت عن الولد، وقيل التي قعدت عن التصرّف، وقيل التي إذا رأيتها استقذرتها **﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾** أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يبح لغيرهنّ من وضع الثياب، قال

عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ

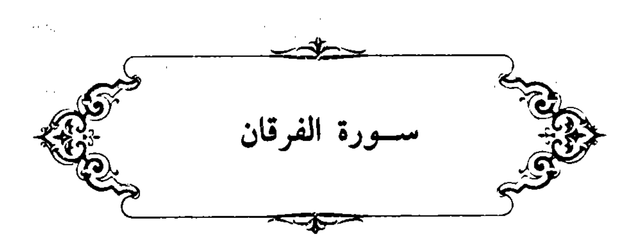
ابن مسعود إنما أُبيح لهنّ وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء، وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيها ذوو محارمها ﴿**غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ**﴾ إنما أباح الله لهنّ وضع الثياب بشرط ألاّ يقصدن إظهار زينة، والتبرّج هو الظهور ﴿**وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ**﴾ المعنى أن الاستعفاف عن وضع الثياب المذكورة خير لهنّ من وضعها والأولى لهنّ أن يلتزمن ما يلتزم شباب النساء من الستر ﴿**لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ**﴾ الآية اختلف في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية، فقيل هو في الغزو أي لا حرج عليهم في تأخيرهم عنه، وقوله: ﴿**وَلاَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾ مقطوع من الذي قبله على هذا القول كأنه قال: ليس على هؤلاء الثلاثة حرج في ترك الغزو، ولا عليكم حرج في الأكل، وقيل الآية كلها في معنى الأكل، واختلف الذاهبون إلى ذلك، فقيل إن أهل هذه الأعذار كانوا يجتنبون الأكل مع الناس لئلا يتقذرهم الناس، فنزلت الآية مُبيحة لهم الأكل مع الناس، وقيل إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعذار في بيوتهم، وكانو يتجنبون أكل مال الغائب، فنزلت الآية في ذلك، وقيل إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذّرًا، فنزلت الآية، وهذا ضعيف، لأن رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم، وقيل إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم عنه أعذارهم من الجهاد وغيره ﴿**وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ**﴾ أباح الله تعالى للإنسان الأكل في هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن، لأنه دخل في قوله من بيوتكم، لأن بيت ابن الرجل بيته، لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنت ومالك لأبيك»، واختلف العلماء فيما ذكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة فذهب قوم إلى أنه منسوخ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلاّ بإذنه والناسخ قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَينكم بِالبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يحلّ مال امرىء مسلم إلاّ عن طيب نفس منه»، وقيل الآية محكمة، ومعناها إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في ذلك، وقيل بإذن وبغير إذن ﴿**أَو مَا مَلَكْتُم**

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا

مَّفَاتِحَهُ﴾ يعني الوكلاء والأُجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم، فأباح لهم الأكل منها، وقيل المراد ما ملك الإنسان من مفاتح نفسه وهذا ضعيف **﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾** الصديق يقع على الواحد والجماعة، كالعدوّ، والمراد به هنا جمع ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله وآبائكم وأُمّهاتكم وغير ذلك، وقرن الله الصديق بالقرابة، لقرب مودّته، وقال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾** إباحة للأكل في حال الاجتماع والانفراد، لأن بعض العرب كان لا يأكل وحده أبدًا خيفة من البخل، فأباح لهم الله ذلك **﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُم﴾** أي إذا دخلتم بيوتًا مسكونة، فسلّموا على مَن فيها من الناس، وإنما قال على أنفسكم بمعنى صنفكم كقوله: ﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكم﴾ [الحجرات: ١١] وقيل المعنى إذا دخلتم بيوتًا خالية فسلّموا على أنفسكم بأن يقول الرجل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وقيل يعني بالبيوت المساجد، والأمر بالسلام على مَن فيها، فإن لم يكن فيها أحد فيسلّم على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين **﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾** الآية: الأمر الجامع هو ما يجمع الناس للمشورة فيه، أو للتعاون عليه. ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق بالمدينة، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان **﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾** أي لبعض حوائجهم **﴿لاَّ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾** في معناها ثلاثة أقوال الأول أن الدعاء هنا يراد به دعاء النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إياهم ليجتمعوا إليه في أمر جامع أو في قتال وشبه ذلك، فالمعنى أن إجابتكم له إذا دعاكم واجبة عليكم بخلاف إذا دعا بعضكم بعضًا، فهو كقوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وِلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم﴾ [الأنفال: ٢٤]، ويقوّي هذا القول مناسبته لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع، والقول الثاني أن المعنى لا تدعوا الرسول

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

عليه السلام باسمه كما يدعو بعضكم بعضًا باسمه بل قولوا يا رسول الله أو يا نبيّ الله تعظيمًا ودعاءً بأشرف أسمائه، وقيل المعنى لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض: أي دعاؤه عليكم يجاب فاحذروه، ولفظ الآية بعيد عن هذا المعنى على أن المعنى صحيح **﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾** الذين ينصرفون عن حفر الخندق، واللواذ الروغان والمخالفة، وقيل الانصراف في خفية **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾** الضمير لله ولرسوله ﷺ، واختلف في عن هنا، فقيل إنها زائدة وهذا ضعيف، وقال ابن عطية: معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول: كان المطر عن ريح، قال الزمخشري يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صدر الناس عنه، فمعنى يخالفون عن أمره يصدّون الناس عنه، فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف **﴿فِتْنَةٌ أو يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** الفتنة في الدنيا بالرزايا أو بالفضيحة أو القتل أو العذاب في الآخرة **﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾** دخلت قد للتأكيد، وفي الكلام معنى الوعيد، وقيل معناها التقليل على وجه التهكّم والخطاب لجميع الخلق، أو للمنافقين خاصّة **﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾** يعني المنافقين، والعامل في الظرف بينهم.



سورة الفرقان

مكيّة إلاّ الآيات ٦٨ و٦٩ و٧٠
فمدنيّة وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرَّحيم

﴿تبَارَكَ﴾ من البركة وهو فعل مختص بالله تعالى لم ينطق له بالمضارع **﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾** يعني محمدًا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وذلك على وجه التشريف له والاختصاص **﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾** الضمير لمحمد ﷺ أو للقرآن، والأول أظهر وقوله: **﴿لِلْعَالَمِينَ﴾** عموم يشمل الجن والإنس ممّن كان في عصره، وممّن يأتي بعده إلى يوم القيامة، وتضمن صدر هذه السورة إثبات النبوّة والتوحيد، والردّ على مَن خالف في ذلك **﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾** الخلق عبارة عن الإيجاد بعد العدم، والتقدير عبارة عن إتقان الصنعة، وتخصيص كل مخلوق بمقداره، وصفته، وزمانه ومكانه، ومصلحته، وأجله، وغير ذلك **﴿وَاتَّخَذُوا﴾** الضمير لقريش وغيرهم ممّن أشرك بالله تعالى **﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾** يعنون قومًا من اليهود منهم عداس ويسار وأبو فكيهة الرومي **﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وزَورًا﴾** أي ظلموا النبي ﷺ فيما نسبوا إليه وكذبوا في ذلك عليه **﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾** أي ما سطّره

ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل

الأوّلون في كتبهم، وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث **﴿اكْتَتَبَهَا﴾** أي كتبها له كاتب. ثم صارت تُملَى عليه ليحفظها، وهذا حكاية كلام الكفّار، وقال الحسن إنها من قول الله على وجه الردّ عليهم، ولو كان ذلك لقال أكتتبها بفتح الهمزة لمعنى الإنكار، وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا وينبغي على قول الحسن أن يوقف على أساطير الأوّلين **﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾** ردّ على الكفّار في قولهم ويعني بالسرّ: ما أسرّه الكفّار من أقوالهم، أو يكون ذلك على وجه التنصّل والبراءة مما نسبه الكفّار إليه من الافتراء أي أن الله يعلم سرّي فهو العالم بأني ما افتريت عليه، بل هو أنزله عليّ، فإن قيل ما مناسبة قوله: **﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** لما قبله؟ فالجواب أنه لما ذكر أقوال الكفّار: أعقبها بذلك، لبيان أنه غفور رحيم في كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم **﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾** الآية: قالت هذا الكلام قريش طعنًا على النبي ﷺ وقد ردّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبلَك مِنَ المُرْسَلِين إلاّ إنهم لِيَأْكُلُون الطَّعَامَ ويَمْشُون في الأَسْواقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقولهم: **﴿هَذَا الرَّسُولِ﴾** على وجه التهكّم كقول فرعون إن رسولكم الذي أُرسِلَ إليكم، أو يعنون الرسول بزعمه، ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم: **﴿لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾** وما بعده، ثم وصفهم بالظلم، وقد ذكرنا معنى مسحورًا في سبحان.

﴿ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ أي قالوا فيك تلك الأقوال **﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾** أي لا يقدرون على الوصول إلى الحق لبُعدهم عنه وإفراط جهلهم **﴿خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ﴾** الإشارة إلى

لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن

ما ذكره الكفّار من الكنز والجنة في الدنيا **﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾** يعني جنّات الآخرة وقصورها وقيل يعني جنّات، وقصورًا في الدنيا، ولذلك قال إن شاء **﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾** أي إذا رأتهم جهنم وهذه الرؤية يحتمل أن تكون حقيقة أو مجازًا بمعنى صارت منهم بقدر ما يرى على البعد **﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾** التغيّظ لا يسمع وإنما المسموع أصوات دالّة عليه ففي لفظه تجوّز، والزفير أول صوت الحمار **﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾** تضيق عليهم زيادة في عذابهم **﴿مُقَرَّنِينَ﴾** أي مربوط بعضهم إلى بعض، ورُوِيَ أن ذلك بسلاسل من النار **﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾** الثبور الويل وقيل الهلاك، ومعنى دعائهم ثبورًا: أنهم يقولون يا ثبوراه كقول القائل واحسرتاه واأسفاه **﴿لاَّ تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾** تقديره يقال لهم ذلك أو يكون حالهم يقتضي ذلك وإن لم يكن ثم قول وإنما ادعوا ثبورًا كثيرًا لأن عذابهم دائم، فالثبور يتجدّد عليهم في كل حين **﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾** إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار، لأن الكلام توقيف وتوبيخ، وإنما يمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان الكلام خبرًا **﴿وَعْدًا مَسْئُولاً﴾**أي سأله المؤمنين أو الملائكة في قولهم وأدخلهم جنّات عدن، وقيل معناه وعدًا: واجب الوقوع لأنه حتمه **﴿فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاَءِ﴾** القائل لذلك هو الله عز وجل، والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم، وقيل الأصنام خاصّة، والأول أرجح لقوله: **﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَة أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُم كَانُوا يَعبُدُونَ﴾** [سبأ: ٤٠] وقوله: **﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾** [المائدة: ١١٦] **﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾** أم هنا معادلة لما قبلها، والمعنى أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تضلّوهم أنتم، ولأجل ذلك بيّن هذا المعنى بقوله: **﴿هُمْ﴾** ليتحقق إسناد الضلال إليهم، فإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور ليوبّخ الكفّار الذين

مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ

عبدوهم **﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾** القائلون لهذا هم المعبودون: قالوه على وجه التبرّي ممّن عبدهم كقولهم أنت وليّنا من دونهم، والمراد بذلك توبيخ الكفّار يومئذ، وإقامة الحجة عليهم **﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ﴾** معناه أن إمتاعهم بالنّعم في الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته **﴿قَوْمًا بُورًا﴾** أي هالكين، وهو من البوار وهو الهلاك، واختلف هل هو جمع بائر أو مصدر وصف به ولذلك يقع على الواحد والجماعة **﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾** هذا خطاب خاطب الله به المشركين يوم القيامة أي قد كذّبكم آلهتكم التي عبدتم من دون الله، وتبرؤوا منكم وقيل هو خطاب للمعبودين: أي كذّبوكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا، وقيل هو خطاب للمسلمين: أي قد كذّبكم الكفّار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة، وقرىء بما يقولون بالياء من أسفل، والباء في قوله بما تقولون على القراءة بالتاء بدل من الضمير في كذّبوكم، وعلى القراءة بالياء كقولك كتبت بالقلم، أو كذبوكم بقولهم: **﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلاَ نَصْرًا﴾** قرىء فما تستطيعون بالتاء فوق، ويحتمل على هذا أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين؛ والصرف على هذين الوجهين صرف العذاب عنهم، أو يكون الخطاب للمسلمين والصرف على هذا ردّ التكذيب، وقرىء بالياء وهو مسند إلى المعبودين أو إلى المشركين والصرف صرف العذاب **﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾** خطاب للكفّار وقيل للمؤمنين وقيل على العموم **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** تقديره وما أرسلنا رُسُلاً أو رجالاً قبلك، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير في قوله: **﴿إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾**، وهذه الآية ردّ على الكفّار في استبعادهم بعث رسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق **﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾** هذا خطاب لجميع الناس لاختلاف أحوالهم، فالغني فتنة للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممّن يحسده ويكفر به **﴿أَتَصْبِرُونَ﴾** تقديره لننظر هل تصبرون **﴿لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾** قيل معناه لا يخافون، والصحيح أنه على بابه لأن لقاء الله يُرجى ويُخاف **﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾** اقترح الكفّار نزول الملائكة أو رؤية الله، وحينئذ يؤمنون فرد الله

ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ

عليهم بقوله: ﴿**لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا**﴾ الآية: أي طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه، وقوله في أنفسهم كما تقول فلان عظيم في نفسه أي عند نفسه أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر في أنفسهم ﴿**يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ**﴾ لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم، فالعامل في يوم معنى لا بشرى، ويومئذ بدل ﴿**وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا**﴾ الضمير في يقولون إن كان للملائكة، فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين حجرًا محجورًا أي حرام عليكم الجنة أو البشرى، وإن كان الضمير للمجرمين، فالمعنى أنهم يقولون حجرًا بمعنى عوذًا لأن العرب كانت تتعوّذ بهذه الكلمة مما تكره، وانتصابه بفعل متروك إظهاره نحو معاذ الله ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا**﴾ أي قصدنا إلى أفعالهم فلفظ القدوم مجاز، وقيل هو قدوم الملائكة أسنده الله إلى نفسه لأنه عن أمره ﴿**فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾ عبارة عن عدم قبول ما عملوا من الحسنات كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال، والهباء هي الأجرام الدقيقة من الغبار التي لا تظهر إلاّ حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوّة، والمنثور المتفرّق ﴿**خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا**﴾ جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار، لأن هذا مستقرّ وهذا مستقرّ ﴿**وَأَحْسَنُ مَقِيلًا**﴾ هو مفعل من النوم في القائلة وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة، وقيل إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار، فيقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار ﴿**وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ**﴾ هو يوم القيامة وانشقاق السماء: انفطارها، ومعنى بالغمام أي يخرج منها الغمام، وهو السحاب الرقيق الأبيض وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ**﴾ عضّ اليدين كناية عن الندم والحسرة، والظالم هنا عقبة بن أبي معيط، وقيل كل ظالم والظلم هنا الكفر ﴿**مَعَ الرَّسُولِ**﴾ هو محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، أو اسم جنس على العموم ﴿**لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴾ رُوِيَ أن عقبة جنح إلى الإسلام فنهاه أُبيّ بن خلف وأميّة بن خلف فهو فلان، وقيل إن عقبة نهى أُبيّ بن خلف عن الإسلام،

خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا

فالظالم على هذا أُبيّ وفلان عقبة، وإن كان الظالم على العموم ففلانًا على العموم أي خليل كل كافر ﴿**وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإنْسَانِ خَذُولاً**﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى، ويحتمل أن يريد بالشيطان إبليس أو الخليل المذكور ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ**﴾ قيل إن هذا حكاية قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم في الدنيا، وقيل في الآخرة ﴿**مَهْجُورًا**﴾ من الهجر بمعنى البعد والترك وقيل من الهجر بضم الهاء أي قالوا فيه الهجر حين قالوا إنه شعر وسحر والأول أظهر ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا**﴾ العدو هنا جمع، والمراد تسلية النبي ﷺ بالتأسّي بغيره من الأنبياء ﴿**وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا**﴾ وعد لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالهدى والنصرة ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**﴾ هذا من اعتراضات قريش لأنهم قالوا لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل ﴿**كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ هذا جواب لهم تقديره أنزلناه كذلك مفرّقًا لنثبت به فؤاد محمد ﷺ لحفظه: ولو نزل جملة واحدة لتعذّر عليه حفظه لأنه أُمّيّ لا يقرأ، فحفظ المفرّق عليه أسهل، وأيضًا فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه، وأيضًا منه ناسخ ومنسوخ ولا يتأتى ذلك فيما نزل جملة واحدة ﴿**وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾ أي فرّقناه تفريقًا فإنه نزل بطول عشرين سنة وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدّر الذي يتعلق به كذلك وبهـ يتعلق لنثبت ﴿**وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ**﴾ الآية معناه لا يوردون عليك سؤالاً أو اعتراضًا إلاّ أتيناك في جوابه بالحق، والتفسير الحسن الذي يُذهِب اعتراضهم ويُبطل شبهتهم ﴿**الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ**﴾ يعني الكفار، وحشرهم على وجوههم حقيقة لأنه جاء في الحديث قيل يا رسول الله: كيف يُحشَر الكافر على وجهه: «قال أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادرًا على أن يُمشيه في الآخرة على وجهه» ﴿**شَرٌّ مَّكَانًا**﴾ يحتمل أن يريد بالمكان المنزلة والشرف أو الدار والمسكن في الآخرة ﴿**وَزِيرًا**﴾ معينًا ﴿**إِلَى الْقَوْمِ**﴾ يعني فرعون وقومه، وفي الكلام حذف تقديره: فذهبا إليهم

ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ

فكذّبوهما فدمّرناهم ﴿**كَذَّبُوا الرُّسُلَ**﴾ تأويله كما ذكر في قوله في هود فعصوا رسله ﴿**وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ**﴾ يحتمل أن يريد بالظالمين مَن تقدّم ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر لقصد وصفهم بالظلم، أو يريد الظالمين على العموم ﴿**وَأَصْحَابَ الرَّسِّ**﴾ معنى الرس في اللغة البئر، واختلف في أصحاب الرس: فقيل هم من بقية ثمود وقيل من أهل اليمامة، وقيل من أهل أنطاكية، وهم أصحاب يس، واختلف في قصتهم فقيل بعث الله إليهم نبيًا فرموه في بئر فأهلكهم الله، وقيل كانوا حول بئر لهم فانهارت بهم فهلكوا ﴿**وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا**﴾ يقتضي التكثير والإبهام، والإشارة بذلك إلى المذكور قبل من الأمم ﴿**ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ**﴾ أي بيّنا له ﴿**تَبَّرْنَا**﴾ أي أهلكنا ﴿**وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ**﴾ الضمير في أتوا لقريش وغيرهم من الكفّار، والقرية قرية قوم لوط، ومطر السوء الحجارة ثم وقفهم على رؤيتهم لها لأنها في طريقهم إلى الشام، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور ويرجون كقوله: ﴿**يَرجونَ لِقَاءَنَا**﴾ [يونس: ٧]، وقد ذكر ﴿**أَهَذَا الَّذِي**﴾ حكاية قولهم على وجه الاستهزاء، فالجملة في موضع مفعول لقول محذوف يدلّ عليه هذا، وقوله: ﴿**إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا**﴾ [الفرقان: ٤٢]، استئناف جملة أخرى وتمّ كلامهم، واستأنف كلام الله تعالى في قوله: ﴿**وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ الآية على وجه التهديد لهم ﴿**اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ أي أطاع هواه حتى صار كأنه له إله ﴿**بَلْ هُم أَضَلُّ**﴾ لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم عقول ضيّعوها، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرّها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضرّ الأشياء وهو العقاب ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ**﴾ أي إلى صنع ربك وقدرته ﴿**مَدَّ الظِّلَّ**﴾ قيل مدّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأن الظل حينئذ

ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا

على الأرض كلها، واعترضه ابن عطية لأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال ظلّ بالليل، واختار أن مدّ الظلّ من الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير، وقيل معنى مدّ الظلّ: أي جعله يمتدّ وينبسط ﴿**وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا**﴾ أي ثابتًا غير زائل لكنه جعله يزول بالشمس، وقيل معنى ساكن غير منبسط على الأرض، بل يلتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً**﴾ قيل معناه أن الناس يستدلّون بالشمس وبأحوالها في سيرها على الظل متى يتّسع ومتى ينقبض ومتى يزول عن مكان إلى آخر فيبنون على ذلك انتفاعهم به وجلوسهم فيه، وقيل معناه لولا الشمس لم يعرف أن الظلّ شيء لأن الأشياء لم تعرف إلاّ بأضدادها ﴿**ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا**﴾ قبضه نسخه وإزالته بالشمس؛ ومعنى يسيرًا شيئًا بعد شيء لا دفعة واحدة، فإن قيل: ما معنى ثم في هذه المواضع الثلاثة؟ فالجواب أنه يحتمل أن تكون للترتيب في الزمان أي جعل الله هذه الأحوال حالاً بعد حال، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال الثلاثة وأن الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم من الثاني ﴿**اللَّيْلَ لِبَاسًا**﴾ شبّه ظلام الليل باللباس، لأنه يستر كل شيء كاللباس ﴿**وَالنَّوْمَ سُبَاتًا**﴾ قيل راحة وقيل موتًا لقوله: ﴿يَتَوفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ويدلّ عليه مقابلته بالنشور ﴿**الرِّيَاحَ بُشْرًا**﴾ ذكر في الأعراف ﴿**مَاءً طَهُورًا**﴾ مبالغة في طاهر وقيل معناه مطهّر للناس في الوضوء وغيره. وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماءً طهورًا، أي مطهّر، وكل مطهّر طاهر، وليس كل طاهر مطهر ﴿**أَنَاسِيَّ**﴾ قيل جمع إنسي، وقيل جمع إنسان، والأول أصحّ.

﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ**﴾ الضمير للقرآن، وقيل للمطر وهو بعيد ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا**﴾ أي لو شئنا لخففنا عنك أثقال الرسالة ببعث جماعة من الرُسُل ولكنّا خصصناك بها كرامةً لك فاصبر ﴿**وَجَاهِدْهُم بِهِ**﴾ الضمير للقرآن أو لما دلّ عليه الكلام المتقدّم ﴿**مَرَجَ**

وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ

الْبَحْرَيْنِ﴾ اضطرب الناس في هذه الآية لأنه لا يعلم في الدنيا بحر ملح وبحر عذب وإنما البحار المعروفة ماءها ملح، قال ابن عباس أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض، والبحر العذب الفرات بحر السحاب، وقيل البحر الملح البحر المعروف، والبحر العذب مياه الأرض، وقيل البحر الملح جميع الماء الملح من الآبار وغيرها، والبحر العذب هو مياه الأرض من الأنهار والعيون، ومعنى العذب البالغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والأجاج نقيضه، واختلف في معنى مرجهما، فقيل جعلهما متجاورين متلاصقين، وقيل أسال أحدهما في الآخر **﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾** أي فاصلاً يفصل بينهما وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان، وقيل البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر **﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾** إن أراد بالبشر آدم فالمراد بالماء الماء الذي خلق به مع التراب فصار طينًا، وإن أراد بالبشر بني آدم، فالمراد بالماء المنيّ الذي يخلقون منه **﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾** النسب والصهر يعمّان كل قربى: أي كل قرابة، والنسب أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أُمّ قرب ذلك أو بعد، والصهر هو الاختلاط بالنكاح، وقيل أراد بالنسب الذكور أي ذوي نسب ينتسب إليهم، وأراد بالصهر الإناث: أي ذوات صهر يصاهر بهنّ، وهو كقوله: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٩] **﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾** الكافر هنا الجنس، وقيل المراد أبو جهل، والظهير المعين أي يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك، ولفظه يقع للواحد والجماعة كقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] **﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾** أي لا أسألكم على الإيمان أُجرة ولا منفعة **﴿إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾** معناه إنما أسألكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلاً بالتقرّب إليه وعبادته، فالاستثناء منقطع، وقيل المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلاً بالصدقة، فالاستثناء على هذا متصل، والأول أظهر، وفي الكلام محذوف تقديره إلاّ سؤال مَن شاء وشبه ذلك **﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾** قرأ هذه الآية بعض السّلف فقال لا ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق فإنه يموت **﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾** أي قل سبحان الله وبحمده، والتسبيح التنزيه على كل ما لا يليق به، ومعنى بحمده أي بحمد أقول ذلك، ويحتمل أن يكون المعنى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا

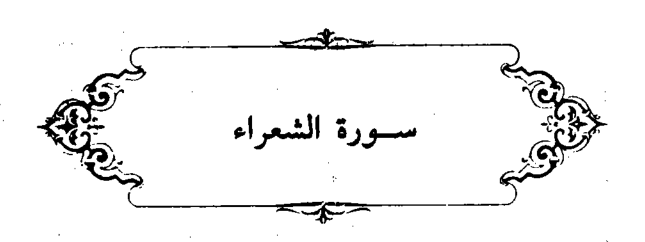
سبّحه متلبّسًا بحمده، فهو أمر بأن يجمع بين التسبيح والحمد **﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾** يحتمل أن يكون المراد بهذا بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم أو يكون المراد تهديد العباد لعلم الله بذنوبهم **﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾** ذكر في الأعراف **﴿الرَّحْمَنُ﴾** خبر ابتداء مضمر، أو بدل من الضمير في استوى **﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾** فيه معنيان: أحدهما وهو الأظهر: أن المراد اسأل عنه مَن هو خبير عارف به، وانتصب خبيرًا على المفعولية، وهذا الخبير المسؤول هو جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب والباء في قوله به: يحتمل أن تتعلق بخبيرًا، أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها على هذا معنى عن، والمعنى الثاني، أن المراد اسأل بسؤاله خبيرًا أي إن سألته تعالى تجده خبيرًا بكل شيء، فانتصب خبيرًا على الحال، وهو كقولك لو رأيت فلانًا رأيت به أسدًا: أي رأيت برؤيته أسدًا **﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾** لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرته قريش، وقالوا لا نعرف الرحمن، وكان مسيلمة الكذاب قد تسمّى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة **﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾** تقديره لما تأمرنا أن نسجد له **﴿وَزَادَهُم نُفُورًا﴾** الضمير المفعول في زادهم يعود على المقول وهو اسجدوا للرحمن **﴿بُرُوجًا﴾** يعني المنازل الاثني عشر، وقيل الكواكب العظام **﴿سِرَاجًا﴾** يعني الشمس، وقرىء بضم السين والراء على الجمع: يعني جميع الأنوار ثم خصّ القمر بالذكر تشريفًا **﴿جَعَلَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً﴾** أي يخلف هذا هذا، وقيل هو من الاختلاف، لأن هذا أبيض وهذا أسود، والخلفة اسم الهيئة: كالركبة والجلسة، والأصل جعلهما ذوي خلفة **﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾** قيل معناه يعتبر في المصنوعات، وقيل معناه يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه في النهار أو فاته بالنهار فيستذكره بالليل، وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾** أي عباده المرضيون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة، وعباد مبتدأ وخبره الذين يمشون، أو قوله في آخر السورة أولئك يجزون الغرفة **﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾** أي رفقًا ولينًا بحلم ووقار، ويحتمل أن يكون ذلك وصف مشيهم على الأرض أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبّر بالمشي على الأرض عن جميع

خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ

تصرّفهم مدة حياتهم ﴿**قَالُوا سَلَامًا**﴾ أي قالوا قولاً سديدًا ليدفع الجاهل برفق، وقيل معناه قالوا للجاهل سلامًا أي هذا اللفظ بعينه بمعنى سلمنا منكم قال بعضهم هذه الآية منسوخة بالسيف، وإنما يصحّ النسخ في حقّ الكفّار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحلم عنهم فمستحسن غير منسوخ ﴿**إِنَّ عَذَابَهَا**﴾ وما بعده يحتمل أن يكون من كلامهم أو من كلام الله عزّ وجل ﴿**كَانَ غَرَامًا**﴾ أي هلاكًا وخسرانًا، وقيل ملازمًا ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا**﴾ الإقتار هو التضييق في النفقة والشحّ وضدّه الإسراف فنهى عن الطرفين وأمر بالتوسّط بينهما وهو القوام، وذلك في الإنفاق في المُباحات وفي الطاعات، وأما الإنفاق في المعاصي فهو إسراف، وإن قلّ ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا**﴾ أي عقابًا، وقيل الأثام الإثم فمعناه يلق جزاء أثام؛ وقيل الأثام: وادٍ في جهنم، والإشارة بقوله ذلك إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا ﴿**وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾ قيل نزلت في الكفّار لأنهم المخلدون في النار بإجماع، فكأنه قال الذين يجمعون بين الشرك والقتل والزنا، وقيل نزلت في المؤمنين الذي يقتلون النفس ويزنون، فأما على مذهب المعتزلة فالخلود على بابه، وأما على مذهب أهل السُنّة فالخلود عبارة عن طول المدّة ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ**﴾ إن قلنا الآية في الكفّار فلا إشكال فيها، لأن الكافر إذا أسلم صحّت توبته من الكفر والقتل والزنا، وإن قلنا إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصحّ، واختلف هل تصحّ توبة المسلم من القتل أم لا ﴿**يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾ قيل يوفّقهم الله لفعل الحسنات بدلاً عمّا عملوا من السيئات، وقيل إن هذا التبديل في الآخرة: أي يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات ﴿**يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا**﴾ أي متابًا مقبولاً مرضيًّا عند الله كما تقول لقد قلت يا فلان قولاً أي قولاً حسنًا ﴿**لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ**﴾ أي لا يشهدون بالزور وهو الكذب فهو من الشهادة، وقيل

وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

معناه لا يحضرون مجالس الزور واللهو فهو على هذا من المشاهدة والحضور والأول أظهر **﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾** اللغو هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه، ومعنى مرّوا كرامًا أي أعرضوا عنه واستحيوا ولم يدخلوا مع أهله تنزيهًا لأنفسهم عن ذلك **﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾** أي لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم، فالنفي للصّمم والعمى لا للخرور عليها **﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾** قيل معناه اجعل أزواجنا وذرّيّتنا مطيعين لك، وقيل أدخلهم معنا الجنة، واللفظ أعمّ من ذلك **﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾** أي قدوة يقتدي بها المتّقون فإمام مفرد يراد به الجنس، وقيل هو جمع آمّ أي متّبع **﴿الْغُرْفَةَ﴾** يعني غرفة الجنة فهي اسم جنس **﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ﴾** يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية، وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال: الأول: أن المعنى إن الله لا يبالي بكم لولا عبادتكم له فالدعاء بمعنى العبادة وهذا قريب من معنى قوله تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُون﴾** [الذاريات: ٥٦] الثاني: أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال، والمعنى لا يبالي الله بكم، ولكن يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه ويكون على هذين القولين خطابًا لجميع الناس من المؤمنين والكافرين لأن فيهم مَن يعبد الله ويدعوه أو خطابًا للمؤمنين خاصّة لأنهم هم الذين يدعون الله ويعبدونه، ولكن يضعف هذا بقوله: **﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾** الثالث: أنه خطاب للكفّار خاصة والمعنى على هذا: ما يعبأ بكم ربي لولا أن يدعوكم إلى دينه، والدعاء على هذا بمعنى الأمر بالدخول في الدين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول، وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل **﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾** هذا خطاب لقريش وغيرهم من الكفّار دون المؤمنين **﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾** أي سوف يكون العذاب لزامًا ثابتًا وأضمر العذاب وهو اسم كان لأنه جزاء التكذيب المتقدّم، واختلف هل يراد بالعذاب هنا القتل يوم بدر، أو عذاب الآخرة.



مكيّة إلاّ آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤
إلى آخر السورة فمدنيّة وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

﴿طسم﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في أول سورة البقرة، ويخصّ هذا أنه قيل الطاء من ذي الطول، والسين من السميع أو السلام، والميم من الرحيم أو المنعم ﴿بَاخِعٌ﴾ ذكر في الكهف ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ الأعناق جمع عنق وهي الجارحة المعروفة، وإنما جمع خاضعين جمع العقلاء لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلاّ من العقلاء، وقيل الأعناق الرؤساء من الناس شبّهوا بالأعناق كما يقال لهم رؤوس وصدور، وقيل هم الجماعات من الناس، فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل ﴿مُحْدَثٍ﴾ يعني به محدث الإتيان ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ الآية: تهديد ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي من كل صنف من النبات فيعمّ ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى، ووصفه بالكرم لما فيه من الحُسْن ومن المنافع ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ الإشارة إلى ما تقدّم من النبات وإنما ذكره بلفظ الإفراد لأنه أراد أن في كل واحد آية أو إشارة إلى مصدر قوله: ﴿أَنْبَتْنَا﴾ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾

مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ

بالرفع عطف على أخاف، أو استئناف، وقرىء بالنصب عطفًا على يكذبون **﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾** أي اجعله معي رسولاً أستعين به **﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾** يعني قتله للقبطيّ **﴿قَالَ كَلاَّ﴾** أي لا تخف أن يقتلوك **﴿إِنَّا مَعَكُم﴾** خطاب لموسى وأخيه ومَن كان معهما. أو على جعل الاثنين جماعة **﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾** لفظه جمع، وورد مورد تعظيم الله تعالى، ويحتمل أن تكون الملائكة هي التي تسمع بأمر الله، لأن الله لا يوصف بالاستماع، وإنما يوصف بالسمع والأول أحسن، وتأويله: أن في الاستماع اعتناءً واهتمامًا بالأمر ليست في صفة سامعون والخطاب في قوله معكم لموسى وهارون وفرعون وقومه، وقيل لموسى وهارون خاصّة على معاملة الاثنين معاملة الجماعة وذلك على قول مَن يرى أن أقل الجمع اثنان **﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ﴾** إن قيل لِمَ أفرده وهما اثنان؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أنّ التقدير كل واحد منّا رسول. الثاني أنهما جعلا كشخص واحد لاتفاقهما في الشريعة، ولأنهما أخوان فكأنهما واحد. الثالث أنّ رسول هنا مصدر وصف به، فلذلك أطلق على الواحد والاثنين والجماعة، فإنه يقال رسول بمعنى رسالة، بخلاف قوله إنا رسولا، فإنه بمعنى الرسل **﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** أي أطلقهم **﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾** قصد فرعون بهذا الكلام المنّ على موسى والاحتقار له **﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾** قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام ويعني بالفعلة: القتلة للقبطي، والواو في قوله وأنت إن كانت للحال فقوله من الكافرين معناه كافرًا بهذا لدين الذي جئت به لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة، وقد كان قبل ذلك مؤمناً، ولم يعلم بذلك فرعون، وقيل معناه من الكافرين بنعمتي، وإن كانت الواو للاستئناف: فيحتمل أن يريد من الكافرين بديني، ومن الكافرين بنعمتي **﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾** القائل هنا هو موسى عليه

مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن

السلام، والضمير في قوله فعلتها لقتله القبطي، واختلف في معنى قوله من الضالّين، فقيل معناه من الجاهلين بأن وكزتي تقتله، وقيل معناه من الناسين، فهو كقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقوله: ﴿إِذًا﴾ صلة في الكلام، وكأنها بمعنى حينئذ، قال ذلك ابن عطية ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ أي من فرعون وقومه، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرده في قوله: ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ﴾ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ معنى عبدت ذللت واتخذتهم عبيدًا، فمعنى هذا الكلام أنك عدّدت نعمة عليّ تعبيد بني إسرائيل وليست في الحقيقة بنعمة إنما كانت نقمة لأنك كنت تذبح أبناءهم ولذلك وصلت أنا إليك فربّيتني، فالإشارة بقوله تلك إلى التربية وأن عبدت في موضع رفع عطف بيان على تلك أو في موضع نصب على أنه مفعول من أجله، وقيل معنى الكلام تربيتك نعمة عليّ لأنك عبدت بني إسرائيل وتركتني فهي في المعنى الأول إنكار لنعمته وفي الثاني اعتراف بها ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أجابه موسى بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فقال: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾: تعجبًا من جوابه فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة عند العقلاء وأعظم البراهين فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلّون بها على وجود خالقهم، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها ونسب موسى إلى الجنون مغالطة عنه، وأيّد الازدراء والتهكّم في قوله: ﴿رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿ربّ المشرق والمغرب﴾، لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحدًا جحدها ولا أن يدّعيها لغير الله، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمروذ، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلّب فهدّده بالسجن، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة، وذكرها له بتلطّف طمعًا في إيمانه، فقال: ﴿أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام

كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

وتقديره أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين، وقد تقدم في الأعراف ذكر العصا واليد، وماذا تأمرون، وأرجه، وحاشرين فإن قيل: كيف قال أولاً ﴿**إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ**﴾، ثم قال آخرًا: ﴿**إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾؟ فالجواب أنه لاين أولاً طمعًا في إيمانهم، فلما رأى منهم العناد والمغالطة: وبّخهم بقوله: ﴿**إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون إن رسولكم لمجنون ﴿**لِمِيقَاتِ يَوْمٍ**﴾ هو يوم الزينة ﴿**نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ**﴾ أي نتبعهم في نصرة ديننا لا في عمل السحر، لأن عمل السحر كان حرامًا ﴿**بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ**﴾ قسم أقسموا به، وقد تقدّم في الأعراف تفسير ما يأفكون، وما بعد ذلك ﴿**لاَ ضَيْرَ**﴾ أي لا يضرّنا ذلك لأننا ننقلب إلى الله.

﴿**أَسْرِ بِعِبَادِي**﴾ يعني بني إسرائيل ﴿**إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ**﴾ إخبار باتّباع فرعون ﴿**لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ**﴾ الشرذمة الطائفة من الناس، وفي هذا احتقار لهم على أنه رُوِيَ أنهم كانوا ستمائة ألف، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير ﴿**فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ يعني التي

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾

بمصر، والعيون الخلجان الخارجة من النيل، وكانت ثم عيون في ذلك الزمان، وقيل يعني الذهب والفضة وهو بعيد ﴿**وَمَقَامٍ كَرِيمٍ**﴾ مجالس الأمراء والحكّام، وقيل المنابر، وقيل المساكن الحسان ﴿**كَذَلِكَ**﴾ في موضع خفض صفة لمقام أو في موضع نصب على تقدير أخرجناهم مثل ذلك الإخراج، أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء تقديره الأمر كذلك ﴿**وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ أي أورثهم الله مواضع فرعون بمصر على أن التواريخ لم يذكر فيها ملك بني إسرائيل لمصر، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام فتأويله على هذا أورثهم مثل ذلك بالشام ﴿**فَأَتْبَعُوهُم**﴾ أي لحقوهم، وضمير الفاعل لفرعون وقومه، وضمير المفعول لبني إسرائيل ﴿**مُّشْرِقِينَ**﴾ معناه داخلين في وقت الشروق وهو طلوع الشمس، وقيل معناه نحو المشرق وانتصابه على الحال ﴿**تَرَاءَا الْجَمْعَانِ**﴾ وزن تراءى تفاعل، وهو منصوب من الرؤية، والجمعان جمع موسى وجمع فرعون أي رأى بعضهم بعضًا ﴿**فَانفَلَقَ**﴾ تقدير الكلام فضرب موسى البحر فانفلق ﴿**كُلُّ فِرْقٍ**﴾ أي كل جزء منه والطود الجبل، ورُوِيَ أنه صار في البحر اثني عشر طريقًا لكل سبط من بني إسرائيل طريق ﴿**وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ**﴾ يعني بالآخرين فرعون وقومه، ومعنى أزلفنا قربناهم من البحر ليغرقوا، وثم هنا ظرف يراد به حيث انفلق البحر وهو بحر القلزم ﴿**مَا تَعْبُدُونَ**﴾ إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبيّن لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء، ويقيم عليهم الحجة ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا**﴾ إن قيل لِمَ صرّحوا بقولهم نعبد، مع أن السؤال وهو قوله ما تعبدون يغني عن التصريح بذلك، وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله: ما أنزل ربكم؟ قالوا: خيرًا، فالجواب أنهم صرّحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام، ثم زادوا قولهم فنظل لها عاكفين مبالغة في ذلك ﴿**بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا**﴾ اعتراف بالتقليد المحض ﴿**إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ استثناء منقطع وقيل متصل لأن في آبائهم من عبد الله تعالى ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ**﴾

أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً

﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسند المرض إلى نفسه وأسند الشفاء إلى الله تأدّبًا مع الله **﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾** قيل أراد كذباته الثلاثة الواردة في الحديث وهي قوله في سارة زوجته هِيَ أُخْتِي، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقيل أراد الجنس على الإطلاق، لأن هذه الثلاثة من المعاريض فلا إثم فيها **﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾** ثناءً جميلاً **﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ﴾** وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم، وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضًا من كلام إبراهيم **﴿إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**، قيل سليم من الشرك والمعاصي، وقيل الذي يلقى ربّه وليس في قلبه شيئًا غيره وقيل بقلب لديغ من خشية الله، والسليم هو اللديغ لغة، وقال الزمخشري هذا من بدع التفاسير، وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلاً فيكون من أتى الله مفعولاً بقوله لا ينفع، والمعنى على هذا أن المال لا ينفع إلاّ مَن أنفقه في طاعة الله، وأن البنين لا ينفعون إلاّ مَن علّمهم الدين وأوصاهم بالحق، ويحتمل أيضًا أن يكون متصلاً، ويكون قوله مَن أتى الله بدلاً من قوله مال ولا بنون على حذف مضاف تقديره إلاّ مال من أتى الله وبنوه ويحتمل أن يكون منقطعًا بمعنى لكن **﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾** أي قربت **﴿لِلْغَاوِينَ﴾** يعني المشركين بدلالة ما بعده **﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾** كبكبوا مضاعف من كب كررت حروفه دلالة على تكرير معناه: أي كبّهم الله في النار مرة بعد مرة، والضمير للأصنام، والغاوون هم المشركون، وقيل الضمير للمشركين، والغاوون هم الشياطين **﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** أي نجعلكم سواء معه **﴿وَمَا أَضَلَّنَا إلاَّ الْمُجْرِمُونَ﴾** يعني كبراءهم، وأهل الجرم والجراءة منهم **﴿حَمِيمٍ﴾** أي خالص

فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾

الودّ، قال الزمخشري جمع الشفعاء ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة، وقلّة الأصدقاء ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ أسند الفعل إلى القوم، وفيه علامة التأنيث، لأن القوم في معنى الجماعة والأمة، فإن قيل: كيف قال المرسلين بالجمع وإنما كذبوا نوحًا وحده؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه أراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإنما لم يركب إلاّ فرسًا واحدًا، والآخر أن مَن كذب نبيًا واحدًا فقد كذب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن قولهم واحد ودعوتهم سواء، وكذلك الجواب في كذبت عاد المرسلين وغيره ﴿وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ جمع أرذل، وقد تقدّم الكلام عليه في قوله: ﴿أَرَاذِلُنا﴾ [هود: ٢٧] في هود ﴿وَمَا أَنا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني الذين سمّوهم أرذلين، فإن الكفّار أرادوا من نوح أن يطردهم كما أرادت قريش من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يطرد عمّار بن ياسر وصهيبًا وبلالاً وأشباههم من الضعفاء ﴿المَرْجُومِينَ﴾ يحتمل أن يريدوا الرجم بالحجارة، أو بالقول وهو الشتم ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ﴾ أي احكم بيننا ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي المملوء ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ الريع المكان المرتفع وقيل الطريق ﴿آيَةً﴾ يعني المباني الطوال وقيل أبراج الحمام ﴿مَصَانِعَ﴾ جمع مصنع وهو ما أتقن صنعه من المباني، وقيل مأخذ الماء ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ﴾ الآية تفسير لقوله أمدّكم بما تعلمون فأبهم أولاً ثم فسّره

وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

﴿**خُلُقَ الأوَّلِينَ**﴾ بضم الخاء واللام أي عادتهم والمعنى أنهم قالوا ما هذا الذي عليه من ديننا إلاّ عادة الناس الأوّلين، وقرىء بفتح الخاء وإسكان اللام، ويحتمل على هذا وجهين: أحدهما أنه بمعنى الخلقة والمعنى ما هذه الخلقة التي نحن عليها إلاّ خلقة الأوّلين والآخر أنها من الاختلاق بمعنى الكذب، والمعنى ما هذا الذي جئت به إلاّ كذب الأوّلين ﴿**أَتُتْرَكُونَ**﴾ تخويف لهم معناه أتطمعون أن تتركوا في النعم على كفركم ﴿**وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ**﴾ الطلع عنقود التمر في أول نباته قبل أن يخرج من الكم، والهضيم: اللين الرطب، فالمعنى طلعها يتمّ ويرطب، وقيل هو الرخص أول ما يخرج، وقيل الذي ليس فيه نوى، فإن قيل: لِمَ ذكر النخل بعد ذكر الجنات والجنات تحتوي على النخل؟ فالجواب: أن ذلك تجريد كقوله فاكهة ونخل ورمّان، ويحتمل أنه أراد الجنّات التي ليس فيها نخل ثم عطف عليها النخل ﴿**وَتَنْحِتُونَ**﴾ ذكر في الأعراف ﴿**فَارِهِينَ**﴾ قرىء بألف وبغير ألف وهو منصوب على الحال من الفاعل في تنحتون، وهو مشتق من الفراهة وهي النشاط والكيس، وقيل معناه أقوياء وقيل أشرين بطرين ﴿**من الْمُسَحَّرِينَ**﴾ مبالغة في المسحورين، وهو من السحر بكسر السين، وقيل من السحر بفتح السين وهي الرئة، والمعنى على هذا إنما أنت بشر ﴿**لَّهَا شِرْبٌ**﴾ أي حظ من الماء ﴿**فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ**﴾ لما تغيّرت ألوانهم حسبما أخبرهم

ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ

صالح عليه السلام ندموا حين لا تنفعهم الندامة ﴿فَأَخَذَتْهُم الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣و٨٣] و[المؤمنون: ٤١] التي ماتوا منها وهي العذاب المذكور هنا ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾ أي من المبغضين، وفي قوله قال ومن القالين: ضرب من ضروب التجنيس ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي نجّني من عقوبة عملهم أو اعصمني من عملهم والأول أرجح ﴿إلاّ عَجُوزًا﴾ يعني امرأة لوط ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ ذكر في الأعراف وكذلك ﴿أمطرنا﴾ ﴿أَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ قرىء بالهمز وخفض التاء مثل الذي في الحجر وق، ومعناه الغيضة من الشجر، وقرىء هنا وفي ص: بفتح اللام والتاء، فقيل إنه مسهل من الهمز، وقيل إنه اسم بلدهم، ويقوّي هذا: القول بأنه على هذه القراءة بفتح التاء غير منصرف، يدلّ على ذلك أنه اسم علم، وضعّف ذلك الزمخشري، وقال إن الأيكة اسم لا يعرّف ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل هنا أخوهم كما قال في قصة نوح وغيره، وقيل إن شعيبًا بعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم، فلذلك قال وإلى مدين أخاهم شعيبًا، وبعث أيضًا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم فلذلك لم يقل أخوهم، فكان شعيبًا على هذا مبعوثًا إلى القبيلتين وقيل إن أصحاب الأيكة مدين ولكنه قال أخوهم حين ذكرهم باسم قبيلتهم، ولم يقل أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها تنزيهًا لشعيب عن النسبة إليها ﴿مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي من الناقصين للكيل والوزن ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾ الميزان المعتدل ﴿والْجِبِلَّةَ﴾ يعني القرون المتقدمة ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هي

ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن

سحابة من نار أحرقتهم، فأهلك الله مدين بالصيحة، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة، فإن قيل: لِمَ كرّر قوله إن في ذلك لآية مع كل قصة؟ فالجواب: أن ذلك أبلغ في الاعتبار، وأشدّ تنبيهًا للقلوب وأيضًا فإن كل قصة منها كأنها كلام قائم مستقل بنفسه، فختمت بما ختمت به صاحبتها **﴿وَإِنَّه لَتنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** الضمير للقرآن **﴿الروح الأمين﴾** يعني جبريل عليه السلام **﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾** إشارة إلى حفظه إياه، لأن القلب هو الذي يحفظ **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّ﴾** يعني كلام العرب هو متعلق بنزل أو المنذرين **﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾** المعنى أن القرآن مذكور في كتب المتقدّمين ففي ذلك دليل على صحته ثم أقام الحجة على قريش بقوله: **﴿أَوَ لَمْ يَكن لَّهُمْ آيَةً أن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾** بأنه من عند الله آية لكم وبرهان، والمراد مَن أسلم من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وقيل الذين كانوا يبشّرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام **﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ﴾** الآية جمع أعجم، وهو الذي لا يتكلم سواء كان إنسانًا أو بهيمة أو جمادًا والأعجمي: المنسوب إلى الأعجم، وقيل بمعنى الأعجم، ومعنى الآية: أن القرآن لو نزل على مَن لا يتكلم، ثم قرأه عليهم لا يؤمنوا لإفراط عنادهم، ففي ذلك تسلية للنبيّ ﷺ على كفرهم به مع وضوح برهانه **﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾** معنى سلكناه، أدخلناه، والضمير للتكذيب الذي دلّ عليه ما تقدّم من الكلام، أو للقرآن أي سلكناه في قلوبهم مكذّبًا به، وتقدير قوله: كذلك مثل هذا السلك سلكناه، والمجرمين: يحتمل أن يريد به قريشًا أو الكفّار المتقدمين ولا يؤمنون: تفسير للسلك الذي سلكه في قلوبهم **﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾** تمنوا أن يؤخّروا حين لم ينفعهم التمني **﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾** توبيخ لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم:

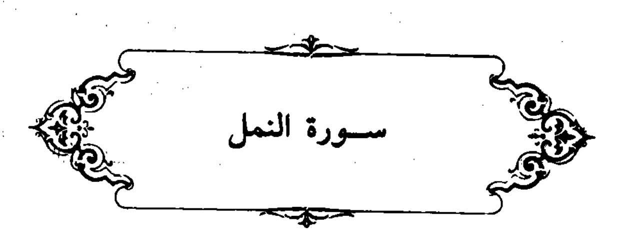
مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ

﴿فَأَمْطِر عَلَيْنَا حِجَارَةً من السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وشبه ذلك.

﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ المعنى أن مدّة إمهالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها، وإن طالت مدة سنين، لأن كل ما هو آتٍ قريب، قال بعضهم ﴿سِنِينَ﴾ يريد به عمر الدنيا ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ﴾ المعنى أن الله لم يهلك قومًا إلاّ بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولاً فأنذرهم فكذّبوه ﴿ذِكْرَى﴾ منصوب على المصدر من معنى الإنذار أو على الحال من الضمير في منذرون، أو على المفعول من أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ الضمير للقرآن، وهو ردّ على مَن قال إنه كهانة نزلت به الشياطين على محمد ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي ما يمكنهم ذلك ولا يقدرون عليه ولفظ ما ينبغي تارة يستعمل بمعنى لا يمكن وتارة بمعنى لا يليق ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ تعليل لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة لأنهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمد ﷺ، وقد كان أمر الكهّان كثيرًا منتشرًا قبل ذلك ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ عشيرة الرجل هم قرابته الأدنون، ولما نزلت هذه الآية أنذر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قرابته فقال يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطّلب أنقذوا أنفسكم من النار، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمّته صفيّة، قال الزمخشري في معناه قولان أحدهما أنه أمر أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس، والآخر أنه أمر أن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرأفة بقريبه ولا يخافهم بالإنذار ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ عبارة عن لين الجانب والرفق، وعن التواضع ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي حين تقوم في الصلاة، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ معطوف على الضمير المفعول في قوله يراك، والمعنى أنه يراك حين تقوم وحين تسجد، وقيل معناه يرى صلاتك مع المصلّين، ففي ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة، وقيل يرى تقلّب بصرك في المصلّين

كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

خلفك لأنه عليه الصلاة والسلام كان يراهم من وراء ظهره ﴿**تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**﴾ هذا جواب السؤال المتقدّم وهو قوله هل أُنبئكم على مَن تنزل الشياطين والأفّاك الكّذاب، والأثيم الفاعل للإثم يعني بذلك الكهّان، وفي هذا ردّ على مَن قال إن الشياطين تنزلت على سيّدنا محمد ﷺ بالكهانة، لأنها لا تنزل إلاّ على أفّاكٍ أثيم، وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم على غاية الصدق والبرّ ﴿**يُلْقُونَ السَّمْعَ**﴾ معناه يستمعون والضمير يحتمل أن يكون للشياطين بمعنى أنهم يستمعون إلى الملائكة، أن يكون للكهّان بمعنى أنهم يستمعون إلى الشياطين، وقيل يلقون بمعنى يلقون المسموع، والضمير يحتمل أيضًا على هذا أن يكون للشياطين، لأنهم يلقون الكلام إلى الكهّان أن يكون للكهّان لأنهم يلقون الكلام إلى الناس ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ**﴾ يعني الشياطين أو الكهّان لأنهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**﴾ لما ذكر الكهّان ذكر الشعراء ليبيّن أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة، وأراد الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك، وقيل أراد شعراء الجاهلية، وقيل شعراء كفّار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم، والغاوون قيل هم رواة الشعر وقيل هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار لما فيها من اللغو والباطل، وقيل هم الشياطين ﴿**فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ**﴾ استعارة وتمثيل أي يذهبون في كل وجه من الكلام الحق والباطل، ويفرطون في التجوّز حتى يخرجوا إلى الكذب ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ الآية: استثناء من الشعراء يعني بهم شعراء المسلمين كحسّان بن ثابت وغيره ممّن اتّصف بهذه الأوصاف، وقيل إن هذه الآية مدنية ﴿**ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾ قيل معناه ذكروا الله في أشعارهم، وقيل يعني الذكر على الإطلاق ﴿**وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**﴾ إشارة إلى ما قاله حسّان بن ثابت وغيره من الشعراء في هجو الكفّار بعد أن هجا الكفّار النبي ﷺ ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ وعيد للذين ظلموا والظلم هنا بمعنى الاعتداء على الناس لقوله من بعد ما ظلموا وعمل ينقلبون في أيّ لتأخّره، وقيل: إن العامل في أيّ سيعلم.



سورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ نزلت بعد سورة الشعراء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض، وإن كان الموصوف واحدًا ﴿هُدًى وَبُشْرَى﴾ في موضع نصب على المصدر أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء مضمر ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هم يُوقِنُونَ﴾ تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة فتكون بقية صلة الذين أو تكون مستأنفة وتمّت الصلة قبلها، ورجّح الزمخشري هذا ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ يعني في الدنيا وهو القتل يوم بدر، ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة، والأول أرجح لأنه ذكر الآخرة بعد ذلك ﴿لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ﴾ أي تعطاه ﴿آنَسْتُ﴾ ذكر في طه، وكذلك ﴿قَبَسٍ﴾، والشهاب النجم شبه القبس به، وقرىء بإضافة شهاب إلى قبس وبالتنوين على البدل أو الصفة، فإن قيل: كيف قال هنا سآتيكم وفي الموضع الآخر لعلّي آتيكم، والفرق بين الترجّي والتسويف أن التسويف متيقن الوقوع بخلاف الترجّي؟ فالجواب أنه قد يقول الراجي: سيكون كذا: إذا قوي رجاؤه ﴿تَصْطَلُونَ﴾

يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ

معناه تستدفئون بالنار من البرد، ووزنه تفعلون، وهو مشتق من صلي بالنار والطاء بدل من التاء **﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَها﴾** أن مفسّرة، وبورك من البركة، ومَن في النار: يعني مَن في مكان النار ومَن حولها: من حول مكانها: يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام، قال الزمخشري: والظاهر أنه عامّ في كل مَن كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وما حوله من أرض الشام **﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾** يحتمل أن يكون مما قيل في النداء لموسى عليه السلام، أو يكون مستأنفًا وعلى كِلا الوجهين قصد به تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء، أو في قوله: **﴿بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾** لأن المعنى نودي أن بورك مَن في النار، إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه **﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾** هذه الجملة معطوفة على قوله بورك مَن في النار، لأن المعنى يؤدّي إلى أن بورك مَن في النار، وأن ألقِ عصاك وكلاهما تفسير للنداء **﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾** الجانّ الحيّة، وقيل الحيّة الصغيرة، وعلى هذا يشكل قوله فإذا هي ثعبان، والجواب: أنها ثعبان في جرمها، جانّ في سرعة حركتها **﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾** لم يرجع أو لم يلتفت **﴿إلاَّ مَن ظَلَمَ﴾** استثناء منقطع تقديره لكن مَن ظلم من سائر الناس، لا من المرسلين، وقيل إنه متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم وهذا بعيد لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب وأيضًا فإن تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم **﴿بَدَّلَ حُسْنًا﴾** أي عمل صالحًا **﴿فِي جَيْبِكَ﴾** ذكر في طٰه **﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾** متصل بقوله ألق وأدخل، تقديره نيسّر لك ذلك في جملة تسعة آيات، وقد ذكرت الآيات التسع في الإسراء **﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾** متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره اذهب بالآيات التسع إلى فرعون **﴿مُبْصِرَةً﴾** أي ظاهرة واضحة الدلالة وأسند الإبصار لها مجازًا، وهو في الحقيقة لمتأمّلها **﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾** يعني أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقنوا أنها

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ

الحق فكفرهم عناد، ولذلك قال فيه ظلمًا، والواو فيه واو الحال، وأضمرت بعدها قد علوًا يعني تكبّروا ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ**﴾ أي ورث عنه النبوّة والعلم والملك ﴿**عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ**﴾ أي فهمنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها ﴿**وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ عموم معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ التكثير: كقولك فلان يقصده كل أحد، وقوله: ﴿علمنا﴾ ﴿وأوتينا﴾ [النمل: ١٦]: يحتمل أن يريد نفسه وأباه أو نفسه خاصّة على وجه التعظيم، لأنه كان ملكًا ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ**﴾ اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافًا شديدًا تركنا ذكره لعدم صحته ﴿**فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾ أي يكفّون ويراد أولهم إلى آخرهم، ولا بدّ لكل ملك أو حاكم من وزعة يدفعون الناس ﴿**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ**﴾ ظاهر هذا أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض أو ركبانًا حتى خافت منهم النمل، ويحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، وأحسّت النملة بنزولهم في وادي النمل ﴿**قَالَتْ نَمْلَةٌ**﴾ النمل حيوان فطن قويّ الحسّ يدّخر قوّته ويقسم الحبة بقسمين. لئلا تنبت، ويقسم حبة الكسبرة على أربع قطع لأنها تنبت إذا قسمت قسمين، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول، ورُوِيَ أن سليمان سمع كلامها، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال، وهذا لا يسمعه البشر إلاّ مَن خصّه الله بذلك ﴿**ادْخُلُوا**﴾ خاطبتهم مخاطبة العقلاء لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء ﴿**لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ**﴾ يحتمل أن يكون جوابًا للأمر أو نهيًا بدلاً من الأمر لتقارب المعنى ﴿**وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ الضمير لسليمان وجنوده، والمعنى اعتذار عنهم لو حطموا النمل أي لو شعروا بهم لم يحطّموهم ﴿**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا**﴾ تبسّم لأحد أمرين: أحدهما سروره بما أعطاه الله؛ والآخر ثناء النملة عليه وعلى جنوده، فإن قولها: ﴿**وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾: وصف لهم بالتقوى والتحفّظ من مضرّة الحيوان ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ**﴾ اختلف الناس في معنى تفقّده للطير، فقيل ذلك

ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا

لعنايته بأمور ملكه، وقيل لأن الطير كانت تظلّه فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه **﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾** أم منقطعة فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره، فقال ما ليَ لا أرى الهدهد أي لا أراه ولعلّه حاضر وستره ساتر، ثم علم بأنه غائب فأخبر بذلك **﴿لأُعَذِّبَنَّهُ﴾** رُوِيَ أن تعذيبه للطير كان بنتف ريشه **﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾** أي حجة بيّنة **﴿فَمَكَثَ﴾** أي أقام، ويجوز فتح الكاف وضمّها، وبالفتح قرأ عاصم، والفعل يحتمل أن يكون مسندًا إلى سليمان عليه السلام أو إلى الهدهد وهو أظهر **﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾** يعني زمان قريب **﴿أَحَطتُ﴾** أي أحطت علمًا بما لم تعلمه **﴿مِن سَبَإٍ﴾** يعني قبيلة من العرب، وجدّهم الذي يعرفون به: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومَن صرفه أراد الحيّ أو الأب، ومَن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة، وقرىء بالتسكين لتوالي الحركات، وعلى القراءة بالتنوين يكون في قوله من سبإٍ بنبإٍ ضرب من أدوات البيان، وهو التجنيس **﴿وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾** المرأة بلقيس بنت شراحيل: كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت بعده على الملك، والضمير في تملكهم يعود على سبإ، وهم قومها **﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾** عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجه الملك **﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾** يعني سرير ملكها، ووقف بعضهم على عرش ثم ابتدأ عظيم وجدتها على تقدير: عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وهذا خطأ، وإنما حمله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة **﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾** من كلام الهدهد أو من كلام الله، وقرأ الجمهور بالتشديد، وأن في موضع نصب على البدل من أعمالهم، أو في موضع خفض على البدل من السبيل، أو يكون التقدير لا يهتدون لأن يسجدوا بحذف اللام، وزيادة لا، وقرىء بالتخفيف على أن تكون لا حرف تنبيه وأن تكون الياء حرف نداء فيوقف عليها بالألف على تقدير يا قوم ثم يبتدأ اسجدوا **﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾** الخبء في اللغة الخفي وقيل معناه هنا الغيب، وقيل يخرج النبات من الأرض واللفظ يعمّ

فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي

كل خفيّ، وبه فسّره ابن عباس ﴿**ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ**﴾ أي تنحّ إلى مكانٍ قريب لتسمع ما يقولون، ورُوِيَ أنه دخل عليها من كُوّة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوّة، وقيل إن التقدير انظر ماذا يرجعون ثم تولّ عنهم فهو من المقلوب والأول أحسن ﴿**مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴾ من قوله يرجع بعضهم إلى بعض القول ﴿**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ**﴾ قبل هذا الكلام محذوف تقديره: فألقى الهدهد إليها الكتاب فقرأته، ثم جمعت أهل ملكها فقالت لهم يا أيها الملأ ﴿**كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾ وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان، أو لأن فيه اسم الله، أو لأنه مختوم كما جاء في الحديث كرم الكتاب ختمه ﴿**مِن سُلَيْمَانَ**﴾ يحتمل أن يكون هذا نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان، وأن يكون من كلامها: أخبرتهم أن الكتاب من سليمان ﴿**وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ يحتمل أن يكون من الانقياد بمعنى مستسلمين، أو يكون من الدخول في الإسلام ﴿**أُولُوا قُوَّةٍ**﴾ يحتمل أن يريد قوة الأجساد أو قوّة المُلْك والعدد ﴿**وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ من كلام الله عزّ وجل تصديقًا لقولها فيوقف على ما قبله، أو من كلام بلقيس تأكيدًا للمعنى الذي أرادته، وتعني كذلك يفعل هؤلاء بنا ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ**﴾ قالت لقومها إني أُجرّب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال، فإن كان ملكًا دنيويًا: أرضاه المال، وإن كان نبيًا لم يرضه المال، وإنما يرضيه دخولنا في دينه فبعثت إليه هدية عظيمة وصفها الناس واختصرنا وصفها لعدم صحّته ﴿**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ**﴾ إنكار للهدية لأن الله أغناه عنها بما أعطاه ﴿**بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾ أي أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها وأنا لست كذلك ﴿**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ**﴾ خطاب للرسول، وقيل للهدهد، والأول أرجح، لأن قوله فلما جاء سليمان مسند إلى الرسول ﴿**لاَ قِبَلَ لَهُم بِهَا**﴾ أي لا طاقة لهم بها.

بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ القائل سليمان، والملأ جماعة من الجنّ والإنس، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين، لأنه وُصِفَ له بعظمة فأراد أن يأخذه قبل أن يُسلِموا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم، فمسلمين على هذا من الدخول في دين الإسلام، وقيل إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ليُظهِر لهم قوّته، فمسلمين على هذا بمعنى منقادين **﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾** رُوِيَ عن وهب بن منبّه أن اسم هذا العفريت الكودن **﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾** قبل أن تقوم من موضع الحكم، وكان يجلس من بكرة إلى الظهر، وقيل معناه قبل أن تستوي من جلوسك قائمًا **﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾** هو آصف بن برخيا، وكان رجلاً صالحًا من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم وقيل هو الخضر، وقيل هو جبريل، والأول أشهر، وقيل سليمان وهذا بعيد **﴿آتِيكَ بِهِ﴾** في الموضعين: يحتمل أن يكون فعلاً مستقبلاً أو اسم فاعل **﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾** الطرف العين فالمعنى على هذا قبل أن تغضّ بصرك إذا نظرت إلى شيء وقيل الطرف تحريك الأجفان إذا نظرت **﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ﴾** قيل هنا محذوف تقديره: فجاءه الذي عنده علم من الكتاب بعرشها، ومعنى مستقرًّا عنده حاصلاً عنده وليس هذا بمستقر الذي يقدّر النحويون تعلق المجرورات به خلافًا لمَن فهم ذلك **﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾** أي منفعة الشكر لنفسه **﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾** تنكيره تغيير وصفه وستر بعضه، وقيل الزيادة فيه والنقص منه، وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها **﴿أَتَهْتَدِي﴾** يحتمل أن يريد تهتدي لمعرفة عرشها، أو للجواب عنه إذا سئلت أو للإيمان **﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾** كان عرشها قد وصل قبلها إلى سليمان فأمر بتنكيره، وأن يقال لها أهكذا عرشك أي أمثل هذا عرشك لئلا تفطن أنه هو، فأجابته بقولها: كأنه هو جوابًا عن السؤال، ولم تقل هو تحرّزًا من الكذب أو من التحقيق في محل الاحتمال **﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾** هذا من كلام سليمان وقومه لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك اعترافًا بنعمة الله عليهم في أن آتاهم العلم قبل بلقيس وهداهم للإسلام قبلها، والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره قد أسلمت هي

دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ

وعلمت وحدانية الله وصحّة النبوّة وأُوتينا نحن العلم قبلها ﴿**وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان وقومه، أو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون ﴿**مَا كَانَتْ تَّعْبُدُ**﴾ فاعلاً أو مفعولاً، فإن كان فاعلاً: فالمعنى صدّها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام حتى إلى هذا الوقت، وإن كان مفعولاً: فهو على إسقاط حرف الجرّ، والمعنى صدّها الله أو سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله فدخلت في الإسلام ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا**﴾ الصرح في اللغة هو القصر، وقيل صحن الدار، رُوِيَ أن سليمان أمر قبل قدومها فبُنِيَ له على طريقها قصرًا من زجاج أبيض وأجرى الماء من تحته، وألقى فيه دوابّ البحر من السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما رأته حسبته لجّة، واللجة الماء المجتمع كالبحر، فكشفت عن ساقيها لتدخله لمّا أُمِرَت بدخوله، ورُوِيَ أن الجنّ كرهوا تزوّج سليمان لها، فقالوا له إن عقلها مجنون، وإن رجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش فوجدها عاقلة واختبر ساقها بالصرح فلما كشفت عن ساقيها وجدها أحسن الناس ساقًا فتزوّجها وأقرّها على ملكها باليمن، وكان يأتيها مرة في كل شهر، وقيل أسكنها معه بالشام ﴿**قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ**﴾ لما ظنّت أن الصرح لجّة ماء وكشفت عن ساقيها لتدخل الماء قال لها سليمان إنه صرح ممرّد، والممرّد الأملس، وقيل الطويل، والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة ﴿**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**﴾ تعني بكفرها فيما تقدّم ﴿**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ**﴾ هذا ضرب من ضروب التجنيس ﴿**فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**﴾ الفريقان مَن آمن ومَن كفر؛ واختصامهم: اختلافهم وجدالهم في الدين ﴿**لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ أي لِمَ تطلبون العذاب قبل الرحمة، أو المعصية قبل الطاعة ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ**﴾أي تشاءمنا بك وكانوا قد أصابهم القحط ﴿**قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ**﴾ أي السبب الذي يحدث عنه خيركم أو شرّكم: هو عند الله وهو قضاؤه وقدره، وذلك ردّ عليهم في تطيّرهم ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح

تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ

عليه السلام **﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾** يعني مدينة ثمود **﴿يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾** قيل إنهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم ولفظ الفساد أعمّ من ذلك **﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾** أي حلفوا بالله، وقيل إنه فعل ماضٍ وذلك ضعيف، والصحيح أنه فعل أمر قاله بعضهم لبعض وتعاقدوا عليه **﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾** أي لنقتلنه وأهله بالليل وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه **﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾** أي نتبرأ من دمه إن طلبنا به وليّه، ومهلك يحتمل أن يكون اسم مصدر أو زمان أو مكان فإن قيل إن قولهم ما شهدنا مهلك أهله يقتضي التبرّي من دم أهله دون التبرّي من دمه، فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أنهم أرادوا ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله، وحذف مهلكه لدلالة قولهم لنبيتنه وأهله، والثاني أن أهل الإنسان قد يُراد به هو وهم لقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ﴾ [البقرة: ٥٠] و[الأنفال: ٥٤] يعني فرعون وقومه، الثالث: أنهم قالوا مهلك أهله خاصّة ليكونوا صادقين، فإنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا، وأرادوا التعريض في كلامهم لئلا يكذبوا **﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾** يحتمل أن يكون قولهم وإنّا لصادقون مغالطة مع اعتقادهم أنهم كاذبون، ويحتمل أنهم قصدوا وجهًا من التعريض ليخرجوا به عن الكذب وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن مهلك أهله، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحًا وأهله معًا، ثم يقولون ما شهدنا مهلك أهله وحدهم وإنّا لصادقون في ذلك بل يعنون أنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا وعلى ذلك حمله الزمخشري **﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾** رُوِيَ أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلاً في غار قريبًا من داره ليخرجوا منه إلى داره بالليل فوقعت عليهم صخرة فأهلكتهم ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح ومَن آمن به **﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾** قيل معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية وقيل تبصرون بأبصاركم لأنهم كانوا ينكشفون بفعل ذلك ولا يستتر

مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ

بعضهم من بعض، وقيل تبصرون آثار الكفّار قبلكم وما نزل بهم من العذاب **﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾** و**﴿الْغَابِرِينَ﴾** و**﴿أَمْطَرْنَا﴾** قد ذكر **﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾** أمر الله رسوله أن يتلو الآيات المذكورة بعد هذا، لأنها براهين على وحدانيته وقدرته، وأن يستفتح ذلك بحمده، والسلام على مَن اصطفاه من عباده كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك تيمّنًا بذكر الله، قال ابن عباس يعني بعباده الذين اصطفى الصحابة، واللفظ يعمّ الملائكة والأنبياء والصحابة والصالحين **﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** على وجه الردّ على المشركين فدخلت خير التي يراد بها التفضيل لتبكيتهم وتعنيفهم مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوا أصلاً، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي خلق السمٰوات والأرض وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله أإله مع الله على وجه التقرير لهم على أنه لم يفعل ذلك كله إلاّ الله وحده فقامت عليهم الحجة بذلك وفيها أيضًا نعم يجب شكرها فقامت بذلك أيضًا وأم في قوله خير أما يشركون متصلة عاطفة، وأم في المواضع التي بعده منقطعة بمعنى بل والهمزة **﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾** أي يعدلون عن الحق والصواب أو يعدلون بالله غيره أي يجعلون له عديلاً ومثيلاً **﴿رَوَاسِيَ﴾** يعني الجبال **﴿الْبَحْرَيْنِ﴾** ذكر في الفرقان **﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾** قيل هو المجهود، وقيل الذي لا حول له ولا قوّة، واللفظ مشتق من الضرر: أي الذي أصابه الضرّ أو من الضرورة أي الذي ألجأته الضرورة إلى الدعاء **﴿خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾** أي خلفاء فيها تتوارثون سكناها **﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾** يعني الهداية بالنجوم والطرقات **﴿بُشْرًا﴾** ذكر في الأعراف **﴿مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ﴾** الرزق من

أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم

السماء المطر ومن الأرض النبات ﴿**هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾ تعجيز للمشركين ﴿**قُلْ لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إلاَّ اللَّهِ**﴾ هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالى بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها مَن زعم أن محمدًا يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله، ثم قرأت هذه الآية، فإن قيل: فقد كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يخبر بالغيوب وذلك معدود في معجزاته، فالجواب: أنه ﷺ قال: «إني لا أعلم الغيب إلاّ ما علّمني الله»، فإن قيل: كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكهّان والمنجّمين وأشباههم، بالأمور المغيبة؟ فالجواب أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف أو عن وهم لا عن علم، وإنما اقتضت الآية نفي العلم، وقد قيل إن الغيب في هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة، لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك، ولذلك قال وما يشعرون أيّان يبعثون، فعلى هذا يندفع السؤال الأول، والثاني لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلمَها عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ولقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «في خمس لا يعلمها إلاّ الله»، ثم قرأ ﴿إِنّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] إلى آخر السورة، فإن قيل: كيف قال إلاّ الله بالرفع على البدل والبدل لا يصحّ إلاّ إذا كان الاستثناء متّصلاً ويكون ما بعد إلاّ من جنس ما قبلها والله تعالى ليس ممّن في السمٰوات والأرض باتفاق فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السمٰوات والأرض، والقائلين بنفي الجهة يقولون إن الله تعالى ليس بهما ولا فوقهما ولا داخلاً فيهما ولا خارجًا عنهما فهو على هذا استثناء منقطع، فكان يجب أن يكون منصوبًا؟ فالجواب من أربعة أوجه: الأول أن البدل هنا جاء على لغة بني تميم في البدل، وإن كان منقطعًا كقولهم ما في الدار إلاّ حمار بالرفع والحمار ليس من الأحدين وهذا ضعيف، لأن القرآن أُنزل بلغة الحجاز لا بلغة بني تميم، والثاني أن الله في السمٰوات والأرض بعلمه كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُم أَيْنَمَا كُنتُم﴾ [الحديد: ٤] يعني بعلمه، فجاء البدل على هذا المعنى وهذا ضعيف، لأن قوله في السمٰوات والأرض وقعت فيه لفظة في الظرفية الحقيقية، وهي في حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية ولا يجوز استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحقّقين، الجواب الثالث أن قوله مَن في السمٰوات والأرض يراد به كل موجود فكأنه قال مَن في الوجود فيكون الاستثناء على هذا متصلاً، فيصحّ الرفع على البدل، وإنما قال مَن في السمٰوات

مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا

والأرض جريًا على منهاج كلام العرب فهو لفظ خاصّ يراد به ما هو أعمّ منه: الجواب الرابع أن يكون الاستثناء متصلاً على أن يتأول مَن في السمٰوات في حق الله كما يتأوّل قوله: ﴿أَأَمِنتُم مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] وحديث الجارية وشبه ذلك ﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾ أي لا يشعرون مَن في السمٰوات والأرض متى يبعثون، لأنّ علم الساعة مما انفرد به الله، رُوِيَ أن سبب نزول هذه الآية أن قريشًا سألوا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم متى الساعة ﴿**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ**﴾ وزن ادّارك تفاعل ثم سُكِّنت التاء وأُدغمت في الدال واجتلبت ألف الوصل، والمعنى تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها، أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها وقرىء أدرك بهمزة قطع على وزن أفعل، والمعنى على هذا يدرك علمهم في الآخرة أي يعلمون فيها الحق، لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق، فقوله في الآخرة على هذا ظرف، وعلى القراءة الأولى بمعنى الباء ﴿**عَمُونَ**﴾ جمع عم، وهو من عمى القلوب ﴿**رَدِفَ لَكُم**﴾ أي تبعكم، واللام زائدة، أو ضمن معنى قرب وتعدّى باللام، ومعنى الآية أنهم استعجلوا العذاب بقولهم متى هذا الوعد، فقيل لهم عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون وهو قتلهم يوم بدر ﴿**غَائِبَةٍ**﴾ الهاء فيه للمبالغة: أي ما من شيء في غاية الخفاء إلاّ وهو عند الله في كتاب ﴿**إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى**﴾ شبّه مَن لا يسمع ولا يعقل بالموتى في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء، ثم شبّههم بالصمّ وبالعمي وإن كانوا صِحاح الحواس، وأكد عدم سماعهم بقوله: ﴿**إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**﴾ لأن الأصمّ إذا

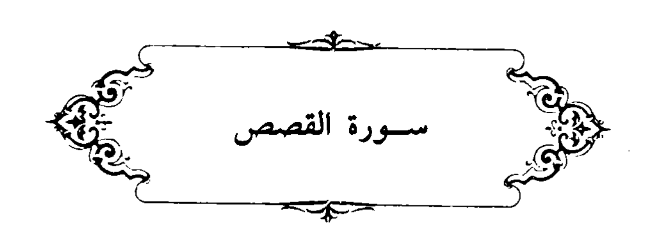
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ

أدبر وبعد عن الداعي زاد صممه وعدم سماعه بالكليّة ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي إذا حان وقت عذابهم الذي تضمنه القول الأزلي من الله في ذلك وهو قضاؤه، والمعنى إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابّة من الأرض، وخروج الدابّة من أشراط الساعة، ورُوِيَ أنها تخرج من المسجد الحرام، وقيل من الصفا، وأن طولها ستّون ذراعًا، وقيل هي الجساسة التي وردت في الحديث ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قيل تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلاّ دين الإسلام، وقيل تقول لهم ألا لعنة الله على الظالمين، ورُوِيَ أنها تَسِم الكافر وتخطم أنفه وتسوّد وجهه وتبيّض وجه المؤمن ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ مَن قرأ بكسر الهمزة فهو ابتداء كلام، ومَن قرأ بالفتح فهو مفعول تكلمهم: أي تقول لهم: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ﴾، أو مفعول من أجله تقديره تكلمهم، لأن الناس لا يوقنون ثم حذفت اللام، ويحتمل قوله لا يوقنون بخروج الدابّة، ولا يوقنون بالآخرة وأمور الدين، وهذا أظهر ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يُساقون بعنف ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أم استفهامية، والمعنى إقامة الحجة عليهم كأنه قيل لهم إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ أي حق العذاب عليهم أو قامت الحجة عليهم ﴿فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ﴾ إنما يسكتون لأن الحجة قد قامت عليهم وهذا في بعض مواطن القيامة، وقد جاء أنهم يتكلمون في مواطن.

﴿لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في يونس ﴿يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ذكر في الكهف ﴿إلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل هم الشهداء، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام ﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين متذلّلين ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي قائمة ثابتة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ يكون مرورها في أول أحوال يوم القيامة، ثم ينسفها الله في خلال ذلك فتكون كالعهن ثم تصير هباءً منبثًا ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ مصدر، والعامل فيه محذوف، وقيل هو منصوب على الإغراء: أي انظروا

صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

صنع الله ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِّنْهَا﴾ قيل إن الحسنة لا إلهَ إلاّ الله، واللفظ أعمّ، ومعنى خير منها أن له بالحسنة الواحدة عشرًا ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ من نوع فزع فتح الميم من يومئذ ومَن أسقط التنوين للإضافة قرأ بفتح الميم على البناء أو بكسرها على الإعراب ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ السيئة هنا الكفر والمعاصي التي قضى الله بتعذيب فاعلها ﴿هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ يعني مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي جعلها حرمًا آمنًا لا يقاتل فيها أحد ولا ينتهك حرمتها، ونسب تحريمها هنا إلى الله لأنه بسبب قضائه وأمره، ونسبه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّمَ إلى إبراهيم عليه السلام في قوله إن إبراهيم حرّم مكة. لأن إبراهيم هو الذي أعلم الناس بتحريمها، فليس بين الحديث والآية تعارض وقد جاء في حديث آخر أن مكة حرّمها الله يوم خلق السمٰوات والأرض ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي إنما عليّ الإنذار والتبليغ ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ وعيد بالعذاب الذي يضطرهم إلى معرفة آيات الله إما في الدنيا أو في الآخرة.



مكية إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية
وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرَّحيم

﴿**عَلاَ فِي الأَرْضِ**﴾ أي تكبّر وطغا ﴿**شِيَعًا**﴾ أي فرقًا مختلفين فجعل فرعون القبط ملوكًا وبني إسرائيل خدّامًا لهم، وهم الطائفة الذين استضعفهم، وأراد الله أن يمنّ عليهم ويجعلهم أئمة: أي وُلاة في الأرض أرض فرعون وقومه ﴿**هَامَانَ**﴾ هو وزير فرعون ﴿**وَأَوْحَينَا إِلَى أُمِّ مُوسَى**﴾ اختلف هل كان هذا الوحي بإلهام أو منام أو كلام بواسطة الملك، وهذا أظهر لثقتها بما أُوحِيَ إليها وامتثالها ما أمرت به ﴿**فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ**﴾ أي إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل لما أخبره الكهّان أن هلاكه على يد غلام منهم ﴿**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ**﴾ الالتقاط اللقاء من غير قصد، رُوِيَ أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت في البحر وهو النيل فأمرت أن يُساق لها ففتحته فوجدت فيه صبيًّا فأَحبته، وقالت لفرعون؛ هذا قرّة عين لي ولك ﴿**لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا**﴾ اللام لام العاقبة وتسمى أيضًا لام الصيرورة ﴿**لاَ تَقْتُلُوهُ**﴾ رُوِيَ أنّ فرعون همّ بذبحه إذ توسّم أنه من بني

أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا

إسرائيل، فقالت امرأته لا تقتلوه ﴿**وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ أي لا يشعرون أن هلاكهم يكون على يديه، والضمير الفاعل لفرعون وقومه ﴿**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا**﴾ أي ذاهلاً لا عقل معها، وقيل فارغًا من الصبر وقيل فارغًا من كل شيء إلاّ من همّ موسى، وقيل فارغًا من وعد الله: أي نسيت ما أُوحِيَ إليها، وقيل فارغًا من الحزن إذ لم يغرق وهذا بعيد لما بعده وقيل فارغًا من كل شيء إلاّ من ذكر الله وقرىء فزعًا بالزاي من الفزع ﴿**إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ**﴾ أي تظهر أمره، وفي الحديث كادت أمّ موسى أن تقول وإبناه وتخرج صائحة على وجهها ﴿**رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا**﴾ أي رزقناها الصبر ﴿**لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي من المصدّقين بالوعد الذي وعدها الله ﴿**وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾ أي اتبعيه، والقصّ طلب الأثر، فخرجت أُخته تبحث عنه في خفية ﴿**فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ**﴾ أي رأته من بعيد ولم تقرب منه لئلا يعلموا أنها أُخته، وقيل معنى عن جنب: عن شوق إليه، وقيل معناه أنها نظرت إليه كأنها لا تريده ﴿**وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ أي لا يشعرون أنها أُخته ﴿**وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ**﴾ أي منع منها بأن بغّضها الله له، والمراضع جمع مُرضِعَة، وهي المرأة التي تُرضِع، أو جمع مَرضَع بفتح الميم والضاد: وهو موضع الرضاع يعني الثدي ﴿**مِن قَبْلُ**﴾ أي من أول مرة ﴿**فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ**﴾ القائلة أُخته تخاطب آل فرعون ﴿**فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ**﴾ لمّا منعه الله من المراضع وقالت أُخته هل أدلّكم على أهل بيت الآية: جاءت بأمه فقبل ثديها، فقال لها فرعون ومَن

تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ

أنت منه فما قبل ثدي امرأة إلاّ ثديك؟ فقالت إني امرأة طيّبة اللبن، فذهبت به إلى بيتها وقرّت عينها بذلك وعلمت أن وعد الله حق في قوله: **﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾** **﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾** ذكر في يوسف **﴿وَاسْتَوَى﴾** أي كمل عقله، وذلك مع الأربعين سنة **﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾** يعني مصر وقيل قرية حولها، والأول أشهر **﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ﴾** قيل في القائلة وقيل بين العشاءين، وقيل يوم عيد، وقيل كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل مختفيًا متخوّفًا **﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ﴾** الذي من شيعته من بني إسرائيل، والذي من عدوّه من القبط **﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾** أي ضربه، والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكفّ **﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾** أي قتله، ولم يُرِد أن يقتله ولكن وافقت وكزته الأجَل، فندم وقال هذا من عمل الشيطان أي إن الغضب الذي أوجب ذلك كان من الشيطان، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له، فإن قيل: كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافرًا؟ فالجواب أنه لم يؤذَن له في قتله ولذلك يقول يوم القيامة إني قتلت نفسًا لم أُؤمر بقتلها **﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾** الظهير المعين، والباء سببية، والمعنى بسبب إنعامك عليّ لا أكون ظهيرًا للمجرمين، فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربّه، وقيل الباء باء القسم وهذا ضعيف لأن قوله فلن أكون لا يصلح لجواب القسم، وقيل جواب القسم محذوف تقديره وحق نعمتك لأتوبنّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين، وقيل الباء للتحليف: أي اعصمني بحق نعمتك عليّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين ويحتجّ بهذه الآية على المنع من صحبة ولاة الجور **﴿يَتَرَقَّبُ﴾** في الموضعين أي يستحسّ هل يطلبه أحد **﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾** أي يستغيث به، لقي موسى الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلاً آخر من القبط فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس فعظم ذلك على موسى وقال له: **﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾** **﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن**

يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى

يَبْطِشَ بِالَّذِي هُو عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ الضمير في أراد وفي يبطش لموسى، وفي قال للإسرائيلي، والمعنى لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدوّ له وللإسرائيلي: ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به إذ قال له: **﴿إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾**، فقال الإسرائيلي لموسى: **﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس﴾**، وقيل الضمير في أراد للإسرائيلي، والمعنى فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش موسى بالقبطي ولم يفعل موسى ذلك لندامته على قتله الآخر بالأمس فنصح الإسرائيلي، فقال له أتريد أن تقتلني فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون **﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾** قيل إنه مؤمن آل فرعون، وقيل غيره **﴿يَسْعَى﴾** أي يسرع في مشيه ليدرك موسى فينصحه **﴿إنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾** يتشاورون وقيل يأمر بعضهم بعضًا بقتلك كما قتلت القبطي **﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾** أي قصد بوجهه ناحية مَدْيَنَ وهي مدينة شعيب عليه السلام **﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** أي وسط الطريق يعني طريق مَدْيَنَ إذ كان قد خرج فارًّا بنفسه، وكان لا يعرف الطريق، وبين مصر ومَدْيَنَ مسيرة ثمانية أيام وقيل أراد سبيل الهدى وهذا أظهر، ويدلّ كلامه هذا على أنه كان عارفًا بالله قبل نبوّته **﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾** أي وصل إليه وكان بئرًا **﴿يَسْقُونَ﴾** أي يسقون مواشيهم **﴿امْرَأَتَيْنِ﴾** رُوِيَ أن اسمهما ليّا وصفوريا، وقيل صفيرا وصفرا **﴿تَذُودَانِ﴾** أي تمنعان الناس عن غنمهما، وقيل تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقي الناس، وهذا أظهر لقولهما: **﴿لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾**: أي كانت عادتهما ألاّ يسقيا غنمهما إلاّ بعد الناس لقوّة الناس ولضعفهما، أو لكراهتهما التزاحم مع الناس **﴿يُصْدِرَ﴾** بضم الياء وكسر الدال فعل متعدٍّ، والمفعول محذوف تقديره حتى يصدر الرعاء مواشيهم، وقرىء بفتح الياء وضمّ الدال أي ينصرفون عن الماء **﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾** أي لا يستطيع أن يباشر سقي غنمه، وهذا الشيخ هو شعيب عليه السلام في قول الجمهور، وقيل ابن أخيه، وقيل رجل صالح ليس من شعيب بنسب **﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾** أي

ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ

أدركته شفقته عليهما فسقى غنمهما، ورُوِيَ أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلاّ ثلاثون رجلاً فرفعها وحده **﴿تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾** أي جلس في الظلّ، ورُوِيَ أنه كان ظلّ سمرة **﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾** طلب من الله ما يأكله وكان قد اشتدّ عليه الجوع **﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾** قبل هذا كلام محذوف تقديره فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإبطاء في السقي فأخبرتاه بما كان من أمر سقي الرجل لهما فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته، واختلف هل التي جاءته الصغرى أو الكبرى **﴿عَلَى ٱسْتِحْيَاءٍ﴾** رُوِيَ أنها سترت وجهها بكمّ درعها والمجرور يتعلق بما قبله وقيل بما بعده وهو ضعيف **﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾** أي ذكر له قصته **﴿لاَ تَخَفْ﴾** أي قد نجوت من فرعون وقومه لأن بلد مَدْيَنَ لم يكن من مُلْك فرعون **﴿ٱسْتَأْجِرْهُ﴾** أي اجعله أجيرًا لك **﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾** هذا الكلام حِكمة جامعة بليغة، رُوِيَ أن أباها قال لها من أين عرفت قوّته وأمانته، قالت أما قوّته ففي رفعه الحجر عن فم البئر: وأما أمانته فإنه لم ينظر إليّ **﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ﴾** زوجته التي دعته، واختلف هل زوّجه الكبرى أو الصغرى، واسم التي زوّجه صفور، وقيل صفوريا، ومن لفظ شعيب حسن أن يقال في عقود الأنكحة: أنكحه إيّاها أكثر من أن يقال أنكحها إياه **﴿عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾** أي أُزوّجك بنتي على أن تخدمني ثمانية أعوام، قال مكّي: في هذه الآية خصائص في النكاح منها أنه لم يعيّن الزوجة، ولا حدّ أول الأمد، وجعل المهر إجارة، قلت فأما التعيين فيحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المراودة، وقد قال الزمخشري إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح، وإنما كان مواعدة وأما ذكر أول الأمد، فالظاهر أنه من حين العقد، وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية، وقد قرّره شرعنا حسبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ للرجل قد زوّجتكها على ما معك من القرآن: أي على أن تعلّمها ما عندك من القرآن، وقد أجاز النكاح بالإجارة الشافعي وابن حنبل وابن حبيب للآية والحديث، ومنعه مالك **﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾** جعل الأعوام الثمانية شرطًا، ووكّل العامين إلى مروءة موسى، فوفى له

ﭐلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا

العشر، وقيل وفى العشرة وعشرًا بعدها، وهذا ضعيف لقوله: ﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ**﴾ أي الأجل المذكور ﴿**وَسَارَ بِأَهْلِهِ**﴾ الأهل هنا الزوجة مشى بها إلى مصر ﴿**جَذْوَةٍ**﴾ أي قطعة، ويجوز كسر الجيم وضمّها، وقد ذكر آنس، والطور، وتصطلون ﴿**شَاطِئِ الْوَادِ**﴾ جانبه والأيمن صفة للشاطىء اليمين، ويحتمل أن يكون من اليمن فيكون صفة للوادي ﴿**مِنَ الشَّجَرَةِ**﴾ رُوِيَ أنها كانت عوسجة ﴿**جَانٌّ**﴾ ذكر في النمل ﴿**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ**﴾ أي أدخلها فيه، والجيب هو فتح الجبة من حيث يخرج الإنسان رأسه ﴿**واضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ**﴾ الجناح اليد أو الإبط أو العضد أمره الله لما خاف من الحية أن يضمّه إلى جنبه ليخفّ بذلك خوفه فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يخفّ خوفه، وقيل ذلك على وجه المجاز، والمعنى أنه أمر بالعزم على ما أمر به: كقوله اشدد حيازمك واربط جأشك ﴿**مِنَ الرَّهْبِ**﴾ أي من أجل الرهب، وهو الخوف، وفيه ثلاثة لغات فتح الراء والهاء، وفتح الراء وإسكان الهاء، وضمّ الراء وإسكان الهاء ﴿**فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ**﴾ أي حجّتان والإشارة إلى العصا واليد ﴿**إِلَى فِرْعَوْنَ**﴾ يتعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام ﴿**رِدْءًا**﴾ أي مُعِينًا، وقرىء بالهمز وبغير همز على التسهيل من المهموز أو يكون من أرديت أي زدت ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**﴾ استعارة في المعونة ﴿**بِآيَاتِنَا**﴾ يحتمل أن يتعلق بقوله نجعل أو بيصلون أو بالغالبون

فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ

﴿**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ**﴾ أي اصنع الآجر لبنيان الصرح الذي رام أن يصعد منه إلى السماء، ورُوِيَ أنه أول مَن عمل الآجر، وكان هامان وزير فرعون وانظر ضعف عقولهما وعقول قومهما وجهلهم بالله تعالى في كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصّرح، وقد رُوِيَ أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع مخضوبًا بدم وذلك فتنة له ولقومه وتهكّم بهم، ثم قال: ﴿**وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ يعني في دعوى الرسالة، والظن هنا يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين ﴿**أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**﴾ أي كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار ﴿**مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ**﴾ أي من المطرودين المبعدين، وقيل قبحت وجوههم، وقيل قبح ما يفعل بهم وما يقال لهم ﴿**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ**﴾ خطاب لسيدنا محمد ﷺ والمراد به إقامة حجة لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره والغربي المكان الذي في غربي الطور، وهو المكان الذي كلّم الله فيه موسى والأمر المقضي إلى موسى هو النبوّة ومن الشاهدين معناه من الحاضرين هنالك ﴿**وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ**﴾ المعنى لم تحضر يا محمد للاطّلاع على هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم فكفروا بك، وقيل المعنى لكنا أنشأنا قرونًا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر وطالت الفترة فأرسلناك على

ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

فترة من الرّسل **﴿ثَاوِيًا﴾** أي مقيمًا **﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾** يعني تكليم موسى، والمراد بذلك إقامة حجة سيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرًا حينئذ **﴿وَلَكِن رَّحْمَةً﴾** انتصب على المصدر، أو على أنه مفعول من أجله والتقدير: ولكن أرسلناك رحمة منّا لك ورحمة للخلق بك **﴿وَلَوْلاَ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾** لو هنا حرف امتناع ولولا الثانية عرض وتحضيض، والمعنى لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرُّسل، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار وإقامة الحجة عليهم، لئلا يقولوا: **﴿رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني القرآن ونبوّة محمد ﷺ **﴿قَالُوا لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾** يعنون إنزال الكتاب عليه من السماء جملة واحدة، وقلب العصا حيّة وفلق البحر وشبه ذلك **﴿أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾** هذا ردّ عليهم فيما طلبوه، والمعنى أنهم كفروا بما أُوتي موسى فلو آتينا محمدًا مثل ذلك لكفروا به، ومن قبل على هذا يتعلق بقوله أُوتي موسى، ويحتمل أن يتعلق بقوله أو لم يكفروا، إن كانت الآية في بني إسرائيل، والأول أحسن **﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾** يعنون موسى وهارون، أو موسى ومحمدًا ﷺ والضمير في أو لم يكفروا وفي قالوا لكفّار قريش وقيل لآبائهم، وقيل لليهود والأول أظهر وأصحّ لأنهم المقصودون بالردّ عليهم **﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ﴾** أمر على وجه التعجيز لهم **﴿أَهْدَى مِنْهُمَا﴾** الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب سيدنا محمد ﷺ **﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾** قد علم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبدًا، ولكنه ذكره بحرف إن مبالغة في إقامة الحجة عليهم: كقوله: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا، فاعلم أنما

يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا

يتبعون أهواءهم: المعنى إن لم يأتوا بكتاب فاعلم أن كفرهم عناد واتّباع أهوائهم لا بحجة وبرهان ﴿**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ**﴾ الضمير لكفّار قريش، وقيل لليهود والأول أظهر؛ لأن الكلام من أوله معهم، والقول هنا القرآن، ووصلنا لهم: أبلغناه لهم، أو جعلناه موصلاً بعضه ببعض ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ**﴾ يعني مَن أسلم من اليهود، وقيل النجاشي وقومه، وقيل نصارى نجران الذين قَدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمكة وهم عشرون رجلاً فآمنوا به، والضمير في قبله للقرآن، وقولهم إنه الحق: تعليل لإيمانهم، وقولهم: ﴿**إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ**﴾: بيان لأن إسلامهم قديم لأنهم وجدوا ذكر سيدنا محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يبعث ﴿**أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ**﴾ قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب ثم آمن بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ورجل مملوك أدّى حقّ الله وحقّ مواليه، ورجل كانت له أَمَة فأعتقها وتزوّجها» ﴿**بِمَا صَبَرُوا**﴾ يعني صبرهم على إذاية قومهم لهم لما أسلموا أو غير ذلك من أنواع الصبر ﴿**وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ**﴾ أي يدفعون، ويحتمل أن يريد بالسيئة ما يقال لهم من الكلام القبيح، وبالحسنة ما يجاوبون به من الكلام الحسن، أو يريد سيئات أعمالهم وحسناتها كقوله: ﴿إِنَّ الحَسَنَات يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات﴾ [هود: ١١٤] ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ**﴾ يعني ساقط الكلام ﴿**لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ**﴾ هذا على وجه التبرّي والبعد من القائلين للغو ﴿**سَلامٌ عَلَيْكُمْ**﴾ معناه هنا المتاركة والمباعدة لا التحية أو كأنه سلام الانصراف والبعد ﴿**لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾ أي لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ نزلت في أبي طالب إذ دعاه النبي ﷺ أن يقول عند موته لا إله إلاّ الله فقال لولا أن يعايرني بها قريش لأقررت بها عينك ومات على الكفر، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ لفظ عامّ، وقيل أراد به العباس بن عبد المطلب ﴿**وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى**

يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ

مَعَكَ **نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا**﴾ القائلون لذلك قريش، ورُوِيَ أن الذي قالها منهم الحارث بن عامر بن نوفل، والهدى هو الإسلام، ومعناه الهدى على زعمك، وقيل إنهم قالوا قد علمنا أن الذي تقول حق، ولكن إن اتّبعناك تخطفتنا العرب: أي أهلكونا بالقتال لمخالفة دينهم ﴿**أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا**﴾ هذا ردّ عليهم فيما اعتذروا به من تخطف الناس لهم، والمعنى أن الحرم لا تتعرض له العرب بقتال ولا يمكّن الله أحدًا من إهلاك أهله فقد كانت العرب يُغير بعضهم على بعض، وأهل الحرم آمنون من ذلك ﴿**يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ أي تجلب إليه الأرزاق مع أنه وادٍ غير ذي زرع ﴿**بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا**﴾ معنى بطرت طغت وسفهت، ومعيشتها: نصب على التفسير مثل سفه نفسه، أو على إسقاط حرف الجرّ تقديره بطرت في معيشتها أو يتضمن معنى بطرت كفرت ﴿**إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ يعني قليلاً من السكنى، أو قليلاً من الساكنين: أي لم يسكنها بعد إهلاكها إلاّ مارًا على الطريق ساعة ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً**﴾ أُمّ القرى مكة لأنها أول ما خلق الله من الأرض، ولأن فيها بيت الله، والمعنى أن الله أقام الحجة على أهل القرى بأن بعث سيدنا محمدًا ﷺ في أُمّ القرى، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ**﴾ الآية: تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب في الآخرة ﴿**أَفَمَن وَعَدْنَاهُ**﴾ الآية: إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة، والمراد بمَن وعدناه المؤمنين، وبمَن متّعناه الكافرين، وقيل سيدنا محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم وأبو جهل، وقيل حمزة وأبو جهل، والعموم أحسن لفظًا، ومعنى من المحضرين أي من المحضرين في العذاب ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ**﴾ العامل في الظرف مضمر وفاعل ينادي الله تعالى، ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة، والمفعول به المشركون ﴿**أَيْنَ شُرَكَائِيَ**﴾ توبيخ للمشركين ونسبهم إلى نفسه على زعمهم، ولذلك قال الذين كنتم تزعمون، فحذف

ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ

المفعول وتقديره تزعمون أنهم شركاء لي أو تزعمون أنهم شفعاء لكم **﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾** معنى حق عليهم القول وجب عليهم العذاب، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبراؤهم، والإشارة بقولهم هؤلاء الذين أغوينا: إلى أتباعهم من الضعفاء، فإن قيل: كيف الجمع بين قولهم أغوينا وبين قولهم تبرّأنا إليك، فإنهم اعترفوا بإغوائهم، وتبرؤوا مع ذلك منهم؟ فالجواب أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك، والمعنى أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ولكن لم يكونوا يعبدوننا إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها فتبرأنا إليك من عبادتهم لنا، فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا الضعفاء وتبرؤوا من أن يكونوا هم آلهتهم فلا تناقض في الكلام، وقد قيل في معنى الآية غير هذا مما هو تكلّف بعيد **﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُون﴾** فيه أربعة أوجه: الأول أن المعنى لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام، والثاني لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا والثالث لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوا فلو على هذا الأقوال حرف امتناع وجوابها محذوف، والرابع أن يكون لو للتمنّي: أي تمنّوا لو كانوا مهتدين **﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾** أي أهل صدقتم المرسلين أو كذّبتموهم **﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾** عميت عبارة عن حيرتهم، والأنباء الأخبار أي أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا ما يقولون **﴿فَهُمْ لاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾** أي لا يسأل بعضهم بعضًا عن الأنباء لأنهم قد تساووا في الحيرة والعجز عن الجواب **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾** قيل سببها استغراب قريش لاختصاص سيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنبوّة، فالمعنى أن الله يخلق ما يشاء، ويختار لرسالته مَن يشاء من عباده، ولفظها أعمّ من ذلك، والأحسن حمله على عمومه: أي يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق، ويفعل ما يريد **﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيرَةُ﴾** ما نافية، والمعنى ما كان للعباد اختيار إنما الاختيار والإرادة لله وحده. فالوقف على قوله ويختار، وقيل إن ما مفعولة بيختار، ومعنى الخيرة على هذا الخير والمصلحة، وهذا يجري على قول المعتزلة، وذلك ضعيف لرفع الخيرة على أنها

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

اسم كان، ولو كانت ما مفعولة: لكان اسم كان مضمرًا يعود على ما؛ وكانت الخيرة منصوبة على أنها خبر كان، وقد اعتذر عن هذا مَن قال إن ما مفعولة بأن يقال تقدير الكلام يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار والمجرور وهذا ضعيف، وقال ابن عطية يتجه أن تكون ما مفعولة إذا قدّرنا كان تامّة، ويوقف على قوله ما كان: أي يختار كل كائن، ويكون **﴿لَهُمُ الْخِيرَةُ﴾** جملة مستأنفة، وهذا بعيد جدًا **﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُم﴾** أي ما تخفيه قلوبهم وعبّر عن القلب بالصدر، لأنه يحتوي عليه **﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾** قيل إن الحمد في الآخرة قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده أو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن، وفي ذكر الأولى مع الآخرة مطابقة **﴿سَرْمَدًا﴾** أي دائمًا، والمراد بالآيات إثبات الوحدانية وإبطال الشرك، فإن قيل كيف قال يأتيكم بضياء، وهلاّ قال يأتيكم بنهار في مقابلة قوله يأتيكم بليل؟ فالجواب أنه ذكر الضياء لجملة ما فيه من المنافع والعِبَر **﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾** أي في الليل **﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾** أي في النهار، ففي الآية لفّ ونشر **﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾** أي أخرجنا من كل أمة شهيدًا منهم يشهد عليهم بأعمالهم وهو نبيهم، لأن كل نبي يشهد على أمته **﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾** أي هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر، وذلك إعذار لهم وتوبيخ وتعجيز **﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى﴾** أي من بني إسرائيل، وكان ابن عم موسى وقيل ابن عمته، وقيل ابن خالته **﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾** أي تكبّر وطغى ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام **﴿وآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾** المفاتح هي التي يفتح بها، وقيل هي الخزائن، والأول أظهر، والعصبة جماعة الرجال من

ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ

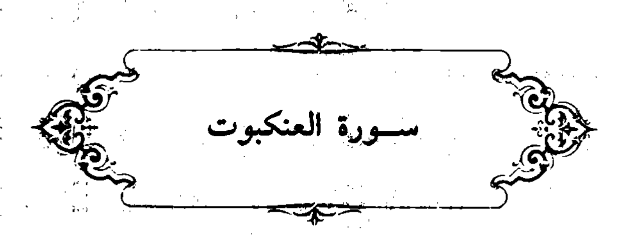
العشرة إلى الأربعين، وتنوء معناه تثقل، يقال ناء به الحمل: إذا أثقله، وقيل معنى تنوء تنهض بتحامل وتكلّف والوجه على هذا أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتح لكنه قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرًا، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول ﴿**لاَ تَفْرَحْ**﴾ الفرح هنا هو الذي يقود إلى الإعجاب والطغيان، ولذلك قال إن الله لا يحب الفرحين، وقيل السرور بالدّنيا، لأنه لا يفرح بها إلاّ مَن غفل عن الآخرة ويدلّ على هذا قوله: ﴿وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم﴾ [الحديد: ٢٣] ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ**﴾ أي اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال، وذلك بفعل الحسنات والصدقات ﴿**وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا**﴾ أي لا تضيع حظك من دنياك وتمتّع بها مع عملك للآخرة، وقيل معناه لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات، فإن حظّ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يعمل فيها من الخير، فالكلام على هذا وعظ، وعلى الأول إباحة للتمتّع بالدنيا لئلا ينفر عن قبول الموعظة ﴿**وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾ أي أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي**﴾ لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الردّ عليهم والروغان عمّا ألزموه من الموعظة، والمعنى أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له بسبب علم عندي استوجبته به واختلف في هذا العلم فقيل إنه علم الكيمياء، وقيل التجارب للأمور والمعرفة بالمكاسب، وقيل حفظه التوراة، وهذا بعيد، لأنه كان كافرًا، وقيل المعنى إنما أُوتيته على علم من الله وتخصيص خصّني به، ثم جعل قوله عندي كما تقول في ظني واعتقادي ﴿**أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ**﴾ هذا ردّ عليه في اغتراره بالدنيا وكثرة جمعه للمال أو جمعه للخدم، والأول أظهر ﴿**وَلاَ يُسأَلُ عَن ذُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ**﴾ في معناه قولان: أحدهما أنه متصل بما قبله، والضمير في ذنوبهم يعود على القرون المتقدمة والمجرمون من بعدهم أي لا يسأل المجرمون عن ذنوب مَن تقدمهم من الأمم الهالكة لأن كل أحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة، والثاني أنه إخبار عن حال المجرمين في الآخرة؛ وأنهم لا يسألون عن ذنوبهم لكونهم يدخلون النار من غير حساب، والصحيح أنهم يحاسبون على ذنوبهم

يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

ويسألون عنها لقوله: ﴿فوَرَبّك لَنَسْأَلَنّهم أجْمَعِين عَمّا كَانُوا يَعْمَلُون﴾ [الحجر: ٩٢] وأن هذا السؤال المنفي السؤال على وجه الاختبار وطلب التعريف، لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه لكن يسألون على وجه التوبيخ، وحيثما ورد في القرآن إثبات السؤال في الآخرة، فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ، وحيثما ورد نفيه فهو على وجه الاستخبار والتعريف، ومنه قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جانّ **﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾** في ثياب حمر، وقيل في عبيده وحاشيته، واللفظ أعمّ من ذلك **﴿وَيْلَكُمْ﴾** زجر للذين تمنّوا مثل حال قارون **﴿وَلاَ يُلَقَّاهَا إلاَّ الصَّابِرُونَ﴾** الضمير عائد على الخصال التي دلّ عليها الكلام المتقدّم، وهي الإيمان والعمل الصالح، وقيل على الكلمة التي قالها الذين أُتوا العلم: أي لا تصدر الكلمة إلاّ عن الصابرين، والصبر هنا إمساك النفس عن الدنيا وزينتها **﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾** رُوِيَ أَن قارون لما بغى على بني إسرائيل وآذى موسى دعا موسى عليه السلام عليه فأوحى الله إليه أن قد أمرت الله أن تطيعك فيه وفي أتباعه، فقال موسى: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب فاستغاثوا بموسى فقال يا أرض خذيهم حتى تمّ بهم الخسف **﴿مَكَانَهُ﴾** أي منزلته في المال والعزّة **﴿بِالأَمْسِ﴾** يحتمل أن يريد به اليوم الذي كان قبل ذلك اليوم أو ما تقدّم من الزمان القريب **﴿وَيكَأَنَّهُ﴾** مذهب سيبويه أن ويّ حرف تنبيه، ثم ذكرت بعدها كأن، والمعنى على هذا أنهم تنبّهوا لخطئهم في قولهم يا ليت لنا مثل ما أُوتي قارون، ثم قالوا كأن الله يبسط الرزق لمَن يشاء ويقدّر: أي ما أشبه الحال بهذا، وقال الكوفيون ويك هو ويلك حذفت منها اللام لكثرة الاستعمال، ثم ذكرت بعدها أن، والمعنى ألم يعلموا أن الله وقيل ويكأن كلمة واحدة معناها ألم تعلم **﴿عُلُوًّا فِي الأَرْضِ﴾** أي تكبّرًا وطغيانًا لا رِفعة المنزلة، فإن إرادتها جائزة.

إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي أنزله عليك وأثبته، وقيل المعنى أعطاك القرآن، والمعنى متقارب، وقيل فرض عليك أحكام القرآن، فهي على حذف مضاف **﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾** المعاد الموضع الذي يعاد إليه، فقيل يعني مكة، والآية نزلت حين الهجرة، ففيها وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها، وقيل يعني الآخرة فمعناها إعلام بالحشر، وقيل يعني الجنة **﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾** أي ما كنت تطمع أن تنال النبوّة، ولا أن ينزل عليك الكتاب ولكن الله رحمك بذلك ورحم الناس بنبوّتك، والاستثناء بمعنى لكن فهو منقطع. ويحتمل أن يكون متصلاً. والمعنى ما أنزل عليك الكتاب إلاّ رحمة من ربك لك ورحمة للناس، ورحمة على هذا مفعول من أجله أو حال، وعلى الأول منصوب على الاستثناء **﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾** يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله، فالمفعول محذوف على هذا تقديره ادع الناس **﴿وَلاَ تَدْعُ﴾** أي لا تعبد **﴿مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ لاَ إِلهَ إِلاّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾** الآية. أي إلاّ إياه والوجه هنا عبارة عن الذات.



سورة العنكبوت

مكيّة إلاّ من آية ١ إلى غاية ١١
فمدنيّة وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا

بِسْم اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿الم﴾ ذكر في البقرة ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوا﴾ نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين منهم عمّار بن ياسر وغيره، وكان كفّار قريش يؤذونهم ويعذّبونهم على الإسلام فضاقت صدورهم بذلك فآنسهم الله بهذه الآية ووعظهم وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطّنوا أنفسهم على الصبر على الأذى والثبوت على الإيمان فأعلمهم الله تعالى أن تلك سيرته في عباده يسلّط الكفّار على المؤمنين ليمحصهم بذلك، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب، ولفظها مع ذلك عامّ، فحكمها على العموم في كل مَن أصابته فتنة من مصيبة أو مضرّة في النفس والمال وغير ذلك، ومعنى حسب ظنّ، وأن يتركوا مفعولها، والهمزة للإنكار وهم لا يفتنون في موضع الحال من الضمير في يتركوا تقديره غير مفتونين، وأن يقولوا: تعليل في موضع المفعول من أجله ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي يعلم صدقهم علمًا ظاهرًا في الوجود، وقد كان علمه في الأزل والصدق والكذب في الآية يعني بهما

سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٰتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ

صحة الإيمان والثبوت عليه، أو ضدّ ذلك **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾** أم معادلة لقوله أحسب الناس، والمراد بالذين يعملون السيئات الكفّار الذين يعذبون المؤمنين، ولفظها مع ذلك عامّ في كل كافر أو عاصٍ، ومعنى يسبقونا يفوتون من عقابنا ويعجزوننا، فمعنى الكلام نفي سبقهم كما أن معنى الآية قبلها نفي ترك المؤمنين بغير فتنة **﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾** الآية: تسلية للمؤمنين، ووعد لهم بالخير في الدار الآخرة، والرجاء هنا على بابه، وقيل هو بمعنى الخوف، وأجل الله هو الموت، ومعنى الآية مَن كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا على المجاهدة في طاعة الله حتى يلقى الله فيجازيه فإن لقاء الله قريب الإتيان وكل ما هو آتٍ قريب **﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾** أي منفعة جهاده فإنما هي لنفسه، فإن الله لا تنفعه طاعة العباد، والجهاد هنا يحتمل أن يراد به القتال، أو جهاد النفس **﴿حُسْنًا﴾** منصوب بفعل مضمر تقديره ووصّينا الإنسان أن يفعل بوالديه حسنًا، أو مصدرًا من معنى وصّينا أي وصية حسنة **﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾** الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص، وأنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظلّ بظلّ حتى يكفر، وقيل نزلت في غيره ممّن جرى له مثل ذلك فأمرهم الله بالثبات على الإسلام وألاّ يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر، وعبّر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾** نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم، فإذا عذّبهم الكفّار رجعوا عن الإيمان، فإذا نصر الله المؤمنين قالوا إنا كنّا معكم، فمعنى أُوذي في الله أُوذي بسبب إيمانه بالله، وفتنة الناس، تعذيبهم وقيل نزلت في عيّاش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأُمه **﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾** أي قال الكفّار للمؤمنين اكفروا كما كفرنا ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان، ورُوِيَ أن

خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة حكاه المهدوي، وقولهم: ﴿**وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ**﴾: جزاء قولهم: ﴿**اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا**﴾، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر للمبالغة ولما كان معنى الخبر صحة تكذيبهم فيه أخبره الله أنهم كاذبون: أي لا يحملون أوزار هؤلاء، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفّار ﴿**فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا**﴾ الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه، ويحتمل أن يكون ذلك من أول ولادته، ورُوِيَ أنه بعث وهو ابن أربعين سنة، وأنه عمّر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فإن قيل: لِمَ قال ألف سنة، ثم قال إلاّ خمسين عامًا، فاختلف اللفظ مع اتّفاق المعنى؟ فالجواب أن ذلك كراهة لتكرار لفظ السّنة، فإن التكرار مكروه إلاّ إذا قصد به تفخيم أو تهويل ﴿**وَجَعَلْنَاهَا آيَةً**﴾ يحتمل أن يعود الضمير على السفينة، أو على النجاة، أو على القصة بكمالها ﴿**وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا**﴾ هو من الخلقة يريد به نحت الأصنام فسمّاه خلقة على وجه التجوّز، وقيل هو من اختلاق الكذب ﴿**لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا**﴾ الآية: احتجاج على الوحدانية ونفي الشركاء، فإن قيل: لِمَ نكّر الرزق أولاً، ثم عرّفه في قوله فابتغوا عن الله الرزق؟ فالجواب: أنه نكّره في قوله لا يملكون لكم رزقًا لقصد العموم في النفي فإن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم ثم عرّفه بعد ذلك لقصد العموم في طلب الرزق كله من الله، لأنه لا يقتضي العموم، في سياق الإثبات إلا مع التعريف فكأنه قال ابتغوا الرزق كله عند الله ﴿**وَإِن تُكَذِّبُوا**﴾ الآية يحتمل أن تكون من كلام إبراهيم أو من كلام الله تعالى، ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفّار وتهديدهم، أو يراد به تسلية النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عن تكذيب قومه له بالتأسّي بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومهم ﴿**أَوَ لَم يَرَوْا كَيفَ يُبْدِىءُ اللَّهُ الْخَلْقَ**﴾ يقال بدأ الله

يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى

الخلق وأبدأه بمعنى واحد، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة، والمعنى أوَ لم يرَ الكفّار أن الله خلق الخلق فيستدلّون بالخلقة الأولى على الإعادة في الحشر، فقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدأ، لأن المعنى فيهما مختلف لأن رؤية البداءة بالمشاهدة، بخلاف الإعادة فإنها تعلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف على الجملة كلها وقد قيل إنه يريد إعادة النبات، وإبدائه، وعلى هذا يكون ثم يعيده عطفًا على يبدىء لاتفاق المعنى، والأول أحسن وأليق بمقاصد الكرم **﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** يعني إعادة الخلق وهي حشرهم ثم أمرهم بالسير في الأرض ليروا مخلوقات الله فيستدلّوا بها على قدرته على حشرهم، ولذلك ختمها بقوله إن الله على كل شيء قدير **﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾** أي ترجعون **﴿وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ﴾** أي لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء **﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾** يحتمل أن يكون يأسهم في الآخرة، أو يكون وصف لحالهم في الدنيا، لأن الكافر يائس من رحمة الله، والمؤمن راجٍ خائف، وهذا الكلام من قوله: **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾**، إلى هنا: يحتمل أن يكون خطابًا لمحمد ﷺ معترضًا بين قصة إبراهيم، ويحتمل أن يكون خطابًا لإبراهيم وبعد ذلك ذكر جواب قومه له **﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾** نصب مودّة على أنها مفعول من أجله أو مفعول ثانٍ لاتخذتم، ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمر أو خبر إن وتكون ما موصولة ونصب بينكم على الظرفية، وخفضه بالإضافة **﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾** تضمن آمن معنى انقاد، ولذلك تعدّى باللام **﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾** القائل لذلك إبراهيم، وقيل لوط، وهاجرا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام **﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾** أكثر الأنبياء

ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ

من ذرّيّة إبراهيم، وعلى ذرّيته أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان **﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾** قيل أراد قطع الطرق للسلب والقتل، وقيل أراد قطع سبيل النسل بترك النساء وإتيان الرجال **﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾** النادي المجلس الذي يجتمع فيه الناس والمنكر فعلهم بالرجال، وقيل إذايتهم للناس **﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾** الرُّسُل هنا الملائكة والبشرى بشارة إبراهيم بالولد وهو قوله: **﴿وَبَشَّرُوه بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾** [الذاريات: ٢٨] أو بشارته بنصر سيدنا لوط والأول أظهر **﴿أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾** يعني قرية سيدنا لوط **﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾** ليس إخبارًا بأنه فيها وإنما قصد نجاة سيدنا لوط من العذاب الذي يصيب أهل القرية وبراءته من الظلم الذي وصفوه به، فكأنه قال: كيف تهلكون أهل القرية وفيها لوط، وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط **﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾** قد ذكر وكذلك سيء بهم **﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾** أي عذابًا **﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ﴾** قيل الرجاء هنا الخوف، وقيل هو على بابه **﴿وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ﴾** يعني نقصهم المكيال والميزان **﴿الرَّجْفَةُ﴾** هي الصيحة **﴿وَقَدْ تَّبَيَّنَ﴾**

وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ

﴿لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ أي آثار مساكنهم باقية تدلّ على ما أصابهم **﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾** قيل معناه لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به، وقيل لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادًا، وقيل معنى مستبصرين عقلاً متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا **﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾** أي لم يفوتونا **﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾** الحاصب الحجارة، والحاصب أيضًا الريح الشديدة، ويحتمل عندي أنه أراد به المعنيين، لأن قوم سيدنا لوط أُهلكوا بالحجارة، وعاد أُهلكوا بالريح، وإن حملناه على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَه يُصَلّون عَلَى النَّبِي﴾ [الأحزاب: ٥٦] ويقوى ذلك هنا لأن المقصود هنا ذكر عموم أخذ أصناف الكفّار **﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾** يعني ثمود ومدين **﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾** يعني قارون **﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾** يعني قوم نوح وفرعون وقومه **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾** شبّه الله الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتًا ضعيفًا، فكان ما اعتمدت عليه العنكبوت في بيتها ليس بشيء فكذلك ما اعتمدت عليه الكفّار من آلهتهم ليس بشيء لأنهم لا ينفعون ولا يضرّون **﴿أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾** أي أضعفها **﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** أي لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم **﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾** ما موصولة بمعنى الذي مفعولة للفعل الذي قبلها وقيل هي نافية، والفعل معلق عنها والمعنى على هذا لستم تدعون من دون الله شيئًا له بال،

ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ

فلا يصلح أن يسمى شيئًا ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ أي بالواجب لا على وجه العبث واللعب ﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ إذا كان المصلّي خاشعًا في صلاته متذكّرًا لعظمة مَن وقف بين يديه حمله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر فكأن الصلاة ناهية عن ذلك ﴿**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ قيل فيه ثلاثة معانٍ: الأول أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسمّاها بذكر الله، لأن ذكر الله أعظم ما فيها، كأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر، لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر: الثاني أن ذكر الله على الدوام أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة لأنها في بعض الأوقات دون بعض: الثالث أن ذكر الله أكبر أجرًا من الصلاة ومن سائر الطاعات، كما ورد في الحديث ألا أُنبئكم بخير أعمالكم، قالوا: بلى، قال: ذكر الله ﴿**وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ أي لا تجادلوا كفّار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين إلاّ بالتي هي أحسن، لا بضرب ولا قتال، وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد، ثم نسخ بالسيف، ومعنى إلاّ الذين ظلموا: أي ظلموكم، وصرّحوا بإذاية نبيّكم محمد ﷺ، وقيل معنى الآية: لا تجادلوا مَن أسلم من أهل الكتاب فيما حدّثوكم به من الأخبار إلاّ بالتي هي أحسن، ومعنى إلاّ الذين ظلموا على هذا مَن بقي منهم على كفره، والمعنى الأول أظهر ﴿**وَقُولُوا آمَنَّا**﴾ هذا وما بعده يقتضي مواعدة ومسالمة، وهي منسوخة بالسيف، ويقتضي أيضًا الإعراض عن مكالمتهم، وفي الحديث: لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنّا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، فإن كان باطلاً لم تصدقوهم، وإن كان حقًا لم تكذبوهم ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ**﴾ أي كما أنزلنا الكتاب على مَن قبلك أنزلناه عليك ﴿**فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**﴾ يعني عبد الله بن سلام وأمثاله ممّن أسلم من اليهود والنصارى ﴿**وَمِنْ هَؤُلاَءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ**﴾ أراد بالذين أُوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل وأراد بقوله من هؤلاء مَن يؤمن به كفّار قريش، وقيل أراد بالذين أُوتوا الكتاب المتقدّمين من أهل التوراة والإنجيل وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد ﷺ منهم كعبد الله بن سلام ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ**﴾ هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله، لأن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء بالقرآن، فإن قيل: ما

ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًاۖ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ

فائدة قوله بيمينك؟ فالجواب أن ذلك تأكيد للكلام، وتصوير للمعنى المراد **﴿إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾** أي لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرّق الشك إلى الكفّار فكانوا يقولون لعله تعلّم هذا الكتاب أو قرأه، وقيل وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أميّ لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفًا للصفة التي وصفه الله بها عندهم، والمذهب الصحيح أن رسول الله ﷺ لم يقرأ قطّ ولا كتب وقال الباجي وغيره: أنه كتب لظاهر حديث الحديبية، وهذا القول ضعيف **﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ﴾** الضمير للقرآن، والإضراب ببل عن كلام محذوف تقديره ليس الأمر كما حسب الظالمون والمبطلون **﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾** المعنى كيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات وأوضحها دلالة على صحة النبوّة فهلاّ اكتفوا به عن طلب الآيات **﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ﴾** ذكر معناه في الرعد وفي الأنعام **﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾** الضمير للكفّار يعني قولهم ائتنا بما تعدنا، وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك **﴿وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُسَمًّى﴾** أي لولا أن الله قدّر لعذابهم أجلاً مسمًّى لجاءهم به حين طلبوه **﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾** يحتمل أن يريد القتل الذي أصابهم يوم بدر أو الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط، أو يريد عذاب الآخرة، وهذا أظهر لقوله: **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾** **﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾** أي يحيط بهم، والعامل في الظرف محذوف، أو محيطة.

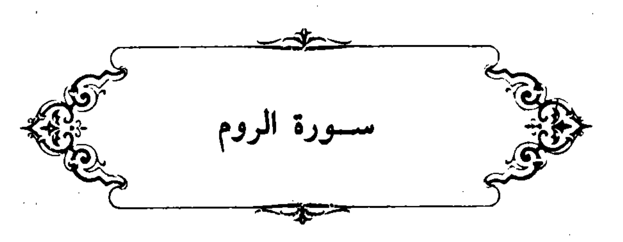
﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ تحريض على الهجرة من مكة إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفّار، وترغيبًا في غيرها من أرض الله فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة، ثم إلى المدينة

ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ أي ننزلهم، وقرىء بالثاء المثلثة من الثوى وهو الإقامة في المنزل **﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾** أي كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين إذ خافوا الفقر والجوع في الهجرة إلى بلاد الناس: أي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾** في الموضعين: إقامة حجة عليهم **﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾** أي كيف يصرفون عن الحق **﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** حمدًا لله على ظهور الحجة، ويكون المعنى إلزامهم أن يحمدوا الله لما اعترفوا أنه خلق السمٰوات والأرض **﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾** إضراب عن كلام محذوف تقديره يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ولكنهم لا يعقلون **﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾** أي الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ الحيوان مصدر كالحياة **﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾** الآية: إقامة حجة عليهم بدعائهم حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء. **﴿لِيَكْفُرُوا﴾** أمر على وجه التهديد أو على وجه الخذلان والتخلية كما تقول لمَن تنصحه فلا يقبل نصحك اعمل ما شئت **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾** الضمير لكفّار قريش، والحرم الآمن: مكة، لأنها كانت لا تُغير عليها العرب كما تُغير على سائر البلاد ولا ينتهك أحد حُرمتها **﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾** عبارة عمّا يصيب غير أهل مكة من القتال أو أخذ الأموال **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾** يعني جهاد النفس من الصبر على إذاية الكفّار واحتمال

لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

الخروج عن الأوطان وغير ذلك، وقيل يعني القتال، وذلك ضعيف، لأن القتال لم يكن مأمورًا به حين نزول الآية ﴿**لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ أي لنوفّقنّهم لسبيل الخير ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ المعنى أنه معهم بإعانته ونصره.



سورة الروم

مكيّة إلاّ آية ١٧ فمدنيّة وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ

بِسْـــم اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ أي هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم، وسُمّيت الروم باسم جدّهم وهو روم بن عيصو بن إسحٰق بن إبراهيم **﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾** قيل هي الجزيرة، وهي بين الشام والعراق وهي أدنى أرض الروم إلى فارس، وقيل في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام **﴿وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾** إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس **﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾** البضع ما بين الثلاث إلى التسع **﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾** رُوِيَ أن غلب الروم فارس وقع يوم بدر، وقيل يوم الحديبية، ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفّار قريش وقيل فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس، لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام، كذلك فرح الكفّار من قريش بنصر الفرس على الروم لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفّار قريش، ورُوِيَ أنه لمّا فرح الكفّار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، فقال إن نبيّنا ﷺ قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون وراهنهم

مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ

على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين وذلك قبل أن يحرّم القمار، فقال له رسول الله ﷺ: «زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل»، فجعل القلاص مائة، والأجل تسعة أعوام وجعل معه أُبيّ بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر به أخذ أبو بكر القلاص من ذرّيّة أُبيّ بن خلف، إذ كان قد مات وجاء بها إلى النبي ﷺ فقال له تصدّق بها **﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾** مصدر مؤكد كقوله له علي ألف درهم عرفًا، لأن معناه اعترفت له بها اعترافاً **﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾** قيل معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم في ذلك مثل البهائم، وقيل الظاهر ما يعلم بأوائل العقول، والباطن ما يعلم بالنظر والدليل، وقيل هو من الظهور بمعنى العلو في الدنيا، وقيل ظاهر بمعنى زائل ذاهب، والأظهر أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها، وانظر كيف نفى العلم عنهم أولاً، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصّة، وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة لاجتماع النفي والإثبات، وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم لقلّة منفعته فهو على هذا بيان للنفي **﴿أَوَ لَم يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾** يحتمل معنيين: أحدهما أن تكون النفس ظرفًا للفكرة في خلق السمٰوات والأرض كأنه قال أَوَ لَم يتفكّروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السمٰوات والأرض إلاّ بالحق، والثاني أن يكون المعنى أَوَ لم يتفكّروا في ذواتهم وخلقتهم ليستدلّوا بذلك على الخالق، ويكون قوله ما خلق الآية: استئناف كلام، والمعنى الأول أظهر **﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ﴾** أي حرثوها **﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوآى﴾** معنى السوآى: هلاك الكفّار، ولفظ السوآى تأنيث الأسوأ: كما أن الحسنى تأنيث الأحسن، وقرىء عاقبة بالرفع على أنه اسم كان، والسوآى خبرها، وقرىء بنصب عاقبة على أنها خبر كان، والسوآى اسمها، و**﴿أَن كَذَّبُوا﴾** مفعول من أجله،

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ

ويحتمل أن تكون السوآى مصدر أساءوا ﴿**يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ**﴾ الإبلاس الكون في شرّ مع اليأس من الخير ﴿**يَتَفرَّقُونَ**﴾ معناه في المنازل والجزاء ﴿**يُحْبَرُونَ**﴾ ينعمون من الحبور وهو السرور والنعيم، وقيل يكرمون ﴿**فَسُبْحَانَ اللَّهِ**﴾ هذا تعليم للعباد أي قولوا سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴿**وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾ أي حين تدخلون في وقت الظهيرة وهي وسط النهار، وقوله: ﴿**وله الحمد في السمٰوات والأرض**﴾: اعتراض بين المعطوفات، وقيل أراد بذلك الصلوات الخمس، فحين تمسون: المغرب والعشاء، وحين تصبحون: الصبح، وعشيًا: العصر، وحين تظهرون: الظهر، ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ**﴾ ذكر في آل عمران ﴿**وَيُحْيِي الأَرْضَ**﴾ أي ينبت فيها النبات ﴿**وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**﴾ أي كما يُخرِج الله النبات من الأرض كذلك يُخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة ﴿**تَنْتَشِرُونَ**﴾ أي تنصرفون في الدنيا ﴿**مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾ أي صنفكم وجنسكم، قيل أراد خلقة حوّاء من ضلع آدم، وخاطب الناس بذلك لأنهم ذرّيّة آدم ﴿**مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ قيل المودّة الجماع، والرحمة الولد، والعموم أحسن وأبلغ ﴿**وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ**﴾ أي لغاتكم ﴿**وَأَلْوَانِكُمْ**﴾ يعني البياض والسواد، وقيل يعني أصنافكم، والأول أظهر ﴿**خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾ ذكر في الرعد ﴿**أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ**﴾

وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ

معناه تثبت أو يقوم تدبيرها **﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾** إذا الأولى شرطية، والثانية فجائية وهي جواب الأولى، والدعوة في هذه الآية قوله للموتى قوموا بالنفخة الثانية في الصور، ومن الأرض يتعلق بقوله مخرجون أو بقوله دعاكم، على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعوّ كقولك دعوتك من الجبل إذا كان المدعو في الجبل **﴿قَانِتُونَ﴾** ذكر في البقرة **﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾** أي الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلقة الأولى، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث، فإن مَن صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثاني مرة، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله، فإن كل شيء على الله يسير **﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾** أي الوصف الأعلى الذي يصفه به أهل السمٰوات والأرض **﴿هَلْ لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ﴾** هذا هو المثل المضروب معناه أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدكم في أموالكم ولا يستوون معكم في أحوالكم، فكذلك الله تعالى لا يشارك عبيده في ملكه، ولا يماثله أحد في ربوبيته، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفي ودخل في النفي قوله: **﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾**: أي لستم في أموالكم سواء مع عبيدكم، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم، لأن العبيد عندكم أقلّ وأذلّ من ذلك **﴿بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم﴾** الإضراب ببل عمّا تضمنه معنى الآية المتقدمة كأنه يقول ليس لهم حجة في إشراكهم بالله بل اتّبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾** هو دين الإسلام، وإقامة الوجه في الموضعين من السورة عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه في قوله أقم، والقيم ضرب من ضروب التجنيس **﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾** منصوب على المصدر: كقوله صبغة الله أو مفعولاً بفعل مضمر تقديره الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله، ومعناه خلقة الله، والمراد به دين الإسلام، لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة، وإنما كفر مَن كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته، كما قال

ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ يعني يخلق الله الفطرة التي خلق الناس عليها من الإيمان، ومعنى أن الله لا يبدلها أي لا يخلق الناس على غيرها ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى، أو يكون المعنى أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدلوها، فالنفي على هذا حكم لا خبر وقيل إنه على الخصوص في المؤمنين أي لا تبديل لفطرة الله في حق مَن قضى الله أنه يثبت على إيمانه، وقيل إنه نهي عن تبديل الخلقة كخصاء الفحول من الحيوان وقطع آذانها وشبه ذلك ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ منصوب على الحال من قوله أقم وجهك لأن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأمته، ولذلك جمعهم في قوله: منيبين، وقيل هو الحال من ضمير الفاعل المستتر في الزموا فطرة الله، وقيل هو حال من قوله فطر الناس وهذا بعيد ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ وما بعده معطوف على أقم وجهك أو على العامل في فطرة الله وهو الزموا المضمر ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ المجرور بدل من المجرور قبله، ومعنى فرّقوا دينهم: جعلوه فرقًا أي اختلفوا فيه، وقرىء: فارقوا من المفارقة أي تركوه، والمراد بالمشركين هنا أصناف الكفّار، وقيل هم المسلمون الذين تفرّقوا فرقًا مختلفة، وفي لفظ المشركين هنا تجوّز بعيد، ولعلّ قائل هذا القول إنما قاله في قول الله في الأنعام [١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم﴾ فإنه ليس هناك ذكر المشركين ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ الآية: إنحاء على المشركين، لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ ذكر في النحل ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ أم هنا منقطعة بمعنى بل، والسلطان الحجّة، وكلامه مجاز كما تقول نطق بكذا، والمعنى ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ إنحاء على مَن يفرح ويبطر إذا أصابه الخير، ويقنط إذا أصابه الشرّ، وانظر كيف قال هنا إذا، وقال في الشرّ إن تصبهم سيئة، لأن إذا للقطع بوقوع الشرط، بخلاف إن فإنها للشك في وقوعه، ففي ذلك

يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ

إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشرّ **﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾** المعنى أن ما يصيب الناس من المصائب، فإنه بسبب ذنوبهم **﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾** يعني صلة رحم القرابة بالإحسان والمودّة، ولو بالكلام الطيب **﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رِّبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾** الآية: معناها كقوله: ﴿يَمحق اللَّهُ الرِّبا ويُربي الصَّدَقات﴾ [البقرة: ٢٧٦] أي ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله، وما آتيتم من الصدقات: فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به، وقيل المراد أن يهب الرجل الرجل أو يهدي له ليعوّض له أكثر من ذلك فهذا وإن كان جائزًا فإنه لا ثواب به وقرىء **﴿وَمَا آتَيتَمْ﴾** بالمدّ بمعنى أعطيتم، وبالقصر يعني جئتم أي فعلتموه، وقرىء لتربوا بالتاء المضمومة وليربوا بالياء مفتوحة ونصب الواو **﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾** المضعف ذو الإضعاف من الحسنات، وفي هذه الجملة التفات لخروجه من الغيبة إلى الخطاب، وكان الأصل أن يقال وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون، وفيه أيضًا حذف، لأنه لا بدّ من ضمير يرجع إلى ما، وتقديره المضعفون به أو فمؤتوه هم المضعفون **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾** قيل البرّ البلاد البعيدة من البحر، والبحر هو البلاد التي على ساحل البحر، وقيل البرّ اللسان والبحر القلب وهذا ضعيف، والصحيح أن البر والبحر المعروفان، فظهور الفساد في البر بالقحط والفتن وشبه ذلك، وظهور الفساد في البحر بالغرق وقلّة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان **﴿لاَّ مَرَدَّ لَهُ﴾** أي لا رجوع له ولا بدّ من وقوعه **﴿مِنَ اللَّهِ﴾** يتعلق بقوله يأتي أو بقوله لا مردّ له أي لا يردّه الله **﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾** من الصدع وهو الفرقة أي يتفرقون: فريق في الجنة، وفريق في السعير **﴿فَلأَنفُسِهِم يَمْهَدُونَ﴾** أي يوطنون وهو استعارة

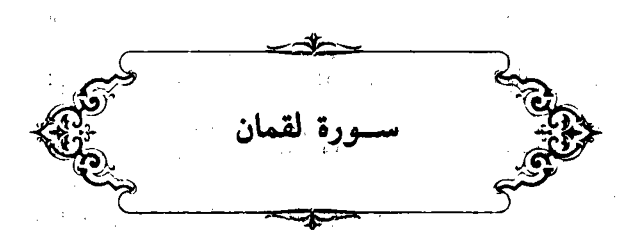
عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ

من تمهيد الفراش ونحوه، والمعنى أنهم يعملون ما ينتفعون به في الآخرة ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعلق بيمهدون أو يصدعون، أو بمحذوف ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ أي تبشر بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ عطف على مبشرات كأنه قال ليبشركم وليذيقكم ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره ليذيقكم ﴿مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ أرسلها ﴿وَكَانَ حَقًّا﴾ انتصب حقًا لأنه خبر كان واسمها نصر المؤمنين، وقيل اسمها مضمر يعود على مصدر انتقمنا: أي وكان الانتقام حقًّا، فعلى هذا يوقف على حقًّا ويكون نصر المؤمنين مبتدأ وهذا ضعيف.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي تحرّكها وتنشرها ﴿كِسَفًا﴾ أي قطعًا، وقرىء بإسكان السين وهما بناءان للجمع، وقيل معنى الإسكان أن السحاب قطعة واحدة ﴿الْوَدْقَ﴾ هو المطر ﴿مِنْ خِلالِهِ﴾ الخلال الشقاق الذي بين بعضه وبعض لأنه متخلّل الأجزاء والضمير يعود على السحاب ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ كرّر للتأكيد وليفيد سرعة تقلّب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي قانطين كقوله ﴿ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ [الروم: ٥١] ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ الضمير للنبات الذي ينبته الله بالمطر، والمعنى لئن أرسل الله ريحًا فاصفرّ به النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله، وقيل الضمير للريح، وقيل للسحاب والأول أحسن في المعنى ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ الآية: استعارة في عدم سماع الكفّار للمواعظ والبراهين، فشبّه الكفّار بالموتى في عدم إحساسهم ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ الضعف الأول

جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

كون الإنسان من ماء مهين، وكونه ضعيف في حال الطفولية، والضعف الثاني الأخير الهرم، وقرىء بفتح الضاد وضمّها وهما لغتان **﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾** هذا جواب القسم، ومعناه أنهم يحلفون أنهم ما لبثوا في القبور تحت التراب إلاّ ساعة أي ما لبثوا في الدنيا إلاّ ساعة، وذلك لاستقصار تلك المدّة **﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾** أي مثل هذا الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الصدق والتحقيق حتى يروا الأشياء على ما هي عليه **﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ﴾** هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ردّوا مقالة الكفّار التي حلفوا عليها **﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾** يعني اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله لبثتم، وقيل يعني القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله أُوتوا العلم، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره على هذا قال الذين أُوتوا العلم في كتاب الله أي العلماء بكتاب الله وقولهم لقد لبثتم: خطاب للكفّار، وقولهم فهذا يوم البعث: تقرير لهم، وهو في المعنى جواب الشرط مقدّر تقديره إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث **﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾** من العتبى بمعنى الرضا: أي ولا يرضون وليست استفعل هنا للطلب **﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾** يعني ما وعد من النصر على الكفّار **﴿وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾** من الخفّة: أي لا تضطرب لكلامهم.



سورة لقمان

مكية إلا الآيات ٢٧ و٢٨ و٢٩
فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصّافّات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿**الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾ ذكر في يونس ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ**﴾ هو الغناء، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «شراء المغنيات وبيعهنّ حرام»، وقرأ هذه الآية، وقيل نزلت في قرشي اشترى جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله ﷺ، فالشراء على هذا حقيقة، وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان قد تعلّم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث، وشراء لهو الحديث استحبابه وسماعه، فالشراء على هذا مجاز، وقيل لهو الحديث: الطبل، وقيل الشرك، ومعنى اللفظ يعمّ ذلك كله، وظاهر الآية أنه لهو مضاف إلى الكفر بالدين واستخفاف، لقوله تعالى: ﴿**لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ الآية، وأن المراد شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف ﴿**بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾ ذكر في الرعد ﴿**أَن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ أي لئلا تميد بكم ﴿**لُقْمَانَ**﴾ رجل ينطق بالحكمة واختلف هل هو نبيّ أم لا؟ وفي الحديث لم يكن لقمان نبيًّا، ولكن كان عبدًا حسن اليقين أحبّ الله فأحبّه، فمنّ عليه

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا

بالحكمة، رُوِيَ أنه كان ابن أُخت أيوب أو ابن خالته، ورُوِيَ أنه كان قاضي بني إسرائيل، واختلف في صناعته، فقيل كان نجّارًا، وقيل خيّاطًا، وقيل راعي غنم، وكان ابنه كافرًا فما زال يوصيه حتى أسلم، ورُوِيَ أن اسم ابنه ثاران **﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ﴾** هذه الآية والتي بعدها اعتراض في أثناء وصيّة لقمان لابنه على وجه التأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله، ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمه حسبما ذكرنا في العنكبوت **﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾** أي ضعفًا على ضعف، لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفًا، وانتصاب وهنًا بفعل مضمر تقديره تهن وهنًا **﴿وَفِصَالُهُ﴾** أي فطامه، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع **﴿أَنِ اشْكُرْ﴾** تفسير للوصية واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله: **﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾** ليبيّن ما تكابده الأم بالولد مما يوجب عظيم حقها، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب **﴿يَا بُنَيَّ﴾** الآية: رجع إلى كلام لقمان، والتقدير: وقال لقمان يا بنيَّ **﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾** أي وزنها، والمراد بذلك أن الله يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد فعبّر بحبة الخردل ليدلّ على ما هو أكثر **﴿فِي صَخْرَةٍ﴾** قيل المراد الصخرة التي عليها الأرض، وهذا ضعيف، وإنما معنى الكلام أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ولو

ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ

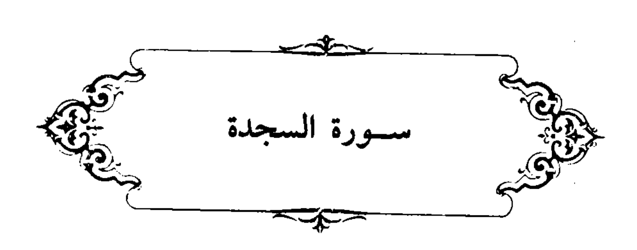
كانت في أخفى موضع كجوف صخرة، فإن الله يأتي بها يوم القيامة وكذلك لو كانت في السمٰوات أو في الأرض ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**﴾ أمر بالصبر على المصائب عمومًا، وقيل المعنى ما يصيب مَن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ﴿**مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ يحتمل أن يريد مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب أو من مكارم الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجدّ ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول أي من معزومات الأمور ﴿**وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**﴾ الصعر في اللغة الميل أي لا تولّ الناس خدّك وتعرض عنهم تكبّرًا عليهم ﴿**مَرَحًا**﴾ ذكر في الإسراء ﴿**مُخْتَالٍ**﴾ من الخيلاء ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾ أي إعتدل فيه ولا تتسرّع إسراعًا يدلّ على البطش والخفّة، ولا تبطىء إبطاءً يدلّ على الفخر والكبر ﴿**نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾ الظاهرة الصحة والمال وغير ذلك، والباطنة النِّعَم التي لا يطّلع عليها الناس ومنها ستر القبيح من الأعمال، وقيل الظاهرة نِعَم الدنيا، والباطنة نِعَم العقبى، واللفظ أعمّ من ذلك كله ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ**﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله ﴿**أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ**﴾ يسلم أي يخلص أو يستسلم أو ينقاد، والوجه هنا عبارة عن القصد ﴿**بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ ذكر في البقرة ﴿**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ وما بعده ذكر في العنكبوت ﴿**وَلَوْ**

أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ

أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ﴾ الآية إخبار بكثرة كلمات الله والمراد اتّساع علمه ومعنى الآية أن شجر الأرض لو كانت أقلامًا، والبحر لو كان مِدادًا يصبّ فيه سبعة أبحر صبًّا دائمًا وكتبت بذلك كلمات الله لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفد كلمات الله، لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله غير متناهية، فإن قيل: لِمَ لم يقل والبحر مدادًا كما قال في الكهف قل لو كان البحر مِداداً؟ فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله يمدّه لأنه من قولك مدّ الدّواة وأمدّها، فإن قيل لِمَ قال من شجرة ولم يقل من شجر باسم الجنس الذي يقتضي العموم؟ فالجواب أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة شجرة حتى لا يبقى منها واحدة، فإن قيل: لِمَ قال كلمات الله ولم يقل كَلِمَ الله بجمع الكثرة؟ فالجواب أن هذا أبلغ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنه جمع قلّة، فكيف ينفد الجمع الكثير ورُوِيَ أن سبب الآية أن اليهود قالوا قد أُوتينا التوراة وفيها العلم كله فنزلت الآية لتدلّ أن ما عندهم قليل من كثير، والآية على هذا مدنية، وقيل إن سببها أن قريشًا قالوا إن القرآن سينفد **﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** بيان لقدرة الله على بعث الناس وردّ على مَن استبعد ذلك **﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾** أي يُدخِل كُلاً منهما في الآخر بما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل **﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾** يعني يوم القيامة **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾** يحتمل أن تكون الباء سببية، أو يكون المعنى ذلك بأن الله شاهد هو الحق **﴿بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾** يحتمل أن يريد بذلك ما تحمله السفن من الطعام والتجارات والباء للإلصاق أو للمصاحبة، أو يريد الريح فتكون الباء سببية **﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** مبالغة في صابر وشاكر **﴿كَالظُّلَلِ﴾** جمع ظلة وهو ما يعلوك من فوق شبه الموج بذلك إذا ارتفع وعظم حتى علا فوق الإنسان **﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾** المقتصد المتوسط في الأمر، فيحتمل أن يريد كافرًا متوسطًا في كفره لم يسرف فيه أو مؤمنًا متوسطًا في إيمانه، لأن الإخلاص الذي

بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾

عليه في البحر كان يزول عنه وقيل معنى مقتصد مؤمن ثبت في البرّ على ما عاهد الله عليه في البحر ﴿**خَتَّارٍ**﴾ أي غدّار شديد الغدر، وذلك أنه جحد نعمة الله غدرًا ﴿**لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ**﴾ أي لا يقضي عنه شيئًا، والمعنى أنه لا ينفعه ولا يدفع عنه مضرّة ﴿**وَلاَ مَوْلُودٌ**﴾ أي ولد فكما لا يقدر الوالد لولده على شيء كذلك لا يقدر الولد لوالده على شيء ﴿**الْغَرُورُ**﴾ الشيطان وقيل الأمل والتسويف ﴿**عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ أي متى تكون، فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه، ولذلك جاء في الحديث: مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية ﴿**مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا**﴾ يعني من خير أو شرّ أو مال أو ولد أو غير ذلك.



سورة السجدة

مكيّة إلا من آية ١٦ إلى غاية ٢٠
فمدنيّة وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿**تَنزِيلُ الْكِتَابِ**﴾ يعني القرآن ﴿**لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾ أيْ لا شك أنه من عند الله عزّ وجل، ونفي الريب على اعتقاد أهل الحق وعلى ما هو الأمر في نفسه لا على اعتقاد أهل الباطل ﴿**مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ يتعلق بتنزيل ﴿**أَمْ يَقُولُونَ**﴾ الضمير لقريش وأم بمعنى بل والهمزة ﴿**لِتُنذِرَ**﴾ يتعلق بما قبله أو بمحذوف ﴿**مَا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ**﴾ يعني من الفترة من زمن عيسى وقد جاء الرُّسُل قبل ذلك إبراهيم وغيره، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولاً ينذرهم ليقيم الحجة عليهم ﴿**اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ قد ذكر في الأعراف ﴿**مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ**﴾ نفي الشفاعة على وجهين أحدهما الشفاعة للكفّار وهي معدومة على الإطلاق، والآخر: أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلاّ بإذن الله كقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إلاّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣] ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ**﴾ أي واحد الأمور، وقيل المأمور به من الطاعات، والأول أصح ﴿**مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**﴾ أي ينزل ما دبّره وقضاه من السماء إلى الأرض

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس المعنى ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عالم فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء، وقيل إن الله يُلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر وهو يوم من أيام الله، فإذا فرغت ألقى إليهم مثلها، فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدّة، ثم تصير إليه آخرًا لأن عاقبة الأمور إليه، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾** الغيب ما غاب عن المخلوقين، والشهادة ما شاهدوه **﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾** أي أتقن جميع المخلوقات، وقرىء بإسكان اللام على البدل **﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾** يعني آدم عليه السلام **﴿نَسْلَهُ﴾** يعني ذرّيته **﴿مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾** يعني المنيّ، والسلالة مشتقة من سلّ يسلّ، فكأن الماء يسلّ من الإنسان، والمهين الضعيف **﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾** أي قوّمه **﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾** عبارة عن إيجاد الحياة فيه، وأُضيفت الروح إلى الله إضافة ملك إلى ملك، وقد يراد بها الاختصاص، لأن الروح لا يعلم كنهه إلاّ الله **﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾** أي تلفنا وصرنا ترابًا، ومعنى هذا الكلام المحكيّ عن الكفّار استبعاد البعث، والعامل في إذا معنى قولهم: **﴿أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾** تقديره نبعث **﴿يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾** اسمه عزرائيل وتحت يده ملائكة **﴿وَلَوْ تَرَى﴾** يحتمل أن تكون لو للتمني وتأويله في حق الله كتأويل الترجّي، وقد ذكر، أو تكون للامتناع وجوابها محذوف تقديره ولو ترى حال المجرمين في الآخرة لرأيت أمرًا مهولاً **﴿نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ﴾** عبارة عن الذلّ والغمّ والندم **﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾** تقديره يقولون ربّنا

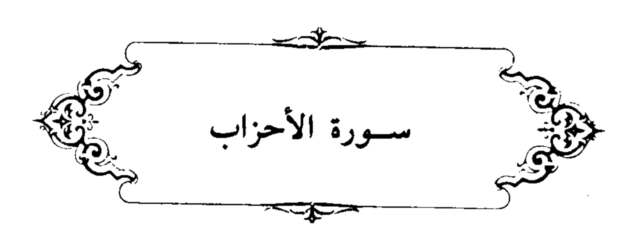
نَفْسٍ هُدَنٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ

قد علمنا الحقائق ﴿**لَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾ يعني أنه لو أراد أن يهدي جميع الخلائق لفعل، فإنه قادر على ذلك بأن يجعل الإيمان في قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات، ولكن يضلّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء ﴿**فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ**﴾ أي يقال لهم ذوقوا، والنسيان هنا بمعنى الترك ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عن المضاجع**﴾ أي ترتفع والمعنى يتركون مضاجعهم بالليل من كثرة صلاتهم النوافل، ومَن صلّى العشاء والصبح في جماعة فقد أخذ بحظه من هذا ﴿**فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ يعني أنه لا يعلم أحد مقدار ما يعطيهم الله من النَّعيم وقرىء أخفى بإسكان الياء على أن يكون فعل المتكلم وهو الله تعالى ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا**﴾ الآية: يعني المؤمنين والفاسقين على العموم، وقيل يعني عليّ بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ﴿**ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾ الذي نعت بالعذاب، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكور في قوله به، فإن قيل: لِمَ وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير، ووصف في سبأ النار وأعاد عليها الضمير، وقال عذاب النار التي كنتم بها تكذبون؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أنه خصّ العذاب في السجدة بالوصف اعتناء به لما تكرر ذكره في قوله ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر، والثاني أنه قدّم في السجدة ذكر النار، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير، لكنه جعل الظاهر مكان المضمر فكما لا يوصف المضمر لم يوصف ما قام مقامه وهو النار، ووصف العذاب ولم يصف النار، الثالث وهو الأقوى أنه امتنع في السجدة وصف النار فوصف العذاب، وإنما امتنع وصفها لتقدّم ذكرها، فإنك إذا ذكرت شيئًا ثم كرّرت ذكره لم يجز وصفه، كقولك رأيت رجلاً فأكرمت الرجل، فلا يجوز وصفه لئلا يُفهَم أنه غيره ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ**

ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿الْعَذَابِ الأَدْنَى﴾ يعني الجوع ومصائب الدنيا وقيل القتل يوم بدر، وقيل عذاب القبر وهذا بعيد لقوله: **﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** **﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾** هذا وعيد لمَن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها، وكان الأصل أن يقول إنّا منه منتقمون، ولكنه وضع المجرمين موضع المضمر ليصفهم بالإجرام، وقدّم المجرور على منتقمون للمبالغة **﴿فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾** المرية الشك، والضمير لموسى: أي لا تمترِ في لقائك موسى ليلة الإسراء وقيل المعنى لا تشك في لقاء موسى والكتاب الذي أُنزل عليه، والكتاب على هذا التوراة، وقيل الكتاب هنا جنس، والمعنى: لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت في لقائك الكتاب الذي أُنزل عليك، وعبّر باللقاء عن إنزال الكتاب كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقِّي الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٦].

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق، وقيل لبني إسرائيل خاصة **﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾** ذكر في طه **﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾** الضمير في يمشون لأهل مكة: أي يمشون في مساكن القوم المهلكين: كقوله: ﴿وقَدْ تَبيّن لَكُم مِن مسَاكِنِهِم﴾ [طه: ١٢٨] وقيل الضمير للمهلكين: أي أهلكناهم وهم يمشون في مساكنهم، والأول أحسن، لأن فيه حجة على أهل مكة **﴿الأَرْضِ الْجُرُزِ﴾** يعني التي لا نبات فيها من شدّة العطش **﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾** أي الحكم بين المسلمين والكفّار في الآخرة، وقيل يعني فتح مكة، وهذا بعيد لقوله: **﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾** وذلك في الآخرة، وقيل يعني فتح مكة، لأن مَن آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه **﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾** منسوخ بالسيف **﴿وَانْتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾** أي انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون هلاكك، وفي هذا تهديد لهم.



سورة الأحزاب

مدنية وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ

بِسْم اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**﴾ نداء فيه تكريم له، لأنه ناداه بالنبوّة، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم ﴿**اتَّقِ اللَّهَ**﴾ أي دُمْ على التقوى وزد منها ﴿**وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾ أي لا تقبل أقوالهم وإنِ أظهروا أنها نصيحة، ويعني بالكافرين المُظهِرين للكفر وبالمنافقين الذين يُظهِرون الإسلام ويخفون الكفر ورُوِيَ أن الكافرين هنا: أُبيّ بن خلف، والمنافقين هنا: عبد الله بن أُبيّ ابن سلّول، والعموم أظهر ﴿**مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ قال ابن عباس، كان في قريش رجل يقال له ذو القلبين لشدّه فهمه، فنزلت الآية نفيًا لذلك، ويقال إنه ابن أخطا، وقيل جميل بن معمر، وقيل إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي أي كما لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أُمّهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم ﴿**اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنهُنَّ**﴾ أي تقولون للزوجة: أنت عليّ كظهر أُمي، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم ويأتي حكمه في المجادلة وإنما تعدّى هذا

وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ

الفعل بمن لأنه يتضمن معنى يتباعدون منهنّ ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ**﴾ الأدعياء جمع دعيّ، وهو الذي يدّعي ولد فلان وليس بولده، وسببها أمر زيد بن حارثة: وذلك أنه كان فتى من كلب فسباه بعض العرب وباعه من خديجة فوهبته للنبي ﷺ فتبنّاه؛ فكان يقال له زيد بن محمد حتى أنزلت هذه الآية ﴿**ذَالِكُمْ قَوْلُكُم**﴾ الإشارة إلى نسبة الدعي إلى غير أبيه، أو إلى كل ما تقدّم من المنفيّات، وقوله: ﴿**بِأَفْوَاهِكُمْ**﴾ تأكيد لبطلان القول ﴿**ادْعُوهُمْ لآبَائِهِم**﴾ الضمير للأدعياء أي انسبوهم لآبائهم الذين ولدوهم ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ يقتضي أن يحبّوه صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أكثر مما يحبّون أنفسهم وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم ﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ جعل الله تعالى لأزواج النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم حُرمة الأمهات في تحريم نكاحهنّ ووجوب مبرّتهنّ، ولكن أوجب حجبهنّ عن الرجال ﴿**وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ**﴾ هذا نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بأُخوّة الإسلام، وبالهجرة وقد تكلمنا عليها في الأنفال ﴿**فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ يحتمل أن يريد القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ يحتمل أن يكون بيانًا لأُولي الأرحام أو يتعلق بأُولي: أي أُولو الأرحام أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوي أرحام ﴿**إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا**﴾ يريد الإحسان إلى الأولياء الذين ليسوا بقرابة ونفعهم في الحياة، والوصية لهم عند الموت، فذلك جائز ومندوب إليه، وإن لم يكونوا قرابة، وأما الميراث فللقرابة خاصة، واختلف هل يعني بالأولياء المؤمنين خاصّة أو المؤمنين والكافرين ﴿**فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**﴾ يعني القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ**﴾ هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع، وقيل هو الميثاق الذي أخذه حين أخرج بني آدم من صلب آدم كالذرّ، والأول أرجح لأنه هو المختصّ بالأنبياء ﴿**وَمِنكَ**

وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا

وَمِن نُّوحٍ﴾ قد دخل هؤلاء في جملة النبيّين ولكنه خصّهم بالذكر تشريفًا لهم، وقدّم محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم تفضيلاً له **﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾** يعني الميثاق المذكور، وإنما كرّره تأكيدًا وليصفه بأنه غليظ أو وثيق ثابت يجب الوفاء به **﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾** اللام تحتمل أن تكون لام كي أو لام الصيرورة، والصدق هنا يحتمل أن يكون الصدق في الأقوال أو الصدق في الأفعال والعزائم ويحتمل أن يريد بالصادقين الأنبياء وغيرهم من المؤمنين **﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾** هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق، والجنود المذكورة هم قريش ومَن كان معهم من الكفّار، وسمّاهم الله في هذه السورة الأحزاب وكانوا نحو عشرة آلاف حاصروا المدينة وحفر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الخندق حولها ليمنعهم من دخولها **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾** أرسل الله عليهم ريح الصبا فأطفأت نيرانهم وأكفأت قدورهم ولم يمكنهم معها قرار فانصرفوا خائبين **﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾** يعني الملائكة **﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾** أي حصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها، وقيل معنى من فوقكم أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة ومن أسفل منكم أهل مكة وسائر تهامة **﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾** أي مالت عن مواضعها وذلك عبارة عن شدّة الخوف **﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾** جمع حنجرة وهي الحلق وبلوغ القلب إليها مجاز، وهو عبارة عن شدّة الخوف، وقيل بل هي حقيقة لأن الرئة تنتفخ من شدّة الخوف فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة **﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾** أي تظنون أن الكفّار يغلبونكم وقد وعدكم الله بالنصر عليهم، فأما المنافقون فظنّوا ظنّ السوء وصرّحوا به، وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خطرة مما لا يمكن البشر دفعها ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله، وقرأ نافع: الظنونا، والرسولا، والسبيلا، بالألف في الوصل وفي الوقف، وقرىء بإسقاطها في الوصل والوقف، وبإثباتها في الوقف دون الوصل فأما إسقاطها فهو الأصل وأما إثباتها فلتعديل رؤوس الآي لأنها كالقوافي، وتقتضي هذه العلّة أن تثبت في الوقف خاصّة، وأما مَن أثبتها في الحالين، فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف **﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ**

وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي اختبروا أو أصابهم بلاء، والعامل في الظرف ابتلى وقيل ما قبله **﴿وَزُلْزِلُوا﴾** أصل الزلزلة شدّة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب **﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾** رُوِيَ أنه معتب بن قشير **﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ﴾** قال السهيلي الطائفة تقع على الواحد فما فوقه والمراد هنا أوس بن قبطي **﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾** يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التي المدينة في طرف منها، ومقام اسم موضع من القيام أي لا قرار لكم هنا يعنون موضع القتال وقرىء بالضم وهو اسم موضع من الإقامة وقولهم فارجعوا أي إلى منازلكم بالمدينة ودعوا القتال **﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾** أي يستأذنوه في الانصراف والمستأذن أوس بن قبطي وعشيرته وقيل بنو حارثة **﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾** أي منكشفة للعدوّ وقيل خالية للسراق فكذّبهم الله في ذلك **﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عليهم مِن أَقْطَارِهَا﴾** أي لو دخلت عليهم المدينة من جهاتها **﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾** يريد بالفتنة الكفر أو قتال المسلمين **﴿لآتَوْهَا﴾** قرىء بالقصر بمعنى جاؤوا إليها وبالمدّ بمعنى أعطوها من أنفسهم **﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾** الضمير للمدينة **﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾** دخلت قد على الفعل المضارع بمعنى التهديد وقيل للتعليل على وجه التهكّم **﴿الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾** أي الذين يعوقون الناس عن الجهاد ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم **﴿وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾** هم المنافقون الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد وكانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقون مثلهم هلمّ إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك القتال، وقد ذكر هلمّ في الأنعام **﴿وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾** البأس القتال، وقليلاً صفة لمصدر محذوف تقديره إلاّ إتيانًا قليلاً، أو مستثنى من فاعل يأتون: أي إلاّ قليلاً منهم **﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾** أشحة جمع شحيح بوزن فعيل معناه يشحّون بأنفسهم فلا يقاتلون، وقيل يشحّون بأموالهم، وقيل معناه أشحّة عليكم وقت الحرب أي يشفقون أن يقتلوا ونصب أشحة على

يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

الحال من القائلين، أو على المعوقين، أو من الضمير في يأتون، أو نصب على الذمّ ﴿**فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيكَ**﴾ أي إذا اشتدّ الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة ولاذوا بك من شدة خوفهم ﴿**تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**﴾ عبارة عن شدّة خوفهم ﴿**فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ**﴾ السلق بالألسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره، ومعنى حداد فصحاء قادرين على الكلام وإذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذايتكم بالسبّ وتنقيص الشريعة، وقيل إذا غنمتم طلبوا من الغنائم ﴿**أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ**﴾ أي يشحّون بفعل الخير وقيل يشحّون بالمغانم، وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في سلقوكم ﴿**لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُم**﴾ ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها، وإنما المعنى أنها لم تقبل لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال، وقيل إنهم نافقوا بعد أن آمنوا، فالإحباط على هذا حقيقة ﴿**يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا**﴾ الأحزاب هنا هم كفّار قريش ومَن معهم، فالمعنى أن المنافقين من شدّة جزعهم يظنون أن الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة وهم قد انصرفوا ﴿**وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ**﴾ معنى يودّوا يتمنّوا، وبادون خارجون في البادية والأعراب هم أهل البوادي من العرب فمعنى الآية أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنى هؤلاء المنافقون من شدّة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب وأن لا يكونوا في المدينة بل غائبين عنها يسألون مَن ورد عليهم عن أنبائكم ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الأهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ أي قدوة تقتدون به ﷺ في اليقين والصبر وسائر الفضائل، وقرىء أُسوة بضمّ الهمزة والمعنى واحد ﴿**هَذا مَا وَعَدَنا اللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾ قيل إن هذا الوعد ما أعلمهم رسول الله ﷺ حين أمر بحفر الخندق من أن الكفّار ينزلون، وأنهم ينصرفون خائبين، وقيل إنه قول الله تعالى: ﴿أَم حَسِبتُم أنْ تَدخُلُوا الجَنَّةَ ولَمّا يَأْتِكم مَثَل الّذِينَ خَلوا من قَبْلِكم مَسّتْهم البَأْساءُ والضَّرّاءُ﴾

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ

[البقرة: ٢١٤] الآية، فعلموا أنهم يبتلون ثم ينصرون ﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ**﴾ يعني قتل شهيدًا قال أنس بن مالك يعني عمّي أنس بن النضر، وقيل يعني حمزة بن عبد المطّلب، وقضاء النحب عبارة عن الموت عند ابن عباس وغيره، وقيل قضى نحبه: وفى العهد الذي عاهد الله عليه، ويدلّ على هذا ما ورد أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «طلحة ممّن قضى نحبه» وهو لم يقتل حينئذ ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ**﴾ المفعول محذوف: أي ينتظر أن يقضي نحبه، أو ينتظر الشهادة في سبيل الله على قول ابن عباس، أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر ﴿**وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ**﴾ الصياصي هي الحصون، ونزلت الآية في يهود بني قريظة، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله ﷺ فنقضوا عهده وصاروا مع قريش فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله بني قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بأن يقتل رجالهم ويسبي نساؤهم وذرّيّتهم ﴿**فَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾ يعني الرجال وقتل منهم يرمئذ كل مَن أنبت وكانوا بين ثمانمائة أو تسعمائة ﴿**وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا**﴾ يعني النساء والذرّيّة ﴿**أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ**﴾ يعني أرض بني قريظة قسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ﴿**وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا**﴾ هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطؤوها حينئذ وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المشرق والمغرب، ويحتمل عندي أن يريد أرض بني قريظة، لأنه قال أورثكم بالفعل الماضي وهي التي كانوا أخذوها حينئذ، وأما غيرها من الأرضين، فإنما أخذها بعد ذلك فلو أرادها لقال يورثكم إنما كرّرها بالعطف ليصفها بقوله لم تطؤها: أي لم تدخلوها قبل ذلك.

﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا**﴾ الآية: سببها أن أزواج رسول الله ﷺ تغايرن حتى غمّه ذلك وقيل طلبن منه الملابس ونفقات كثيرة، وكان

ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ

أزواجه يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهنّ عائشة بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسودة بنت زمعة، وأُم حبيبة بنت أبي سفيان، وأُمّ سلمة بنت أبي أُميّة، وأربع من غير قريش وهم ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفيّة بنت حييّ من بني إسرائيل وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق **﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾** أصل تعالَ أن يقوله مَن كان في موضع مرتفع لمن في موضع منخفض ثم استعملت بمعنى أقبل في جميع الأمكنة؛ وأُمتّعكنّ من المتعة وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلّقت والسّراح الطلاق، فمعنى الآية أن الله أمر رسوله ﷺ أن يخيّر نساءه بين الطلاق والمتعة إن أرادوا زينة الدنيا، وبين البقاء في عصمته إن أرادوا الآخرة، فبدأ ﷺ بعائشة: فاختارت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرهنّ في ذلك، فلم يقع طلاق، وقالت عائشة: خيّرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ولم يُعدّ ذلك طلاقًا، وإذا اختارت المخيّرة الطلاق: فمذهب مالك أنه ثلاث وقيل طلقة بائنة، وقيل طلقة رجعية ووصف السّراح بالجميل: يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث، أو يريد أنه ثلاث، وجماله حُسْن الرّعي والثناء وحفظ العهد **﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ﴾** من للبيان لا للتبعيض، لأن جميعهنّ محسنات **﴿بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَة﴾** قيل يعني الزنا، وقيل يعني عصيان زوجهنّ عليه الصلاة والسلام، أو تكليفه ما يشقّ عليه، وقيل عموم في المعاصي **﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾** أي يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين، وإنما ذلك لعلوّ رتبتهنّ، لأن كل أحد يطالب على مقدار حاله، وقرىء يضاعف بالياء ورفع العذاب على البناء للمفعول وبالنون ونصب العذاب على البناء للفاعل **﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** قرىء بالياء حملاً على لفظ من وبالتاء حملاً على المعنى، وكذلك تعمل، والقنوت هنا بمعنى الطاعة **﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾** أي يضاعف لها ثواب الحسنات **﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾** يعني الجنة، وقيل في الدنيا، والأوّل هو الصحيح **﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾** فضّلهنّ الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهنّ التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء، إلاّ

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ﴾

يُخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله ﷺ ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهنّ بأنها سيدة نساء عالمها **﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾** نهى عن الكلام اللين الذي يعجب الرجال ويميلهنّ إلى النساء **﴿فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾** أي فجور وميل للنساء، وقيل هو النفاق، وهذا بعيد في هذا الموضع **﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾** هو الصواب من الكلام أو الذي ليس فيه شيء مما نهى عنه **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾** قرىء بكسر القاف، ويحتمل وجهين: أن يكون من الوقار أو من القرار في الموضع، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في ظلت، وأما القراءة بالفتح فمن القرار في الموضع على لغة مَن يقول قررت بالكسر أقرّ بالفتح، والمشهور في اللغة عكس ذلك، وقيل هي من قار يقار إذا اجتمع ومعنى القرار أرجح، لأن سودة رضي الله عنها قيل لها لِمَ لا تخرجين فقالت أمرنا الله بأن نقرّ في بيوتنا، وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمر: إن الله أمرك أن تقرّي في بيتك **﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ﴾** التبرّج الزينة **﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾** أي مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف والتعرّض للنظر، وجعلها أولى بالنظر إلى حال الإسلام، وقيل الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح، وقيل ما بين موسى وعيسى **﴿الرِّجْسَ﴾** أصله النجس، والمراد به هنا النقائص والعيوب **﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾** منادى أو منصوب على التخصيص، وأهل بيت النبي ﷺ: هم أزواجه وذرّيّته وأقاربه كالعباس وعليّ وكل مَن حرمت عليه الصدقة، وقيل المراد هنا أزواجه خاصّة، والبيت على هذا المسكن، وهذا ضعيف لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال عنكنّ ورُوِيَ أن النبي ﷺ قال نزلت هذه الآية في خمسة: «في ولد عليّ وفاطمة والحسن والحسين» **﴿وَاذْكُرْنَ﴾** خطاب لأزواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم خصّهنّ بعد دخولهنّ مع أهل البيت، وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة أو التذكّر بالقلب، وآيات الله هي القرآن والحكمة هي السُّنّة **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾** الآية: سببها أن بعض النساء قلن ذكر الله الرجال ولم يذكرنا، فنزل فيها ذكر النساء **﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾** الإسلام هو الانقياد، والإيمان هو التصديق، ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه باختلاف المعنى كقوله: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾

وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا

[الحجرات: ١٤] وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥] الآية، وبالعموم فيكون الإسلام أعمّ، لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان أخصّ لأنه بالقلب خاصّة، وهذا هو الأظهر في هذا الموضع **﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾** يحتمل أن يكون بمعنى العبادة أو الطاعة **﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾** يحتمل أن يكون من صدق القول أو من صدق العزم **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾** الآية: معناها أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله والضمير في قوله من أمرهم: راجع إلى الجمع الذي يقتضيه قوله لمؤمن ولا مؤمنة لأن معناه العموم في جميع المؤمنين والمؤمنات، وهذه الآية توطئة للقصة المذكورة بعدها، وقيل سببها أن رسول الله ﷺ خطب امرأة ليزوّجها لمولاه زيد بن حارية، فكرهت هي وأهلها ذلك فلما نزلت الآية قالوا رضينا يا رسول الله، واختلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها، وقد قيل إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط **﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾** هو زيد بن حارثة الكلبي، وإنعام الله عليه بالإسلام وغيره وإنعام النبي ﷺ بالعتق وكانت عند زيد زينب بنت جحش وهي بنت أُميمة عمّة النبي ﷺ، فشكا زيد إلى رسول الله ﷺ سوء معاشرتها وتعاظمها عليه، وأراد أن يطلّقها فقال له رسول الله ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتّقِ الله»، يعني فيما وصفها به من سوء المعاشرة واتّق الله ولا تطلّقها فيكون نهيًا عن الطلاق على وجه التنزيه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «أبغض المُباح إلى الله الطلاق» **﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾** الذي أخفاه رسول الله ﷺ أمر جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب ولكنه خاف أن يسلّط الله عليه ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه، وذلك أنه رُوِيَ أن النبي ﷺ كان حريصًا على أن يطلّق زيد زينب ليتزوّجها هو ﷺ لقرابتها منه ولحسبها، فقال أمسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص عليها خوفًا

وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ

من كلام الناس لئلا يقولوا تزوّج امرأة ابنه إذ كان قد تبنّاه، فالذي أخفاه ﷺ هو إرادة تزوّجها فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوّجها، فقالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية لشدّتها عليه، وقيل إن الله كان أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ: ما أعلمه الله به من ذلك ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا**﴾ لم يذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة، والوطر الحاجة، قال ابن عطية: ويراد به هنا الجماع، والأحسن أن يكون أعمّ من ذلك: أي لمّا لم يبقَ لزيد فيها حاجة زوّجها اللّه من نبيّه صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم، وأسند الله تزويجها إليه تشريفًا لها، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول إن الله زوّجني نبيّه من فوق سبع سمٰوات، واستدلّ بعضهم بقوله زوّجناكها على أن الأولى أن يقال في كتاب الصداق أنكحه إياها بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية ﴿**لِكَيلاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِين حَرجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ**﴾ المعنى أن الله زوّج زينب امرأة زيد من رسول الله ﷺ ليعلم المؤمنين أن تزوّج نساء أدعيائهم حلال لهم فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء حقيقة ﴿**مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ**﴾ المعنى أن تزوّج النبي ﷺ لزينب بعد زيد حلال لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب، وفي ذلك ردّ على مَن تكلّم في ذلك من المنافقين. وفرض هنا بمعنى قسم ﴿**له سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ**﴾ أي عادة الله في الأنبياء المتقدّمين أن ينالوا ما أحلّ الله لهم، وقيل الإشارة بذلك إلى داود في تزوّجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى، والعموم أحسن، ونصب سنة على المصدر، أو على إضمار فعل أو على الإغراء ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ**﴾ صفة للذين خلوا من قبل، وهم الأنبياء أو رفع على إضمار مبتدأ، أو نصب بإضمار فعل ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ**﴾ هذا ردّ على مَن قال في زيد بن حارثة زيد بن محمد، فاعترض على النبي ﷺ تزوّج امرأة زيد، وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين، لأنه ﷺ ليس أبًا لهما في الحقيقة لأنهما ليسا من صلبه، وإنما كانا ابني بنته، وأما ذكور أولاده فماتوا صغارًا فليسوا من الرجال ﴿**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ أي آخرهم فلا نبيّ

شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ

بعده ﷺ وقرىء بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم، وبالفتح بأنهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم، فإن قيل إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام، فالجواب أن النبوّة أُوتيت عيسى قبله عليه الصلاة والسلام، وأيضًا فإن عيسى يكون إذا نزل على شريعته عليه الصلاة والسلام، فكأنه واحد من أمته ﴿**اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ اشترط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال، والذكر يكون بالقلب وباللسان وهو على أنواع كثيرة من التهليل والتسبيح والحمد والتكبير وذكر أسماء الله تعالى ﴿**وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ قيل إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر، والأظهر أنه أمر بالتسبيح في أول النهار وآخره، وقال ابن عطية أراد في كل الأوقات فحدّ النهار بطرفيه ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم**﴾ هذا خطاب للمؤمنين، وصلاة الله عليهم رحمة لهم، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ يصلّي في المعنيين على اختلافهما وقيل إنه على حذف مضاف تقديره وملائكته يصلّون ﴿**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ**﴾ قيل يعني يوم القيامة، وقيل في الجنة وهو الأرجح لقوله وتحيّتهم فيها سلام، ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض أو قول الملائكة لهم سلام عليكم طبتم ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا**﴾ أي يشهد على أمته ﴿**وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ**﴾ أي بأمر الله وإرساله ﴿**وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾ استعارة للنور الذي يتضمنه الدين ﴿**وَدَعْ أَذَاهُمْ**﴾ يحتمل وجهين أحدهما لا تؤذهم فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخصّ الكافرين بآية السيف، والآخر احتمل إذايتهم لك وأعرض عن أقوالهم، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل ﴿**إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ**﴾ الآية: معناه: سقوط العدّة عن المطلّقة قبل الدخول فالنكاح في الآية هو العقد والمسّ هو الجماع، وتعتدونها من العدد ﴿**فَمَتِّعُوهُنَّ**﴾

أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ

هذا يقتضي متعة المطلّقة قبل الدخول سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق وقوله تعالى في البقرة: ﴿وإن طَلّقْتُموهُنّ مِن قَبْل أن تَمَسّوهنّ وقَدْ فَرَضْتُم لَهُنّ فَرِيضةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُم﴾ [البقرة: ٢٣٧] يقتضي أن المطلّقة قبل الدخول وقد فرض لها يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبيّنة لهذه مخصّصة لعمومها.

﴿**يا أيُّهَا النَّبيُّ إنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتّي آتيْتَ أُجُورَهُنَّ**﴾ في معناها قولان أحدهما أن المراد أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهنّ مهورهنّ، والآخر أن المراد جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوّج كل امرأة يعطي مهرها وهذا أوسع من الأول ﴿**وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**﴾ أباح الله له مع الأزواج السراري بملك اليمين ويعني بقوله أفاء الله عليك: الغنائم ﴿**وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ**﴾ يعني قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه، وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمّات إخوة لأبيه، ولم يكن لأُمه عليه الصلاة والسلام أخ ولا أُخت، وإنما يعني بخاله وخالاته عشيرة أُمه وهم بنو زهرة، ولذلك كانوا يقولون نحن أخوال رسول الله ﷺ فمَن قال إن المراد بقوله أحللنا لك أزواجك: مَن كانت في عصمته: فهو عطف عليهنّ، وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على مَن كان في عصمته، ومَن قال إن المراد جميع النساء فهو تجريد منهنّ على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم ﴿**اللاتِّي هَاجَرْنَ مَعَكَ**﴾ تخصيص تحرّز به ممّن لم يهاجر كالطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة ﴿**وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ**﴾ أباح الله له ﷺ مَن وهبت له نفسها من النساء، واختلف هل وقع ذلك أم لا؟ فقال ابن عباس: لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلاّ بنكاح أو ملك يمين، لا بهبة نفسها، ويؤيّد هذا قراءة الجمهور إن وهبت بكسر الهمزة أي إن وقع، وقيل قد وقع ذلك، وهو على هذا القول قرىء أن وهبت بفتح الهمزة، واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها فقيل ميمونة بنت الحارث، وقيل زينب بنت خزيمة أُمّ المساكين، وقيل أم شريك الأنصارية، وقيل أم شريك العامرية ﴿**خَالِصَةً لَكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي هبة المرأة نفسها مِزية خاصّة بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم دون غيره، وانظر كيف رجع من الغيبة

أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ

إلى الخطاب ليخصّ المخاطب وحده، وقيل إن خالصة يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات له ﷺ لأن سائر المؤمنين قصروا على أربع نسوة، وأُبيح له عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد بخلاف أبي حنيفة، وإعراب خالصة مصدر أو حال أو صفة لامرأة ﴿**قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ**﴾ يعني أحكام النكاح من الصداق والوليّ والاقتصار على أربع وغير ذلك ﴿**لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ**﴾ يتعلق بالآية التي قبله أي بيّنا أحكام النكاح لئلا يكون عليك حرج أو لئلا يظن بك أنك فعلت ما لا يجوز، وقال الزمخشري يتعلق بقوله خالصة لك ﴿**تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ**﴾ معنى ترجي تؤخّر وتُبعد، ومعنى تُؤوي تضمّ وتقرب. واختلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء، فقيل إن ذلك في القسمة بينهنّ: أي تكثر لمَن شئت، وتقلّل لمَن شئت، وقيل إنه في الطلاق أي تمسك مَن شئت وتطلّق مَن شئت؛ وقيل معناه تتزوّج مَن شئت، وتترك مَن شئت، والمعنى على كل قول توسعة على النبي ﷺ، وإباحة له أن يفعل ما يشاء، وقد اتفق الناقلون على أنه ﷺ كان يعدل في القسمة بين نسائه: أخذًا منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له، والضمير في قوله منهنّ: يعود على أزواجه صلّى الله عليه وآله وسلّم خاصّة أو على كل ما أحلّ الله له على حسب الخلاف المتقدّم ﴿**وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ**﴾ في معناه قولان: أحدهما مَن كنت عزلته من نسائك فلا جُناح عليك في ردّه بعد عزله، والآخر مَن ابتغيت ومَن عزلت سواء في إباحة ذلك فمَن للتبعيض على القول الأول وأما على القول الثاني فنحو قولك مَن لقيك ومَن لم يلقك سواء ﴿**ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ**﴾ أي إذا علمن أن هذا حكم الله قرّت به أعينهنّ ورضين به، وزال ما كان بهنّ من الغيرة، فإن سبب نزول هذه الآية ما وقع لأزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهنّ على بعض ﴿**لاَّ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ**﴾ فيه قولان: أحدهما لا يحلّ لك النساء غير اللاّتي في عصمتك الآن ولا تزيد عليهنّ، قال ابن عباس لما خيّرهنّ رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله جازاهنّ الله على ذلك، بأن حرّم غيرهنّ من النساء كرامة لهنّ، والقول الثاني لا يحلّ لك النساء غير الأصناف التي سمّيت، والخلاف هنا يجري على الخلاف في

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي﴾

المراد بقوله: **﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾**: أي لا يحلّ لك غير مَن ذكر حسبما تقدم، وقيل معنى **﴿لاَّ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾**: لا يحلّ لك اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات المذكورات وهذا بعيد، واختلف في حكم هذه الآية، فقيل إنها منسوخة بقوله: **﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾** على القول بأن المراد جميع النساء، وقيل إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد مَن كان في عصمته، وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس، ولأن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع في حق أُمته **﴿وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾** معناه لا يحلّ لك أن تطلّق واحدة منهنّ وتتزوّج غيرها بدلاً منها، وقيل معناه ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر عن زوجته له، وهذا ضعيف **﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾** في هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها **﴿إلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾** المعنى أن الله أباح له الإماء، والاستثناء في موضع رفع على البدل من النساء أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في حُسنهنّ **﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾** سبب هذه الآية ما رواه أنس أن رسول الله ﷺ لمّا تزوج زينب بنت جحش أولَم عليها فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت فثقل ذلك على النبي ﷺ فخرج ليخرجوا بخروجه ومرّ على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف فخرجوا عن ذلك، وقال ابن عباس نزلت في قوم كانوا يتحيّنون طعام النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولا يخرجون، فأُمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا، قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، فعلى قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل، فإن الآية تضمنت الحكمين **﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إناه﴾** أي غير منتظرين لوقت الطعام، والإنا الوقت، وقيل إنا الطعام نضجه وإدراكه، يقال أنى يأني إنًى **﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾** أمر بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها **﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾** أي انصرفوا، قال بعضهم هذا أدب أدّب الله به الثقلاء، وقالت عائشة رضي الله عنها: حسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم **﴿وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾** معطوف على غير

مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

ناظرين، أو تقديره ولا تدخلوا مستأنسين، ومعناه النهي عن أن يطلبوا الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض، أو يستأنسوا لحديث أهل البيت، واستئناسهم: تسمّعهم وتجسّسهم **﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾** يعني جلوسهم للحديث أو دخولهم بغير إذن **﴿فَيَسْتَحِي مِنكُم﴾** تقديره يستحي من إخراجكم، بدليل قوله: والله لا يستحي من الحق: أي أن إخراجكم حق لا يتركه الله **﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾** المتاع الحاجة من الأثاث وغيره، وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وسببها ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب، وقيل سببها أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يحجب نساءه فنزلت الآية موافقة لقول عمر، قال بعضهم لمّا نزلت في أُمّهات المؤمنين **﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾** كنّ لا يجوز للناس كلامهنّ إلاّ من وراء حجاب، ولا يجوز أن يراهنّ متنقبات ولا غير متنقبات، فخصّصن بذلك دون سائر النساء **﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾** يريد أنقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال **﴿وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ﴾** سببها أن بعض الناس قالوا لو مات رسول الله ﷺ لتزوّجت عائشة فحرّم الله على الناس تزوّج نسائه بعده كرامة له **﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ﴾** الآية: لما أوجب الله الحجاب أباح لهنّ الظهور لذوي محارمهنّ من القرابة وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأولادهم، وأولاد الأخوات **﴿وَلاَ نِسَائِهِنَّ﴾** قيل يريد بالنساء القرابة والمصرّفات لهنّ، وقيل يريد نساء جميع المؤمنات، ويقوّي الأول تخصيص النساء بالإضافة لهنّ، ويقوّي الثاني أنهنّ كنّ لا يحتجبن من النساء على الإطلاق **﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾** واختلف فيمَن أُبيح لهنّ الظهور له من ملك اليمين، فقيل الإماء دون العبيد، وقيل الإماء والعبيد، وهو أولى بلفظ الآية، ثم اختلف مَن ذهب إلى هذا فقال قوم من ملكنه من العبيد دون مَن ملكه غيرهنّ، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية، وقال قوم جميع

شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ

العبيد كنّ في ملكهنّ أو في ملك غيرهنّ **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾** هذه الآية تشريف للنبي ﷺ، وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله يصلّي عليكم وملائكته **﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فرض إسلاميّ فالأمر به محمول على الوجوب، وأقلّه مرة في العمر، وأما حكمها في الصلاة: فمذهب الشافعي أنها فرض تبطل الصلاة بتركه، ومذهب مالك أنها سُنّة وصفتها ما ورد في الحديث الصحيح اللّهمّ صَلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافًا كثيرًا أما السلام على النبي ﷺ فيحتمل أن يريد السلام عليه في التشهّد في الصلاة أو السلام عليه حين لقائه، وأما السلام عليه بعد موته فقد قال ﷺ مَن سلّم عليّ قريبًا سمعته، ومَن سلّم عليّ بعيدًا أبلغته، فإن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** إذاية الله هي بالإشراك به ونسبة الصاحبة والولد له، وليس معنى إذايته أنه يضرّه الأذى لأنه تعالى لا يضرّه شيء ولا ينفعه شيء، وقيل إنها على حذف مضاف تقديره يؤذون أولياء الله، والأول أرجح، لأنه ورد في الحديث يقول الله تعالى: «يَشْتُمني ابْنُ آدَم ولَيْسَ لَهُ أَنْ يَشتمني، ويُكَذِّبني وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُكَذِّبني»، أما شتمه إياي فقوله إن لي صاحبةً وولدًا، وأما تكذيبه إياي فقوله: «لاَ يُعِيدُني كَمَا بَدَأَنِي» وأما إذاية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فهي التعرّض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال، وقال ابن عباس، نزلت في الذين طعنوا عليه حين أخذ صفيّة بنت حُييّ **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾** الآية: في البهتان وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه، وهو أشدّ من الغيبة، مع أن الغيبة محرّمة، وهي ذكره ما فيه مما يكره **﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ﴾** كان نساء العرب يكشفن وجوههنّ كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعيًا إلى نظر الرجال لهنّ فأمرهنّ الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههنّ ويفهم الفرق بين الحرائر والإماء. والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار، وقيل هو الرداء وصورة إدنائه عند ابن عباس أن تلويه

أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾

على وجهها حتى لا يظهر منها إلاّ عين واحدة تبصر بها وقيل أن تلويه حتى لا يظهر إلاّ عيناها، وقيل أن تغطّي نصف وجهها ﴿**ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ**﴾ أي ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء فإذا عرف أن المرأة حرّة لم تُعارَض بما تُعارَض به الأمة، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم مَن هي إنما المراد أن يفرّق بينها وبين الأمة لأنه كان بالمدينة إماء يعرفن بالسوء وربما تعرّض لهنّ السفهاء ﴿**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُون**﴾ الآية: تضمنت وعيد هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا، وقيل إنهم لم ينتهوا: ولم ينفذ الوعيد عليهم ففي ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة، وقيل إن انتهوا وستروا أمرهم، فكفّ عنهم إنفاذ الوعيد، والمنافقون هم الذين يُظهِرون الإيمان ويخفون الكفر، والذين في قلوبهم مرض: قوم كان فيهم ضعف إيمان، وقلّة ثبات عليه، وقيل هم الزناة: كقوله فيطمع الذي في قلبه مرض، والمرجفون في المدينة: قوم كانوا يشيعون أخبار السوء ويخوّفون المسلمين، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف متفرّقة، أو تكون داخلة في جملة المنافقين، ثم جرّدها بالذكر ﴿**لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ**﴾ أي نسلّطك عليهم وهذا هو الوعيد ﴿**ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا**﴾ ذلك لأنه ينفيهم أو يقتلهم، والضمير المجرور للمدينة ﴿**إلاَّ قَلِيلاً**﴾ يحتمل أن يريد إلاّ جوازًا قليلاً أو وقتًا أو عدداً قليلاً منهم، والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات، فقليلاً على الاحتمال الأول مصدر، وعلى الثاني ظرف، وعلى الثالث منصوب على الاستثناء ﴿**مَّلْعُونِينَ**﴾ نصب على الذم، أو بدل من قليلاً على الوجه الثالث: أو حال من ضمير الفاعل في يجاورونك تقديره سينفون ملعونين ﴿**أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا**﴾ أي حيث ما ظفر بهم أسروا، والأخذ الأسر ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ**﴾ أي عادته ونصب على المصدر ﴿**فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ**﴾ أي عادته في المنافقين من الأمم المتقدمة وقيل يعني الكفّار من بدر، لأنهم أسروا وقتلوا ﴿**تَكُونُ قَرِيبًا**﴾ إنما قال قريبًا بالتذكير والساعات مؤنثة على تقدير شيئًا

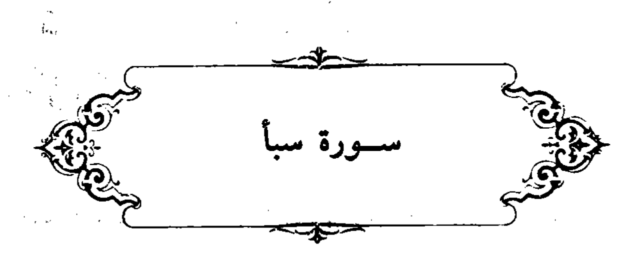
وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا

قريبًا أو زمانًا قريبًا، أو لأن تأنيثها غير حقيقي **﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾** العامل في يوم قوله يقولون أو لا يجدون أو محذوف، وتقليب وجوههم: تصريفها في جهة النار كما تدور البضعة في القدر إذا غلَت من جهة إلى جهة، أو تغيّرها عن أحوالها.

﴿لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ هم قوم من بني إسرائيل، وإذايتهم له: ما ورد في الحديث أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل فقالوا إنه لآدر، فاغتسل موسى يومًا وحده وجعل ثيابه على حجر ففرّ الحجر بثيابه، واتّبعه موسى وهو يقول ثوبي حجر ثوبي حجر، فمرّ في أتباعه على ملأ من بني إسرائيل فرأوه سليمًا مما قالوا، فذلك قوله فبرّأه الله مما قالوا، وقيل إذايتهم له أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون، فبعث الله ملائكة فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر فبرّأ الله موسى، ورُوِيَ أن الله أحياه فأخبرهم ببراءة موسى، والقول الأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح **﴿قَوْلاً سَدِيدًا﴾** قيل يعني لا إله إلاّ الله، واللفظ أعمّ من ذلك **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾** الأمانة هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي، وقيل هي الأمانة في الأموال، وقيل غسل الجنابة، والصحيح العموم في التكاليف، وعرضها على السمٰوات والأرض والجبال يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون الله خلق لها إدراكًا فعرضت عليها الأمانة حقيقة فأشفقت منها وامتنعت من حملها، والثاني أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة، وأنها من الثقل بحيث لو عرضت على السمٰوات والأرض والجبال، لأبين من حملها وأشفقن منها، فهذا ضرب من المجاز كقولك عرضت الحمل العظيم على الدابّة فأبت أن تحمله، والمراد أنها لا تقدر على حمله **﴿وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾** أي التزم الإنسان القيام بالتكاليف مع شدّة ذلك وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول، والإنسان هنا جنس، وقيل يعني آدم، وقيل

جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

قابيل الذي قتل أخاه ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾ اللام للصيرورة، فإن حمل الأمانة: كان سبب تعذيب المنافقين والمشركين، ورحمة للمؤمنين.



سورة سبأ

مكية إلا آية ٦ فمدنية وآياتها ٥٤ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ

بِسْـــمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

﴿**وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ**﴾ يحتمل أن يكون الحمد الأول في الدنيا والثاني في الآخرة، وعلى هذا حمله الزمخشري ويحتمل عندي أن يكون الحمد الأول للعموم والاستغراق، فجمع الحمد في الدنيا والآخرة، ثم جرّد منه الحمد في الآخرة كقوله فاكهة ونخل ورمان، ثم إن الحمد في الآخرة يحتمل أن يريد به الجنس أو يريد به قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين أو الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴿**مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ**﴾ أي يدخل فيها من المطر والأموات وغير ذلك ﴿**وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا**﴾ من النبات وغيره ﴿**وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ**﴾ من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك ﴿**وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا**﴾ أي يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ**﴾ رُوِيَ أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب ﴿**لاَ يَعْزُبُ**﴾ أي لا يغيب ولا يخفى ﴿**وَلاَ أَصْغَرُ**﴾ معطوف على مثقال؛ وقال الزمخشري هو مبتدأ، لأن حرف الاستثناء من حروف العطف، ولا

ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

خلاف بين القرّاء السبعة في رفع أصغر وأكبر في هذا الموضع، وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القرّاء السبعة، وإنما الخلاف في يونس **﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾** يعني اللوح المحفوظ **﴿لِّيَجْزِيَ﴾** متعلق بقوله: **﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾** أو بقوله: **﴿لاَ يَعْزُبُ﴾** أو بمعنى قوله: **﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾** **﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾** مبتدأ وخبره الجملة بعده، وقال ابن عطية: هو معطوف على الذين الأول، وقد ذكر في الحج معنى سعوا، ومعاجزين **﴿أَلِيمٌ﴾** بالرفع صفة لعذاب، وبالخفض صفة لرجز **﴿وَيَرَى﴾** معطوف على ليجزي أو مستأنف، وهذا أظهر **﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾** هم الصحابة أو مَن أسلم من أهل الكتاب، أو على العموم **﴿الْحَقَّ﴾** مفعول ثانٍ ليرى، لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم والضمير ضمير فصل **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي قال بعضهم لبعض هل ندلّكم على رجل يعني محمدًا ﷺ **﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾** معنى مزّقتم أي بليتم في القبور وتقطّعت أوصالكم وكل ممزّق مصدر، والخلق الجديد: هو الحشر في القيامة، والعامل في إذا معنى إنكم لفي خلق جديد، لأن معناه تبعثون إذا مزّقتم، وقيل العامل فيه فعل مضمر مقدّر قبلها وذلك ضعف، وإنكم لفي خلق جديد معمول ينبئكم وكسرت اللام التي في خبرها ومعنى الآية أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتم في الأرض، ومرادهم استبعاد الحشر **﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾** هذا من جملة كلام الكفّار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير ممدودة **﴿بَلْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ﴾** هذا ردّ عليهم: أي أنه لم يفترِ على الله الكذب وليس به جُنّة بل هؤلاء الكفّار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب، ويحتمل أن يريد بالعذاب عذاب الآخرة، أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق، ومحاولة ظهور الباطل **﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم**

وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا

مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ﴾ الضمير في يروا للكفّار المنكرين للبعث، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم، لأنهما محيطتان بهم، والمعنى ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلمون أن الذي خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم، ويحتمل أن يكون المعنى تهديد لهم ثم فسّره بقوله: **﴿إن نَّشَأْ نَخسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾**: أي أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم فيعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾** الإشارة إلى إحاطة السماء بهم أو إلى عظمة السماء والأرض بأن فيهما آية تدلّ على البعث **﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾** تقديره: قلنا يا جبال، والجملة تفسير للفضل، ومعنى أوّبي سبّحي، وأصله من التأويب، وهو الترجيع، لأنه كان يرجع التسبيح فترجعه معه. وقيل هو من التأويب بمعنى السير بالنهار، وقيل كان ينوح فتساعده الجبال بصداها، والطير بأصواتها **﴿وَالطَّيْرَ﴾** بالنصب عطف على موضع يا جبال، وقيل مفعول معه، وقيل معطوف على فضلاً، وقرىء بالرفع عطف على لفظ يا جبال **﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾** أي جعلناه له ليّنًا بغير نار كالطين والعجين، وقيل لان له الحديد لشدّة قوّته **﴿سَابِغَاتٍ﴾** هي الدروع الكاسية **﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾** معنى السرد هنا نسج الدروع، وتقديرها أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف ولا كبيرة فيُصاب لابسها من خلالها، وقيل لا يجعل المسمار دقيقًا ولا غليظًا **﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** خطاب لداود وأهله **﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾** بالنصب على تقدير وسخّرنا، وقرىء بالرفع على الابتداء **﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾** أي كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر، وبالعشي مسيرة شهر فكان يجلس على سريره وكان من خشب يحمل فيها رُوِيَ أربعة آلاف فارس فترفعه الريح ثم تحمله **﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾** قال ابن عباس كانت تسيل له باليمين عين من نحاس يصنع منها ما أحبّ، والقطر النحاس، وقيل القطر الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك: كان يسيل له منه أربعة عيون، وقيل المعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود **﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾** يعني نار الآخرة،

يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ

وقيل كان معه ملك يضربهم بسوط من نار ﴿مَّحَارِيبَ﴾ هي القصور، وقيل المساجد وتماثيل قيل إنها كانت على غير صور الحيوان وقيل على صور الحيوان وكان ذلك جائزًا عندهم ﴿كَالْجَوَابِ﴾ جمع جابية وهي البركة التي يجتمع فيها الماء ﴿رَّاسِيَاتٍ﴾ أي ثابتات في مواضعها لعظمها ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ حكاية ما قيل لآل داود، وانتصب شكرًا على أنه مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال تقديره شاكرين أو مصدر من المعنى لأن العمل شكر تقديره اشكروا شكرًا أو مفعول به ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ يحتمل أن يكون مخاطبة لآل داود أو مخاطبة لمحمد ﷺ ﴿دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ المنسأة هي العصا، وقرىء بهمز وبغير همز، ودابّة الأرض هي الأرضة وهي السوسة التي تأكل الخشب وغيره وقصص الآية أن سليمان عليه السلام دخل قبّة من قوارير وقام يصلّي متّكئاً على عصاه فقبض روحه وهو متكىء عليها فبقي كذلك سنة لم يعلم أحد بموته حتى وقعت العصا فخرّ إلى الأرض واختصرنا كثيراً مما ذكره الناس في هذه القصة لعدم صحّته ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ من تبيّن الشيء إذا ظهر، وما بعدها بدل من الجنّ، والمعنى ظهر للناس أن الجنّ لا يعلمون الغيب، وقيل تبيّنت بمعنى علمت، وأن ما بعدها مفعول به على هذه والمعنى علمت الجنّ أنهم لا يعلمون الغيب، وتحقّقوا أن ذلك بعد التباس الأمر عليهم، أو علمت الجنّ أن كفّارهم لا يعلمون الغيب، وأنهم كاذبون في دعوى ذلك ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ يعني الخدمة التي كانوا يخدمون سليمان وتسخيره لهم في أنواع الأعمال، والمعنى لو كانت الجنّ تعلم الغيب ما خفي عليهم موت سليمان ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ سبأ قبيلة من العرب سُمّيت باسم أبيها الذي تناسلت منه، وقيل باسم أمّها، وقيل باسم موضعها، والأول أشهر، لأنه ورد في الحديث وكانت مساكنهم بين الشام واليمن ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كان لهم وادٍ وكانت الجنّتان عن يمينه وشماله وجنّتان بدل من آية أو مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف ﴿كُلُوا﴾ تقديره قيل لهم كلوا من رزق ربّكم قالت لهم ذلك الأنبياء، ورُوِيَ أنهم بعث لهم ثلاثة عشر نبيًا فكذّبوهم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي كثيرة الأرزاق طيّبة الهواء سليمة من الهوام ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي أعرضوا عن شكر الله أو عن طاعة الأنبياء ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ

وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ

﴿الْعَرِمِ﴾ كان لهم سدّ يمسك الماء ليرتفع فتُسقَى به الجنّتان، فأرسل الله على السدّ الجرذ وهي دويبة خرّبته فيبست الجنتان، وقيل لما خرب السدّ حمل السيل الجنتان وكثير من الناس واختلف في معنى العرم: فقيل هو السدّ، وقيل هو اسم ذلك الوادي بعينه، وقيل معناه الشديد، فكأنه صفة للسيل من العرامة، وقيل هو الجرذ الذي خرّب السدّ، وقيل المطر الشديد **﴿أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾** الأكل بضم الهمزة المأكول، والخمط شجر الأراك، وقيل كل شجرة ذات شوك، والأثل شجر يشبه الطرفا والسدر شجر معروف، وإعراب خمط بدل من أكل أو عطف بيان وقرىء بالإضافة وأثل عطف على الأكل لا على خمط، لأن الأثل لا أكل له، والمعنى أنه لما أهلكت الجنّتان المذكورتان قيل أبدلهم الله منها جنّتين بضدّ وصفهما في الحُسْن والأرزاق **﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾** معناه لا يناقش ويجازى بمثل فعله إلاّ الكفور لأن المؤمن قد يسمح الله له ويتجاوز عنه **﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾** هذه الآية وما بعدها وصف حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جنّاتهم، ويعني بالقرى التي باركنا فيها الشام، والقرى الظاهرة قرى متّصلة من بلادهم إلى الشام، ومعنى ظاهرة يظهر بعضها من بعض لاتصالها، وقيل مرتفعة في الآكام، وقال ابن عطية خارجة عن المدن كما تقول بظاهر المدينة أي خارجها **﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾** أي قسمنا مراحل السفر، وكانت القرى متصلة فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى ولا يخاف جوعًا ولا عطشًا، ولا يحتاج إلى حمل زاد، ولا يخاف من أحد **﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾** قرىء باعد وبَعِّد بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب، والمعنى أنهم بطروا النعمة وملّوا العافية، وطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا في المفاوز ويتزوّدوا للأسفار، فعجّل الله إجابتهم وقرىء باعد بفتح العين على الخبر والمعنى أنهم قالوا إن الله باعد بين قراهم، وذلك كذب وجحد للنعمة **﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾** يعني بقولهم باعد بين أسفارنا أو بذنوبهم على الإطلاق **﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾** أي فرّقناهم في البلاد حتى ضرب المثل بفرقتهم، وقيل تفرّقوا أيدي سبأ، وفي الحديث إن سبأ أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل على بلادهم تفرّقوا فتيامن منهم ستّة وتشاءم

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ

أربعة ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِم إِبْلِيسُ ظَنَّهُ**﴾ أي وجد ظنه فيهم صادقًا يعني قوله لأغوينّهم، وقوله: ﴿وَلاَ تَجِد أَكْثَرَهُم شَاكِرِين﴾ [الأعراف: ١٧].

﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم**﴾ تعجيز للمشركين وإقامة حجّة عليهم ويعني بالذين زعمتم آلهتهم، ومفعول زعمتم محذوف أي زعمتم أنهم آلهة أو زعمتم أنهم شفعاء. ورُوِيَ أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشًا ﴿**مِن شِرْكٍ**﴾ أي نصيب والظهير المعين ﴿**وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ المعنى لا تنفع الشفاعة عند الله إلاّ لمَن أذِنَ الله له أن يشفع فإنه لا يشفع أحد إلاّ بإذنه، وقيل المعنى لا تنفع الشفاعة إلاّ لمَن أذِنَ له الله أن يشفع فيه، والمعنى أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلاّ بإذن الله، ففي ذلك ردّ على المشركين الذين كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُم**﴾ تظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام فإنهم إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفزعون لذلك فزعًا عظيمًا، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض ماذا قال ربّكم فيقولون قال الحق، ومعنى فزع عن قلوبهم زال عنها الفزع والضمير في قلوبهم وفي قالوا للملائكة، فإن قيل: كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه؟ فالجواب أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله: ﴿**وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إلاّ لِمَن أَذِنَ له**﴾ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فذكر الشفاعة يقتضي ذكر الشافعين، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دلّ عليهم لفظ الشفاعة، فإن قيل: بِمَ اتصل قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم ولأيّ شيء وقعت حتى غائية؟ فالجواب أنه اتصل بما فهم من الكلام من أن ثم انتظارًا للإذن، وفزعًا وتوقّفًا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة، ويقرب هذا في المعنى من قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلاّ مَن أذِنَ له الرحمن ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم هي في الكفّار بعد الموت، ومعنى فزع عن قلوبهم رأوا

وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

الحقيقة، فقيل لهم ماذا قال ربّكم فيقولون قال الحق فيقرّون حين لا ينفعهم الإقرار، والصحيح أنها في الملائكة لورود ذلك في الحديث، ولأن القصد الردّ على الكفار، الذين عبدوا الملائكة، فذكر شدّة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له **﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾** سؤال قصد به إقامة الحجة على المشركين **﴿قُلِ اللَّهُ﴾** جواب عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه، ولذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة **﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾** هذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف كقولك الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل ولا تعين بالتصريح أحدهما ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم مَن هو على الحق ومَن هو على الباطل، والمقصود من الآية أن المؤمنين على هدى وأن الكفار على ضلال مبين **﴿قُلْ لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾** إخبار يقتضي مسالمة نسخت بالسيف **﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾** أي يحكم، والفتاح الحاكم **﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ﴾** إقامة حجة على المشركين، والرؤية هنا رؤية قلب فشركاء مفعول ثالث، والمعنى أروني بالدليل والحجة مَن هم له شركاء عندكم، وكيف وجه الشركة، وقيل هي رؤية بصر، وشركاء حال من المفعول في ألحقتم كأنه قال أين الذين تعبدون من دونه وفي قوله: **﴿أَرُونِيَ﴾** تحقير للشركاء وازدراء بهم، وتعجيز للمشركين، وفي قوله: **﴿كَلاَّ﴾** ردع لهم عن الإشراك، وفي وصف الله بالعزيز الحكيم: ردّ عليهم بأن شركاءهم ليسوا كذلك **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾** المعنى أن الله أرسل محمدًا ﷺ إلى جميع الناس، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء، وإعراب كافة حال من الناس قُدّمت للاهتمام، هكذا قال ابن عطية، وقال الزمخشري ذلك خطأ لأن تقدّم حال المجرور عليه لا يجوز، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلاّ رسالة عامّة للناس، فكافّة صفة للمصدر المحذوف، وقال الزجّاج المعنى أرسلناك جامعًا للناس في الإنذار والتبشير، فجعله حالاً من الكاف، والتاء على هذا للمبالغة كالتاء في راوية وعلامة **﴿قُلْ لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾** يعني يوم القيامة، أو نزول

كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ

العذاب بهم في الدنيا، وهو الذي سألوا عنه على وجه الاستخفاف، فقالوا متى هذا الوعد **﴿وَلاَ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** يعني الكتب المتقدّمة كالتوراة والإنجيل وإنما قال الكفّار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ، وقيل الذي بين يديه يوم القيامة وهذا خطأ وعكس لأن الذي بين يدي الشيء هو ما تقدّم عليه **﴿وَلَوْ تَرَى﴾** جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرًا عظيمًا **﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾** أي يتكلمون ويجيب بعضهم بعضًا **﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾** أي كفرتم باختياركم لا بأمرنا **﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** المعنى أن المستضعفين قالوا للمستكبرين بل مكركم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا وإعراب مكر مبتدأ وخبره محذوف، أو خبر ابتداء مضمر، وأضاف مكر إلى الليل والنهار على وجه الاتّساع، ويحتمل أن يكون إضافة إلى المفعول أو إلى الفاعل على وجه المجاز: كقولهم نهاره صيام وليله قيام أي يصام فيه ويقام، ودلّت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار، فإن قيل: لِمَ أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين استكبروا؟ فالجواب أنه قد تقدّم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك فعطف عليه كلامهم الثاني، ولم يتقدّم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه **﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾** أي أخفوها في نفوسهم، وقيل أظهروها فهو من الأضداد، والضمير لجميع المستضعفين والمستكبرين **﴿مُتْرَفُوهَا﴾** يعني أهل الغنى والتنعّم في الدنيا وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء، والقصد بالآية تسلية النبي ﷺ على تكذيب أكابر قريش له **﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا﴾** الضمير لقريش أو للمترفين المتقدمين: قاسوا أمر الدنيا على الآخرة، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذبهم في الآخرة **﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾** إخبار

أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ

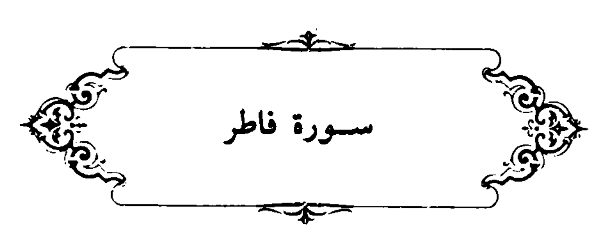
يتضمن الردّ عليهم بأن بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلّق بمشيئة الله، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصي ويضيق على المؤمن والمطيع، وبالعكس، فليس في ذلك دليل على أمر الآخرة **﴿زُلْفَى﴾** مصدر بمعنى القرب كأنه قال تقرّبكم قربى **﴿إلاّ مَنْ آمَنَ﴾** استثناء من المفعول في تقرّبكم، والمعنى أن الأموال لا تقرّب إلاّ المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، وقيل الاستثناء منقطع، والأول أحسن **﴿جَزاءُ الضِّعْفِ﴾** يعني تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك **﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾** الآية: كرّرت لاختلاف القصد، فإن القصد بالأول على الكفّار، والقصد هنا ترغيب المؤمنين بالإنفاق **﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾** الخلف قد يكون بمال أو بالثواب **﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾** براءة من أن يكون لهم رضًا بعبادة المشركين لهم، وليس في ذلك نفي لعبادتهم لهم **﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾** عبادتهم للجنّ طاعتهم لهم في الكفر والعصيان، وقيل كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيعبدون بعبادتها، ويحتمل أن يكون قوم عبدوا الجنّ لقوله: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ﴾** [الأنعام: ١٠٠] **﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَها﴾** الآية: في معناها وجهين: أحدهما ليس عندهم كتب تدلّ على صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه؛ فأقوالهم باطلة إذ لا حجّة لهم عليها، فالقصد على هذا ردّ عليهم، والآخر أنهم ليس عندهم كتب ولا جاءهم نذير فهم محتاجون إلى مَن يعلّمهم وينذرهم، ولذلك بعث الله إليهم محمدًا ﷺ، فالقصد على هذا إثبات نبوّة محمّد ﷺ **﴿وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾** المعشار العشر، وقيل عشر العشر، والأول أصح، والضمير في بلغوا لكفار قريش، وفي آتيناهم للكتب المتقدمة أي ان هؤلاء لم

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِيۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ

يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من القوة والأموال، وقيل الضمير في بلغوا للمتقدمين، وفي آتيناهم لقريش: أي ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلّة، والأول أصحّ وهو نظير قوله كانوا أشدّ منهم قوّة ﴿**فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾ أي إنكاري يعني عقوبة الكفّار المتقدّمين، وفي ذلك تهديد لقريش ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ**﴾ أي بقضية واحدة تقريبًا عليكم ﴿**أَن تَقُومُوا لِلَّهِ**﴾ هذا تفسير القضية الواحدة وأن تقوموا بدل أو عطف بيان أو خبر ابتداء مضمر، ومعناه أن تقوموا للنظر في أمر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم قيامًا خالصًا لله تعالى ليس فيه اتّباع هوًى ولا ميل، وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين إنما المراد القيام بالأمر والجدّ فيه ﴿**مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ**﴾ حال من الضمير في تقوموا، والمعنى أن تقوموا اثنين اثنين للمناظرة في الأمر وطلب التحقيق وتقوموا واحدًا واحدًا لإحضار الذّهن واستجماع الفكرة ثم تتفكّروا في أمر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم فتعلموا أن ما به من جِنّة لأنه جاء بالحق الواضح، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدلّ على رجاحة عقله ومتانة علمه، وأنه بلغ في الحكمة مبلغًا عظيمًا، فيدلّ ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مُفْتَرٍ على الله ﴿**مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ**﴾ متصل بما قبله على الأصح: أي تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جِنّة، وقيل هو استئناف ﴿**قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ**﴾ هذا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئًا فخذه، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئًا، ولكنه يريد البراءة من عطائه، وكذلك معنى هذا، فهو كقولك قل ما أسألكم عليه من أجر ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ**﴾ القذف الرمي ويستعار للإلقاء، فالمعنى يلقي الحق إلى أصفيائه أو يرمي الباطل بالحق فيذهبه ﴿**عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ خبر ابتداء مضمر أو بدل من الضمير في يقذف أو من اسم إن على الموضع ﴿**قُلْ جَاءَ الْحَقُّ**﴾ يعني الإسلام ﴿**وَمَا يُبْدِيءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**﴾ الباطل الكفر، ونفي الإبداء والإعادة، على أنه لا يفعل شيئًا ولا يكون له ظهور أو عبارة عن ذهابه كقوله: ﴿جَاءَ الحَقُّ وزهق البَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، وقيل الباطل الشيطان

قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

﴿**إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**﴾ يعني قربه تعالى بعلمه وإحاطته ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا**﴾ جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرًا عظيمًا، أو معنى فزعوا أسرعوا إلى الهروب، والفعل ماضٍ بمعنى الاستقبال، وكذلك ما بعده من الأفعال، ووقت الفزع البعث، وقيل الموت، وقيل يوم بدر ﴿**فَلاَ فَوْتَ**﴾ أي لا يفوتون الله إذ هربوا ﴿**وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ**﴾ يعني من الموقف إلى النار إذا بعثوا، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا، أو من أرض بدر إلى القليب، والمراد على كل قول سرعة أخذهم ﴿**وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ**﴾ أي قالوا ذلك عند أخذهم والضمير المجرور لله تعالى أو للنبي ﷺ، أو للقرآن أو للإسلام ﴿**وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾ التناوش بالواو التناول إلاّ أن التناوش تناول قريب سهل لشيء قريب، وقرىء بهمز الواو فيحتمل أن يكون المعنى واحدًا ويكون المهموز بمعنى الطلب، ومعنى الآية استبعاد وصولهم إلى مرادهم، والمكان البعيد: عبارة عن تعذّر مقصودهم فإنهم يطلبون ما لا يكون، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون وهو رجوعهم إلى الدنيا أو انتفاعهم بالإيمان حينئذ ﴿**وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ**﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه قولهم آمنّا به ﴿**وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾ يقذفون فعل ماضٍ في المعنى معطوف على كفروا، ومعناه أنهم يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون لا بعث ولا جنّة ولا نار، ويقولون في الرسول عليه الصلاة والسلام إنه ساحر أو شاعر. والمكان البعيد هنا عبارة عن بطلان ظنونهم وبُعد أقوالهم عن الحق ﴿**وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ**﴾ أي حِيلَ بينهم وبين دخول الجنة، وقيل حِيلَ بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ، وقيل حِيلَ بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها ﴿**كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ**﴾ يعني الكفّار المتقدمين وجعلهم أشياعهم لاتفاقهم في مذاهبهم ومن قبل يحتمل أن يتعلق بفعل، أو بأشياعهم على حسب معنى ما قبله ﴿**فِي شَكٍّ مُرِيبٍ**﴾ هو أقوى الشك وأشدّه إظلامًا.



مكية وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

﴿جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً﴾ أي وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرّفين في أمر الله **﴿مَّثْنَىٰ وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾** صفات للأجنحة ولم ينصرف للعدل والوصف، والمعنى أن الملائكة منهم مَن له جناحان، ومنهم مَن له ثلاثة أجنحة، ومنهم مَن له أربعة أجنحة **﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾** قيل يعني حسن الصوت، وقيل حسن الوجه، وقيل حسن الحظ، والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة، أو يكون على الإطلاق في كل زيادة من المخلوقين **﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا﴾** الفتح عبارة عن العطاء والإمساك عبارة عن المنع، والإرسال الإطلاق بعد المنع، والرحمة كلّ ما يمنّ الله به على عباده من خيري الدنيا والآخرة فمعنى الآية: لا مانع لما أعطى الله ولا مُعطي لما منع الله، فإن قيل لِمَ أنّث الضمير في قوله فلا ممسك لها وذكره في قوله فلا مرسل له وكلاهما يعود على ما الشرطية، فالجواب: أنه لما فسّر من الأولى بقوله من رحمة أنّثه لتأنيث الرحمة، وترك

مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ

الآخر على الأصل من التذكير **﴿مِن بَعْدِهِ﴾** أي من بعد إمساكه **﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾** رفع غير على الصفة لخالق على الموضع وخفضه صفة على الرفع ورزق السماء المطر ورزق الأرض النبات، والمعنى تذكير بنعَم الله وإقامة حجّة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله لا إله إلاّ هو **﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾** الآية: تسلية للنبي ﷺ على تكذيب قومه كأنه يقول إن يكذّبوك فلا تحزن لذلك فإن الله سينصرك عليهم كما كذّبت رسل من قبلك فنصرهم الله **﴿الْغَرُورُ﴾** الشيطان، وقيل التسويف **﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾** توقيف وجوابه محذوف تقديره: أفمن زُيِّن له سوء عمله كمَن لم يزيّن له، ثم بنى على ذلك ما بعده، فالذي زيّن له سوء عمله هو الذي هداه الله **﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِم حَسَرَاتٍ﴾** تسلية للنبي ﷺ عن حزنه لعدم إيمانهم، لأن ذلك بيد الله **﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾** أي الحشر، والمعنى كما يحيي الله الأرض بالنبات كذلك يحيي الموتى **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾** الآية تحتمل ثلاثة معانٍ: أحدها وهو الأظهر مَن كان يريد نيل العزّة فليطلبها من عند الله، فإن العزّة كلها لله، والثاني مَن كان يريد العزّة بمغالبة الإسلام فللّه العزّة جميعًا، فالمغالب له مغلوب، والثالث مَن كان يريد أن يعلم لِمَن العزّة فليعلم أن العزّة لله جميعًا **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾** قيل يعني لا إله إلاّ الله، واللفظ يعمّ ذلك وغيره من الذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، وتعليم العلم: فالعموم أولى **﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾** فيه ثلاثة أقوال أحدها أن ضمير الفاعل في يرفعه: الله، وضمير المفعول للعمل الصالح، فالمعنى على هذا أن الله يرفع العمل الصالح: أي يتقبله ويثيب عليه، والثاني أن ضمير الفاعل للكلام الطيب، وضمير المفعول للعمل

هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا

الصالح، والمعنى على هذا لا يقبل عمل صالح إلاّ ممّن له كلام طيب، وهذا يصحّ إن قلنا إن الكلم الطيب لا إله إلاّ الله، لأنه لا يقبل العمل إلاّ من موحّد، والثالث أن ضمير الفاعل للعمل الصالح، وضمير المفعول للكلم الطيب، والمعنى على هذا أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب فلا يقبل الكلم إلاّ ممّن له عمل صالح، رُوِيَ هذا على المعنى عن ابن عباس واستبعده ابن عطية وقال لم يصحّ عنه لأن اعتقاد أهل السُّنّة أن الله يتقبّل من كل مسلم قال وقد يستقيم بأن يتأوّل أن الله يزيد في رفعه وحُسن موقعه **﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾** لا يتعدّى مكر فتأويله يمكرون المكرات السيئات فتكون السيئات مصدرًا أو تضمن يمكرون معنى يكتسبون فتكون السيئات مفعولاً والإشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين اجتمعوا في دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يُخرجوه **﴿وَمَكَرَ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾** البوار الهلاك أو الكساد ومعناه هنا أن مكرهم يبطل ولا ينفعهم **﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾** أي أصنافًا وقيل ذكرانًا وإناثًا وهذا أظهر **﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ فِي كِتَابٍ﴾** التعمير طول العمر والنقص قصره والكتاب اللوح المحفوظ فإن قيل إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد فكيف أعاد الضمير في قوله ولا ينقص من عمره على الشخص المعمّر فالجواب من ثلاثة أوجه الأول وهو الصحيح أن المعنى ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلاّ في كتاب فوضع من معمر موضع من أحد وليس المراد شخصًا واحدًا وإنما ذلك كقولك لا يعاقب الله عبدًا ولا يثيبه إلاّ بحق والثاني أن المعنى لا يُزاد في عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلاّ في كتاب وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانًا إن تصدّق فعمره ستّون سنة وإن لم يتصدّق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر»، إلاّ أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجَلَين وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعب حين طعن عمر: لو دعا الله لزاد في أجله، فأنكر الناس عليه فاحتجّ بهذه الآية والثالث أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح المحفوظ وذلك حق كل شخص **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾** قد فسّرنا البحرين الفرات والأجاج في الفرقان، وسائغ في النحل، والقصد بالآية التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده وقال الزمخشري إن المعنى

وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ

أن الله ضرب للبحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر وهذا بعيد ﴿**لَحْمًا طَرِيًّا**﴾ يعني الحوت ﴿**حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**﴾ يعني الجوهر والمرجان، فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب فكيف قال ومن كل أي من كل واحد منهما؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أن ذلك تجوّز في العبارة كما قال: ﴿يَا مَعْشَر الجِنّ والإِنْسِ أَلَم يَأْتِكم رُسُلٌ منكم﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسل إنما هي من الإنس الثاني أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصب أنهار الماء العذب أو ينزل المطر فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصب في البحر الملح كان الإخراج منهما جميعًا. الثالث زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب وهذا قول يبطله الحسّ ﴿**مَوَاخِرَ**﴾ ذكر في النحل ﴿**يُولِجُ**﴾ ذكر في لقمان ﴿**قِطْمِيرٍ**﴾ هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر والمعنى أن الأصنام لا يملكون أقلّ الأشياء فكيف أكثرها ﴿**يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ**﴾ أي بإشراككم فالمصدر مضاف للفاعل وكفر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون بكلام يخلقه الله عندها أو بقرينة الحال ﴿**وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ أي لا يخبرك بالأمر مخبر مثل مخبر عالم به يعني نفسه تعالى في إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمَن عبدهم ﴿**أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ**﴾ خطاب لجميع الناس وإنما عرّف الفقر بالألف واللام ليدلّ على اختصاص الفقر بجنس الناس وإن كان غيرهم فقراء ولكن فقراء الناس أعظم ثم وصف نفسه بأنه الغني في مقابلة وصفهم بالفقر ووصفه بأنه الحميد ليدلّ على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده ﴿**وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ**﴾ الحمل عبارة عن الذنوب والمثقلة الثقيلة الحمل أو النفس الكثيرة الذنوب والمعنى أنها لو دعت أحدًا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها وحذف مفعول إن تدع لدلالة المعنى وقصد العموم وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله: ﴿**وَلاَ تَزِر**

﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَٰتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَٰتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ﴾

وازرة وزر أخرى ﴿**وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ**﴾ المعنى ولو كان المدعوّ ذا قربى ممّن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل منه شيئًا لأن كل واحد يقول نفسي نفسي ﴿**إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم**﴾ المعنى أن الإنذار لا ينفع إلاّ الذين يخشون ربهم وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار ﴿**بِالْغَيْبِ**﴾ في موضع حال من الفاعل في يخشون أي يخشون ربّهم وهم غائبون عن الناس فخشيتهم حقّ لا رياء ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**﴾ تمثيل للكافر والمؤمن ﴿**وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ**﴾ تمثيل للكفر والإيمان ﴿**وَلاَ الظِّلُّ ولاَ الْحَرُورُ**﴾ تمثيل للثواب والعقاب وقيل الظلُّ الجنة والحرور النار. والحرور في اللغة شدّة الحرّ بالنهار والليل والسموم بالنهار خاصّة ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ**﴾ تمثيل لمَن آمن فهو كالحيّ ومَن لم يؤمن فهو كالميت ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ**﴾ عبارة عن هداية الله لمَن يشاء ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾ عبارة عن عدم سماع الكفّار للبراهين والمواعظ فشبّههم بالموتى في عدم إحساسهم وقيل المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت للأحياء وقد استدلّت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون وأنكرت ما ورد في خطاب النبي ﷺ لقتلى بدر حين جعلوا في القليب ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث بأن الموتى في القبور إذا رُدّت إليهم أرواحهم إلى أجسادهم سمعوا وإن لم تَرِد لم يسمعوا ﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ معناه أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيًا يقيم عليهم الحجة، فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة ألا ترى أن بين عيسى ومحمداً صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم ستمائة سنة لم يبعث فيها نبي؟ فالجواب أن دعوة عيسى ومَن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك؟ فالجواب أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم فلا يعارض ذلك مَن تقدّم قبل عصرهم وأيضًا فإن المراد بقوله: ﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ أن نبوّة محمد ﷺ ليست ببدع فلا ينبغي أن تنكر لأن الله أرسله كما أرسل من قبله والمراد بقوله: ﴿**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُم مِن نَذِيرٍ مِن قَبْلِكَ**﴾ [السجدة: ٣] أنهم محتاجون إلى الإنذار لكونهم لم يتقدّم مَن ينذرهم فاختلف سياق

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم

الكلام فلا تعارض بينهما ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ للتأسّي ﴿نَكِير﴾ ذكر في سبأ ﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ يريد الصُفرة والحمرة وغير ذلك من الألوان وقيل يريد الأنواع والأول أظهر لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك وفي الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار، يخلق ما يشاء ويختار وفيه ردّ على الطبائعيين لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلاّ نوع واحد ﴿جُدَدٌ﴾ جمع جدة وهي الخطط والطرائق في الجبال ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ جمع غربيب وهو الشديد السواد وقدّم الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد ولأن ذلك كثيرًا ما يأتي في كلام العرب ﴿كَذَلِكَ﴾ يتعلق بما قبله فيتمّ الوقف عليه والمعنى أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه مثل الجبال المختلف ألوانها والثمرات المختلف ألوانها وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته ﴿إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يعني العلماء بالله وصفاته وشرائعه علمًا يوجب لهم الخشية من عذابه وفي الحديث أعلمكم بالله أشدّكم له خشية لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه فلذلك خصّ العلماء بالخشية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي يقرؤون القرآن وقيل معنى يتلون يتبعون والخبر يرجون تجارة أو محذوف ﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي لن تكسد ويعني بالتجارة طلب الثواب ﴿وَيَزِيدَهُم من فَضْلِهِ﴾ توفية الأجور وهو ما يستحقه المطيع من الثواب والزيادة التضعيف فوق ذلك، وقيل الزيادة النظر إلى وجه الله ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْه﴾ تقدّم في البقرة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ يعني أمة محمد ﷺ والتوريث عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسّرين هذه الأصناف الثلاثة في

مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ

أمة محمد ﷺ فالظالم لنفسه العاصي والسابق التّقي والمقتصد بينهما وقال الحسن: السابق مَن رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته والمقتصد مَن استوت حسناته وسيئاته وجميعهم يدخلون الجنة ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناجٍ وظالمنا مغفور له»، وقيل الظالم الكافر والمقتصد المؤمن والعاصي والسابق التّقي فالضمير في منهم على هذا يعود على العباد وأما على القول الأول فيعود على الذين اصطفينا وهو أرجح وأصحّ لوروده في الحديث، وجلالة القائلين به، فإن قيل: لِمَ قدّم الظالم ووسط المقتصد وأخّر السابق؟ فالجواب: أنه قدّم الظالم لنفسه رفقًا به لئلا ييئس وأخّر السابق لئل يعجب بنفسه، وقال الزمخشري: قدّم الظالم لكثرة الظالمين وأخّر السابق لقلّة السابقين ﴿**ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ إشارة إلى الاصطفاء ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ**﴾ بدل من الفضل أو خبر مبتدأ تقديره ثوابهم جنات عدن أو مبتدأ تقديره لهم جنات عدن ﴿**يَدْخُلُونَهَا**﴾ ضمير الفاعل يعود على الظالم، والمقتصد، والسابق، على القول بأن الآية في هذه الأمة: وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة وقال الزمخشري: إنه يعود على السابق خاصة وذلك على قول المعتزلة في الوعيد ﴿**أَسَاوِرَ**﴾ ذكر في الحج ﴿**أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ**﴾ قيل هو عذاب النار، وقيل أهوال القيامة وقيل هموم الدنيا والصواب العموم في ذلك كله ﴿**دَارَ الْمُقَامَةِ**﴾ هي الجنة والمقامة هي الإقامة، والموضع وإنما سمّيت الجنة دار المقامة، لأنهم يقومون فيها ولا يخرجون منها ﴿**نَصَبٌ**﴾ النصب تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن ﴿**يَصْطَرِخُونَ**﴾ يفتعلون من الصراخ أي يستغيثون فيقولون ربّنا أخرجنا وفي قولهم غير الذي كنّا نعمل اعتراف بسوء عملهم وتندّم عليه ﴿**أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم**﴾ الآية توبيخ لهم وإقامة حجة عليهم وقيل إن مدة التذكير ستّون سنة وقيل أربعون وقيل البلوغ والأول أرجح لقول رسول الله ﷺ مَن عمّره

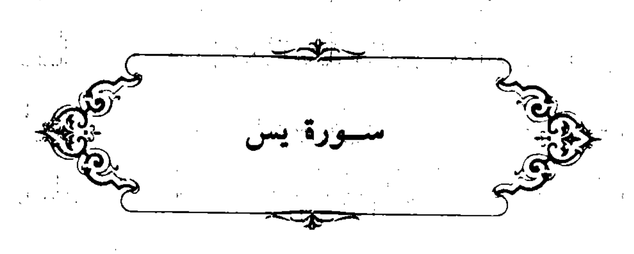
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا

الله ستّين سنة فقد أعذر إليه في العمر ﴿**وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ يعني النبي ﷺ، وقيل يعني الشيب لأنه نذير بالموت والأول أظهر.

﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ أي بما تضمره الصدور وتعتقده، وقال الزمخشري ذات هنا تأنيث ذو بمعنى صاحب لأن المضمرات تصحب الصدور ﴿**خَلَائِفَ**﴾ ذكر في الأنعام ﴿**مَقْتًا**﴾ المقت احتقار الإنسان وبغضه لأجل عيوبه أو ذنوبه ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمْ**﴾ الآية احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم ﴿**أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ**﴾ أي نصيب ﴿**فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ**﴾ أي على أمر جليّ والضمير في أتيناهم يحتمل أن يكون للأصنام أو للمشركين وهذا أظهر في المعنى والأول أليق بما قبله من الضمائر ﴿**أَن تَزُولَا**﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تزولا أو مفعول به لأن يمسك بمعنى يمنع ﴿**وَلَئِن زَالَتَا**﴾ أي لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد وقيل أراد زوالهما يوم القيامة عند طيّ السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال ﴿**مِّن بَعْدِهِ**﴾ أي من بعد تركه الإمساك ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ**﴾ الضمير لقريش وذلك أنهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى جاءتهم الرسل فكذّبوهم والله لئن جاءنا رسول لنكونن أهدى منهم ﴿**إِحْدَى الْأُمَمِ**﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ**﴾ يعني محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿**اسْتِكْبَارًا**﴾ بدل من نفورًا أو مفعول من أجله ﴿**وَمَكْرَ السَّيِّءِ**﴾ هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع وجانب الغربي والأصل أن يقال المكر السيىء ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾ أي لا يحيط وبال المكر السيىء إلاّ بمَن مكره ودبّره، وقال كعب لابن عباس إن في التوراة مَن حفر حفرة لأخيه وقع فيها فقال ابن عباس

سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

أنا أجد هذا في كتاب الله: **﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ إلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾** أي هل ينتظرون إلاّ عادة الأمم المتقدمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسل **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيءٍ﴾** أي لا يفوته شيء ولا يصعب عليه **﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾** الضمير للأرض والدابّة عموم في كل ما يدبّ وقيل أراد بني آدم خاصّة **﴿إلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾** يعني يوم القيامة وباقي الآية وعد ووعيد.



مكية إلا آية ٤٥ فمدنية وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

قد تكلمنا في البقرة على حروف الهجاء وقيل في يس إنه من أسماء النبي ﷺ وقيل معناه يا إنسان ﴿**تَنْزِيلَ**﴾ بالرفع خبر ابتداء مضمر وبالنصب مصدر أو مفعول بفعل مضمر ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْمًا**﴾ هم قريش ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الأمم ﴿**مَا أُنذِرَ آباؤُهُمْ**﴾ ما نافية والمعنى لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم، وقيل المعنى لتنذر قومًا مثل ما أُنذر آباؤهم. فما على هذا موصولة بمعنى الذي أو مصدرية والأول أرجح لقوله ﴿**فَهُمْ غَافِلُون**﴾ يعني أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم وتكون بمعنى قوله ما أتاهم من نذير من قبلك ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آباؤهم الأقربون ﴿**لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ**﴾ أي سبق القضاء ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالًا**﴾ الآية: فيها ثلاثة أقوال: الأول أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان، فشبّههم بمَن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات وغطّى على بصره فصار لا يرى، والثاني

يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ

أنها عبارة عن كفّهم عن إذاية النبي ﷺ حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر فرجع عنه فزعًا مرعوبًا، والثالث أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم، والأول أظهر وأرجح لقوله قبلها **﴿فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾** وقوله بعدها: **﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾** **﴿فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ﴾** الذقن هي طرف الوجه حيث تنبت اللحية، والضمير للأغلال، وذلك أن الغلّ حلقة في العنق، فإذا كان واسعًا عريضًا وصل إلى الذقن فكان أشدّ على المغلول، وقيل الضمير للأيدي على أنها لم يتقدّم لها ذكر، ولكنها تُفهَم من سياق الكلام، لأن المغلول تضمّ يداه في الغلّ إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود: إنا جعلنا في أيديهم أغلالاً إلى الأذقان. وهذه القراءة تدلّ على هذا المعنى، وقد أنكره الزمخشري **﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾** يقال قمح البعير إذا رفع رأسه، وأقمحه غيره إذا فعل به ذلك، والمعنى أنهم لما اشتدت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رؤوسهم إلى الارتفاع، وقيل معنى مقمحون ممنوعون من كل خير **﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾** الآية: السدّ الحائل بين الشيئين، وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان **﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾** أي غطّينا على أبصارهم وذلك أيضًا مجاز يراد به إضلالهم **﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾** الآية: ذكرنا معناها وإعرابها في البقرة **﴿إِنَّما تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾** المعنى أن الإنذار لا ينفع إلاّ مَن اتبع الذكر وهو القرآن **﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾** معناه كقولك إنما تنذر الذين يخشون ربّهم بالغيب وقد ذكرناه في فاطر **﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾** أي نبعثهم يوم القيامة، وقيل إحياؤهم إخراجهم من الشرك إلى الإيمان، والأوّل أظهر **﴿ونَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾** أي ما قدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علموه أو تحبيس حبسوه، وقيل الأثر هنا: الخطا إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث **﴿إِمَامٍ مُبِينٍ﴾** أي في كتاب وهو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال **﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً﴾** الضمير لقريش، ومثلاً وأصحاب القرية مفعولان باضرب على القول بأنها تتعدّى إلى مفعولين، وهو الصحيح والقرية أنطاكية **﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾** هم من الحواريين الذين

فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ

أرسلهم عيسى عليه الصلاة والسلام يدعون الناس إلى عبادة الله، وقيل: بل هم رسل أرسلهم الله، ويدلّ على هذا قول قومهم ما أنتم إلاّ بشر مثلنا، فإن هذا إنما يقال لمَن ادّعى أن الله أرسله ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي قوّينا الاثنين برسول ثالث، قيل اسمه شمعون ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ إنما أكدوا الخبر هنا باللام لأنه جواب المنكرين بخلاف الموضع الأول فإنه إخبار مجرد ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي تشاءمنا بكم، وأصل اللفظ من زجر الطير ليستدلّ على ما يكون من شرّ أو خير، وإنما تشاءموا بهم لأنهم جاؤوهم بدين غير دينهم وقيل وقع فيهم الجذام لمّا كفروا، وقيل قحطوا ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي قال الرُّسُل لأهل القرية شؤمكم معكم: أي إنما الشؤم الذي أصابكم بسبب كفركم لا بسببنا ﴿أَئِن ذُكِّرْتُمْ﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط وفي الكلام حذف تقديره أتطيرون أن ذكرتم ﴿يَسْعَى﴾ أي يسرع بجدّه ونصيحته، وقيل اسمه حبيب النجار ﴿اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجرة على الإيمان فلا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم وتربحون معهم الاهتداء في دينكم ﴿وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ المعنى أيّ شيء يمنعني من عبادة ربّي وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه، ولذلك قال وإليه ترجعون فخاطبهم ﴿إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾ هذا وصف للآلهة، والمعنى كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقذونني من الضرّ ﴿إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ أي إن اتخذت آلهة غير الله فإني لفي ضلال مبين ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ خطاب لقومه أي اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي، وقيل خطاب للرسل ليشهدوا له ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قيل هنا محذوف يدلّ عليه الكلام، ورُوِيَ في الأثر وهو أن الرجل

ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم

لمّا نصح قومه قتلوه فلما مات قيل له ادخل الجنة، واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء أو هل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها **﴿قَالَ يَا لَيتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾** تمنّى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنون، ولذلك ورد في الحديث أنه نصح لهم حيًا وميتًا، وقيل أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه وينفعهم ذلك **﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ من جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾** المعنى أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل ولم يحتج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء لأنهم أهون من ذلك، وقيل المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة رُسُلاً كما قالت قريش لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة بعد ذلك **﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾** ما كنا لننزل جندًا من السماء إلى أحد **﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾** أي ساكنون لا يتحركون ولا ينطقون **﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾** نداء للحسرة كأنه قال يا حسرة احضري فهذا وقتك، وهذا التفجّع عليهم استعارة في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسل، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة أو المؤمنين من الناس، وقيل المعنى يا حسرة العباد على أنفسهم **﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾** الضمير لقريش أو للعباد على الإطلاق والرؤية هنا بمعنى العلم **﴿وَإِنْ كُلٌ لَّمَا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾** قرىء لما بالتخفيف وهي لام التأكيد دخلت على ما المزيدة وإن على هذا مخفّفة من الثقيلة، وقرىء بالتشديد وهي بمعنى إلاّ، وإن على هذا نافية **﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيدِيهِمْ﴾** ما معطوفة على ثمره أي ليأكلوا من الثمر وما عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة، وقيل ما نافية وقرىء ما عملت من غير هاء وما على هذا معطوفة **﴿الأَزْوَاجَ﴾** يعني أصناف المخلوقات ثم فسّرها بقولهِ مما تنبت الأرض وما بعده، فمن في المواضع الثلاثة للبيان **﴿وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾** يعني أشياء لا يعلمها بنو آدم كقوله ويخلق ما لا

مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم

تعلمون **﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾** أي نجرّده منه وهي استعارة **﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾** أي لحدّ موقّت تنتهي إليه من فلكها وهي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشتاء والصيف، وقيل مستقرها وقوفها كل وقت زوال، بدليل وقوف الظلّ حينئذ، وقيل مستقرها يوم القيامة حين تكوّر، وفي الحديث مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها، وهذا أصحّ الأقوال لوروده عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح، وقرىء لا مستقر لها أي لا تستقر عن جريها **﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾** قرىء بالرفع على الابتداء أو عطف على الليل، وبالنصب على إضمار فعل، ولا بدّ في قدّرناه من حذف تقديره قدّرنا سيره منازل، ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر ثم يستتر في آخر الشهر ليلة أو ليلتين، وقال الزمخشري وهذه المنازل هي مواضع النجوم: وهي السرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العوى، السماك، الغفر، الزبانى، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد بلع، سعد الذابح، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدّم، فرغ الدلو المؤخر، بطن الحوت **﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾** العرجون هو غصن النخلة شبّه القمر به إذا انتهى في نقصانه والتشبيه في ثلاثة أوصاف: وهي الرقّة، والانحناء، والصفرة، ووصفه بالقديم لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف **﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾** المعنى لا يمكن للشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره، وهكذا قال بعضهم ويحتمل أن يريد أن سير الشمس في الفلك بطيء فإنها تقطع الفلك في سنة وسير القمر سريع، فإنه يقطع الفلك في شهر والبطيء لا يدرك السريع **﴿وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾** يعني أن كل واحد منهما جعل الله له وقتًا موقتًا واحدًا معلومًا لا يتعدّاه فلا يأتي الليل حتى ينفصل النهار، كما لا يأتي النهار حتى ينفصل الليل، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس: أي لا تجتمع معه فيكون المعنى كالذي قيل في قوله: **﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾** فحصل من ذلك أن الشمس لا تجتمع مع القمر وأن القمر لا يجتمع مع الشمس **﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾** ذكر في الأنبياء **﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾** معنى المشحون المملوء، والفلك هنا يحتمل أن يريد به جنس السفن

مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا

أو سفينة نوح عليه السلام، وأما الذرّيّة فقيل إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح عليه السلام، وسمّى الآباء ذرّية لأنها تناسلت منهم، وأنكر ابن عطية ذلك، وقال إنه يعني النساء، وهذا بعيد، والأظهر أنه أراد بالفلك جنس السفن، فيعني جنس بني آدم، وإنما خصّ ذرّيّتهم بالذكر لأنه أبلغ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة، وإن أراد بالفلك سفينة نوح فيعني بالذرّيّة مَن كان في السفينة، وسمّاهم ذرّيّة، لأنهم ذرّيّة آدم ونوح، فالضمير في ذرّيّتهم على هذا النوع بني آدم كأنه يقول الذرّيّة منهم **﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾** إن أراد بالفلك سفينة نوح فيعني بقوله من مثله سائر السفن التي يركبها سائر الناس، وإن أراد بالفلك جنس السفن فيعني بقوله من مثله الإبل وسائر المركوبات، فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوب لا غير، والأول أظهر، لقوله وإن نشأ نغرقهم، ولا يتصوّر هذا في المركوبات غير السفن **﴿فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ﴾** أي لا مغيث لهم ولا منقذ لهم من الغرق **﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا﴾** قال الكسائي نصب رحمة على الاستثناء كأنه قال إلاّ أن نرحمهم، وقال الزجّاج نصب رحمة على المفعول من أجله كأنه قال إلاّ لأجل رحمتنا إياهم **﴿وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾** يعني آجالهم **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾** الضمير لقريش، وجواب إذا محذوف تقديره أعرضوا يدلّ عليه إلاّ كانوا عنها معرضين، والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم ذنوبهم المتقدّمة والمتأخرة، وقيل ما بين أيديهم عذاب الأمم المتقدمة، وما خلفهم عذاب الآخرة **﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾** كان النبي ﷺ والمؤمنون يحضّون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفّار بهذا الجواب، وفي معناه قولان: أحدهما أنهم قالوا كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم ومَن حرمهم الله نحن نحرمهم، وهذا كقولهم كن مع الله على المدبر، والآخر أن قولهم ردّ على المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون إن الأمور كلها بيد الله، فكان الكفّار يقولون لهم لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء فما بالكم تطلبون إطعامهم منّا، ومقصدهم في الوجهين احتجاج لبخلهم ومنعهم الصدقات واستهزاء بمَن حضّهم على الصدقات **﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾** يحتمل أن يكون

﴿ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن﴾

من بقية كلامهم خطابًا للمؤمنين أو يكون من كلام الله خطابًا للكافرين **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾** يعنون يوم القيامة أو نزول العذاب بهم.

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي ما ينتظرون إلاّ صيحة واحدة وهي النفخة الأولى في الصور وهي نفخة الصعق **﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾** أي يتكلمون في أمورهم وأصل يخصمون يختصمون، ثم أدغم، وقرىء بفتح الخاء وبكسرها واختلاس حركتها **﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾** أي لا يقدرون أن يوصوا بما لهم وما عليهم لسرعة الأمر **﴿وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾** أي لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾** هذه النفخة الثانية وهي نفخة القيام من القبور، والأجداث هي القبور، وينسلون يسرعون المشي، وقيل يخرجون **﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾** الويل منادى أو مصدر **﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾** المرقد يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان قال أُبيّ بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر، قال ابن عطية هذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم من مرقدنا: أنها استعارة وتشبيه به يعني أن قبورهم شُبّهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الرقاد، وإن لم يكن رقاد في الحقيقة **﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾** هذا مبتدأ وما بعده خبر وقيل إن هذا صفة لمرقدنا وما وعد الرحمن مبتدأ محذوف الخبر وهذا ضعيف، ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم أو من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين يقولونها للكفّار على وجه التقريع **﴿إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾** يعني النفخة الثانية وهي نفخة القيام **﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾** قيل هو افتضاض الأبكار، وقيل سماع الأوتار، والأظهر أنه عامّ في الاشتغال باللذّات **﴿فَاكِهُونَ﴾** قُرىء بالألف ومعناه أصحاب فاكهة، وبغير ألف وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور **﴿فِي ظِلاَلٍ﴾** جمع ظل، وبالضمّ جمع ظلّة، **﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾** جمع

رَبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ

أريكة وهي السرير ﴿**وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ**﴾ أي ما يتمنون، وقيل معناه أن ما يدعون به يأتيهم ﴿**سَلَامٌ**﴾ مبتدأ، وقيل بدل مما يدعون ﴿**قَوْلاً**﴾ مصدر مؤكد، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله بواسطة الملك أو بغير واسطة ﴿**وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ**﴾ أي انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حِدَة ﴿**جِبِلاً كَثِيرًا**﴾ الجبل الأمة العظيمة، وقال الضحاك: أقلّها عشره آلاف ولا نهاية لأكثرها، وقرىء بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وبضمّهما مع التخفيف، وبضم الجيم وإسكان الباء، وهي لغات بمعنى واحد ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ**﴾ أي نمنعهم من الكلام فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ**﴾ هذا تهديد لقريش، والطمس على الأعين هو العمى، والصراط الطريق وأنّى استفهام يراد به النفي. فمعنى الآية لو نشاء لأعميناهم فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه، وقيل يعني عمى البصائر أي لو نشاء لختمنا على قلوبهم فالطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ**﴾ هذا تهديد بالمسخ، فقيل معناه المسخ قردة وخنازير وحجارة، وقيل معناه لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطولين لا يستطيعون تصرّفًا، وقيل إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة، والأظهر أنه في الدنيا ﴿**عَلَى مَكَانَتِهِمْ**﴾ المكانة المكان، والمعنى لو نشاء لمسخناهم مسخًا يُقعِدهم في مكانهم ﴿**فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًا وَلاَ يَرْجِعُونَ**﴾ أي إذا مسخوا في مكانهم لم يقدروا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا ﴿**وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ**﴾ أي نحوّل خلقته من القوة إلى الضعف، ومن الفهم إلى البَلَه وشبه ذلك كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وشيبةً﴾ [الروم: ٥٤]، وإنما قصد بذكر ذلك هنا للاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفّار كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ**﴾ الضميران لمحمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم،

مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

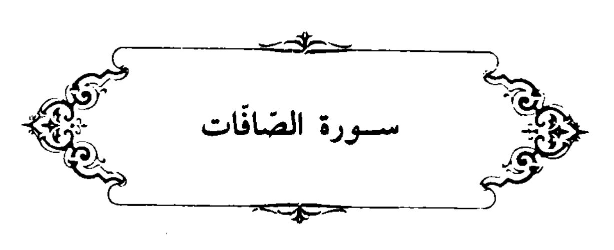
وذلك ردّ على الكفّار في قولهم إنه شاعر، وكان صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لا ينظم الشعر ولا يزنه، وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه، فإن قيل: قد رُوِيَ عنه صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم أنه قال: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب ورُوِيَ أيضا عنه ﷺ: هل أنت إلاّ أصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت، وهذا الكلام على وزن الشعر فالجواب أنه ليس بشعر وأنه لم يقصد به الشعر، وإنما جاء موزونًا بالاتفاق لا بالقصد، فهو كالكلام المنثور، ومثل هذا يقال في مثل ما جاء في القرآن من الكلام الموزون ويقتضي قوله: **﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾** تنزيه النبي ﷺ عن الشعر لما فيه من الأباطيل وإفراط التجاوز حتى يقال إن الشعر أطيبه أكذبه، وليس كل الشعر كذلك فقد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن من الشعر لحكمة» وقد أكثر الناس في ذمّ الشعر ومدحه، وإنما الإنصاف قول الشافعي الشعر كلام والكلام منه حسن ومنه قبيح **﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ﴾** الضمير للقرآن يعني أنه ذكر لله أو تذكير للناس أو شرف لهم **﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾** أي حيّ القلب والبصيرة **﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** أي يجب عليهم العذاب **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾** مقصد الآية تعديد النِّعَم وإقامة الحجة، والأيدي هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة، وعند أهل التسليم من المتشابه الذي يجب الإيمان به وعلمه عند الله **﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾** الركوب بفتح الراء هو المركوب **﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾** يعني الأكل منها والحمل عليها والانتفاع بالجلود والصوف وغيره **﴿وَمَشَارِبُ﴾** يعني الألبان **﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾** الضمير في يستطيعون للأصنام، وفي نصرهم للمشركين، ويحتمل العكس، ولكن الأول أرجح فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لينصروهم: أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم فخاب أملهم **﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾** الضمير الأول للمشركين والثاني للأصنام يعني أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجند وقيل بالعكس بمعنى أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين في الآخرة والأول أرجح لأنه تقبيح لحال المشركين **﴿فَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾** تسلية للنبي ﷺ معلّلة لما بعدها **﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ**

يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ

أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة وردّ على مَن أنكر ذلك، والنطفة هي نطفة المني التي خلق الإنسان منها ولا شك أن الإله الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث، وسبب الآية أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال يا محمد مَن يُحيي هذا؟ وقيل إن الذي جاء بالعظم أُميّة بن خلف وقيل أُبيّ بن خلف فقال له رسول الله ﷺ: «الله يُحييه ويُميتك ثم يُحييك ويُدخلك جهنم» **﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾** أي متكلّم قادر على الخصام يبين ما في نفسه بلسانه **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً﴾** إشارة إلى قول الكافرين مَن يُحيي هذا العظم **﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾** أي نسي الاستدلال بخلقته الأولى على بعثه والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول أو الترك **﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾** أي بالية متفتّتة **﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** استدلال بالخلقة الأولى على البعث **﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾** أي يعلم كيف يخلق كل شيء فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدرًا أو بمعنى المخلوق **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾** هذا دليل آخر على إمكان البعث وذلك أن الذين أنكروه من الكفّار والطبائعيين قالوا طبع الموت يضادّ طبع الحياة فكيف تصير العظام حيّة. فأقام الله عليهم الدليل من الشجر الأخضر الممتلىء ماء مع مضادّة طبع الماء للنار ويعني بالشجر زناد العرب وهو شجر المرخ والعفار فإنه يقطع من كل واحد منهما غصنًا أخضر يقطر منه الماء فيسحق المرخ على العفار فتنقدح النار بينهما قال ابن عباس ليس من شجرة إلاّ وفيها نار إلاّ العنّاب ولكنه في المرخ والعفار أكثر **﴿أَوَ لَيسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰت وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾** هذا دليل آخر على البعث بأن الإله الذي قدر على خلق السمٰوات والأرض على عظمهما وكبر أجرامهما قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها والضمير في مثلهم يعود على الناس **﴿وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾** ذكر في هذين الاسمين أيضًا استدلال على البعث وكذلك في قوله: **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء ولا شك أن الخلاّق

﴿أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

العليم القدير لا يصعب عليه إعادة الأجساد ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ في هذا استدلال على البعث وتنزيه لله عمّا نسبه الكفّار إليه من العجز عن البعث فإنهم ما قدّروا الله حقّ قدره وكلّ مَن أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعالى.



ســورة الصّافات

مكيّة وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ

بِسْــم اللّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿**والصَّافَّاتِ صَفًّا**﴾ تقديره والجماعات الصّافّات ثم اختلف فيها فقيل هي الملائكة التي تصفّ في السماء صفوفًا لعبادة الله وقيل هو من يصفّ من بني آدم في الصلوات والجهاد والأول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة وإنّا لنحن الصّافُّون ﴿**فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرَا**﴾ هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها وقيل الزاجرون بالمواعظ من بني آدم وقيل هي آيات القرآن المتضمنة للزجر عن المعاصي ﴿**فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرَا**﴾ هي الملائكة تتلو القرآن والذكر وقيل هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد ﴿**وَرَبُّ الْمَشَارِقِ**﴾ يعني مشارق الشمس وهي ثلاثمائة وستّون مشرقًا وكذلك المغارب فإنها تشرق كل يوم من أيام السنة في مشرق منها وتغرب في مغرب، واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لأنها معادلة لها فتفهم من ذكرها ﴿**بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ**﴾ قرىء بإضافة الزينة إلى الكواكب والزينة تكون مصدرًا واسمًا لما يُزان به فإن كان مصدرًا فهو مضاف إلى الفاعل

مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن

تقديره بأن زينة الكواكب اسمًا أو مضاف إلى المفعول تقديره بأن زيّنّا الكواكب وإن كانت اسمًا فالإضافة بيان للزينة وقرىء بتنوين زينة وخفض الكواكب على البدل ونصب الكواكب على أنها مفعول بزينة أو بدل من موضع زينة ﴿وحِفظًا﴾ منصوب على المصدر تقديره وحفظناها حفظًا أو مفعول من أجله والواو زائدة أو محمول على المعنى لأن المعنى إنّا جعلنا الكواكب زينة للسماء وحفظًا ﴿مَارِدٍ﴾ أي شديد الشرّ ﴿لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى﴾ الضمير في يسمعون للشياطين والملأ الأعلى هم الملائكة الذين يسكنون في السماء والمعنى أن الشياطين منعت من سماع أحاديث الملائكة وقرىء يسمعون بتشديد السين والميم ووزنه يتفعلون والسمع طلب السماع فنفى السماع على القراءة الأولى ونفى طلبه على القراءة بالتشديد والأول أرجح لقوله: ﴿إنّهم عَنِ السَّمعِ لَمَعْزُولُون﴾ [الشعراء: ٢١٢] ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون لكنهم لا يسمعون شيئًا منذ بعث محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنهم يرمون بالكواكب ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي يرجمون يعني بالكواكب وهي التي يراها الناس تنقض قال النقّاش ومكّي ليست الكواكب الراجمة للشياطين بالكواكب الجارية في السماء لأن تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منّا قال ابن عطية وفي هذا نظر ﴿دُحُورًا﴾ أي طردًا وإبعادًا وإهانة لأن الدحر الدفع بعنف وإعرابه مفعول من أجله أو مصدر من يقذفون على المعنى أو مصدر في موضع الحال تقديره مدحورين ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي دائم لأنهم يرجمون بالنجوم في الدنيا ثم يقذفون في جهنم، ﴿إلاّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ مَن في موضع رفع بدل من الضمير في قوله: ﴿لاَ يَسَّمَّعُونَ﴾ والمعنى لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلاّ الشيطان الذي خطف الخطفة ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أي شديد الإضافة ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ الضمير لكفّار قريش والاستفتاء نوع من السؤال وكأنه سؤال مَن يعتبر قوله ويجعل حجة لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم به الحجة عليهم ومَن خلقنا يراد به ما تقدّم ذكره من الملائكة والسمٰوات والأرض والمشارق والكواكب وقيل يراد به ما تقدّم من الأمم والأول أرجح لقراءة ابن مسعود أم من عددنا ومقصد الآية إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة كأنه يقول هذه المخلوقات أشدّ خلقًا منكم فكما قدرنا على خلقهم كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم ﴿إنّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لأَزِبِ﴾ اللازب اللازم أي يلزم ما جاوره ويلصق به ووصفه بذلك يراد به ضعف خلقة بني

﴿طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝١٣ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٤ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٥ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ۝١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝٢١ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ﴾

آدم، ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ أي عجبت يا محمد من ضلالهم وإعراضهم عن الحق أو عجبت من قدرة الله على هذه المخلوقات العِظام المذكورة وقرىء عجبت بضم التاء وأشكل ذلك على مَن يقول إن التعجّب مستحيل على الله فتأوّلوه بمعنى أنه جعله على حال يتعجب منها الناس وقيل تقديره قل يا محمد عجبت وقد جاء التعجّب من الله في القرآن والحديث كقوله ﷺ يعجب ربك من شاب ليس له صبوة وهو صفة فعل وإنما جعلوه مستحيلاً على الله لأنهم قالوا إن التعجب استعظام خفي سببه والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفيّ السبب بل هو لمجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل على الله ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ تقديره وهم يسخرون منك أو من البعث ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ الآية هنا العلامة كانشقاق القمر ونحوه ورُوِيَ أنها نزلت في مشرك اسمه ركانة أراه النبي ﷺ آيات فلم يؤمن ويستسخرون معناه يسخرون فيكون فعل واستعمل بمعنى واحد وقيل معناه يستدعي بعضهم بعضًا لأن يسخر وقيل يبالغون في السخرية ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ الآية: معناها استبعادهم البعث وقد تقدّم الكلام على الاستفهامين في الرعد ﴿أَوَ آبَاؤُنَا﴾ بفتح الواو دخلت همزة الإنكار على واو العطف وقرىء بالإسكان عطفًا بأو ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي قل تبعثون والداخر الصاغر الذليل ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هي النفخة في الصور للقيام من القبور ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ يحتمل أن يكون من النظر بالأبصار أو من الانتظار أي ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامهم مثل الذي قبله أو مما يقال لهم مثل الذي بعده ﴿احْشُرُوا﴾ الآية: خطاب للملائكة خاطبهم به الله تعالى أو خاطب به بعضهم بعضًا﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يعني نساؤهم المشركات وقيل يعني أصنامهم وقرناءهم من الجنّ والإنس ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ يعني الأصنام والآدميين الذين كانوا يرضون بذلك ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي دلّوهم على طريق جهنم ليدخلوها ﴿إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾ يعني إنهم يسألون عن أعمالهم توبيخًا لهم وقيل يسألون عن قول لا إله إلاّ الله والأول

مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم

أرجح لأنه أهم ويحتمل أن يسألوا عن عدم تناصرهم على وجه التهكّم بهم فيكون مسؤولون عاملاً فيما بعده والتقدير يقال لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا وقد كنتم في الدنيا تقولون نحن جميع منتصر ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي منقادون عاجزون عن الانتصار ﴿**قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ**﴾ الضمير في قالوا للضعفاء من الكفّار خاطبوا الكبراء منهم في جهنم أو للإنس خاطبوا الجنّ واليمين هنا يحتمل ثلاث معانٍ الأول أن يراد بهما طريق الخير والصواب وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين كما أن العبارة عن الشرّ بالشمال والمعنى أنهم قالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدّوننا عنه والثاني أن يراد به القوّة والمعنى على هذا أنكم كنتم تأتوننا بقوّتكم وسلطانكم فتأمروننا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان والثالث أن يراد بها اليمين التي يحلف بها أي كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدّقكم في ذلك ونتّبعكم ﴿**قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ الضمير في قالوا للكبراء من الكفّار أو للشياطين والمعنى أنهم قالوا لأتباعهم ليس الأمر كما ذكرتم بل كفرتم باختياركم ﴿**فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ**﴾ أي وجب العذاب علينا وعليكم، وإنا لذائقون: معمول القول وحذف معمول ذائقون تقديره وجب القول بأنّا ذائقون العذاب ﴿**فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ**﴾ أي دعوناكم إلى الغيّ، لأنّا كنّا على غيّ ﴿**فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مشتركون**﴾ أي إن المتبوعين والأتباع مشتركون في عذاب النار ﴿**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**﴾ الضمير في يقولون لكفّار قريش، ويعنون شاعر مجنون: محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، فردّ الله عليهم بقوله ﴿**بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ**﴾ أي جاء بالتوحيد والإسلام، وهو الحق ﴿**وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ الذين جاؤوا قبله: لأنه جاء بمثل ما جاؤوا به، ويحتمل المعنى أن يكون صدقهم لأنهم أخبروا بنبوّته فظهر صدقهم لما بعث عليه الصلاة والسلام ﴿**إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾ استثناء منقطع بمعنى لكن، وقرىء مخلصين بفتح اللام

﴿مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ﴾

وكسرها في كل موضع، وقد تقدّم تفسيره ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ السُّرر جمع سرير، وتقابلهم في بعض الأحيان للسرور بالأنس، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد بقصره ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ الذين يطوفون عليهم الولدان، حسبما ورد في الآية الأخرى، والكأس الإناء الذي فيه خمر قاله ابن عباس، وقيل الكأس إناء واسع الفم، ليس له مقبض، سواء كان فيه خمر أم لا، والمعين: الجاري الكثير، ووزنه فعيل، والميم فيه أصلية، وقيل هو مشتق من العين، والميم زائدة، ووزنه مفعول ﴿لَذَّةٍ﴾ أي ذات لذّة، فوصفها بالمصدر اتّساعًا ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ﴾ الغول: اسم عامّ في الأذى والضير، ومنه يقال غاله يغوله: إذا أهلكه: وقيل الغول وجع في البطن، وقيل صداع في الرأس، وإنما قدّم المجرور هنا تعريضًا بخمر الدنيا، لأن الغول فيها ﴿وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ أي لا يسكرون من خمر الجنة، ومنه النزيف، وهو السكران، وعن هنا سببية، كقولك فعلته عن أمرك، أي لا ينزفون بسبب شربها ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ معناه أنّهنّ قصرن أعينهنّ على النظر إلى أزواجهنّ، فلا ينظرن إلى غيرهنّ ﴿عِينٌ﴾ جمع عيناء، وهي الكبيرة العينين في جمال ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قيل شبّههنّ في اللون ببيض النعام، فإنه بياض خالطه صفرة حسنة، وكذلك قال امرىء القيس:

كَبكر مقناة البياض بصفرة

وقيل إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي الرقيق، وهو المكنون المصون تحت القشرة الأولى، وقيل أراد الجوهر المصون ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ هذا إخبار عن تحدّث أهل الجنة قال الزمخشري هذه الجملة معطوفة على يطاف عليهم، والمعنى أنهم يشربون فيتحدّثون على الشراب، بما جرى لهم في الدنيا ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ قيل إن هذا القائل وقرينه من البشر، مؤمن وكافر وقيل إن قرينه كان من الجنّ ﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ معناه أنه كان يقول له على وجه الإنكار أتصدق بالدنيا والآخرة ﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي مجازون ومحاسبون على الأعمال، ووزنه مفعول، وهو من الدين

فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا

بمعنى الجزاء والحساب **﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾** أي قال ذلك القائل لرفقائه في الجنّة، أو للملائكة أو لخدّامه، هل أنتم مطّلعون على النار لأريكم ذلك العزيز فيها، ورُوِيَ أن في الجنة كوى ينظرون أهلها منها إلى النار **﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾** أي في وسطها **﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾** أي تهلكني بإغوائك، والرّدى الهلاك، وهذا خطاب خاطب به المؤمن قرينه الذي في النار **﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾** في العذاب **﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾** هذا من كلام المؤمن، خطاب لقرينه أو خطابًا لرفقائه في الجنة ولهذا قال نحن فأخبر عن نفسه وعنهم ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعًا **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** يحتمل أن يكون من كلام المؤمن، أو من كلامه وكلام رفقائه في الجنة أو من كلام الله تعالى، وكذلك يحتمل هذه الوجوه في قوله: **﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾** والأول أرجح فيه أن يكون من كلام الله تعالى لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلاً به، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقة في الدنيا ففيه تحضيض على العمل الصالح **﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾** الإشارة بذلك إلى نعيم الجنة، وكل ما ذكر من وصفها، وقال الزمخشري الإشارة إلى قوله رزق معلوم، والنّزل الضيافة، وقيل الرزق الكثير وجاء التفضيل هنا بين شيئين، ليس بينهما اشتراك، لأن الكلام تقرير وتوبيخ **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾** قيل سببها أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقّوم، قالوا كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر، فالفتنة على هذا الابتلاء في الدنيا وقيل معناه، عذاب الظالمين في الآخرة، والمراد بالظالمين هنا الكفّار **﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾** أي تنبت في قعر جهنم وترتفع أغصانها إلى دركاتها **﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾** الطلع ثمر النخل فاستعير لشجرة الزقّوم وشبّه برؤوس الشياطين مبالغة في قبحه وكراهته، لأنه قد تقرّر في نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها، ولذلك يقال للقبيح المنظر وجه شيطان وقيل رؤوس الشياطين شجرة معروفة باليمن، وقيل هو صنف من الحيّات **﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾** أي مزاجًا من ماء حار، فإن قيل: لِمَ عطف هذه

ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟

الجملة بثم، فالجواب من وجهين: أحدهما أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان، فالمعنى أنهم يملؤون البطون من شجر الزقّوم، وبعد ذلك يشربون الحميم، والثاني أنه لترتيب مضاعفة العذاب فالمعنى أن شربهم للحميم أشدّ مما ذكر قبله ﴿**يُهْرَعُونَ**﴾ الإهراع الإسراع الشديد ﴿**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ**﴾ أي دعانا فالمعنى دعاؤه بإهلاك قومه ونصرته عليهم ﴿**مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ**﴾ يعني الغرق ﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ**﴾ أهل الأرض كلهم من ذرّية نوح لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومَن كان معه في السفينة، تناسل الناس من أولاده الثلاثة، سام وحام ويافث ﴿**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ**﴾ معناه أبقينا عليه ثناءً جميلاً في الناس إلى يوم القيامة ﴿**سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾ هذا التسليم من الله على نوح عليه السلام، وقيل إن هذه الجملة مفعول تركنا وهي محكيّة أي تركنا هذه الكلمة، تقال له يعني أن الخلق يسلّمون عليه فيبتدأ بالسلام على القول الأول، لا على الثاني والأول أظهر ومعنى في العالمين على القول الأول تخصيصه بالسلام عليه بين العالمين، كما تقول أحبّ فلانًا في الناس أي أُحبّه خصوصًا من بين الناس ومعناه على القول الثاني: أن السلام عليه ثابت في العالمين، وهذا الخلاف يجري حيث ما ذكر ذلك في هذه السورة ﴿**وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ**﴾ الشيعة الصنف المتّفق، فمعنى من شيعته مَن على دينه في التوحيد، والضمير يعود على نوح وقيل على سيّدنا محمد ﷺ والأول أظهر ﴿**إِذْ جَاءَ رَبَّهُ**﴾ عبارة عن إخلاصه وإقباله على الله تعالى، بكليّته وقيل المراد المجيء بالجسد ﴿**بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ أي سليم من الشرك، والشك وجميع العيوب ﴿**أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ**﴾ الإفك الباطل وإعرابه هنا مفعول من أجله، وآلهة مفعول به وقيل أئفكًا مفعول به وآلهة بدل منه وقيل أئفكًا مصدر في موضع الحال، تقديره آفكين أي كاذبين والأول أحسن ﴿**فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ المعنى

عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟

أيّ شيء تظنون بربّ العالمين، أن يعاقبكم به وقد عبدتم غيره أو أيّ شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره كما تقول ما ظنك بفلان إذا قصدت تعظيمه، فالمقصد على المعنى الأول تهديد وعلى الثاني تعظيم لله وتوبيخ له ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ رُوِيَ أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال إني سقيم ليمتنع عن الخروج معهم، فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال الأول أنها كانت تأخذه الحمّى في وقت معلوم، فنظر في النجوم ليرى وقت الحمّى، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم من الحمّى، والثاني أن قومه كانوا منجّمين وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم أنه استدلّ بالنظر في علم النجوم أنه يسقم، فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم والثالث أن معنى نظر في النجوم أنه نظر وفكّر فيما يكون من أمره معهم فقال إني سقيم والنجوم على هذا ما ينجم من حاله معهم، وليست بنجوم السماء، وهذا بعيد وقوله إني سقيم على حسب هذه الأقوال يحتمل أن يكون حقًّا لا كذب فيه ولا تجوز أصلاً، ويعارض هذا ما ورد عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات، أحدها: قوله إني سقيم، ويحتمل أن يكون كذبًا صراحًا، وجاز له ذلك لهذا الاحتمال لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام، ويحتمل أن يكون من المعاريض فإن أراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لا بدّ له أن يمرض، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له وهذان التأويلان أولى، لأن نفي الكذب بالجملة معارض للحديث، والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء، عند أهل التحقيق، أما المعاريض فهي جائزة ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ أي تركوه إعراضًا عنه وخرجوا إلى عيدهم، وقيل إنه أراد بالسقم الطاعون وهو داء يعدي فخافوا منه وتباعدوا عنه مخافة العدوى ﴿فَرَاغَ﴾ أي مالَ ﴿فَقَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ﴾ إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي يمين يديه وقيل بالقوة وقيل بالحلف، وهو قوله: ﴿تَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]، والأول أظهر وأليق بالضرب وضربًا مصدر في موضع الحال ﴿يَزِفُّونَ﴾ أي يسرعون ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ أي تنجرون والنحت النجارة إشارة إلى صنعهم للأصنام من الحجارة والخشب ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ذهب قوم إلى أن ما مصدرية، والمعنى الله خلقكم وأعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد،

لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ

وقيل إنها موصولة بمعنى الذي والمعنى الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام، وقيل إنها نافية، وقيل إنها استفهامية، وكلاهما باطل **﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنيَانًا﴾** قيل البنيان في موضع النار، وقيل بل كان للمنجنيق، الذي رُمِيَ عنه **﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيدًا﴾** يعني حرقه بالنار **﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾** أي المغلوبين **﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾** قيل إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد أنه ذاهب أي مهاجر إلى الله فهاجر إلى أرض الشام، وقيل إنه قال ذلك قبل أن يطرح في النار وأراد أنه ذاهب إلى ربّه بالموت لأنه ظن أن النار تحرقه وسيهدين على القول الأول يعني الهدى إلى صلاح الدين والدنيا، وعلى القول الثاني إلى الجنة، وقالت المتصوفة معناه إني ذاهب إلى ربّي بقلبي أي مقبل على الله بكليّتي تارِكًا سواه **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** يعني ولدًا من الصالحين **﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾**أي عاقل واختلف الناس في هذا الغلام المبشّر به في هذا الموضع وهو الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحٰق فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل وحجّتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «أنا ابن الذبيحين» يعني إسماعيل عليه السلام ووالده عبد الله حين نذر والده عبد المطلب أن ينحره إن يسّر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الإبل والثاني أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح وبشّرناه بإسحٰق فدلّ ذلك على أن الذبيح غيره والثالث أنه رُوِيَ أن إبراهيم جرت له قصّة الذبح بمكة وإنما كان معه بمكة إسماعيل وذهب عليّ بن أبي طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحٰق وحجّتهم من وجهين الأول أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالوادي إنما كانت بإسحٰق لقوله فبشّرناها بإسحٰق ومن وراء إسحٰق يعقوب، والثاني أنه رُوِيَ أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحٰق ذبيح الله.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يريد بالسعي هنا العمل والعبادة، وقيل المشي وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة **﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾** يحتمل أن يكون رأى في المنام الذبح وهو الفعل أو أمر في المنام أنه يذبحه والأول أظهر في اللفظ هنا، والثاني

ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا

أظهر في قول افعل ما تؤمر ورؤيا الأنبياء حق فوجب عليه الامتثال على الوجهين **﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾** إن قيل لِمَ شاوره في أمر هو حتم من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر فأجابه بأحسن جواب **﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾** أي استسلما وانقادا لأمر الله **﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾** أي صرعه بالأرض على جبينه وللإنسان جبينان حوّل الجبهة، وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره، فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم، وقال الكوفيون جوابه تله والواو زائدة، وقال بعضهم جوابها: ناديناه والواو زائدة **﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾** يحتمل أنه يريد بقلبك أي كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها ويحتمل أن يريد صدقتها بعملك أو وفيت حقّها من العمل، فإن قيل إنه أمر بالذبح ولم يذبح، فكيف قيل له صدقت الرؤيا؟ فالجواب أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على الذبح ولو لم يفده الله لذبحه ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه لما فداه فامتناع ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله وقد قضى إبراهيم ما عليه **﴿الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾** أي الاختبار البيّن الذي يُظهِر به طاعة الله أو المحنة البيّنة الصعوبة **﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾** الذبح اسم لما يذبح وأراد به هنا الكبش الذي فدي به، ورُوِيَ أنه من كباش الجنة، وقيل إنه الكبش الذي قرّب به ولد آدم ووصفه بعظيم لذلك أو لأنه من عند الله أو لأنه متقبّل، ورُوِيَ في القصص أن الذبيح قال لإبراهيم اشدد رباطي لئلا أضطرب، واصرف بصرك عني لئلا ترحمني وأنه أمرّ الشفرة على حلقه فلم تقطع فحينئذ جاءه الكبش من عند الله وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية وتركناه لعدم صحته **﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾** إن قيل لِمَ قال هنا في قصة إبراهيم كذلك دون قوله إنّا، وقال في غيرها إنّا، فالجواب أنه قد تقدّم في قصة إبراهيم نفسها: إنّا كذلك فأغنى عن تكرار إنّا **﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾** يعني بالنبوّة وغير ذلك **﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾** يعني الغرق أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم **﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾** الضمير يعود على

ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ

موسى وهارون وقومهما وقيل على موسى وهارون خاصّة وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم وهذا ضعيف ﴿**وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ**﴾ يعني التوراة ومعنى المستبين البيّن، وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع ﴿**وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ إلياس من ذرّيّة هارون وقيل إنه إدريس، وقد أخطأ مَن قال إنه إلياس المذكور في أجداد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿**أَتَدْعُونَ بَعْلاً**﴾ البعل في اللغة الربّ بلغة أهل اليمن وقيل بعل اسم صنم يقال له بعلبك ﴿**سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ**﴾ ال هنا على هذه القراءة بمعنى أهل ياسين اسم لإلياس، وقيل لأبيه، وقيل لسيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقرىء إلياسين بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة على هذا جمع إلياس أو منسوب لإلياس حذفت منه الياء كما حذفت من أعجمين، وقيل سمّي كل واحد من آل ياسين إلياس ثم جمعهم وقيل هو لغة في إلياس ﴿**عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ**﴾ قد ذكر ﴿**وَإِنَّ يُونُس لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ قد ذكرنا قصته في يونس والأنبياء ﴿**إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**﴾ أي هرب إلى السفينة والفُلْك هنا واحد والمشحون المملوء، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا، وقيل إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبما أعلمه الله، فلما رأوا قومه مخايل العذاب آمنوا، فرفع الله عنهم العذاب فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب ﴿**فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ**﴾ معنى ساهم ضارب القرعة والمدحض المغلوب في القرعة والمحاجّة وسبب مقارعته أنه لمّا ركب السفينة، وقفت ولم تجرِ، فقالوا إنما وقفت من حدث أحدثه فنقترع لنرى على مَن تخرج القرعة فنطرحه فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه في البحر ﴿**فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾ أي فعل ما يُلام عليه وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج ﴿**فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ**

مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ

مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ تسبيحه هو قوله لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين حسبما حكى الله عنه في الأنبياء وقيل هو قوله سبحان الله وقيل هو الصلاة، واختلف على هذا هل يعني صلاته في بطن الحوت أو قبل ذلك واختلف في مدة بقائه في بطن الحوت فقيل ساعة وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يومًا ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ العراء الأرض الفضاء التي لا شجر فيها، ولا ظل وقيل يعني الساحل ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ رُوِيَ أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ أي أنبتناها فوقه لتظلّه وتقيه حرّ الشمس، واليقطين، القرع وإنما خصّه الله به لأنه يجمع برد الظلّ ولين اللمس وكبر الورق وأن الذباب لا يقربه فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب وقيل اليقطين كل شجرة لا ساق لها كالبقول والقرع والبطيخ، والأول أشهر ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ يعني رسالته الأولى التي أبق بعدها وقيل هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت والأول أشهر ﴿أَو يَزِيدُونَ﴾ قيل أو هنا بمعنى بل، وقرأ ابن عباس، بل يزيدون، وقيل هي بمعنى الواو وقيل هي للإبهام وقيل المعنى أن البشر إذا نظر إليهم يتردّد فيقول هم مائة ألف أو يزيدون واختلف في عددهم فقيل مائة وعشرون ألفًا وقيل مائة وثلاثون ألفًا وقيل مائة وأربعون ألفًا وقيل مائة وسبعون ألفًا ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ رُوِيَ أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم، وفرّقوا بينهم وبين الأمهات وناحوا وتضرّعوا إلى الله وأخلصوا فرفع الله العذاب عنهم إلى حين: يعني لانقضاء آجالهم وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ قال الزمخشري إن هذا معطوف على قوله فاستفتهم الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما والضمير المفعول لقريش وسائر الكفّار أي اسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عمّا زعموا من أن الملائكة بنات الله فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور وتلك قسمة ضيزى ثم قرّرهم على ما زعموا من أن الملائكة إناث وردّ عليهم بقوله وهم شاهدون، ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة، أو بمعنى الحضور أي أنهم لم يحضروا ذلك ولم يعلموه ثم أخبر عن كذبهم في قولهم ولد الله ثم قرّرهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات؛ وذلك كله ردّ

لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا

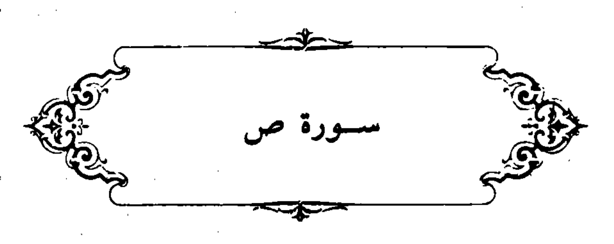
عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علوًّا كبيرًا ﴿**أَصْطَفَى**﴾ دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل ﴿**مَا لَكُمْ**﴾ هذا استفهام معناه التوبيخ وهي في موضع رفع بالابتداء والمجرور بعدها خبرها فينبغي الوقف على قوله ما لكم ﴿**أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ**﴾ أي برهان بيّن ﴿**فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ**﴾ تعجيز لهم لأنهم ليس لهم كتاب يحتجّون به ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا**﴾ الضمير في جعلوا لكفّار العرب وفي معنى الآية قولان: أحدهما أن الجنة هنا الملائكة وسُمّيت بهذا الاسم لأنه مشتق من الاجتنان وهو الاستتار والملائكة مستورين عن أعين بني آدم كالجنّ والنسب الذي جعلوه بينهم وبين الله قولهم إنهم بنات الله، والقول الثاني أن الجن هنا الشياطين، وفي النسب الذي جعلوه بينه وبينهم قولان: أحدهما أن بعض الكفّار قالوا إن الله والشياطين أخوان، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا والآخر أن بعضهم قال إن الله نكح في الجنّ فولدت له الملائكة سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا ﴿**وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ**﴾ مَن قال إن الجنّ الملائكة فالضمير في قوله إنهم لمحضرون يعود على الكفّار أي قد علمت الملائكة أن الكفّار محضرون في العذاب ومَن قال إن الجنّ الشياطين فالضمير يعود عليهم أي قد علمت الشياطين أنهم محضرون في العذاب ﴿**إِلاّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾ استثناء منقطع من المحضرين أو من الفاعل في يصفون والمعنى لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون في العذاب أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله ﴿**فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ**﴾ هذا خطاب للكفّار والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها وما تعبدون عطف على الضمير في إنكم ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع ومعنى فاتنين مُضِلّين والضمير في عليه يعود على ما تعبدون وعلى سببية معناها التعليل ومن هو مفعول بفاتنين والمعنى إنكم أيّها الكفّار وكل ما تعبدونه لا تضلّون أحدًا إلاّ مَن قضى الله أنه يصلى الجحيم أي لا تقدرون على إغواء الناس إلاّ بقضاء الله وقال الزمخشري الضمير في عليه يعود على الله تعالى ﴿**وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ**﴾ هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام، تقديره ما منّا ملك إلاّ وله مقام معلوم، وحذف الموصوف لفهم الكلام، والمقام المعلوم:

لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ

يحتمل أن يراد به المكان الذي يقومون فيه، لأن منهم مَن هو في السماء الدنيا، وفي الثانية، وفي السمٰوات، وحيث شاء الله، ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**﴾ أي الواقفون في العبادة صفوفًا، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم ليقتدوا بالملائكة، وليس أحد من أهل المِلَل يصلّون صفوفًا إلاّ المسلمون ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**﴾ قيل معناه المصلّون، لأن الصلاة يقال لها تسبيح، وقيل معناه القائلون سبحان الله، وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة ردّ على مَن قال إنهم بنات الله وشركاء له، لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له، ويدلّ هذا الكلام أيضًا على أن المراد بالجنّ قبل هذا الملائكة، وقيل إن هذا كله من كلام سيّدنا محمد ﷺ وكلام المسلمين، والأول أشهر ﴿**وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ**﴾ الضمير لكفّار قريش وسائر العرب، والمعنى أنهم كانوا قبل بعث محمد ﷺ يقولون لو أرسل الله إلينا رسولاً وأنزل علينا كتابًا لكنّا عباد الله المخلصين ﴿**فَكَفَرُوا بِهِ**﴾ الضمير للذكر أو لسيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يتقدّم له ذِكر ﴿**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ تهديد ووعيد لهم على كفرهم ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ**﴾ المعنى سبق القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم ﴿**وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ هذا النصر والغلبة بظهور الحجة والبرهان، وبهزيمة الأعداء في القتال، وبالسعادة في الآخرة ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ**﴾ أي أعرض عنهم، وذلك موادعة منسوخة بالسيف، والحين هنا يُراد به يوم بدر، وقيل حضور آجالهم، وقيل يوم القيامة ﴿**وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ**﴾ هذا وعد للنبي ﷺ ووعيد لهم ﴿**أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ**﴾ إشارة إلى قولهم متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك ﴿**فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ**﴾ الساحة الفناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محظور وسوء ﴿**فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ**﴾ الصباح مستعمل في ورود الغارات والرزايا، ومقصد الآية التهديد بعذاب يحلّ بهم بعد أن أنذروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيل بقوم أنذرهم ناصح بأن جيشًا يحلّ بهم فلم يقبلوا نصحه حتى جاءهم الجيش وأهلكهم ﴿**وَأَبْصِرْ**﴾ كرّر الأمر

يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

بالتولّي عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد، وقيل أراد بالوعيد الأول عذاب الدنيا، وبالثاني عذاب الآخرة، فإن قيل: لِمَ قال أولاً أبصرهم، وقال هنا أبصر، فحذف الضمير المفعول؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه اكتفى بذكره أولاً عن ذكره ثانيًا فحذفه اقتصارًا، والآخر أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدّم وغيرهم كأنه قال أبصر جميع الكفّار بخلاف الأول، فإنه في قريش خاصّة ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ نزّه الله تعالى نفسه عمّا وصفه به الكفّار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالاً كثيرةً شنيعة، والعزّة إن أراد بها عزّة الله: فمعنى ربّ العزّة، ذو العزّة وأضافها إليه لاختصاصه بها، وإن أراد بها عزّة الأنبياء والمؤمنين: فمعنى ربّ العزّة مالكها وخالقها، ومن هذا قال محمد بن سحنون: مَن حلف بعزّة الله، فإن أراد صفة الله فهي يمين، وإن أراد العزّة التي أعطى عباده فليست بيمين، ثم ختم هذه السورة بالسلام على المرسلين ﴿**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ فأما السلام على المرسلين فيحتمل أن يريد به التحية أو سلامتهم من أعدائهم، ويكون ذلك تكميلاً لقوله إنهم لهم المنصورون، وأما الحمد لله، فيحتمل أن يريد به الحمد لله على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك ويحتمل أن يريد الحمد لله على الإطلاق.



سورة ص

مكية وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم

﴿ص﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة ويختصّ بهذا أنه قال فيه معناه صدق محمد، وقيل هو حرف من اسم الله الصمد أو صادق الوعد، أو صانع المصنوعات ﴿**وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾ هذا قسم جوابه محذوف تقديره إن القرآن من عند الله، وإن محمدًا لصادق وشبه ذلك. وقيل جوابه في قوله: ﴿ص﴾ إذ هو بمعنى صدق محمد، وقيل جوابه إن كل إلاّ كذب الرسل وهذا بعيد، وقيل جوابه إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا أبعد، ومعنى ذي الذكر ذي الشرف، والذكر بمعنى الموعظة أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة ﴿**بَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ**﴾ الذين كفروا يعني قريشًا، وبل للإضراب عن كلام محذوف وهو جواب القسم أي إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزّة والشقاق، والعزّة التكبّر، والشقاق العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدّتهما وتفاخم الكفّار فيهما ﴿**كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ**﴾ إخبار يتضمن تهديدًا لقريش ﴿**فَنَادَوا وَّلَاتَ**

إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِى

﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ المعنى أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك، ولات بمعنى ليس وهي لا النافية زِيدَت عليها علامة التأنيث، كما زيدت في ربت وثمّت، ولا ندخل لات إلاّ على زمان واسمها مضمر، وحين مناص خبرها، والتقدير ليس الحين الذي دعوا فيه حين مناص، والمناص المفرّ والنجاة من قولك ناص ينوص إذا فرّ **﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾** الضمير لقريش والمنذر سيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أي استبعدوا أن يبعث الله رسولاً منهم، ويحتمل أن يريد من قبيلتهم أو يريد من البشر مثلهم **﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾** كان الأصل وقالوا ولكن وضع الظاهر موضع المضمر قصدًا لوصفهم بالكفر **﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾** هذا إنكار منهم للتوحيد، وسبب نزول هذه الآيات أن قريشًا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كُفّ ابن أخيك عنّا فإنه يعيب ديننا ويذمّ آلهتنا ويسفّه أحلامنا فكلّمه أبو طالب في ذلك، فقال ﷺ إنما أُريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب، فقالوا نعم وعشر كلمات معها فقال قو!١٠ لا إله إلاّ الله، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا **﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا﴾** انطلاق الملأ عبارة عن خروجهم عن أبي طالب وقيل عبارة عن تفرقتهم في طرق مكة وإشاعتهم للكفر، وأن امشوا: معناه يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم ولا تطيعوا محمدًا فيما يدعو إليه من عبادة الله وحده **﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾** هذا أيضًا مما حكى الله من كلام قريش وفي معناه وجهان: أحدهما أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد أي إن هذا التوحيد شيء يراد منّا الانقياد إليه، والآخر أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أي إن هذا لشيء ينبغي أن يراد ويتمسك به أو أن هذا شيء يريده الله منّا لما قضى علينا به والأول أرجح لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد **﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾** هذا أيضًا مما حكى الله عنهم من كلامهم أي ما سمعنا بالتوحيد في الملّة الآخرة، والمراد بالملّة الآخرة ملّة النصارى لأنها بعد ملّة موسى وغيره وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد، وقيل المراد ملّة قريش أي ما سمعنا بهذا في الملّة التي أدركنا عليها آباءنا، وقيل المراد الملّة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهّان أن رسولاً يبعث يكون آخر الأنبياء **﴿إِنْ هَٰذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ﴾** هذا أيضا ممّا حُكِيَ من كلامهم والإشارة إلى التوحيد والإسلام ومعنى الاختلاف الكذب **﴿أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾**

شَكٍّ مِّن ذِكْرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِي ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا

الهمزة للإنكار، والمعنى أنهم أنكروا أن يخصّ الله محمدًا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بإنزال القرآن عليه دونهم **﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾** هذا ردّ عليهم والمعنى أنهم ليست لهم حجة ولا برهان بل هم في شكٍّ من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا، ويحتمل أن يريد بالذكر القرآن **﴿بَلْ لَمَّا يذوقوا عذاب﴾** هذا وعيد لهم وتهديد، والمعنى أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا للحق **﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾** هذا ردّ عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوّة، والمعنى أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوّة مَن شاؤوا، ويمنعوا مَن شاؤوا بل يعطيها الله لمَن يشاء ثم وصف نفسه بالعزيز الوهّاب، لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهّاب ينعم على مَن يشاء فلا حجة لهم فيما أنكروا **﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾** هذا أيضًا ردّ عليهم، والمعنى أم لهم الملك فيتصرفون فيه كيف شاؤوا، بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء وأم الأولى منقطعة بمعنى بل وهمزة الإنكار، وأما أم الثانية فيحتمل أن تكون كذلك أو تكون عاطفة معادلة لما قبلها **﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾** هذا تعجيز لهم، وتهكّم بهم، ومعنى يرتقوا يصعدوا، والأسباب هنا السلالم والطرق وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلو، وقيل هي أبواب السماء، والمعنى إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبّروا المُلْك **﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ﴾** هذا وعيد بهزيمتهم في القتال وقد هزموا يوم بدر وغيره، وما هنالك صفة لجند وفيها معنى التحقير لهم، والإشارة بهنالك إلى حيث وصفوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء، وقيل الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب وهذا بعيد؛ وقيل الإشارة إلى موضع بدر، ومن الأحزاب معناه من جملة الأحزاب الذين تعصبوا للباطل فهلكوا **﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ﴾** قال ابن عباس كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها، وقيل كانت له أوتاد يسمرها في الناس لقتلهم، وقيل أراد المباني العِظام الثابتة، ورجّحه ابن عطية، وقال الزمخشري إن ذلك استعارة في ثبات الملك كقول القائل: في ظل ملك ثابت الأوتاد **﴿وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾** قد ذكر **﴿وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاَءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾** ينظر هنا بمعنى ينتظر، وهؤلاء يعني قريشًا

لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ

والصيحة الواحدة النفخة في الصور وهي نفخة الصعق، وقيل الصيحة عبارة عمّا أصابهم من قتل أو شدّة، والأول أظهر، وقد رُوِيَ تفسيرها بذلك عن النبي ﷺ **﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾** فيه ثلاثة أقوال: الأول ما لها رجوع أي لا يرجعون بعدها إلى الدنيا وهو على هذا مشتق من الإفاقة، الثاني ما لها من ترداد: أي إنما هي واحدة لا ثانية لها. الثالث ما لها من تأخير ولا توقّف مقدار فواق ناقة وهي ما بين حلبتي اللبن، وهذا القول الثالث إنما يجري على قراءة فواق بالضم لأن فواق الناقة بالضم، والقولان الأولان على الفتح والضم **﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾** القطّ في اللغة له معنيان: أحدها الكتاب، والآخر النصيب، وفي معناه هنا ثلاثة أقوال: أحدها نصيبنا من الخير: أي دعوا أن يعجّله الله لهم في الدنيا والآخر نصيبهم من العذاب، فهو كقولهم أمطر علينا حجارة من السماء. الثالث صحائف أعمالنا **﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾** الأيد القوة، وكان داود جمع قوّة البدن وقوّة الدين والملك والجنود، والأوّاب: الرجاع إلى الله، فإن قيل: ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفّار وبين أمره بذكر داود؟ فالجواب عندي أن ذكر داود ومن بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسلية للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب وإعانة له على ما أُمِرَ به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدّة ملكه، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحُسْن المآب، فكأنه يقول يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النِّعَم كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من المُلْك العظيم وتسخير الريح والجنّ والخاتمة بالزّلفى وحُسْن المآب، ثم ذكر مَن ذكر بعد ذلك من الأنبياء والمقصد ذكر الإنعام عليهم لتقوية قلب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأيضًا فإن داود وسليمان وأيّوب أصابتهم شدائد ثم فرجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأمر سيدنا محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم بذكرهم ليُعلمه أنه يفرج عنه ما يلقى من إذاية قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك ظاهرة وقال ابن عطية: المعنى: اذكر داود ذا الأيدي في الدين فتأسَّ به وتأيّد كما تأيّد، وأجاب الزمخشري عن السؤال فإنه قال كأن الله قال لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم اصبر على ما يقولون، وعظم أمر المعصية في أعين الكفّار بذكر قصة داود، وذلك أنه نبي كريم عند الله ثم زلّ زلّة

لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ

فوبّخه الله عليها فاستغفر وأناب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم، وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام حيث جعله مثالاً يهدّد الله به الكفّار وصرّح بأنه زلّ وأن الله وبّخه على زلّته، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا ﴿والإشراق﴾ يعني وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس: أي تضيء ويصفّر شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها ﴿مَحْشُورَةً﴾ أي مجموعة ﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ أي كلٌّ مُسَبّح لأجل تسبيح داود، ويحتمل أن يكون أوّاب هنا بمعنى رجاع أي ليرجع إلى أمره ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ قيل يعني النبوّة، وقيل العلم والفهم وقيل الزبور ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ قال ابن عباس هو فصل القضاء بين الناس بالحق، وقال عليّ بن أبي طالب هو إيجاب اليمين على المدّعى عليه والبيّنة على المدّعي، وقيل أراد قول أما بعد فإنه أول مَن قالها، وقال الزمخشري: معنى فصل الخطاب البيّن من الكلام الذي يفهمه مَن يخاطب له، وهذا المعنى اختاره ابن عطية، وجعله من قوله تعالى: ﴿إنه لَقَوْلٌ فَصْل﴾ [الطارق: ١٣] ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبأُ الخَصْم إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيهًا للمخاطب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغي أن يلقى البال لها والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة كقولك عدل وزور واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، ورُوِيَ أنهما جبريل وميكائيل بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها، فأفتى بفُتيا هي واقعة عليه في نازلته ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر، وسنذكر القصة بعد هذا، ومعنى تسوّروا المحراب علوًّا على سوره ودخلوه، والمحراب الموضع الأرفع من القصر أو المسجد وهو موضع التعبّد، ويحتمل أن يكون المتسوّر المحراب اثنين فقط، لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين فقط فتجيء الضمائر في تسوّروا، ودخلوا، وفزع منهم: على وجه التجوّز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائز على مذهب مَن يرى أن أقلّ الجمع اثنان، ويحتمل أنه جامع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقة، وعلى هذا عوّل الزمخشري ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ العامل في إذ هنا تسوّروا، وقيل هي بدل من الأولى، وأما إذ الأولى فالعامل فيها أتاك أو تسوّروا وردّ الزمخشري ذلك، وقال إن العامل فيها محذوف تقديره: هل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوّروا، وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ودخلوا من غير

فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا

الباب، وقيل إن ذلك كان ليلاً ﴿**خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ**﴾ تقديره نحن خصمان، ومعنى بغى تعدّى ﴿**وَلاَ تُشْطِطْ**﴾ أي لا تَجُرْ علينا في الحكم، يقال أشطّ الحاكم إذا جارَ، وقرىء في الشاذ لا تشطط بفتح التاء: أي لا تبعد عن الحق، يقال شطّ إذا بعد ﴿**سَوَاءِ الصِّرَاطَ**﴾ أي وسط الطريق، ويعني القصد والحق الواضح ﴿**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾ هذه حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا أخوة الدين. والنعجة في اللغة تقع على أُنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن، وهي هنا عبارة عن المرأة، ومعنى أكفلنيها أملكها لي وأصله اجعلها في كفالتي، وقيل اجعلها كفلي أي نصيبي، ومعنى عزّني في الخطاب أي غلبني في الكلام والمحاورة يقال عزّ فلان إذا غلبه وهذا الكلام تمثيل للقصة التي وقع داود فيها. وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديمًا وحديثًا حتى قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: مَن حدّث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدّين لِما ارتكب من حُرمة مَن رفع الله محله، ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام: رُوِيَ أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضًا أن ينزل له عن امرأته فيتزوّجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبته فسأله النزول عنها ففعل وتزوّجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه ملائكة مثالاً لقصته، فقال أحدهما إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود، ولي نعجة واحدة إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلاّ تلك المرأة الواحدة، فقال أكفلنيها إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته فأجابه داود عليه السلام بقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فقامت الحجّة عليه بذلك، فتبسّم الملكان عند ذلك وذهبا ولم يرهما، فشعر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه ﴿**فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ**﴾ ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعًا، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغي له أن يتنزّه عنه لعلوّ مرتبته ومتانة دينه، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، وأيضًا فإنه كان له

مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ

وتسعون امرأة فكان غنيًا عن هذه المرأة فوقع العتاب على الاستكثار من النساء، وإن كان جائزًا، ورُوِيَ هذا الخبر على وجه آخر، وهو أن داود انفرد يومًا في محرابه للتعبّد فدخل عليه طائر من كوّة فوقع بين يديه فأعجبه فمدّ يده ليأخذه فطار على الكوّة فصعد داود ليأخذه فرأى من الكوّة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده وأنه خرج للجهاد مع الجند فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدّم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت وهو موضع قلّ ما تخلّص أحد منه فقدّم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدًا فتزوّج داود امرأته فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل وتزوّجه امرأته بعده مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها، وقيل إنّ داود همّ بذلك كله ولم يفعله، وإنما وقعت المعاتبة على همّه بذلك، ورُوِيَ أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أعجب بعلمه وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن بتلك القصة، ورُوِيَ أيضًا أن السبب في ذلك أنه تمنّى منزلة آبائه إبراهيم وإسحٰق ويعقوب، والتزم أن يبتلى كما ابتلوا فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ سؤال مصدر مضاف إلى المفعول، وإنما تعدّى بإلى لأنه تضمن معنى الإضافة كأنه قال بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه، فإن قيل: كيف قال له داود لقد ظلمك قبل أن يثبت عنده ذلك فالجواب أنه رُوِيَ أن الآخر اعترف بذلك وحذف ذكر اعترافه اختصارًا، ويحتمل أن يكون قوله لقد ظلمك على تقدير صحة قوله، وقد قيل إن قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التي استغفر منها وأناب **﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾** الخلطاء هم الشركاء في الأموال، ولكن الخلطة أعمّ من الشركة، ألا ترى أن الخلطة في المواشي ليست بشركة في رقابها وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذي بقي، والتسلية بالتأسّي للخصم الذي بقي عليه **﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾** ما زائدة للتأكد **﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ﴾** ظن هنا بمعنى شعر بالأمر، وقيل بمعنى أيقن، وفتناه اختبرناه **﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾** معنى خرّ ألقى بنفسه إلى الأرض، وإنما حقيقة ذلك في السجود، فقيل إن الركوع هنا بمعنى السجود، وقيل خرّ من ركوعه ساجدًا بعد أن ركع، ومعنى أناب تاب، ورُوِيَ أنه بقي ساجدًا أربعين يومًا يبكي حتى نبت البقل من دموعه، وهذا الموضع فيه سجدة عند

إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ

مالك خلافًا للشافعي، إلاّ أنه اختلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله وأناب، أو عند قوله وحُسْن مآب ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾ الزلفى القرية والمكانة الرفيعة، والمآب المرجع في الآخرة ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ**﴾ تقديره قال الله يا داود، وخلافة داود بالنبوّة والملك، قال ابن عطية: لا يقال خليفة الله إلاّ لنبيّ، وأما الملوك والخلفاء فكلّ واحد منهم خليفة الذي قبله، وقول الناس فيهم خليفة الله تجوّز ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا**﴾ أي عبثًا بل خلقهما الله بالحق للاعتبار بهما والاستدلال على خالقهما ﴿**ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ المعنى أن الكفّار لمّا أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقة السمٰوات والأرض عندهم باطلاً بغير الحكمة، فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأُخروي ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ**﴾ أم هنا استفهامية يراد بها الإنكار: أي أن الله لا يجعل المؤمنين والمتّقين كالمفسدين والفجّار، بل يجازي كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلال على الحشر والجزاء وفيه أيضًا وعد ووعيد ﴿**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ**﴾ الصافنات جمع صافن وهو الفرس الذي يرفع إحدى رجليه أو يديه ويقف على طرف الأخرى، وقيل الصافن هو الذي يسوّي يديه، والصّفن علامة على فراهة الفرس، والجياد السريعة الجري واختلف الناس في قصص هذه الآية، فقال الجمهور إن سليمان عليه السلم عرضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه وقيل أخرجتها له الشياطين من البحر، وكانت ذوات أجنحة، وكانت ألف فرس، وقيل أكثر فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشيّ «العصر» فأسف لذلك، وقال رُدّوا عليّ الخيل وطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها لمّا كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك منها إلاّ اليسير فأبدله الله أسرع منها وهي الريح، وأنكر بعض العلماء هذه الرواية، وقال تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز، فكيف يفعله سليمان عليه السلام؟ وأيّ ذنب للخيل في تفويت الصلاة فقال بعضهم: إنما عقرها ليأكلها الناس، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقرّبًا إلى

بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ

الله، وقال بعضهم لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل، بل كان يصلّي فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها فلما فرغ من صلاته قال ردّوها عليّ فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة، وقيل إن المسح عليها كان وَسْمًا في سوقها وأعناقها بوسم حبس في سبيل الله ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف في القصة، فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال: أحدها أن الخير هنا يراد به الخيل، وزعموا أن الخيل يقال لها خير، وأحببت بمعنى آثرت أو بمعنى فعل يتعدّى بعن كأنه قال آثرت حبّ الخيل فشغلني عن ذكر ربّي، والآخر أن الخير هنا يراد به المال لأن الخيل وغيرها مال فهو كقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] أي مالاً، والثالث أن المفعول محذوف، وحبّ الخير مصدر والتقدير أحببت هذه الخيل مثل حبّ الخير فشغلني عن ذكر ربّي وأما الذين قالوا كان يصلّي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها فالمعنى أنه قال إني أحببت حبّ الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربّي، وشغلني ذلك عن النظر إلى الخيل ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس وإن لم يتقدّم ذكرها، ولكنها تُفهم من سياق الكلام وذكر العشي يقتضيها، والمعنى حتى غابت الشمس، وقيل إن الضمير للخيل، ومعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها والأول أشهر وأظهر ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي قال سليمان رُدُّوا الخيل عليّ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ السوق جمع ساق يعني سوق الخيل وأعناقهم: أي جعل يمسحها مسحًا، وهذا المسح يختلف على حسب الاختلاف المتقدّم، هل هو قطعها وعقرها أو مسحها باليد محبة لها، أو وسمها للتحبيس ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها، وفي ذلك أربعة أقوال: الأول أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء توقيرًا لاسم الله تعالى، فنزعه يومًا ودفعه إلى جارية فتمثّل لها جنّي في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، رُوِيَ أن اسمه صخر فقعد على كرسيّ سليمان يأمر وينهى والناس يظنّون أنه سليمان، وخرج سليمان فارًّا بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتًا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجنّي قد رماه في البحر فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى مُلكه ففتنة سليمان على هذا هي ما جرى له من سلب

أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾

مُلكه، والجسد الذي أُلقي على كرسيه هو الجنيّ الذي قعد عليه وسمّاه جسدًا، لأنه تصوّر في صورة إنسان، ومعنى أناب رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء أو رجع إلى ملكه، والقول الثاني أن سليمان كان له امرأة يحبّها وكان أبوها ملكًا كافرًا قد قتله سليمان فسألته أن يضع لها صورة أبيها فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريها وصار صنمًا معبودًا في داره وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يومًا، فلما علم به كسره فالفتنة على هذا عمل الصورة، والجسد هو الصورة والقول الثالث أن سليمان كان له ولدًا وكان يحبّه حبًا شديدًا فقالت الجن إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السخرة أبدًا فلم يشعر إلاّ وولده ميت على كرسيّه فالفتنة على هذا حبّه الولد، والجسد هو الولد لما مات وسمّي جسدًا لأنه جسد بلا روح، القول الرابع أنه قال لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة تأتي كل واحدة منهنّ بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فلم تحمل إلاّ واحدة جاءت بشقّ إنسان فالفتنة على هذا كونه لم يقل إن شاء الله، والجسد هو شقّ الإنسان الذي ولد له، فأما القول الأول فضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك سليمان وتسليط الشياطين عليه، وأما القول الثاني فضعيف أيضًا مع أنه يبعد أنه يعبد صنم في بيت نبي، أو يأمر نبي بعمل صنم، وأما القول الثالث فضعيف أيضًا، وأما القول الرابع فقد رُوِيَ في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير الآية ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بَعْدِي**﴾ قدّم الاستغفار على طلب الملك لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا فقدّم الأولى والأهمّ، فإن قيل: لأيّ شيء قال لا ينبغي لأحد من بعدي، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحجّاج إنه كان حسودًا؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه إنما قال ذلك لئلا يجري عليه مثل ما جرى من أخذ الجنّي لمُلكه، فقصد أن لا يسلب ملكه عنه في حياته ويصير إلى غيره، والآخر أنه طلب ذلك ليكون معجزة ودلالة على نبوّته ﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ**﴾ معنى رخاء ليّنة طيبة، وقيل طائعة له، وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله عاصفة في الأنبياء، وحيث أصاب: أي حيث قصد وأراد ﴿**وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ**﴾ الشياطين معطوف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين أي سخّرنا له الريح والشياطين مَن يبني منهم ومَن يغوص في البحر ﴿**وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ**﴾ أي آخرين من الجنّ موثقون في

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا﴾

القيود والأغلال ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ**﴾ الإشارة إلى الملك الذي أعطاه الله له، والمعنى أن الله قال له أعطِ مَن شئت وامنع مَن شئت، وقيل المعنى امنُن على مَن شئت من الجنّ بالإطلاق من القيود، وأمسك مَن شئت منهم في القيود، والأوّل أحسن وهو قول ابن عباس ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ يحتمل ثلاثة معانٍ: أحدها أنه لا يحاسب في الآخرة على ما فعل، والآخر بغير تضييق عليك في الملك، والثالث بغير حساب ولا عدد بل خارج عن الحصر ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾ قد ذكر في قصة داود ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾ قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في الأنبياء والنصب يقال بضم النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد وبضمّ النون والصاد وبفتحهما، ومعناه واحد وهو المشقّة، فإن قيل: لِمَ نسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان فالجواب من أربعة أوجه: أحدها أن سبب ذلك كان من الشيطان، فإنه رُوِيَ أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرًا فلم يغيّره، وقيل إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها، وكان له جار جائع فلم يُعْطِ جاره منها شيئًا، والثاني أنه أراد ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة البلاء، فدعا إلى الله أن يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك، والثالث أنه رُوِيَ أن الله سلّط الشيطان عليه ليفتنه فأهلك ماله فصبر وأهلك أولاده فصبر وأصابه الجذام[1] والمرض الشديد فصبر فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه، والرابع رُوِيَ أن الشيطان لَقِيَ امرأته فقال لها قولي لزوجك إن سجد لي سجدة أذهبت ما به من المرض فذكرت المرأة ذلك لأيوب، فقال لها ذلك عدوّ الله الشيطان وحينئذ دعا ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾ التقدير قلنا له اركض برجلك فضرب الأرض برجله فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده، ورُوِيَ أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ**﴾ ذكر في الأنبياء ﴿**وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلاَ تَحْنَثْ**﴾ الضغث القبضة من القضبان، وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط

(١) الحق أن سيدنا أيوب لم يصبه الجذام وإنما أصابه مرض باطني لا ينفر منه الناس لعصمة الأنبياء من ذلك.

وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ

إذا برىء من مرضه، وكان سبب ذلك ما ذكرته من لقاء الشيطان، وقوله لها إن سجد لي زوجك أذهبت ما به من المرض، فأمره أن يأخذ ضغثًا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبرّ في يمينه، وقد ورد مثل هذا عن نبيّنا ﷺ في حدّ رجل زنى وكان مريضًا فأمر رسول الله ﷺ بعذق نخلة فيه شماريخ مائة فضرب به ضربة واحدة ذكر ذلك أبو داود والنسائي، وأخذ به بعض العلماء، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه ﴿**أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ**﴾ الأيدي جمع يد وذلك عبارة عن قوّتهم في الأعمال الصالحات، وإنما عبّر عن ذلك بالأيدي، لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي، وأما الأبصار فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم من قولك أبصر الرجل إذا تبيّنت له الأمور، وقيل الأيدي جمع يد بمعنى النعمة ومعناه أُولو النِّعَم التي أسداها الله إليهم من النبوّة والفضيلة، وهذا ضعيف لأن اليد بمعنى النعمة أكثر ما يجمع على أيادي، وقرأ ابن مسعود أُولو الأيدِ بغير ياء، فيحتمل أن تكون الأيدي محذوفة الياء، أو يكون الأيدِ بمعنى القوّة: كقوله: ﴿دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ﴾ [ص: ١٧] ﴿**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**﴾ معنى أخلصناهم جعلناهم خالصين لنا، أو أخلصناهم دون غيرهم، وخالصة صفة حذف موصوفها تقديره بخصلة خالصة، وأما الباء في قوله بخالصة، فإن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين، فالباء سببية للتعليل، وإن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم فالباء لتعدية الفعل، وقرأ نافع بإضافة خالصة إلى ذكر من غير تنوين، وقرأ غيره بالتنوين على أن تكون ذكر بدلاً من خالصة على وجه البيان والتفسير لها، والدار يحتمل أن يريد به الآخرة أو الدنيا، فإن أراد به الآخرة ففي المعنى ثلاثة أقوال: أحدها أن ذكرى الدار يعني به ذكرهم للآخرة وجهنّم فيها والآخر أن معناه تذكيرهم للناس بالآخرة، وترغيبهم للناس فيها عند الله، والثالث أن معناه ثواب الآخرة: أي أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة، والأول أظهر، وإن أراد بالدار الدنيا فالمعنى حُسْن الثناء والذكر الجميل في الدنيا كقوله لسان صدق ﴿**الأَخْيَارِ**﴾ جمع خير بتشديد الياء أو خير المخفّف من خير كميت مخفّف من ميت ﴿**وَذَا الْكِفْلِ**﴾ ذكر في الأنبياء ﴿**هَذَا ذِكْرٌ**﴾ الإشارة إلى ما تقدّم في هذه السورة من ذكر الأنبياء، وقيل الإشارة إلى القرآن بجملته، والأول أظهر وكأن قوله

قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي

هذا ذكر ختام للكلام المتقدّم، ثم شرع بعده في كلام آخر كما يتمّ المؤلّف بابًا ثم يقول فهذا باب ثم يشرع في آخر ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ذكر في الصّافّات ﴿أَتْرَابٌ﴾ يعني أسنانهنّ سواء يقال فلان ترب فلان إذا كان مثله في السنّ، وقيل إن أسنانهنّ وأسنان أزواجهنّ سواء.

﴿مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ أي ما له من فناء ولا انقضاء ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ تقديره الأمر هذا: لما تمّ ذكر أهل الجنة ختمه بقوله هذا ثم ابتدأ وصف أهل النار، ويعني بالطاغين الكفّار ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ هذا مبتدأ وخبره حميم، فليذوقوه اعتراض بينهما، والحميم الماء الحارّ والغساق قرىء بتخفيف السين وتشديدها وهو صديد أهل النار، وقيل ما يسيل من عيونهم، وقيل هو عذاب لا يعلمه إلاّ الله ﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ آخر معطوف على حميم وغساق تقديره وعذاب آخر قيل يعني الزمهرير، ومعنى من شكله من مثله ونوعه أي من مثل العذاب المذكور، وأزواج معناه أصناف وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر والمعنى أنهما أصناف من العذاب؛ وقال ابن عطيّة: آخر مبتدأ، واختلف في خبره، فقيل تقديره ولهم عذاب آخر وقيل أزواج مبتدأ ومن شكله خبر أزواج، والجملة خبر آخر، وقيل أزواج خبر الآخر، ومن شكله في موضع الصفة وقرىء آخر بالجمع وهو أليق أن يكون أزواج خبره لأنه جمع مثله ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ الفوج جماعة من الناس والمقتحم الداخل في زحام وشدّة وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به رؤساء الكفّار الذين دخلوا النار أولاً ثم دخل بعدهم أتباعهم وهو الفوج المشار إليه، وقيل هو كلام أهل النار بعضهم لبعض والأول أظهر ﴿لاَ مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي لا يلقون رحبًا ولا خيرًا، وهو دعاء من كلام رؤساء الكفّار: أي لا مرحبًا بالفوج الذين هم أتباع لهم ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ هذا حكاية كلام الأتباع للرؤساء لما قالوا لهم: لا مرحبًا بهم، أجابوهم بقولهم: بل أنتم لا مرحبًا بكم ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع خطابًا للرؤساء، وهو تعليل لقولهم بل أنتم لا مرحبًا بكم، والضمير في قدّمتموه للعذاب؛

ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي

ومعنى قدّمتموه أوجبتموه لنا بما قدّمتم في الدنيا من إغوائنا وأمركم لنا بالكفر **﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾** هذا أيضًا من كلام الأتباع دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب فهو كقولهم ربّنا هؤلاء أضلّونا فآتهم عذابًا ضعفاً في النار والضعف زيادة المثل **﴿قَالُوا مَا لَنَا لاَ نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ﴾** الضمير في قالوا لرؤساء الكفّار، وقيل للطاغين والرجال منهم ضعفاء المؤمنين، وقيل إن القائلين لذلك أبو جهل لعنه الله وأُميّة بن خلف وعتبة بن ربيعة وأمثالهم وأن الرجال المذكورين هم عمّار وبلال وصهيب وأمثالهم واللفظ أعمّ من ذلك والمعنى أنهم قالوا في جهنم ما لنا لا نرى في النار رجالاً كنّا في الدنيا نعدُّهم من الأشرار **﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾** قرىء أتخذناهم بهمزة قطع ومعناها توبيخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سخريًا، وقرى بألف وصل على أن يكون الجملة صفة لرجال وقرىء سخريًا بضم السين من التسخير بمعنى الخدمة وبالكسر بمعنى الاستهزاء **﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾** هذا يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون معادلاً لقولهم ما لنا لا نرى رجالاً، والمعنى ما لنا لا نراهم في جهنم فهم ليسوا فيها أم هم فيها ولكن زاغت عنهم أبصارنا ومعنى زاغت عنهم مالت فلم نرهم. الثاني أن يكون معادلاً لقولهم اتخذناهم سخريًا والمعنى اتخذناهم سخريًا. وأم زاغت الأبصار على هذا: مالت عن النظر إليهم احتقارًا لهم. الثالث أن تكون أم منقطعة بمعنى بل والهمزة فلا تعادل شيئًا مما قبلها **﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾** الإشارة إلى ما تقدّم من حكاية أقوال أهل النار ثم فسّره بقوله: **﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾** وإعراب تخاصم بدل من حق أو خبر مبتدأ مضمر **﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾** النبأ الخبر ويعني به ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة، وقيل هو القرآن، وقيل هو يوم القيامة والأول أعمّ وأرجح **﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾** الملأ الأعلى هم الملائكة ومقصد الآية الاحتجاج على نبوّة محمد ﷺ لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك، والضمير في يختصمون للملأ الأعلى واختصامهم هو في قصة آدم حين قال لهم إني جاعل في الأرض خليفة حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ رأى ربّه

خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾

فقال يا محمد فِيمَ يختصم الملأ الأعلى فقال: «لا أدري قال في الكفّارات وهي إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخُطا إلى المساجد» الحديث بطوله، وقيل الضمير في يختصمون للكفّار: أي يختصمون في الملأ الأعلى فيقول بعضهم هم بنات الله، ويقولون آخرون هم آلهة تعبد، وهذا بعيد ﴿**إذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ**﴾ إذ بدل من إذ يختصمون، وقد ذكرنا في البقرة معنى سجود الملائكة لآدم، ومعنى كفر إبليس وذكرنا في الحجر معنى قوله تعالى: ﴿**مِن رُّوحِي**﴾ ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ الضمير في قال لله عزّ وجل، وبيديّ من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله، وقال المتأوّلون هو عبارة عن القدرة، وقال القاضي أبو بكر بن الطّيب: إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات المتقرّرة، قال ابن عطية وهذا قول مرغوب عنه، وحكى الزمخشري أن معنى خلقت بيدي خلقت بغير واسطة ﴿**أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل، وأم هنا معادلة، والمعنى أستكبرت الآن أم كنت قديمًا ممّن يعلو ويستكبر، وهذا على جهة التوبيخ له ﴿**رَجِيمٌ**﴾ أي لعين مطرود ﴿**إِلَى يَوْم الْوَقْتِ الْمَعْلُوم**﴾ يعني القيامة، وقد تقدّم الكلام على ذلك في الحجر ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ الباء للقسم، أقسم إبليس بعزّة الله أن يغوي ابن آدم ﴿**قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ الضمير في قال هنا لله تعالى، والحق الأول مقسم به وهو منصوب بفعل مضمر كقولك الله لأفعلنّ، وجوابه لأملأنّ جهنم، وقرىء بالرفع وهو مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمر تقديره الحق يميني، وأما الحق الثاني فهو مفعول بأقول، وقوله والحق أقول جملة اعتراض بين القسم وجوابه على وجه التأكيد للقسم ﴿**وَمَا أَنا مِّنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾ أي الذين

وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

يتصنعون ويتحيّلون بما ليسوا من أهله ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ هذا وعيد أي لتعلمنّ صدق خبره بعد حين والحين يوم القيامة أو موتهم أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره.



سورة الزّمر

مكيّة إلاّ الآيات ٥٢ و٥٤
فمدنيّة وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبإ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ تنزيل مبتدأ وخبره من الله أو خبر ابتداء مضمر تقديره هذا تنزيل، ومن الله على هذا الوجه يتعلق بتنزيل أو يكون خبرًا بعد خبر أو خبر مبتدأ آخر محذوف والكتاب هنا القرآن أو السورة واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة وأما الكتاب الثاني فهو القرآن باتفاق **﴿بِالْحَقِّ﴾** يحتمل معنيين أحدهما أن يكون معناه متضمنًا الحق، والثاني أن يكون معناه بالاستحقاق والوجوب **﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾** أي لا يكون فيه شرك أكبر ولا أصغر وهو الرياء **﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾** قيل معناه من حقّه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره ومعنى الخالص الصافي من شوائب الشرك، وقال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلاّ الله، وقال الحسن هو الإسلام وهذا أرجح لعمومه **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾** يريد بالأولياء الشركاء المعبودين، ويحتمل أن يريد بالذين اتخذوا

لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ

الكفّار العابدين لهم أو الشركاء المعبودين والأول أظهر لأنه يحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على الذين تقديره الذين اتخذوهم ويكون ضمير الفاعل في اتخذوا عائدًا على غير مذكور وارتفاع الذين على الوجهين بالابتداء وخبره إما قوله إن الله يحكم بينهم أو المحذوف المقدّر قبل قوله ما نعبدهم لأن تقديره يقولون ما نعبدهم والأول أرجح لأنّ المعنى به أكمل **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾** هذه الجملة في موضع معمول قول محذوف والقول في موضع الحال أو في موضع بدل من صلة الذين، وقرأ ابن مسعود قالوا ما نعبدهم بإظهار القول أي يقول الكفّار ما نعبد هؤلاء الآلهة إلاّ ليقرّبونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده ويعني بذلك الكفّار الذين عبدوا الملائكة أو الذين عبدوا الأصنام أو الذين عبدوا عيسى أو عزير فإن جميعهم قالوا هذه المقالة ومعنى زلفى قُربى فهو مصدر من يقرّبونا **﴿إنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾** إشارة إلى كذبهم في قولهم ليقرّبونا إلى الله وقوله لا يهدي في تأويله وجهان: أحدهما لا يهديه في حال كفره والثاني أن ذلك مخصص بمَن قضى عليه بالموت على الكفر أعاذنا الله من ذلك وهذا تأويل: لا يهدي القوم الظالمين والكافرين حيثما وقع **﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾** الولد يكون على وجهين أحدهما بالولادة الحقيقية وهذا مُحال على الله تعالى لا يجوز في العقل والثاني التبنّي بمعنى الاختصاص والتقريب كما يتخذ الإنسان ولد غيره ولدًا لإفراط محبته له وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع فإن قوله وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا يعمّ نفي الوجهين فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية: لو أراد الله أن يتخذ ولدًا على وجه التبنّي لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله، وقال الزمخشري معناه: لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك ولكنه يصطفي من عباده ما يشاء على وجه الاختصاص والتقريب لا على وجه اتخاذه ولدًا فاصطفى الملائكة وشرّفهم بالتقريب فحسب الكفّار أنهم أولاده ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثًا فأفرطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته **﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾** نزّه تعالى نفسه من اتخاذ الولد ثم وصف نفسه بالواحد لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه ولا جنس له لأنه واحد ووصف نفسه بالقهّار ليدل على نفي الشركاء والأنداد لأن كل شيء مقهور تحت

ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن

قهره تعالى فكيف يكون شريكًا له ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقة السمٰوات والأرض وما بينهما ليدلّ على وحدانيته وقدرته وعظمته ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ التكوير اللفّ والليّ ومنه كوّر العمامة التي يلتوي بعضها على بعض وهو هنا استعارة، ومعناه: على ما قال ابن عطية يعيد من هذا على هذا، فكان الذي يُطيل من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءًا فيستره وكأن الذي ينقص يدحل في الذي يطول فيستتر فيه ويحتمل أن يكون المعنى أن كل واحد منهما يغلب الآخر إذا طرأ عليه فشبّه في ستره له بثوب يلفّ على الآخر ﴿لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني حوّاء خلقها من ضلع آدم، فإن قيل: كيف عطف قوله ثم جعل على خلقكم بثمّ التي تقتضي الترتيب والمهلة ولا شك أن خلقة حوّاء كانت قبل خلقة بني آدم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول وهو المختار أن العطف إنما هو على معنى قوله واحدة لا على خلقكم كأنه قال خلقكم من نفس كانت واحدة ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها الثاني أن ثمّ لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود. الثالث أنه يعني بقوله خلقكم إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذرّ وكان ذلك قبل خلقه حوّاء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ يعني المذكورة في الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وسمّاها أزواجًا لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر وأما أنزل ففيه ثلاثة أوجه: الأول أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها. الثاني أن معنى أنزل قضى وقسم، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه. الثالث أنه أنزل المطر الذي ينبت به نبات فتعيش منه هذه الأنعام فعبّر بإنزالها عن إنزال أرزاقها وهذا بعيد ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يعني أن الإنسان يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن يتمّ خلقه ثم ينفخ فيه الروح ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ هي البطن والرحم والمشيمة، وقيل صلب الأب والرحم والمشيمة والأول أرجح لقوله بطون أمّهاتكم ولم يذكر الصّلب ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ أي لا يضرّه كفركم ﴿وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ تأوّل الأشعرية هذه الآية على وجهين: أحدهما أن الرضا بمعنى الإرادة ويعني بعباده مَن قضى الله له بالإيمان والوفاة عليه، فهو كقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي

تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى

لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطان﴾ [الحجر: ٤٢] والآخر أن الرضا غير الإرادة والعباد على هذا على العموم أي لا يرضى الكفر لأحد من البشر وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم فهو لم يرضه دينًا ولا شرعًا وأراده وقوعًا ووجودًا وأما المعتزلة فإن الرضا عندهم بمعنى الإرادة والعباد على العموم جريًا على قاعدتهم في القدر وأفعال العباد **﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾** هذا عموم والشكر الحقيقي يتضمن الإيمان **﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾** ذكر في الإسراء **﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ﴾** الآية: يراد بالإنسان هنا الكافر بدليل قوله: **﴿وَنَجعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾** [سبأ: ٣٣]، والقصد بهذه الآية عتاب وإقامة حجة، فالعتاب على الكفر وترك دعاء الله وإقامة الحجّة على الإنسان بدعائه إلى الله في الشدائد، فإن قيل لِمَ قال هنا وإذا مسّ بالواو وقال بعدها فإذا مسّ بالفاء؟ فالجواب: أن الذي بالفاء مسبّب عن قوله اشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فجاء بفاء السببية قاله الزمخشري وهو بعيد **﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾** خوّله أعطاه والنعمة هنا يحتمل أن يريد بها كشف الضرّ المذكور أو أيّ نعمة كانت **﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدعُوا إِلَيهِ مِن قَبْلُ﴾** يحتمل أن تكون ما مصدرية أي نسي دعاء أو تكون بمعنى الذي والمراد بها الله تعالى **﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ﴾** بتخفيف الميم على إدخال همزة الاستفهام على من وقيل هي همزة النداء والأول أظهر، وقرىء بتشديدها على إدخال أم على من ومن مبتدأ وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره أم مَن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده وهو قوله: **﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾** والقنوت هنا بمعنى الطاعة والصلاة بالليل، وآناء الليل ساعاته.

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة ومعناها التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾** يحتمل أن يتعلق في هذه الدنيا بأحسنوا والمعنى الذين أحسنوا في

ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ

الدنيا لهم حسنة في الآخرة، أو يتعلق بحسنة والحسنة على هذا حسن الحال والعافية في الدنيا والأول أرجح **﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾** يراد البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها والمقصود من ذلك الحض على الهجرة **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** هذا يحتمل وجهين أحدهما أن الصابر يوفى أجره ولا يحاسب على أعماله فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثاني أن أجر الصابرين بغير حصر بل أكثر من أن يحصر بعدد أو وزن وهذا قول الجمهور **﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾** اللام هنا يجوز أن تكون زائدة أو للتعليل ويكون المفعول على هذا محذوف، فإن قيل: كيف عطف أمرت على أمرت والمعنى واحد؟ فالجواب أن الأول أمر بالعبادة والإخلاص والثاني أمر بالسّبق إلى الإسلام فهما معنيان اثنان وكذلك قوله: **﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ﴾** [الزمر: ١٤] ليس تكرارًا لقوله أمرت أن أعبد الله لأن الأول إخبار بأنه مأمور بالعبادة والثاني إخبار بأنه يفعل العبادة وقدّم اسم الله تعالى للحصر واختصاص العبادة به وحده **﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾** هذا تهديد ومبالغة في الخذلان والتخلية لهم على ما هم عليه **﴿ظُلَلٌ﴾** جمع ظلّة بالضم وهو ما غشي من فوق كالسقف فقوله من فوقهم بين وأما من تحتهم فسمّاه ظلّة لأنه سقف لمن تحتهم فإن جهنم طبقات وقيل سمّاه ظلّة لأنه يلتهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم **﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾** قيل إنها نزلت في عثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير إذ دعاهم أبو بكر الصدّيق إلى الإيمان فآمنوا وقيل نزلت في أبي ذرّ وسلمان وهذا ضعيف لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكيّة والأظهر أنها عامّة، والطاغوت كل ما عبد من دون الله، وقيل الشياطين **﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾** قيل يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام وقيل يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك وقيل هو

حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

الذي يستمع حديثًا فيه حسن وقبيح فيتحدّث بالحسن ويكفّ عمّا سواه وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر وقال ابن عطيّة هو عامّ في جميع الأقوال والقصد الثناء على هؤلاء ببصائر ونظر سديد يفرّقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، فيتبعون الأحسن من ذلك، وقال الزمخشري مثل هذا المعنى **﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾** فيها وجهان: أحدهما أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره: أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أأنت تنقذه، فموضع مَن في النار موضع المضمر، والهمزة في قوله أفأنت هي الهمزة التي في قوله أفمَن وهي همزة الإنكار كرّرت للتأكيد، والثاني أن يكون التقدير أفمَن حقّ عليه كلمة العذاب تتأسف عليه فحذف الخبر ثم استأنف قوله أفأنت تنقذ مَن في النار، وعلى هذا يوقف على العذاب، والأول أرجح لعدم الإضمار **﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ﴾** معنى سلكه أدخله وأجراه والينابيع جمع ينبوع وهو العين، وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر **﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾** أي أصنافه كالقمح والأرز والفول وغير ذلك، وقيل ألوانه الخضرة والحمرة وشبه ذلك، وفي الوجهين دليل على الفاعل المختار وردّ على أهل الطبائع **﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾** تقديره أفَمَن شرح الله صدره كالقاسي قلبه، ورُوِيَ أن الذي شرح الله صدره للإسلام عليّ بن أبي طالب وحمزة، والمراد بالقاسية قلوبهم أبو لهب وأولاده، واللفظ أعمّ من ذلك **﴿مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾** قال الزمخشري من هنا سببية أي قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله، وهذا المعنى بعيد، ويحتمل عندي أن يكون قاسية تضمن معنى خالية، فلذلك تعدّى بمن، والمعنى أن قلوبهم خالية من ذكر الله **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾** يعني القرآن **﴿كِتَابًا﴾** بدل من أحسن أو حال منه **﴿مُّتَشَابِهًا﴾** معناه هنا أنه يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة والنطق بالحق، وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف **﴿مَّثَانِيَ﴾** جمع مثانٍ أي تثنى فيه القصص وتكرر، ويحتمل أن يكون مشتقًّا من الثناء، لأنه

وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ

يثني فيه على الله، فإن قيل: مثاني جمع فكيف وصف به المفرد؟ فالجواب: أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات فهو جمع بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولهم برمة أعشار، وثوب أخلاق، أو يكون تمييزًا من متشابهًا كقولك حسن شمائل ﴿**ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ إن قيل: كيف تعدّى تلين بإلى؟ فالجواب أنه تضمن معنى فعل تعدّى بإلى كأنه قال تميل أو تسكن أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله. فإن قيل: لِمَ ذَكرت الجلود أولاً وحدها ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولاً تقشعرّ ذكر الجلود وحدها، لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانيًا تلين ذكر الجلود والقلوب، لأن اللين توصف به الجلود والقلوب: أما لين القلوب فهو ضدّ قسوتها وأما لين الجلود فهو ضدّ قشعريرتها فاقشعرّت أولاً من الخوف، ثم لانت بالرجاء ﴿**ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ**﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أو إلى الخشية واقشعرار الجلود ﴿**أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾ الخبر محذوف كما تقدم في نظائره تقديره أفمَن يتقي بوجهه سوء العذاب كمَن هو آمن من العذاب، ومعنى يتّقي يلقى النار بوجهه ليكفّها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا لقي شيئًا من المخاوف استقبله بيديه، وأيدي هؤلاء مغلولة، فاتّقوا النار بوجوههم ﴿**ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾ أي ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ نصب على الحال أو بفعل مضمر على المدح ﴿**غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾ أي ليس فيه تضادّ ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر، وقيل معناه غير مخلوق وقيل غير ذي لحن، فإن قيل: لِمَ قال غير ذي عوج ولم يقل غير معوج؟ فالجواب: أن قوله غير ذي عوج أبلغ في نفي العوج عنه كأنه قال ليس فيه شيء من العوج أصلاً ﴿**رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ**﴾ أي متنازعون متظالمون، وقيل متشاجرون وأصله من قولك رجل شكس إذا كان ضيق الصدر، والمعنى ضرب هذا المثل لبيان حال مَن يشرك بالله ومَن يوحّده، فشبّه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه، والمملوك بينهم في أسوإ حال وشبه مَن يوحّد الله بمملوك لرجل واحد، فمعنى قوله: ﴿**سَالِمًا**

مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ

﴿لِرَجُلٍ﴾ أي خالصًا له وقرىء سلمًا بغير ألف والمعنى واحد **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾** في هذا وعد للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ووعيد للكفّار فإنهم إذا ماتوا جميعًا وصاروا إلى الله فاز مَن كان على الحق وهلك مَن كان على الباطل وفيه أيضًا إخبار بأنه ﷺ سيموت لئلا يختلف الناس في موته كما اختلفت الأمم في غيره وقد جاء أنه لمّا مات ﷺ أنكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته حتى احتجّ عليه أبو بكر الصدّيق بهذه الآية فرجع إليها **﴿تختَصِمُونَ﴾** قيل يعني الاختصام في الدماء وقيل في الحقوق والأظهر أنه اختصام النبي ﷺ مع الكفّار في تكذيبهم له فيكون من تمام ما قبله ويحتمل أن يكون على العموم في اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها **﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾** المعنى لا أحد أظلم ممّن كذب على الله ويريد بالكذب على الله هنا ما نسبوا إليه من الشركاء والأولاد **﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾** أي كذب بالإسلام والشريعة **﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾** قيل الذي جاء بالصدق النبي ﷺ والذي صدق به أبو بكر وقيل الذي جاء بالصدق جبريل والذي صدق به محمد ﷺ وقيل الذي جاء بالصدق الأنبياء والذي صدق به المؤمنون واختار ابن عطية أن يكون على العموم وجعل الذي للجنس كأنه قال الفريق الذي لأنه في مقابلة مَن كذب على الله وكذب بالصدق والمراد به العموم **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾** تقوية لقلب محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وإزالة للخوف الذي كان الكفّار يخوفونه **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾** الآية احتجاج على التوحيد وردّ على المشركين **﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾** الآية ردّ على المشركين وبرهان على الوحدانية ورأى أن سببها أن المشركين خوّفوا

حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم من آلهتهم فنزلت الآية مبيّنة أنهم لا يقدرون على شيء، فإن قيل: كيف قال كاشفات وممسكات بالتأنيث؟ فالجواب أنها لا تعقل فعاملها معاملة المؤنثة وأيضًا ففي تأنيثها تحقير لها وتهكّم بمن عبدها ﴿**اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ**﴾ تهديد ومسالمة منسوخة بالسيف ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ ذكر في أول السورة ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾ هذه الآية اعتبار ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين: أحدهما وفاة كاملة حقيقية وهي الموت، والآخر وفاة النوم لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع ومنه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] وتقديرها ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها ﴿**فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ**﴾ أي يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي ومعنى إمساكها أنه لا يردّها إلى الدنيا ﴿**وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ أي يرسل الأنفس النائمة وإرسالها هو ردّها إلى الدنيا، والأجل المسمّى هو أجل الموت الحقيقي، وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق، والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه لقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ**﴾ أم هنا بمعنى بل وهمزة الإنكار والشفعاء هم الأصنام وغيرها، لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿**قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا**﴾ دخلت همزة الاستفهام على واو الحال تقديره يشفعون وهم لا يملكون شيئًا ولا يعقلون ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾ أي هو مالكها، فلا يشفع أحد إليه إلا بإذنه وفي هذا ردّ على الكفّار في قولهم إن الأصنام تشفع لهم ﴿**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ**﴾ الآية: معناها أن الكفّار

إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ

يكرهون توحيد الله ويحبّون الإشراك به، ومعنى اشمأزّت انقبضت من شدّة الكراهة، ورُوِيَ ان هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سورة النجم، فألقى الشيطان في أُمنيته حسبما ذكرنا في الحج، فاستبشر الكفّار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللاّت والعُزّى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزوا ﴿**وَبَدَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾ أي ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا يظنون ظنونًا كاذبةً. قال الزمخشري: المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم أي ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْس مَا أُخْفِي لَهُم مِن قُرّة أَعْيُن﴾ [السجدة: ١٧] وقيل معناه عملوا أعمالاً حسبوها حسنات، فإذا هي سيئات وقال الحسن: ويل لأهل الربا من هذه الآية وهذا على أنها في المسلمين والظاهر أنها في الكفّار ﴿**وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾ معنى حاق حلّ ونزل وقال ابن عطية وغيره إن هذا على حذف مضاف تقديره حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزئون، ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف وهو أحسن، ومعناه حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون لأنهم كانوا في الدنيا يستهزئون، إذا خوفوا بعذاب الله، ويقولون متى هذا الوعد ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْم**﴾ يحتمل وجهين أحدهما وهو الأظهر: أن يريد على علم مني بالمكاسب والمنافع، والآخر على علم الله باستحقاقي لذلك وإنما هنا تحتمل وجهين: أحدهما وهو الأظهر: أن تكون ما كافّة وعلى علم في موضع الحال، والآخر أن تكون ما اسم إن وعلى علم خبرها وإنما قال أُوتيته بالضمير المذكر وهو عائد على النعمة للحمل على المعنى ﴿**بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ**﴾ ردّ على الذي قال إنما أُوتيته على علم ﴿**قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم**﴾ يعني قارون وغيره.

أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال عليّ بن أبي طالب وابن مسعود هذه أرجى آية في القرآن، ورُوِيَ أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «ما أحبّ أن لي الدنيا وما فيها» بهذه الآية، واختلف في سببها فقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة وقيل نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا، ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم، وهذا قول عمر بن الخطاب: وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي، لمّا جرى له ذلك وقيل نزلت في قوم من أهل الجاهلية، قالوا: ما ينفعنا الإسلام لأننا قد زنينا، وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفّار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم الإسلام يجب ما قبله، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر له ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له فالمغفرة المذكورة في هذه الآية، يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفّار إذا أسلموا أو للعصاة إذا تابوا أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضّل الله عليهم بالمغفرة، والظاهر أنها نزلت في الكفّار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا والدليل على أنها في الكفّار ما ذكر بعدها إلى قوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ يعني اتبعوا القرآن وليس المعنى أن بعض القرآن من بعض لأنه حسن كله. إنما المعنى أن يتّبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر، ويجتنبوا ما فيه من النواهي فالتفضيل الذي يقتضيه أحسن إنما هو في الاتباع وقيل يعني اتّبعوا الناسخ دون المنسوخ وهذا بعيد ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقول نفس وإنما ذكر النفس لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكفّار ﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ أي في حق الله وقيل في أمر الله وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى ﴿السَّاخِرِينَ﴾ أي المستهزئين ﴿بَلَى﴾ جواب للنفس التي حكى كلامها

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

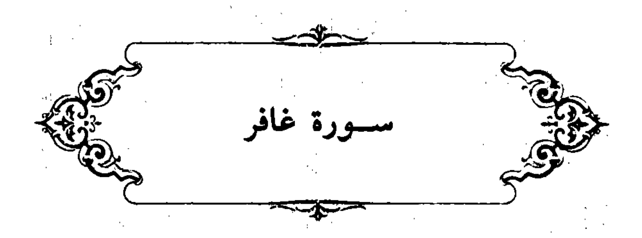
ولا يجاوب ببلى إلاّ النفي وهي هنا جواب لقوله لو أن الله هداني لكنت من المتّقين لأنه في معنى النفي لأن لو حرف امتناع وتقرير والجواب بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرُسُل وإنزاله الكتب وقال ابن عطية هي جواب لقوله لو أن لي كَرّة فإن معناه يقتضي أن العمر يتّسع للنظر فقيل له بلى على وجه الردّ عليه والأول أليق بسياق الكلام لأن قوله قد جاءتك آياتي تفسير لما تضمنته بلى ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة أو يكون عبارة عن شدّة الكرب ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أصله من الفوز والتقدير بسبب فوزهم وقيل معناه بفضائلهم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي قائم بتدبير كل شيء ﴿مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح وقيل خزائن واحدها مقليد وقيل إقليد وقيل لا واحد لها من لفظها وأصلها كلمة فارسية. وقال عثمان بن عفّان سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن مقاليد السمٰوات والأرض فقال هي لا إله إلاّ الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله وأستغفر الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يُحيي ويُميت وهو على كل شيء قدير فإن صحّ هذا الحديث فمعناه أن مَن قال هذه الكلمات صادقًا مخلصًا نال الخيرات والبركات من السمٰوات والأرض لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك فكأنها مفاتيح له ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية قال الزمخشري إنها متصلة بقوله ويُنجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وما بينهما من الكلام اعتراض ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ منصوب ﴿تَأْمُرُونِّي﴾ حذفت إحدى النونين تخفيفًا وقرىء بإدغام إحدى النونين في الأخرى ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ دليل على إحباط عمل المرتدّ مطلقًا خلافًا للشافعي في قوله لا يحبط عمله إلاّ إذا مات على الكفر فإن قيل: الموحى إليهم جماعة والخطاب بقوله لئن أشركت لواحد: فالجواب أنه أوحى إلى كل واحد منهم على حِدَته، فإن قيل: كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك،

مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا

فالجواب أن ذلك على وجه الفرض والتقدير أي لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم لكنهم لم يقع منهم شرك بسبب العصمة ويحتمل أن يكون الخطاب لغيرهم وخوطبوا هم ليدلّ المعنى على غيرهم بالطريق الأولى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عظّموه حقّ تعظيمه ولا وصفوه بما يجب له ولا نزّهوه عمّا لا يليق به والضمير في قدروا لقريش وقيل لليهود ﴿والأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسَّمَٰوَاتُ مطويّات بيمينه﴾ المقصود بهذا تعظيم جلال الله والردّ على الكفّار الذين ما قدّروا الله حقّ قدره ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات فقالت المتأوّلة إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة وقال ابن الطّيب إنها صفة زائدة على صفات الذات وأما السلف الصالح فسلّموا علم ذلك إلى الله ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم علم حقيقته إلاّ الله وقد قال ابن عباس ما معناه إن الأرض في قبضته والسمٰوات مطويّات كل ذلك بيمينه، وقال ابن عمر ما معناه: إن الأرض في قبضة اليد الواحدة والسمٰوات مطويّات باليمين الأخرى لأن كلتا يديه يمين ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل وهذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت وقد قيل إن قبلها نفخة الفزع ولم تذكر في هذه الآية ﴿إلاّ مَن شاء الله﴾ قيل يعني جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يُميتهم الله بعد ذلك وقيل استثناء الأنبياء وقيل الشهداء ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ هي نفخة القيام ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ قيل إنه من النظر وقيل من الانتظار أي ينتظرون ما يفعل بهم ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني صحائف الأعمال وإنما وحدها لأنه أراد الجنس وقيل هو اللوح المحفوظ ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ ليشهدوا على قومهم ﴿والشُّهَدَاءِ﴾ يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد في سبيل الله والأول أرجح لأن فيه الوعيد معنى ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين والمراد على هذا أمة محمد ﷺ لأنهم يشهدون على الناس وقيل يعني الملائكة الحفظة ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق ﴿زُمَرًا﴾ في الموضعين جمع زمرة

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

وهي الجماعة من الناس وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أشدّ نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل ﴿**خَزَنَتُهَا**﴾ جمع خازن حيث وقع ﴿**كَلِمَةُ الْعَذَابِ**﴾ يعني القضاء السابق بعذابهم ﴿**وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ إنما قال في الجنة وفتحت أبوابها بالواو وقال في النار فتحت بغير واو لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل مجيء أهلها والمعنى حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتّحة فالواو واو الحال وجواب إذا على هذا محذوف وأما أبواب النار فإنها فتحت حين جاؤوها فوقع قوله فتحت جواب الشرط فكأنه بغير واو وقال الكوفيون الواو في أبواب الجنة واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية وقيل الواو زائدة وفتحت هو الجواب ﴿**وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ**﴾ يعني أرض الجنة والوراثة هنا استعارة كأنهم ورثوا موضع مَن لم يدخل الجنة ﴿**نَتَبَوَّأُ**﴾ أي ننزل من الجنة حيث نشاء ونتّخذه مسكنًا ﴿**حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ**﴾ أي محدقين به دائرين حوله ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُم**﴾ الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول، ويحتمل هنا أن يكون للملائكة والقضاء بينهم توفية أجورهم على حسب منازلهم ﴿**وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة أو جميع الخلق أو أهل الجنة: لقوله ﴿وآخر دَعْوَاهم أنَّ الحَمْد لِلَّهِ ربّ العالَمين﴾ [يونس: ١٠].



مكية إلاّ آيتي ٥٦ و٥٧
فمدنيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

﴿حم﴾ تقدّم الكلام على حروف الهجاء، وتختصّ حم بأن معناها: حم الأمر، أي قضي، وقال ابن عباس «الر» و«حم» و«ن» هي حروف الرحمن ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ ذكر في الزّمر ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ أي ذي الفضل والإنعام، وقيل الطول الغنى والسّعة ﴿فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاَدِ﴾ جعل لا يغررك بمعنى لا يحزنك ففيه تسلية للنبي ﷺ ووعيد للكفّار ﴿وَالأَحْزَابُ﴾ يراد بهم عاد وثمود وغيرهم ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي ليقتلوه ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي ليبطلوا به الحق ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي وجب قضاؤه ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عطف على الذين يحملون ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إن قيل ما فائدة قوله ويؤمنون به، ومعلوم أن حَمَلَة العرش ومَن حوله يؤمنون بالله؟ فالجواب أن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه، قال ذلك الزمخشري، وقال إن فيه فائدة أخرى وهي أن معرفة حَمَلَة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق لا بالرؤية، وهذه نزعته إلى مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله ﴿وَسِعْتَ كُلَّ

فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ

شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أصل الكلام وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، فالسعة في المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم وإنما أسندتا إلى الله تعالى في اللفظ لقصد المبالغة في وصف الله تعالى بهما كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء **﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾** يحتمل أن يكون المعنى قِهِم السيئات نفسها بحيث لا يفعلونها أو يكون المعنى قهم جزاء السيئات فلا تؤاخذهم بها **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾** المقت البغض الذي يوجبه ذنب أو عيب وهذه الحال تكون للكفّار عند دخولهم النار فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم أي مقت بعضهم بعضًا ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه فتناديهم الملائكة وتقول لهم مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم فقوله لمقت الله مصدر مضاف إلى الفاعل وحذف المفعول لدلالة مفعول مقتكم عليه وقوله إذ تدعون ظرف العامل فيه مقت الله عامًا من طريق المعنى ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو لأن مقت الله مصدر فلا يجوز أن يفصل بينه وبين بعض صلته فيحتاج أن يقدّر للظرف عامل وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله أنفسكم والابتداء بالظرف وهذا ضعيف لأن المُراعَى المعنى وقد جعل الزمخشري مقت الله عامًا في الظرف ولم يعتبر الفصل **﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾** هذه الآية كقوله: **﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحْيِيكُم﴾** [البقرة: ٢٨] فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدمًا أو كونهم في الأصلاب أو في الأرحام، والموتة الثانية الموت المعروف والحياة الأولى حياة الدنيا، والحياة الثانية حياة البعث في القيامة وقيل الحياة الأولى حياة الدنيا والثانية الحياة في القبر،

﴿خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ﴾

والموتة الأولى الموت المعروف، والموتة الثانية بعد حياة القبر، وهذا قول فاسد لأنه لا بدّ من الحياة للبعث فتجيء الحياة ثلاث مرات فإن قيل كيف اتصال قولهم أمَتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين بما قبله فالجواب أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك فأقرّوا به حينئذ ليرضوا الله بإقرارهم حينئذ فقولهم أمَتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين إقرار بالبعث على أكمل الوجوه طمعًا منهم أن يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله إذ كانوا يدعون إلى الإسلام فيكفرون ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الفاء هنا رابطة معناها التسبّب، فإن قيل كيف يكون قولهم أمَتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين سببًا لاعترافهم بالذنوب؟ فالجواب أنهم كانوا كافرين بالبعث فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكرّر عليهم علموا أن الله قادر على البعث فاعترفوا بذنوبهم وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصي فإن مَن لم يؤمن بالآخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ الباء سببية للتعليل والإشارة بذلك يحتمل أن تكون للعذاب الذي هم فيه أو إلى مقت الله لهم أو مقتهم لأنفسهم والأحسن أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام وذلك أنهم لمّا قالوا فهل إلى خروج من سبيل كأنهم قيل لهم لا سبيل إلى الخروج فالإشارة بقوله ذلكم إلى عدم خروجهم من النار ﴿يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ يعني العلامات الدالّة عليه من مخلوقاته ومعجزات رُسُله ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ يعني المطر ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى مرتفع الدرجات فيكون بمعنى العالي أو رافع درجات عباده في الجنة وفي الدنيا ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ يعني الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ يحتمل أن يريد الأمر الذي هو واحد الأمور أو الأمر بالخبر فعلى الأول تكون من للتبعيض أو لابتداء الغاية وعلى الثاني تكون لابتداء الغاية أو بمعنى الباء ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ يعني يوم القيامة وسُمّي بذلك لأن الخلائق يلتقون فيه وقيل لأنه يلتقي فيه أهل السمٰوات والأرض وقيل لأنه يلتقي الخلق مع ربّهم، والفاعل في ينذر ضمير يعود على مَن يشاء أو على الروح أو على الله ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا من كلام الله تعالى تقريراً للخلق يوم القيامة فيجيبونه ويقولون لله الواحد القهّار وقيل بل هو الذي يجيب نفسه

بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ

لأن الخلق يسكتون هيبة له وقيل إن القائل لمَن الملك اليوم ملك ﴿**يَوْمَ الآزِفَةِ**﴾ يعني القيامة ومعناه القريبة ﴿**إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ**﴾ معناه أن القلوب قد صعدت من الصدور لشدّة الخوف حتى بلغت الحناجر فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة أو مجاز عبّر به عن شدّة الخوف والحناجر جمع حنجرة وهي الحلق ﴿**كَاظِمِينَ**﴾ أي محزونين حزنًا شديدًا كقوله فهو كظيم وقيل معناه يكظمون حزنهم أي يطمعون أن يخفوه والحال تغلّبهم وانتصابه على الحال من أصحاب القلوب لأن معناه قلوب الناس أو من المفعول في أنذرهم أو من القلوب وجمعها جمع المذكّر لما وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ**﴾ أي صديق مشفق ﴿**وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾ يحتمل أن يكون نفي الشفاعة وطاعة الشفيع أو نفي طاعة الشفيع خاصّة، كقولك **ما** جاءني رجل صالح فنفيت الصلاح وإن كان قد جاءك رجل غير صالح، والأول أحسن لأن الكفّار ليس لهم مَن يشفع فيهم ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ**﴾ أي استراق النظر والخائنة مصدر بمعنى الخيانة أو وصف للنظرة وهذا الكلام متصل بما تقدّم من ذكر الله واعتراض في أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرد إليه من قوله لينذر يوم التلاق ﴿**وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾ حجّة ظاهرة وهي المعجزات ﴿**قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أولاً قبل ميلاد موسى ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنَ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ**﴾ المعنى أنه لا يبالي بدعاء موسى لربه، ولا يخاف من ذلك

مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ

إن قتله، ويظهر من قوله ذروني أنه كان في الناس مَن ينازعه في قتل موسى، وذلك يدلّ على أن فرعون كان قد اضطرب أمره بظهور معجزات موسى **﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾** يعني فساد أحوالهم في الدنيا، وقرىء وأن يظهر بالواو وبأو ويظهر بفتح الياء ورفع الفساد على الفاعلية وبضمّ الياء ونصب الفساد على المفعولية **﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ﴾** الآية لما سمع موسى ما همّ به فرعون من قتله استعاذ بالله فعصمه الله منه، وقال من كل متكبّر ليشمل فرعون وغيره وليكون فيه وصف لغير فرعون بذلك الوصف القبيح **﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾** قيل اسم هذا الرجل حبيب وقيل حزقيل، وقيل شمعون بالشين المعجمة، ورُوِيَ أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عمّ فرعون، فقوله من آل فرعون صفة للمؤمن، وقيل كان من بني إسرائيل، فقوله من آل فرعون على هذا يتعلق بقوله يكتم إيمانه، والأول أرجح لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديم وتأخير، ولقوله: **﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ﴾** لأن هذا كلام قريب شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلاّء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل هذا الكلام، و**﴿أَن يَقُولَ﴾** في موضع المفعول من أجله تقديره أتقتلونه من أجل أن يقول ربّي الله **﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾** أي إن كان موسى كاذبًا في دعوى الرسالة فلا يضرّكم كذبه، فلأيّ شيء تقتلونه، فإن قيل: كيف قال وإن يكُ كاذبًا بعد أن كان قد آمن به؟ فالجواب أنه لم يقل ذلك على وجه التكذيب له وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير، وقصد بذلك المَحاجّة لقومه، فقسم أمر موسى إلى قسمين، ليُقيم عليه الحجّة في ترك قتله على كل وجه من القسمين **﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾** قيل إن بعض هنا بمعنى كل وذلك بعيد، وإنما قال بعض ولم يقل كل مع أن الذي يصيبهم هو كل ما يعدهم ليلاطفهم في الكلام، ويبعد عن التعصّب لموسى، ويُظهِر النصيحة لفرعون وقومه، فيُرتَجَى إجابتهم للحق **﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾** هو المؤمن المذكور أولاً وقيل هو موسى

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ

عليه السلام وهذا بعيد، وإنما توهموا ذلك لأنه صرّح هنا بالإيمان وكان كلام المؤمن أولاً غير صريح بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه، إذ كان يكتم إيمانه، والجواب: أنه كتم إيمانه أول الأمر ثم صرّح به بعد ذلك، وجاهرهم مجاهرة ظاهرة، لمّا وثق بالله حسبما حكى الله من كلامه إلى قوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُم وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤] **﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾** يعني يوم القيامة وسُمّي بذلك لأن المُنادي ينادي الناس، وذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ﴾ [الإسراء: ٧١] وقيل لأن بعضهم ينادي بعضًا، أي ينادي أهل الجنة أن قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقًّا وينادي أهل النار أن أفيضوا علينا من الماء **﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾** أي منطلقين إلى النار وقيل هاربين من النار **﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾** قيل هو يوسف بن يعقوب وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب والبيّنات التي جاء بها يوسف لم تعيّن لنا، واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله لأن كلّ مَن مَلَكَ مصر يقال له فرعون **﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً﴾** كلامهم هذا لا يدلّ على أنهم مؤمنون برسالة يوسف، وإنما مرادهم لم يأتِ أحد يدّعي الرسالة بعد يوسف، قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: إنما هو تكذيب لرسالة مَن بعده مضموم إلى تكذيب رسالته **﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾** بدل من مسرف مرتاب وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد، لأنه في معنى الجمع كأنه قال كل مسرف **﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾** فاعل كَبُر مصدر يجادلون، وقال الزمخشري: الفاعل ضمير من هو مسرف **﴿الأَسْبَابَ﴾** الأسباب هنا الطرق وقيل الأبواب، وكرّرها للتفخيم والبيان **﴿فَأَطَّلِعَ﴾** بالرفع عطف على أبلغ وبالنصب بإضمار أن في جواب لعلّ لأن الترجّي غير واجب، فهو كالتمنّي في انتصاب جوابه، ولا نقول إن لعلّ أُشربت معنى ليت كما قال بعض النحاة **﴿تَبَابٍ﴾** أي خسران **﴿مَتَاعٌ﴾** أي يتمتع به قليلاً، فإن قيل لِمَ كرّر

لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا

المؤمن نداء قومه مرارًا؟ فالجواب أن ذلك لقصد التنبيه لهم وإظهار الملاطفة والنصيحة، فإن قيل لِمَ جاء بالواو في قوله ويا قوم في الثالث دون الثاني؟ فالجواب: أن الثاني بيان للأول وتفسير فلم يصحّ عطفه عليه بخلاف الثالث فإنه كلام آخر فصحّ عطفه عليه ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي ليس لي علم بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأُشرك به ما ليس بإله وإذا لم يكن إلهًا لم يصحّ علم ربوبيته ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا بدّ ولا شك ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ قال ابن عطية ليس له قدر ولا حق، يجب أن يدعى إليه كأنه قال أتدعونني إلى عبادة ما لا خطر له في الدنيا ولا في الآخرة، ويحتمل اللفظ أن يكون معناه ليس له دعوة قائمة أي لا يدعى أحد إلى عبادته ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ دليل على أن مَن فوّض أمره إلى الله عزّ وجل كان الله معه ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ النار بدل من سوء العذاب، أو مبتدأ أو خبر مبتدأ مضمر، وعرضهم عليها من حين موتهم إلى قوم القيامة، وذلك مدّة البرزخ بدليل قوله ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب، واستدلّ أهل السُّنّة بذلك على صحة ما ورد من عذاب القبر، ورُوِيَ أن أرواحهم في أجواف طيور سود تروح بهم وتغدو إلى النار ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قيل معناه في كل غدوة وعشية من أيام الدنيا وقيل المعنى على تقدير ما بين الغدوة والعشية لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ إن

نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

قيل هلاّ قال الذين في النار لخزنتها فَلِمَ صرّح باسمها؟ فالجواب أن في ذكر جهنم تهويلاً ليس في ذكر الضمير **﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾** يحتمل أن يكون من كلام خَزَنَة جهنّم فيكون متصلاً بقوله فادعوا أو يكون من كلام الله تعالى استئنافًا **﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾** قيل إن هذا خاص فيمَن أظهره الله على الكفّار وليس بعامّ لأن من الأنبياء مَن قتله قومه كزكريا ويحيىٰ، والصحيح أنه عامّ، والجواب عمّا ذكروه أن زكريا ويحيىٰ لم يكونا من الرُّسُل إنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين وإنما ضمن الله نصر الرُّسل خاصّة لا نصر الأنبياء كلهم **﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾** يعني يوم القيامة والأشهاد جمع شاهد أو شهيد ويحتمل أن يكون بمعنى الحضور أو الشهادة على الناس أو الشهادة في سبيل الله والأظهر أنه بمعنى الشهادة على الناس لقوله فكيف إذا جئنا من كل أُمة بشهيد **﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾** يحتمل أنهم لا يعتذرون أو يعتذرون ولكن لا تنفعهم معذرتهم والأول أرجح لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون فنفى الاعتذار والانتفاع به **﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾** يعني وعده لسيّدنا محمد ﷺ بالنصر والظهور على أعدائه الكفّار **﴿بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾** قيل العشيّ صلاة العصر والإبكار صلاة الصبح وقيل العشيّ بعد العصر إلى الغروب والإبكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾** يعني كفّار قريش **﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إلاَّ كِبْرٌ﴾** أي تكبّر وتعاظم يمنعهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك وقيل كبرهم أنهم أرادوا النبوّة لأنفسهم ورأوا أنهم أحقّ بها والأول أظهر لأن إرادتهم النبوّة لأنفسهم حسد والأول هو الكبر **﴿مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾** أي لا يبلغون ما يقتضيه كبرهم من الظهور عليك ومن نيل النبوّة **﴿فَاسْتَعِذْ**

لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ

بِاللَّهِ﴾ أي استعذ من شرّهم لأنهم أعداء لك واستعذ من مثل حالهم في الكبر والحسد واستعذ بالله في جميع أمورك على الإطلاق **﴿لَخَلْقُ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾** الخلق هنا مصدر مضاف إلى المفعول والمراد به الاستدلال على البعث لأن الإله الذي خلق السمٰوات والأرض على كبرها قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها وقيل المراد توبيخ الكفّار المتكبّرين كأنه قال خلق السمٰوات والأرض أكبر من خلق الناس فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم والأول أرجح لوروده في مواضع من القرآن لأنه قال بعده إن الساعة لآتية لا ريب فيها فقدّم الدليل ثم ذكر المدلول.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم﴾ الدعاء هنا هو الطلب والرغبة وهذا وعد مقيّد بالمشيئة وهي موافقة القدر لمَن أراد أن يستجيب له وقيل ادعوني هنا بمعنى اعبدوني بدليل قوله بعده إن الذين يستكبرون عن عبادتي وقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا الآية وأستجب لكم على هذا القول بمعنى أغفر لكم أو أعطيكم أُجوركم والأول أظهر ويكون قوله ويستكبرون عن عبادتي بمعنى يستكبرون عن الرغبة إليّ كما قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَن لم يسأل الله يغضب عليه»، وأما قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «هو العبادة» فمعناه أن الدعاء والرغبة إلى الله هي العبادة لأن الدعاء يُظهِر فيه افتقار العبد وتضرّعه إلى الله **﴿دَاخِرِينَ﴾** أي صاغرين **﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾** ذكر في يونس **﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾** يعني المستلذّات لأنه إذا جاء ذكر الطيّبات في معرض الإنعام فيراد به المستلذّات وإذا جاء في

ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ

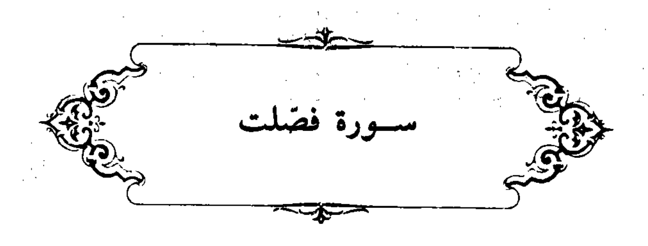
معرض التحليل والتحريم فيُراد به الحلال والحرام ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ هذا متّصل بما قبله قال ذلك ابن عطيّة والزمخشري وتقديره ادعوه مخلصين قائلين الحمد لله ربّ العالمين ولذلك قال ابن عباس مَن قال لا إله إلاّ الله فليقل الحمد لله ربّ العالمين ويحتمل أن يكون الحمد لله استئنافًا ﴿**ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً**﴾ أراد الجنس ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة ﴿**ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ**﴾ ذكر الأشدّ في سورة يوسف عليه السلام واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما لتبلغوا أجلاً مسمًّى فمتعلّق بمحذوف آخر تقديره فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلاً مسمًّى وهو الموت أو يوم القيامة ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ**﴾ يعني كفّار قريش وقيل هم أهل الأهواء كالقدرية وغيرهم وهذا مردود بقوله: ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ**﴾ إلاّ إن جعلته منقطعًا مما قبله وذلك بعيد ﴿**إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ**﴾ العامل في إذ يعلمون وجعل الظرف الماضي من الموضع المستقبل لتحقّق الأمر ﴿**يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ**﴾ أي يجرّون والحميم الماء الشديد الحرارة ﴿**ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾ هذا من قولك سجرت التنّور إذا ملأته بالنار، فالمعنى أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره توقد بهم النار ﴿**تَمْرَحُونَ**﴾ من المرح وهو الأشر والبطر وقيل الفخر والخيلاء ﴿**فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ إن قيل قياس

أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ

النظم أن يقول بئس مدخل الكافرين لأنه تقدّم قبله ادخلوا. فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثوى ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أصل إمّا نرينّك إن نريك ودخلت ما الزائدة بعد إن الشرطية، وجواب الشرط محذوف تقديره إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرّت عينك بذلك وإن توفّيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فننتقم منهم أشدّ الانتقام ﴿مِنهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيكَ﴾ رُوِيَ عن النبي ﷺ أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول وفي حديث آخر أربعة آلاف، وفي حديث أبي ذرّ إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا منهم الرُّسُل ثلاثمائة وثلاثة عشر: فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قصّ عليه ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ قال الزمخشري: أمر الله القيامة، وقال ابن عطية: المعنى إذا أراد الله إرسال رسول قضى ذلك ويحتمل أن يريد بأمر الله إهلاك المكذّبين للرُّسُل لقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ هنالك في الموضعين يُراد به الوقت والزمان وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف الزمان ﴿الأَنْعَامَ﴾ هي الإبل والبقر والضأن والمعز، فقوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ يعني الإبل ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني اللحوم والمنافع منها اللبن والصوف وغير ذلك ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ يعني قطع المسافة البعيدة وحمل الأثقال على الإبل، وتحملون يريد الركوب عليها وإنما كرّره بعد قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ لأنه أراد الركوب الأول المتعارف في القرى والبلدان وبالحمل عليها الأسفار البعيدة، قاله ابن عطية ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ هذا عموم بعد ما قدّم من الآيات المخصوصة ولذلك وبّخهم بقوله: ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ الضمير يعود على الأمم المكذبين وفي تفسير علمهم وجوه: أحدها أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون، والثاني أنه علّمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها،

وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

والثالث أنه علّم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم للشرائع وقيل الضمير يعود على الرسل، أي فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله وشرائعه أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على مَن يكذبهم وأما الضمير في وحاق بهم فيعود على الكفّار باتفاق ولذلك ترجح أن يكون الضمير في فرحوا يعود عليهم ليتّسق الكلام ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ انتصب على المصدرية والله سبحانه أعلم.



سورة فصّلت

مكيّة وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿فُصِّلَتْ﴾ أي بيّنت وقيل قطعت إلى سور وآيات **﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾** منصوب بفعل مضمر على التخصيص أو حال أو مصدر **﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** معناه يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها وذلك هو العلم الذي يوجب التكليف وقيل معناه يعلمون الحق والإيمان فالأول عامّ وهذا خاصّ، والأول أولى لقوله: فأعـرض أكثرهـم لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين، وقيل يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن إذ هو بلغتهم، وقوله لقوم يتعلق بتنزيل أو فصّلت والأحسن أن يكون صفة لكتاب **﴿فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾** أي لا يقبلون ولا يطيعون وعبّر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة **﴿فِي أَكِنَّةٍ﴾** جمع كنان وهو الغطاء، **﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾** عبارة عن بعدهم عن الإسلام **﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾** قيل معناه اعمل على دينك إننا عاملون على ديننا فهي متاركة، وقيل اعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك، فهو تهديد **﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾** هي زكاة

ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا

المال وإنما خصّها بالذكر لصعوبتها على الناس ولأنها من أركان الإسلام وقيل يعني بالزكاة التوحيد وهذا بعيد وإنما حمله على ذلك لأن الآيات مكيّة، ولم تفرض الزكاة إلاّ بالمدينة والجواب أن المراد النفقة في طاعة الله مطلقًا وقد كانت مأمورًا بها بمكة **﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾** أي غير مقطوع من قولك، مننت الحبل إذا قطعته وقيل غير منقوص، قيل غير محصور، وقيل لا يمنّ عليهم به لأن المنّ يكدّر الإحسان **﴿أَندَادًا﴾** أي أمثالاً وأشباهًا من الأصنام وغيرها **﴿رَوَاسِيَ﴾** يعني الجبال **﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾** أكثر خيرها **﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾** أي أرزاق أهلها ومعاشهم وقيل يعني أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التي بها قوام الأرض والأول أظهر **﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾** يريد أن الأربعة كملت باليومين الأوّلين فخلق الأرض في يومين وجعل فيها ما ذكر في يومين، فتلك أربعة أيام وخلق السمٰوات في يومين فتلك ستة أيام حسبما ذكر في مواضع كثيرة ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة **﴿سَوَاءً﴾** بالنصب مصدر تقديره استوت استواء قاله الزمخشري، وقال ابن عطية انتصب على الحال **﴿لِّلسَّائِلِينَ﴾** قيل معناه لمَن سأل عن أمرها وقيل معناه للطالبين لها، ويعني بالطلب على هذا حاجة الخلق إليها، وحرف الجر يتعلق بمحذوف على القول الأول تقديره يبيّن ذلك لمَن سأل عنه ويتعلق بقدّر على القول الثاني **﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾** أي قصد إليها، ويقتضي هذا الترتيب: أن الأرض خلقت قبل السماء، فإن قيل كيف الجمع بين ذلك وبين قوله: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] فالجواب أنها خلقت قبل السماء، ثم دحيت بعد ذلك **﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾** رُوِيَ أنه كان العرش على الماء فأخرج إليه من الماء دخان فارتفع فوق الماء فأيبس الماء فصار أرضًا، ثم خلق السمٰوات من الدخان المرتفع **﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾** هذه عبارة عن لزوم طاعتهما كما يقول الملك لمَن تحت

طَآبِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ

يده افعل كذا شئت أو أبيت أي لا بدّ لك من فعله، وقيل تقديره ائتيا طوعًا وإلاّ أتيتما كرهًا ومعنى هذا الإتيان تصويرهما على الكيفية التي أرادها الله وقوله لهما ائتيا مجاز وهو عبارة عن تكوينه لهما وكذلك قولهما أتينا طائعين عبارة عن أنهما لم يمتنعا عليه حين أراد تكوينهما وقيل بل ذلك حقيقة وأنطق الله الأرض والسماء بقولهما أتينا طائعين وإنما جمع طائعين جمع العقلاء لوصفهما بأوصاف العقلاء ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ﴾ أي صنعهنّ والضمير للسمٰوات السبع وانتصابها على التمييز تفسير للضمير وأعاد عليها ضمير الجماعة المؤنثة لأنها لا تعقل فهو كقولك الجذوع انكسرت وجمعهما جمع المفكر العاقل في قوله طائعين لأنه وصفهما بالطوع وهو فعل العقلاء فعاملهما معاملتهم فهو كقولك رأيتهم لي ساجدين وأعاد ضمير التثنية في قوله قالتا أتينا لأنه جعل الأرض فرقة والسماء أخرى ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي أوحى إلى سكانها من الملائكة وإليها نفسها ما شاء من الأمور التي بها قوامها وصلاحها وأضاف الأمر إليها لأنه فيها ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ يعني الشمس والقمر والنجوم وهي زينة للسماء الدنيا سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السمٰوات ﴿وَحِفْظًا﴾ تقديره وحفظناها حفظًا ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينةً وحفظًا ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ الضمير لقريش ﴿صَاعِقَةِ﴾ يعني واقعة واحدة شديدة وهي مستعارة من صاعقة النار وقرىء صعقة بإسكان العين وهي الواقعة من قولك صعق الرجل ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ معنى ما بين الأيدي المتقدّم، ومعنى ما خلف المتأخر، فمعنى الآية: أن الرُّسل جاؤوهم في الزمان المتقدّم واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود حتى قامت عليهم الحجة بذلك من بين أيديهم ثم جاءتهم رُسُل آخرون عند اكتمال أعمارهم فذلك من خلفهم قاله ابن عطية وقال الزمخشري معناه أتوهم من كل جانب فهو عبارة عن اجتهادهم في التبليغ إليهم وقيل أخبروهم بما أصاب من قبلهم فذلك ما بين أيديهم وأنذروهم ما يجري عليهم من الزمان المستقبل وفي الآخرة فذلك من خلفهم ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا إلاّ الله ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ ليس فيه اعتراف

وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ

الكفّار بالرسالة وإنما معناه بما أرسلتم على قولكم ودعواكم وفيه تهكّم ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قيل إنه من الصرّ وهو شدّة البرد فمعناه باردة وقيل إنه من قولك صرصر إذا صوّت فمعناه لها صوت هائل ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ معناه من النحس وهو ضدّ السعد وقيل شديدة البرد وقيل متتابعة والأول أرجح، ورُوِيَ أنها كانت آخر شوّال من الأربعاء إلى الأربعاء وقرىء نحسات بإسكان الحاء وكسرها فأما الكسر فهو جمع نحس وهو صفة وأما الإسكان فتخفيف من الكسر على وزن فعل أو وصف بالمصدر ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي بيّنّا لهم فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد ﴿فَهُم يُوزَعُونَ﴾ أي يدفعون بعنف ﴿وَجِلُودُهُم﴾ يعني الجلود المعروفة وقيل هو كناية عن الفروج والأول أظهر ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآيات يحتمل أن تكون من كلام الجلود أو من كلام الله تعالى أو الملائكة، وفي معناه وجهان: أحدهما لم تقدروا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنها ملازمة لكم فلم يمكنكم احتراس من ذلك فشهدت عليكم، والآخر لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم، لأنكم لم تبالوا بشهادتها ولم تظنوا أنها تشهد عليكم، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون، وهذا أرجح لاتّساق ما بعده معه ولما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود: أنه قال اجتمع ثلاثة نفر قرشيان وثقفي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم، فتحدّثوا بحديث فقال أحدهم أترى الله يسمع ما قلنا، فقال: الآخر إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا فقال الآخر: إن كان يسمع منّا شيئًا فإنه

مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ

يسمعه كله فنزلت الآية ﴿**أَرْدَاكُمْ**﴾ أي أهلككم من الرّدى بمعنى الهلاك ﴿**وَإن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ**﴾ هو من العتب بمعنى الرضا أي إن طلبوا العتبى ليس فيهم مَن يعطاها ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ**﴾ أي يسّرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة الإنس ﴿**فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ ما بين أيديهم ما تقدّم من أعمالهم، وما خلفهم ما هم عازمون عليه أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة، والتكذيب بها ﴿**وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ**﴾ أي سبق عليهم القضاء بعذابهم ﴿**فِي أُمَمٍ**﴾ أي في جملة أُمم، وقيل في بمعنى مع ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ**﴾ رُوِيَ أن قائل هذه المقالة أبو جهل بن هشام لعنه الله ﴿**وَالْغوا فِيهِ**﴾ المعنى لا تسمعوا إليه، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات وإنشاد الشعر وشبه ذلك حتى لا يسمعه أحد، وقيل معناه قعوا فيه وعيبوه ﴿**أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا**﴾ يقولون هذا إذا دخلوا جهنم، فقولهم مستقبل ذكر بلفظ الماضي، لتحققه، ومعنى اللذين أضلاّنا: كلّ مَن أغوانا من الجنّ والإنس، وقيل المراد ولد آدم الذي سنّ القتل وإبليس الذي أمر بالكفر والعصيان وهذا باطل لأن ولد آدم مؤمن عاصي وإنما طلب هؤلاء مَن أضلّهم بالكفر ﴿**تَحْتَ أَقْدَامِنَا**﴾ أي في أسفل طبقة من النار ﴿**ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، استقاموا على قولهم: ربّنا الله، فصحّ إيمانهم ودام توحيدهم وقال عمر بن الخطاب المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصي وقول عمر أكمل وأحوط وقول أبي بكر أرجح لما روى أنس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال قد قالها قوم ثم كفروا فمَن مات عليها فهو ممّن استقام، وقال بعض الصوفية: معنى استقاموا أعرضوا عمّا سوى الله وهذه حالة الكمال على أن اللفظ لا يقتضيه ﴿**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ**﴾ يعني عند الموت ﴿**وَلَكُم فِيهَا**﴾ الضمير للآخرة ﴿**مَا تَدَّعُونَ**﴾ أي ما تطلبون ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ**

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ

﴿قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي لا أحد أحسن أقوالاً منه ويدخل في ذلك كلّ مَن دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم، وقيل: المراد سيدنا محمد ﷺ، وقيل المؤذنون وهذا بعيد لأنها مكيّة، وإنما شرع الأذان بالمدينة ولكن المؤذنون يدخلون في العموم **﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾** الضمير يعود على الخلق الجميل الذي يتضمنه قوله: **﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** **﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾** أي حظّ من العقل والفضل وقيل حظّ عظيم في الجنة **﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾** إن شرطية دخلت عليها ما الزائدة ونزغ الشيطان وساوسه وأمره بالسوء.

﴿الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر، لأن جماعة ما لا يعقل كجماعة المؤنث أو كالواحدة المؤنثة، وقيل إنما يعود على الشمس والقمر وجمعهما لأن الاثنين جمع وهذا بعيد، **﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾** الملائكة **﴿لاَ يَسْئَمُونَ﴾** أي لا يملّون **﴿الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾** عبارة عن قلّة النبات **﴿اهْتَزَّتْ﴾** ذكر في الحج **﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾** تمثيل واحتجاج على صحة البعث **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾** أي يطعنون عليها وهذا الإلحاد هو بالتكذيب وقيل باللغو فيه حسبما تقدّم في السورة **﴿ أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ﴾** الآية: قيل إن المراد بالذي يلقى في النار أبو جهل وبالذي يأتي آمنًا عثمان بن عفّان وقيل عمّار بن ياسر واللفظ أعمّ من ذلك **﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾** تهديد لا إباحة **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**

وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ

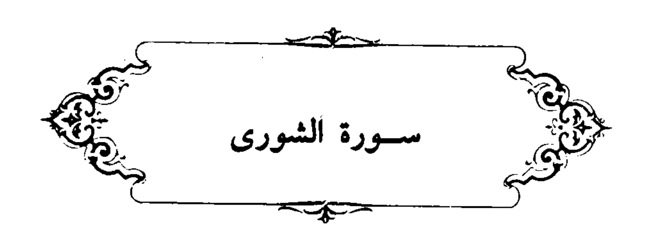
﴿بِالذِّكْرِ﴾ الذكر هنا القرآن باتفاق وخبر إن محذوف تقديره ضلّوا أو هلكوا، وقيل خبرها أولئك ينادون من مكان بعيد، وذلك بعيد **﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾** أي كريم على الله، وقيل منيع من الشيطان **﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾** أي ليس فيما تقدمه ما يبطله ولا يأتي بعده ما يبطله والمراد على الجملة أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات **﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾** في معناه قولان: أحدهما ما يقول الله لك من الوحي والشرائع، إلاّ مثل ما قال للرُّسُل من قبلك، والآخر ما يقول لك الكفّار من التكذيب والأذى إلاّ مثل ما قالت الأمم المتقدمون لرسلهم فالمراد على هذا تسلية النبي ﷺ بالتأسّي، والمراد على القول الأوّل أنه عليه الصلاة والسلام أتى بما جاءت به الرسل فلا تنكر رسالته **﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾** يحتمل أن يكون مستأنفًا، أو يكون هو المقول في الآية المتقدمة وذلك على القول الأوّل، وأما على القول الثاني فهو مستأنف منقطع مما قبله، **﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًا لَّقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾** الأعجمي الذي لا يُفصِح ولا يبيّن كلامه سواء كان من العرب أو من العجم والعجمي الذي ليس من العرب فصيحًا كان أو غير فصيح، ونزلت الآية بسبب طعن قريش في القرآن، فالمعنى أنه لو كان أعجميًا لطعنوا فيه وقالوا هلاّ كان مبيّناً فظهر أنهم يطعنون فيه على أيّ وجه كان **﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾** هذا من تمام كلامهم والهمزة للإنكار، والمعنى: أنه لو كان القرآن أعجميًا لقالوا قرآن أعجمي ورسول عربي، أو مرسل إليه عربي، وقيل إنما طعنوا فيه لما فيه من الكلمات العجمية، كسجين وإستبرق فقالوا قرآن أعجمي وعربي، أي مختلط من كلام العرب والعجم، وهذا يجري على قراءة أعجمي بفتح العين **﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾** عبارة عن إعراضهم عن القرآن فكأنهم صُمٌّ لا يسمعون وكذلك **﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾** عبارة عن قلّة فهمهم له **﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾** فيه قولان: أحدهما عبارة عن قلّة فهمهم فشبّههم بمَن ينادى من مكان بعيد فهو لا يسمع الصوت ولا يفقه ما يقال، والثاني أنه حقيقة في يوم القيامة، أي ينادون من مكان بعيد ليسمعوا أهل الموقف توبيخهم، والأوّل أليق بالكنايات التي قبلها **﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾** يعني القدر **﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ

لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ

﴿السَّاعَةِ﴾ أي علم زمان وقوعها، فإذا سُئِلَ أحد عن ذلك قال: الله هو الذي يعلمها **﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾** جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها **﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾** العامل في يوم محذوف والمراد به يوم القيامة، والضمير للمشركين وقوله أين شركائي توبيخ لهم، وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين، كأنه قال الشركاء الذين جعلتم لي **﴿قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾** المعنى: أنهم قالوا أعلمناك ما منّا مَن يشهد اليوم بأن لك شريكًا لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم **﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾** أي ضلّ عنهم شركاؤهم بمعنى أنهم لا يروهم حينئذ فما على هذا موصولة أو ضلّ عنهم قولهم الذي كانوا يقولون من الشرك، فما على هذا مصدرية **﴿وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾** الظنّ هنا بمعنى اليقين، والمحيص المهرب: أي علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب وقيل يوقف على ظنوا، ويكون ما لهم: استئنافًا، وذلك ضعيف **﴿لاَ يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾** أي لا يملّ من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وقيل في غيره من الكفّار واللفظ أعمّ من ذلك **﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾** أي هذا حقّي الواجب لي، وليس تفضلاً من الله ولا يقول هذا إلاّ كافر، ويدلّ على ذلك قوله: **﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾** وقوله: **﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾** معناه إن بعثت تكون لي الجنة وهذا تخرّص وتكبّر، ورُوِيَ أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة **﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾** ذكر في الإسراء **﴿دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾** أي كثير، وذكر الله هذه الأخلاق على وجه الذمّ لها **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾** الآية معناها أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به ألستم في شقاق بعيد فوضع قوله من أضلّ موضع الخطاب لهم **﴿سَنُرِيهِمْ**

بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ الضمير لقريش وفيها ثلاثة أقوال: أحدها أن الآيات في الآفاق هي فتح الأقطار للمسلمين والآيات في أنفسهم هي فتح مكة فجمع ذلك وعداً للمسلمين بالظهور، وتهديدًا للكفّار، واحتجاجًا عليهم بظهور الحق وخمول الباطل، والثاني أن الآيات في الآفاق هي ما أصاب الأمم المتقدمة من الهلاك وفي أنفسهم يوم بدر. الثالث أن الآيات في الآفاق: هي خلق السماء وما فيها من العِبَر والآيات، وفي أنفسهم خلقة بني آدم وهذا ضعيف لأنه قال سنُريهم بسين الاستقبال، وقد كانت السمٰوات وخلقة بني آدم مرئية والأول هو الراجح **﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾** الضمير للقرآن أو للإسلام **﴿مُحِيطٌ﴾** أي محيط بعلمه وقدرته وسلطانه.



سورة الشورى

مكية إلاّ الآيات ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٧
فمدنية وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصّلت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

حم عسق الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبما تقدّم في سورة البقرة، وقد حكى الطبري أن رجلاً سأل ابن عباس عن ﴿حم عسق﴾ فأعرض عنه، فقال حذيفة إنما كرهها ابن عباس لأنها نزلت في رجل من أهل بيته اسمه عبد الله يبني مدينة على نهر من أنهار المشرق ثم يخسف الله بها في آخر الزمان، والرجل على هذا أبو جعفر المنصور والمدينة بغداد وقد ورد في الحديث الصحيح أنها يخسف بها ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إلَيْكَ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف والإشارة بذلك إلى ما تضمنه القرآن أو السورة، وقيل الإشارة لقوله: ﴿حم عسق﴾ فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كل كتاب أنزله، وفي صحة هذا نظر ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ اسم الله فاعل بيوحي، وأما على قراءة يوحى بالفتح فهو فاعل بفعل مضمر دلّ عليه يوحى كأن قائلاً قال مَن الذي أوحى فقيل الله ﴿تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ أي يتشققن من خوف الله وعظيم جلاله، وقيل من قول الكفّار اتخذ الله ولدًا، فهي كالآية

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ

التي في مريم قال ابن عطية: وما وقع للمفسّرين هنا من ذكر الثقل ونحوه: مردود لأن الله تعالى لا يوصف به ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ الضمير للسمٰوات والمعنى يتشققن من أعلاهنّ، وذلك مبالغة في التهويل، وقيل الضمير للأرضين وهذا بعيد، وقيل الضمير للكفّار كأنه قال من فوق الجماعات الكافرة التي من أجل أقوالها تكاد السمٰوات يتفطرن، وهذا أيضًا بعيد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ عموم يراد به الخصوص لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]. وقيل إن يستغفرون للذين آمنوا نسخ هذه الآية، وهذا باطل، لأن النسخ لا يدخل في الأخبار، ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم، ومعناه الإمهال لهم وأن لا يعاجلوا بالعقوبة فيكون عامًّا، فإن قيل: ما وجه اتصال قوله والملائكة يسبّحون الآية: بما قبلها؟ فالجواب أنّا إن فسرنا تفطر السمٰوات بأنه من عظمة الله فإنه يكون تسبيح الملائكة أيضًا تعظيمًا له فينتظم الكلام، وإن فسّرنا تفطّرها بأنه من كفر بني آدم فيكون تسبيح الملائكة تنزيهًا لله تعالى عن كفر بني آدم وعن أقوالهم القبيحة ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ هي مكة، والمراد أهلها، ولذلك عطف عليه من حولها يعني من الناس ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يعني يوم القيامة وسمّي بذلك لأن الخلائق يجتمعون فيه ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ أم منقطعة، والأولياء هنا المعبودون من دون الله ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي ما اختلفتم فيه أنتم والكفّار من أمر الدين فحكمه إلى الله بأن يعاقب المبطل ويُثيب المحقّ أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كقوله: «فردّوه إلى الله والرسول» ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني الإناث ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ يحتمل أن يريد الإناث أو الأصناف ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ معنى يذرؤكم يخلقكم نسلاً بعد نسل وقرنًا بعد قرن، وقيل يكثركم، والضمير

شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا

المجرور يعود على الجعل الذي يتضمنه قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم﴾، وهذا كما تقول كلّمت زيدًا كلامًا أكرمته فيه، وقيل الضمير للتزويج الذي دلّ عليه قوله أزواجًا، وقال الزمخشري تقديره يذرؤكم في هذا التدبير، وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجًا، والضمير في يذرؤكم خطاب للناس والأنعام غلب فيه العقلاء على غيرهم، فإن قيل: لِمَ قال يذرؤكم فيه وهلاّ قال يذرؤكم به؟ فالجواب: أن هذا التدبير جعل كالمنع والمعدن للبثّ والتكثير قاله الزمخشري ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين، قال كثير من الناس الكاف زائدة للتأكيد، والمعنى ليس مثله شيء، وقال الطبري وغيره ليست بزائدة، ولكن وضع مثله موضع هو، والمعنى ليس كهو شيء قال الزمخشري: وهذا كما تقول مثلك لا يبخل، والمراد أنت لا تبخل، فنفى البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته ﴿مَقَالِيدُ﴾ قد ذكر ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ اتفق دين سيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات، وذلك هو المراد هنا، ولذلك فسّره بقوله أن أقيموا الدين يعني إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة، وأما الأحكام الفروعية فاختلفت فيها الشرائع فليست تُراد هنا ﴿أَنْ أَقِيمُوا﴾ يحتمل أن تكون أن في موضع نصب بدلاً من قوله ما وصّى أو في موضع خفض بدلاً من به أو في موضع رفع على خبر ابتداء مضمر أو تكون مفسّرة لا موضع لها من الإعراب ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي صعب الإسلام على المشركين ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ﴾ الضمير في إليه يعود على الله تعالى وقيل على الدين ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ﴾ يعني القضاء السابق بأن لا يفصل بينهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ يعني المعاصرين لسيّدنا محمد ﷺ من اليهود والنصارى، وقيل يعني العرب، والكتاب على هذا القرآن ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ الضمير

نَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ

للكتاب، أو للدين أو لسيدنا محمد ﷺ **﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾** أي إلى ذلك الذي شرع الله فادع الناس فاللام بمعنى إلى والإشارة بذلك إلى قوله شرع لكم من الدين أو إلى قوله ما تدعوهم إليه وقيل إن اللام بمعنى أجل والإشارة إلى التفرّق والاختلاف أي لأجل ما حدث من التفرّق ادع إلى الله وعلى هذا يكون قوله: **﴿وَٱسْتَقِمْ﴾** معطوفًا وعلى الأول يكون مستأنفًا فيوقف على فادع واستقم **﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾** أي دُمْ على ما أُمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته **﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾** الضمير للكفّار وأهواؤهم ما كانوا يحبّون من الكفر والباطل كله **﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾** قيل يعني العدل في الأحكام إذا تخاصموا إليه، ويحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلى دين الإسلام أي أمرت أن أحملكم على الحق **﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾** أي لا جدال ولا مناظرة، فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون **﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾** أي يجادلون المؤمنين في دين الإسلام، ويعني كفّار قريش، وقيل اليهود **﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾** الضمير يعود على الله أي من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه، وقيل يعود على الدين وقيل على محمد ﷺ، والأول أظهر وأحسن **﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾** أي زاهقة باطلة **﴿أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾** يعني جنس الكتاب **﴿بِٱلْحَقِّ﴾** أي بالواجب أو متضمنًا الحق **﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾** قال ابن عباس وغيره يعني العدل، ومعنى إنزال العدل، إنزال الأمر به في الكتب المنزلة، وقيل يعني الميزان المعروف، فإن قيل: ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟ فالجواب أن الساعة يوم الجزاء والحساب، فكأنه قال اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه على أعمالكم **﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾** جاء قريب، بالتذكير لأن تأنيث الساعة غير حقيقي، ولأن المراد به وقت الساعة **﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾** أي يطلبون تعجيلها استهزاءً بها وتعجيزًا للمؤمنين **﴿يُمَارُونَ﴾** أي يجادلون ويخالفون **﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾** يعني الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان في قوله: **﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ**

ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ

﴿فِي الأَرْضِ إلاّ عَلَى اللَّهِ رِزقُها﴾ [هود: ٦]: أي ما تقوم به الحياة، فإن هذا على العموم لكل حيوان طول عمره ولزائد خاص بمَن شاء الله ﴿حَرْثَ الآخِرَةِ﴾ عبارة عن العمل لها وكذلك حرث الدنيا وهو مستعار من حرث الأرض لأن الحراث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ عبارة عن تضعيف الثواب ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أي نؤته منها ما قدّر له لأن كل أحد لا بدّ أن يصل إلى ما قسم له ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ هذا للكفّار، أو لمَن كان يريد الدنيا خاصّة، ولا رغبة له في الآخرة ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ أم منقطعة للإنكار والتوبيخ، والشركاء الأصنام وغيرها، وقيل الشياطين ﴿شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ الضمير في شرعوا للشركاء، وفي لهم للكفّار، وقيل بالعكس والأول أظهر ولم يأذن بمعنى لم يأمر، والمراد بما شرعوا من البواطل في الاعتقادات وفي الأعمال كالبحيرة والوصيلة وغير ذلك ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي لولا القضاء السابق بأن لا يقضي بينهم في الدنيا لقضى بينهم فيها ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ يعني في الآخرة.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ تقديره يبشّر به وحذف الجار والمجرور ﴿إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فيه أربعة أقوال: الأول أن القربى بمعنى القرابة، وفي بمعنى من أجل، والمعنى لا أسألكم عليه أجرًا إلاّ أن تودّوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم فالمقصد على هذا استعطاف قريش ولم يكن فيهم بطن إلاّ وبينه وبين النبي ﷺ قرابة. الثاني أن القربى بمعنى الأقارب، أو ذوي القربى والمعنى إلاّ أن تودّوا أقاربي وتحفظوني فيهم، والمقصد على هذا وصية بأهل البيت. الثالث أن القربى قرابة الناس بعضهم من بعض، والمعنى أن تودّوا أقاربكم، والمقصود على هذا وصيّة بصلة الأرحام. الرابع أن القربى التقرّب إلى الله، والمعنى إلاّ أن تتقرّبوا إلى الله بطاعته، والاستثناء على القول الثالث والرابع منقطع، وأما

﴿حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾

على الأول والثاني فيحتمل الانقطاع لأن المودّة ليست بأجر، ويحتمل الاتصال على المجاز كأنه قال لا أسألكم عليه أجرًا إلاّ المودّة فجعل المودة كالأجر ﴿يَقْتَرِفْ﴾ أي يكتسب ﴿نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ يعني مضاعفة الثواب ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أم منقطعة للإنكار والتوبيخ ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ فالمقصد بهذا قولان: أحدهما أنه ردّ على الكفّار في قولهم: ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي لو افتريت على الله كذبًا لختم على قلبك ولكنك لم تفتر على الله كذبًا فقد هداك وسدّدك، والآخر أن المراد إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفّار وتحمّل أذاهم ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ هذا فعل مستأنف غير معطوف على ما قبله لأن الذي قبله مجزوم وهذا مرفوع فيوقف على ما قبله ويبدأ به، وفي المراد وجهان أحدهما أنه من تمام ما قبله: أي لو افتريت على الله كذبًا لختم على قلبك ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افتريت، والآخر أنه وعد لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر ويحقّ الحق وهو الإسلام ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ عن هنا بمعنى من، وكأنه قال التوبة الصادرة من عباده وقبول التوبة على ثلاثة أوجه: أحدها التوبة من الكفر فهي مقبولة قطعًا والثاني التوبة من مظالم العباد فهي غير مقبولة حتى تردّ المظالم أو يستحلّ منها والثالث التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية وقيل إنها في المشيئة ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ العفو مع التوبة على حسب ما ذكرنا وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام الأول العفو عن الكفر وهو لا يكون أصلاً والثاني العفو عن مظالم العباد وهو كذلك والثالث العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر وهو حاصل باتفاق الرابع العفو عن الكبائر فمذهب أهل السُّنّة في المشيئة ومذهب المعتزلة أنها لا تغفر إلاّ بالتوبة ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معنى يستجيب يجيب والذين آمنوا مفعول والفاعل ضمير يعود على الله تعالى أي يجيبهم فيما يطلبون منه وقال الزمخشري أي أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام والثاني أن معناه يجيب والذين آمنوا فاعل أي يستجيب المؤمنون لربّهم باتّباع دينه والثالث أن معناه يطلب المؤمنون الإجابة من ربّهم واستفعل على هذا على بابه من الطلب والأول أرجح لدلالة قوله ويزيدهم من فضله ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾

وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا

أي يزيدهم ما لا يطلبون زيادة على الاستجابة فيما طلبوا وهذه الزيادة رُوِيَ عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنها الشفاعة والرضوان ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ**﴾ أي بغى بعضهم على بعض وطغوا لأن الغنى يوجب الطغيان وقال بعض الصحابة فينا نزلت لأنا نظرنا إلى أموال الكفّار فتمنيناها ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا**﴾ قيل لعمر رضي الله عنه اشتدّ القحط وقنط الناس فقال الآن يمطرون وأخذ ذلك من هذه الآية ومنه قوله ﷺ: «اشتدّي أزمة تنفرجي» ﴿**وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ**﴾ قيل يعني المطر فهو تكرار للمعنى الأول بلفظ آخر وقيل يعني الشمس وقيل بالعموم ﴿**وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ**﴾ لا إشكال لأن الدواب في الأرض وأما في السماء فقيل يعني الملائكة وقيل يمكن أن تكون في السماء دواب لا نعلمها نحن وقيل المعنى أنه بثّ في أحدهما فذكر الاثنين كما تقول في بني فلان كذا وإنما هو في بعضهم ﴿**وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾ يريد جمع الخلق في الحشر يوم القيامة ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ المعنى أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلاّ بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقرىء بما كسبت بغير فاء على أن يكون ما أصابكم بمعنى الذي وقرىء بالفاء على أن يكون ما أصابكم شرطًا ﴿**بِمُعْجِزِينَ**﴾ قد ذكر ﴿**الْجَوَارِ**﴾ جمع جارية وهي السفينة ﴿**كَالْأَعْلَامِ**﴾ جمع علم وهو الجبل ﴿**إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ**﴾ الضمير في يظللن للجواري وفي ظهره للجرّ، أي لو أراد الله أن يُسْكِن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر فالمقصود تعديد النعمة في إرسال الرياح أو تهديد بإسكانه ﴿**أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا**﴾ عطف على يسكن الريح، ومعنى يوبقهنّ يهلكهنّ بالغرق من شدّة

لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ

الرياح العاصفة والضمير فيه للسفن، وفي كسبوا لركابها من الناس والمعنى أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي يعلمون أنه لا مهرب لهم من الله وقرىء يعلم بالرفع على الاستئناف، وبالنصب واختلف في إعرابه على قولين: أحدهما أنه تصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء لأنه غير واجب وأنكر ذلك الزمخشري وقال إنه شاذ فلا ينبغي أن يحمل القرآن عليه، والثاني قول الزمخشري إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره، لينتقم منهم ويعلم، قال ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف في القرآن كثير، ومنه قوله ولنجعله آية للناس ﴿كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في النساء وقيل كبائر الإثم: هو الشرك، والفواحش: هي الزنا واللفظ أعمّ من ذلك ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ قيل يعني الأنصار لأنهم استجابوا لما دعاهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الإسلام، ويظهر لي أن هذه الآية إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، لأنه بدأ أولاً بصفات أبي بكر الصدّيق، ثم صفات عمر بن الخطاب ثم صفات عثمان بن عفّان ثم صفات علي بن أبي طالب، فكونه جمع هذه الصفات ورتّبها على هذا الترتيب يدلّ على أنه قصد بها مَن اتّصف بذلك فأما صفات أبي بكر فقوله: الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون، وإنما جعلناها صفة أبي بكر وإن كان جميعهم متّصفًا بها لأن أبا بكر كانت له فيها مزية لم تكن لغيره قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجحهم»، وقال ﷺ: «أنا مدينة الإيمان وأبو بكر بابها»، وقال أبو بكر لو كشف الغطاء لما ازددت إلاّ يقينًا والتوكّل إنما يقوى بقوة الإيمان. أما صفات عمر فقوله: والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش لأن ذلك هو التقوى، وقد قال ﷺ: «أنا مدينة التقوى وعمر بابها»، وقوله: ﴿وإذَا مَا غَضِبُوا هُم يَغْفِرُونَ﴾، وقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٤٥] نزلت في عمر، وأما صفات عثمان فقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ لأن عثمان لمّا دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان تبعه وبادر إلى الإسلام وقوله وأقاموا الصلاة، لأن عثمان كان كثير الصلاة بالليل، وفيه نزلت ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزمر: ٩] الآية. ورُوِيَ أنه كان يُحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كله، وقوله وأمرهم شورى بينهم لأن

يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن

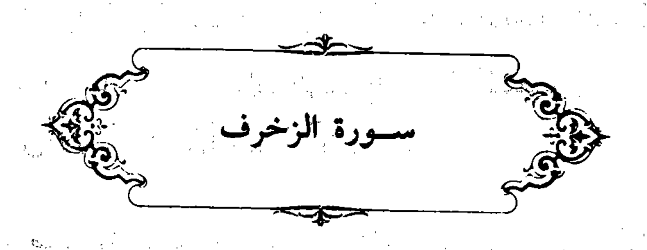
عثمان وَلِيَ الخلافة بالشّورى، وقوله: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾، لأن عثمان كان كثير النفقة في سبيل الله ويكفيك أنه جهّز جيش العسرة، وأما صفة عليّ فقوله: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُم الْبَغْيُ هُم يَنْتَصِرُونَ**﴾، لأنه لمّا قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصارًا للحق، وانظر كيف سمّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المقاتلين لعليّ الفئة الباغية حسبما ورد في الحديث الصحيح أنه قال لعمّار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية فذلك هو البغي الذي أصابه وقوله: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ إشارة إلى فعل الحسن بن عليّ حين بايع معاوية، وأسقط حقّ نفسه ليُصلِح أحوال المسلمين، ويحقن دماءهم قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم في الحسن إن ابني هذا سيد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقوله: ﴿**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ**﴾ إشارة إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن، وطلبه للخلافة وانتصاره من بني أميّة، وقوله: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**﴾ إشارة إلى بني أُميّة، فإنهم استطالوا على الناس كما جاء في الحديث عنهم، أنهم جعلوا عباد الله خولاً ومال الله دولاً ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون عليّ بن أبي طالب على منابرهم، وقوله: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ**﴾ الآية إشارة إلى صبر أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما نالهم من الضرّ والذلّ، طول مدّة بني أميّة ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾ سمّى العقوبة باسم الذنب وجعلها مثلها تحرّزًا من الزيادة عليها ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ هذا يدلّ على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار، لأنه ضمن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: ﴿**وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ**﴾ وقيل إن الانتصار أفضل، والأول أصحّ فإن قيل كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**﴾ والمُباح لا مدح فيه ولا ذمّ، فالجواب: من ثلاثة أوجه أحدها أن المباح قد يمدح لأنه قيام بحق لا بباطل، والثاني أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرّزًا ممّن بدأ بالظلم فكأن المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم، والثالث إن كانت الإشارة بذلك إلى عليّ بن أبي طالب حسبما ذكرنا فانتصاره محمود، لأن قتال أهل البغي واجب لقوله تعالى: ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي**

سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ

تَبْغِي﴾ [الحجرات: ٩] ﴿يُعرَضُون عَلَيْهَا﴾ أي على النار ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ عبارة عن الذلّ والكآبة، ومن الذلّ يتعلق بخاشعين ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ فيه قولان: أحدهما أنه عبارة عن الذلّ، لأن نظر الذليل بمهابة واستكانة والآخر أنهم يحشرون عميًا فلا ينظرون بأبصارهم، وإنما ينظرون بقلوبهم واستبعد هذا ابن عطية والزمخشري. والطرف يحتمل أن يريد به العين أو يكون مصدرًا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يتعلق بقال أو بخسروا ﴿أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا أو مستأنفًا من كلام الله تعالى ﴿لاَّ مَرَدَّ لَهُ﴾ ذكر في الروم ﴿مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي إنكار يعني لا تنكرون أعمالكم ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ قدّم الإناث اعتناءً بهنّ وتأنيسًا لمَن وهبهنّ له. قال واثلة بن الأسقع مَن يُمْن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذَّكَر، لأن الله بدأ بالإناث وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور وإبراهيم كان له ذكور دون إناث، ومحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم جمع الإناث والذكور ويحيى كان عقيمًا والظاهر أنها على العموم في جميع الناس، إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذكر وفي الآية من أدوات البيان التقسيم ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا﴾ الآية. بيّن الله تعالى فيها كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه أحدها الوحي المذكور أولاً وهو الذي يكون بإلهام أو منام والآخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب الثالث الوحي بواسطة الملك وهو قوله أو يرسل رسولاً يعني ملكًا فيُوحي بإذنه ما يشاء إلى النبي وهذا خاصّ بالأنبياء والثاني خاصّ

عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

بموسى وبمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ كلّمه الله ليلة الإسراء وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيرًا وقد يكون لسائر الخلق ومنه ﴿وأوحى ربّك إلى النحل﴾ ومنه منامات الناس **﴿أو يُرْسِل رَسُولاً﴾** قرىء يرسل، ويوحي بالرفع على تقدير أو هو يرسل وبالنصب عطفًا على وحيًا لأن تقديره أن يوحي عطف على أن المقدّرة **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَينا إلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾** الروح هنا القرآن والمعنى مثل هذا الوحي وهو بإرسال ملك أوحينا إليك القرآن والأمر هنا يحتمل أن يكون واحد الأمور أو يكون من الأمر بالشيء **﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾** المقصد بهذا شيئان أحدهما تعداد النعمة عليه ﷺ بأن علّمه الله ما لم يكن يعلم والآخر احتجاج على نبوّته لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ولا تعلمه من أحد، فإن قيل أما كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه وأما الإيمان ففيه إشكال لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم. فالجواب أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه وقد كان مؤمنًا بالله قبل ذلك فالإيمان هنا يعني به كمال المعرفة وهي التي حصلت له بالنبوّة **﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾** الضمير للقرآن.



سورة الزخرف

مكية إلا آية ٥٤ فمدنية وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني القرآن والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين، أو المبين لغيره ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ أُمّ الكتاب، اللوح المحفوظ والمعنى أن القرآن وصف في اللوح بأنه عليّ حكيم، وقيل المعنى أن القرآن نسخ بجملته في اللوح المحفوظ ومنه كان جبريل ينقله فوصفه الله بأنه عليّ حكيم لكونه مكتوب في اللوح المحفوظ والأول أظهر وأشهر ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ الهمزة للإنكار والمعنى أنمسك عنكم الذكر ونضرب من قولك أضربت عن كذا إذا تركته والذكر يراد به القرآن أو التذكير والوعظ وصفحًا فيه وجهان: أحدهما أنه بمعنى الإعراض، تقول صفحت عنه إذا أعرضت عنه فكأنه قال أنترك تذكيركم إعراضًا عنكم وإعراب صفحًا على هذا مصدر من المعنى أو مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال والآخر أن يكون بمعنى العفو والغفران، فكأنه يقول أنمسك عنكم الذكر عفوًا عنكم وغفرانًا لذنوبكم وإعراب صفحًا على

مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ

هذا مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال **﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾** قرىء بكسر الهمزة على الشرط والجواب في الكلام الذي قبله وقرىء بالفتح على أنه مفعول من أجله **﴿أَشَدَّ مِنهُم بَطْشًا﴾** الضمير لقريش وهم المخاطبون بقوله أن كنتم قومًا مسرفين، فإن قيل كيف قال إن كنتم على الشرط بحرف إن التي معناها الشك ومعلوم أنهم كانوا مسرفين، فالجواب أن في ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم في ارتكابه فكأنه شيء لا يقع من عاقل فلذلك وضع حرف التوقع في موضع الواقع **﴿وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ﴾** أي تقدّم في القرآن ذكر حال الأوّلين وكيفية إهلاكهم لما كفروا **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾** الآية احتجاج على قريش لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذي خلق السمٰوات والأرض وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره، ومقتضى جوابهم أن يقولوا خلقهنّ الله، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم لأن اعترافهم بأنه خلق السمٰوات والأرض يقتضي أن يعترفوا بأنه عزيز عليم، وأما قوله الذي جعل لكم فهو من كلام الله لا من كلامهم **﴿مَهْدًا﴾** أي فراشًا على وجه التشبيه **﴿سُبُلاً﴾** أي طرقًا تمشون فيها **﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾** أي بمقدار ووزن معلوم وقيل معناه بقضاء **﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾** تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض **﴿الأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾** يعني أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك **﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾** الضمير يعود على ما تركبون **﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُم﴾** يحتمل أن يكون هذا الذكر بالقلب أو باللسان، ويحتمل أن يريد النعمة في تسخير هذا المركوب أو النعمة على الإطلاق، وكان بعض السلف إذا ركب دابّة يقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ثم يقول سبحان الذي سخّر لنا هذا **﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾** أي مطيقين وغالبين **﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾** اعتراف بالحشر **فإن** قيل ما مناسبة هذا للركوب؟ فالجواب: أن راكب السفينة أو الدابّة متعرّض

ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ

للهلاك بما يخاف من غرق السفينة أو سقوطه عن الدابّة، فأمر بذكر الحشر ليكون مستعدًّا للموت الذي قد يعرض له وقيل يذكر عند الركوب ركوب الجنازة، ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ الضمير في جعلوا لكفّار العرب، وفي له لله تعالى وهذا الكلام متصل بقوله ولئن سألتهم الآية والمعنى أنهم جعلوا الملائكة بنات الله فكأنهم جعلوا جزءًا من عباده نصيبًا له وحظًّا دون سائر عباده وقال الزمخشري معناه أنهم جعلوا الملائكة جزءاً منه وقال بعض اللغويين الجزء في اللغة الإناث واستشهد على ذلك ببيت شعر قال الزمخشري وذلك كذب على اللغة والبيت موضوع ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ أم للإنكار والردّ على الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ومعنى أصفاكم خصّكم أي كيف يتخذ لنفسه البنات وهنّ أدنى وأصفاكم بالبنين وهم أعلا ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي إذا بشّر بالأنثى وقد ذكر هذا المعنى في النحل والمراد أنهم يكرهون البنات فكيف ينسبونها إلى الله تعالى عن قولهم ﴿أَوَ مَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ المراد بمَن ينشأ في الحلية النساء والحلية هي الحليّ من الذهب والفضة وشبه ذلك ومعنى ينشأ فيها يكبر وينبت في استعمالها وقرىء ينشأ بضم الياء وتشديد الشين بمعنى يربّى فيها والمقصد الردّ على الذين قالوا الملائكة بنات الله كأنه قال أجعلتم لله مَن ينشأ في الحلية وذلك صفة النقص ثم أتبعها بصفة نقص أخرى وهي قوله وهو في الخصام غير مبين يعني أن الأُنثى إذا خاصمت أو تكلمت لم تقدر أن تبيّن حجّتها لنقص عقلها وقلّ ما تجد امرأة إلاّ تفسد الكلام وتخلط المعاني فكيف ينسب لله مَن يتّصف بهذه النقائص وإعراب ينشأ مفعول بفعل مضمر تقديره أجعلتم لله مَن ينشأ أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره أو مَن ينشأ في الحلية خصصتم به الله ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ الضمير في جعلوا لكفّار العرب فحكى عنهم ثلاثة أقوال شنيعة أحدها أنهم نسبوا إلى الله الولد، والآخر أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين، والثالث أنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثًا، وقرىء عند الرحمن بالنون، والمراد به قرب الملائكة وتشريفهم كقوله والذين عند ربك، وقرىء عباد بالباء جمع عبد والمراد به أيضًا الاختصاص والتشريف ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ هذا ردّ على العرب في قولهم إن الملائكة إناثًا، والمعنى هم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ما ليس لهم به علم؟ ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ

سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ

وَيُسأَلُونَ﴾ أي تكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة، ويسألون عنها يوم القيامة **﴿وَقَالُوا لَو شَاءَ الرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾** الضمير في قالوا للكفّار، وفي عبدناهم للملائكة، وقال ابن عطية للأصنام والأول أظهر وأشهر، والمعنى احتجاج احتجّ به الذين عبدوا الملائكة، وذلك أنهم قالوا لو أراد الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم، فكونه يمهلنا ويُنعم علينا: دليل على أنه يرضي عبادتنا لهم، ثم ردّ الله عليهم بقوله: **﴿مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾** يعني أن قولهم بلا دليل وحجة، وإنما هو تخرّص منهم **﴿أَم آتَينَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾** أي من قبل القرآن، وهذا أيضًا ردّ عليهم لكونهم ليس لهم كتاب يحتجّون به **﴿بَلْ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾** أي على دين وطريقة، والمعنى أنهم ليس لهم حجة، وإنما هم مقلّدو آبائهم **﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾** الآية المعنى كما اتّبع هؤلاء الكفّار آباءهم بغير حجة اتّبع كل مَن كان قبلهم من الكفّار آباءهم بغير حجة بل بطريق التقليد المذموم **﴿قُلْ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّم عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾** هذا ردّ على الذين اتبعوا آباءهم، والمعنى قل لهم أتتبعونهم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم، وقرىء قال أَوَ لو جئتكم، والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدّم، وأما قراءة قل بالأمر فهو خطاب لمحمد ﷺ أمره الله أن يقول ذلك لقريش وقيل هو للنذير المتقدّم أمره الله أن يقول ذلك لقومه، والأول أظهر، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضًا بين قصة المتقدمين، فإن قوله: **﴿إِنَّا بِمَا أُرسِلتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾**: حكاية عن الكفّار المتقدمين، وكذلك قوله: **﴿فَانتَقَمْنَا مِنهُمْ﴾**: يعني من المتقدمين **﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾** أي بريء وبراء في الأصل مصدر ثم استعمل صفة ولذلك استوى فيه الواحد والجماعة كعدل وشبهه **﴿إلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾** يحتمل أن يكون استثناءً منقطعًا، وذلك إن كانوا لا يعبدون الله، أو يكون متصلاً إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، وإعرابه على هذا بدل مما تعبدون فهو في موضع خفض أو منصوب

سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ

على الاستثناء فهو في موضع نصب ﴿سَيَهْدِينِ﴾ قال هنا سيهدين، وقال مرة أخرى فهو يهدين، ليدلّ على أن الهداية في الحال والاستقبال ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ضمير الفاعل في جعلها يعود على إبراهيم عليه السلام، وقيل على الله تعالى، والأول أظهر، والضمير يعود على الكلمة التي قالها وهي إنني براء مما تعبدون، ومعناها التوحيد، ولذلك قيل يعود على الإسلام لقوله هو سمّاكم المسلمين من قبل، وقيل يعود على لا إله إلاّ الله، والمعنى متقارب: أي جعل إبراهيم تلك الكلمة ثابتة في ذرّيّته لعلّ مَن أشرك منهم يرجع إلى التوحيد، والعقب هو الولد وولد الولد ما تناسلا أبدًا ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ الإشارة بهؤلاء إلى قريش، وهذا الكلام متصل بما قبله، لأن قريشًا من عقب إبراهيم عليه السلام فالمعنى لكنّ هؤلاء ليسوا ممّن بقيت الكلمة فيهم، بل متّعهم بالنّعم والعافية فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الضمير في قالوا لقريش، والقريتان مكة والطائف، ومن القريتين معناها من إحدى القريتين كقولك يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان: أي من أحدهما، وقيل معناه على رجل من رجلين من القريتين، فالرجل الذي من مكة الوليد بن المغيرة، وقيل عتبة بن ربيعة، والرجل الذي من الطائف عروة بن مسعود، وقيل حبيب بن عمير، ومعنى الآية أن قريشًا استبعدوا نزول القرآن على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء، وصفوه بالعظمة يريدون الرئاسة في قومه وكثرة ماله، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني أن الله يخصّ بالنبوّة مَن يشاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته، وليس ذلك بتدبير المخلوقين، ولا بإرادتهم، ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي كما قسمنا المعايش في الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية، وإذا كنّا لم نمهل الحظوظ الفانية الحقيرة، فأولى وأحرى أن لا نمهل الحظوظ الشريفة الباقية ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ وهو من التسخير في الخدمة: أي رفعنا بعضهم فوق بعض ليخدم بعضهم بعضًا ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ هذا تحقير للدنيا، والمراد برحمة ربك

خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن

هنا النبوّة وقيل الجنة ﴿**وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ الآية: تحقير أيضًا للدنيا، ومعناها لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفّار سقفًا من فضة، وذلك لهوان الدنيا على الله كما قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها جرعة ماء» ﴿**وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ**﴾ المعارج الأدراج والسلالم، ومعنى يظهرون يرتفعون، ومنه «فَما استطاعوا أن يُظهِروه» والسّرر جمع سرير، والزخرف الذهب، وقيل أثاث البيت من الستور والنمارق وشبه ذلك وقيل هو التزويق والنقش وشبه ذلك من التزيين كقولك: «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت» ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيطَانًا**﴾ يعش من قولك عشى الرجل إذا أظلم بصره، والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة، وقال الزمخشري يعشى بفتح الشين إذا حصلت الآفة في عينيه، ويعشو بضم الشين إذا نظر نظرة الأعشى وليس به آفة، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عمى وتعامى، فمعنى القراءة بالضم يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق، والظاهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر، وذكر الرحمن، وقال الزمخشري يريد به القرآن، وقال ابن عطية يريد به ما ذكر الله به عباده من المواعظ، فالمصدر مضاف إلى الفاعل، ويحتمل عندي أن يريد ذكر العبد لله، ومعنى الآية: أن مَن غفل عن ذكر الله يسّر الله له شيطانًا يكون له قرينًا فتلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان كما أن مَن داوم على الذكر تباعد عنه الشيطان ﴿**وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ**﴾ الضمير في إنهم للشياطين، وضمير المفعول في يصدّونهم لِمَن يعش عن ذكر الرحمن، وجمع الضميرين لأن المراد به جمع ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَنَا**﴾ قرىء جاءنا بضمير الاثنين وهما من يعش وشيطانه، وقرىء بغير ألف على أنه ضمير واحد وهو من يعش، والضمير في قال لمَن يعش، وقيل للشيطان ﴿**بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ**﴾ فيه قولان. أحدهما أنه يعني المشرق والمغرب، وغلب أحدهما في التشبيه، كما قيل القمران، والآخر أنه يعني المشرقين والمغربين، وحذف المغربين لدلالة المشرقين عليه ﴿**وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ**

يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ

إذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشترِكُونَ﴾ هذا كلام يقال للكفّار في الآخرة، ومعناه أنهم لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب ولا يجدون راحة التأسّي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه، والفاعل في ينفعكم قوله: **﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾**، و**﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾**: تعليل معناه بسبب ظلمكم، وقيل الفاعل مضمر وهو التبرّي الذي يقتضيه قوله: **﴿يَا لَيتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشرِقَينِ﴾** وأنكم على هذا تعليل، والأول أرجح **﴿أَفَأَنتَ تُسمِعُ الصُّمَّ﴾** الآية: خطاب للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والمراد بالصمّ والعمي الكفّار إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام **﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾** إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة، ومقصد الآية وعيد للكفّار، والمعنى إن عجّلنا وفاتك قبل الانتقام منهم فإنا سننتقم منهم بعد وفاتك، وإن أخّرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإنا عليهم مقتدرون، وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام في الدنيا أو يريد به عذاب الآخرة، وقيل إن الضمير في منهم منتقمون للمسلمين، وأن معنى ذلك أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد، وأنه أكرم نبيّه عليه السلام بأن توفّاه قبل أن يرى الانتقام من أمته، والأول أشهر وأظهر **﴿وَإِنَّهُ لَذِكرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾** الضمير في إنه للقرآن أو للإسلام، والذكر هنا بمعنى الشرف، وقوم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هم قريش وسائر العرب، فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها وصارت منهم الخلافة والملك، وورد عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن الأمر بعده لقريش، ويحتمل أن يريد بالذكر التذكير والموعظة، فقومه على هذا أمته كلهم وكل مَن بعث إليهم **﴿وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾** أي تُسألون عن العمل بالقرآن وعن شكر الله عليه **﴿وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾** إن قيل كيف أمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يسأل الرسل المتقدّمين وهو لم يدركهم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أنه رآهم ليلة الإسراء. الثاني أن المعنى اسأل أمة مَن أرسلنا قبلك. الثالث أنه لم يرد سؤالهم حقيقة، وإنما المعنى أن شرائعهم متفقة

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا

على توحيد الله بحيث لو سئلوا أهل مع الله آلهة يعبدون لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد **﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾** الآيات هنا المعجزات كقلب العصا حيّة، وإخراج اليد بيضاء، وقيل البراهين والحجج العقلية، والأول أظهر ومعنى أكبر من أختها أنها في غاية الكبر والظهور ولم يرد تفضيلها على غيرها من الآيات، إنما المعنى أنها إذا نظرت وجدت كبيرة، وإذا نظرت غيرها وجدت كبيرة فهو كقول الشاعر:

مَن تلق منهم فقل لاقيت سيدهم

هكذا قال الزمخشري، ويحتمل عندي أن يريد ما نريهم من آية إلاّ هي أكبر مما تقدّمها، فالمراد أكبر من أختها المتقدّمة عليها **﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾** ظاهر كلامهم هذا التناقض، فإن قولهم يا أيها الساحر يقتضي تكذيبهم له وقولهم ادع لنا ربك يقتضي تصديقه، والجواب من وجهين: أحدهما أن القائلين لذلك كانوا مكذّبين، وقولهم ادع لنا ربك: يريدون على قولك وزعمك وقولهم إننا لمهتدون وعد نووا خلافه، والآخر: أنهم كانوا مصدّقين، وقولهم يأيّها الساحر إمّا أن يكون عندهم غير مذموم، لأن السحر كان علم أهل زمانهم وكأنهم قالوا يأيها العالم، وإما أن يكون ذلك اسمًا قد ألفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه **﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾** يحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر مناديًا ينادي فيهم **﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾** قصد بذلك الافتخار على موسى، ومصر هي البلد المعروف وما يرجع إليه، ومنتهى ذلك من نهر إسكندرية إلى أسوان بطول النيل **﴿وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾** يعني الخلجان الكبار الخارجة من النيل كانت تجري تحت قصره، وأعظمها أربعة أنهار: نهر الإسكندرية وتنيس ودمياط، ونهر طولون **﴿أَفَلاَ تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾** مذهب سيبويه أن أم هنا متصلة معادلة، والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فإنهم عنده بصراء، وهذا من وضع السبب وضع المسبّب، وكان الأصل أن يقول أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم اقتصر على أم وحذف الفعل الذي بعدها واستأنف قوله، أنا

﴿ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝٥٣ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ۝٥٦ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾

خير على وجه الإخبار ويوقف على هذا القول على أم وهذا ضعيف، وقيل أم بمعنى بل فهي منقطعة ﴿مَهِينٌ﴾ أي ضعيف حقير قاله الزمخشري وغيره ﴿وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾ إشارة إلى ما بقي في لسان موسى من أثر الجمرة، وذلك أنها كانت قد أحدثت في لسانه عقدة، فلما دعا أن تحلّ أجيبت دعوته وبقي منها أثر كان معه لكنة، وقيل يعني العيّ في الكلام، وقوله ولا يكاد يبين: يقتضي أنه كان يبين، لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإثبات ﴿فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ يريد لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوّته، والأسورة جمع سوار وأسوار، وهو ما يجعل في الذراع من الحليّ، وكان الرجال حينئذ يجعلونه ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أي مقترنين به لا يفارقونه أو متقارنين بعضهم مع بعض ليشهدوا له ويقيموا الحجة ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ أي طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم ﴿آسَفُونا﴾ أي أغضبونا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ﴾ السلف بفتح السين واللام جمع سالف، وقرىء بضمّها جمع سليف ومعناه متقدّم: أي تقدّم قبل الكفّار ليكون موعظة لهم، ومثلاً يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ رُوِيَ عن ابن عباس وغيره في تفسيره هذه الآية أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه، قالت قريش ما يريد محمد إلاّ أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلاً، حكى ذلك ابن عطية والذي ضرب المثل على هذا هو الله في القرآن، ويصدّون بمعنى يعرضون، وقال الزمخشري: لما قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك، وقال عبد الله بن الزبعري أخاصّة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال ﷺ: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم»، فقال خصمتك وربّ الكعبة ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبيّ وتثني عليه خيرًا وقد علمت أن النصارى عبدوه فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرحت قريش بذلك وضحكوا وسكت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ونزلت هذه الآية، فالمعنى على هذا لما ضرب ابن الزبعري عيسى مثلاً وجادل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعبادة

بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ

النصارى إياه إذا قريش من هذا المثل يصدّون أي يضحكون ويصيحون من الفرح، وهذا المعنى إنما يجري على قراءة يصدّون بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح ﴿**وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ**﴾ يعنون بهو عيسى، والمعنى أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه لأنه خير من آلهتنا، وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكره الزمخشري في تفسير الآية التي قبله، وأما على ذكر ابن عطية فهذا ابتداء معنى آخر، وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولاً آخر، وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميًا ونحن عبدنا الملائكة وقالوا آلهتنا وهم الملائكة خير أم عيسى فمقصدهم تفضيل آلهتهم على عيسى. وقيل إن قولهم أم هو: يعنون به محمدًا ﷺ، فإنهم لما قالوا إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى قالوا أآلهتنا خير أم هو يريدون تفضيل آلهتهم على محمد والأظهر أن المراد بهو عيسى وهو قول الجمهور ويدلّ على ذلك تقدّم ذكره ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً**﴾ أي ما ضربوا لك هذا المثال إلاّ على وجه الجدل وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب مَن يناظره سواء غلبه بحق أو بباطل، فإن ابن الزبعرى وأمثاله ممّن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ولكنهم أرادوا المغالطة، فوصفهم الله بأنهم قوم خصمون ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ**﴾ يعني عيسى والإنعام عليه بالنبوّة والمعجزات وغير ذلك ﴿**وَلَو نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلاَئِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ**﴾ في معناها قولان: أحدهما لو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يسكنون الأرض ويخلفون فيها بني آدم، فقوله منكم يتعلق ببدل المحذوف أو بيخلفون، والآخر لو نشاء لجعلنا منكم أي لولدنا منكم أولادًا ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم، فإنّا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد، حكى ذلك الزمخشري ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾ الضمير لعيسى وقيل لمحمد ﷺ وقيل للقرآن، فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد فالمعنى أنه شرط من أشراط الساعة يوجب العلم بها فسمّي الشرط علمًا لحصول العلم به، ولذلك قرىء لعلم بفتح العين واللام: أي علامة وأما على القول بأنه للقرآن:

رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ

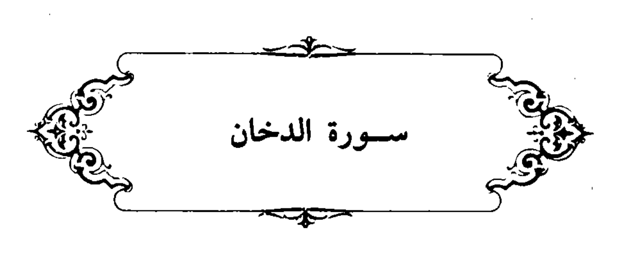
فالمعنى أنه يعلمكم بالساعة ﴿**وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ**﴾ إنما بيّن البعض دون الكل لأن الأنبياء إنما يبيّنون أمور الدين لا أمور الدنيا، وقيل بعض بمعنى كل وهذا ضعيف ﴿**فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ**﴾ ذكر في مريم ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إلاَّ السَّاعةَ**﴾ أي ينتظرون، والضمير لقريش أو للأحزاب ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾ الأخلاء جمع خليل وهو الصديق، وإنما يُعادي الخليل خليله يوم القيامة، لأن الضرر دخل عليه من صحبته، ولذلك استثنى المتّقين، لأن النفع دخل على بعضهم من بعض ﴿**يَا عِبَادِ**﴾ الآية. تقديره يقول الله يوم القيامة للمتّقين: ﴿**يَا عِبَادِي لا خَوْفٌ عَلَيْكم اليَوْمِ وَلاَ أَنْتُم تَحْزَنُونَ**﴾ ﴿**تُحْبَرُونَ**﴾ أي تنعمون وتسرّون ﴿**وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾ أي يائسون من الخير ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**﴾ المعنى أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب، ورُوِيَ أن مالكًا يبقى بعد ذلك ألف سنة وحينئذ يقول لهم إنكم ماكثون أي دائمون في النار ﴿**لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ**﴾ الآية من كلام الله تعالى لأهل النار، أو من كلام الله لقريش في الدنيا ﴿**أَمْ أَبْرَمُوا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ**﴾ الضمير لكفّار قريش، والمعنى أنهم إن أحكموا كيد النبي ﷺ فإنّا مُحكِمُون نصره وحمايته ﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ**﴾ الآية: رُوِيَ أنها نزلت في الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث اجتمعا وقال الأخنس أترى الله يسمع سرّنا، فقال الآخر يسمع نجوانا ولا يسمع سرّنا ﴿**سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم**﴾ السرّ ما يحدّث الإنسان به نفسه أو غيره في خفية، والنجوى ما

لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ

تكلموا به فيما بينهم ﴿بَلَى﴾ أي نسمع ورسلنا مع ذلك تكتب ما يقول والرسل هنا الملائكة الحافظون للأعمال ﴿**قُلْ إن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾ في تأويل الآية أربعة أقوال: الأول أنها احتجاج وردّ على الكفّار على تقدير قولهم، ومعناها لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفّار لكنت أنا أول مَن يعبد ذلك الولد كما يعظّم خَدَم الملك ولد الملك لتعظيم والده، ولكن ليس للرحمن ولد فلست بعابد إلاّ الله وحده، وهذا نوع من الأدلّة يسمّى دليل التلازم لأنه علّق عبادة الولد بوجوده ووجوده مُحال فعبادته مُحال، ونظير هذا أن يقول المالكي إذا قصد الردّ على الحنفي في تحريم النبيذ: إن كان النبيذ غير مُسكِر فهو حلال لكنه مُسكِر فهو حرام، القول الثاني إن كان للرحمن ولد فأنا أول مَن عبد الله وحده وكذّبكم في قولكم أن له ولدًا، والعابدين على هذين القولين بمعنى العبادة، القول الثالث أن العابدين بمعنى المنكرين: يقال عبد الرجل إذا أنف وتكبّر وأنكر الشيء، والمعنى إن زعمتم أن للرحمن ولدًا فأنا أوّل المنكرين لذلك، وإن على هذه الأقوال الثلاثة شرطية، القول الرابع قال قتادة وابن زيد إن هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد وتمّ الكلام، ثم ابتدأ قوله فأنا أول العابدين، والأول هو الصحيح لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة، وهو الذي عوّل عليه الزمخشري، وقال الطبري هو ملاطفة في الخطاب ونحوه قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَو إِيَّاكُم لَعَلَى هُدًى أَو فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] وقال ابن عطيّة منه قوله تعالى في مخاطبة الكفّار: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ [النحل: ٢٧] يعني شركائي على قولكم ﴿**فَذَرْهُمْ**﴾ الآية مُوادعة منسوخة بالسيف ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ**﴾ أي هو الإله لأهل الأرض وأهل السماء والمجرور يتعلق بإله لأن فيه معنى الوصفية ﴿**وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ أي علم زمان وقوعها ﴿**وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ**﴾ أي لا يملك كل مَن عبد من دون الله أن يشفع عند الله، لأن الله لا يشفع أحد عنده إلاّ بإذنه، فهو المالك للشفاعة وحده ﴿**إلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ اختلف هل يعني بمَن شهد بالحق الشافع أو المشفوع فيه، فإن أراد المشفوع فيه فالاستثناء منقطع والمعنى لا يملكون المعبودون شفاعة لكن مَن شهد بالحق وهو عالم به فهو الذي يشفع فيه، ويحتمل على هذا

﴿يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

أن يكون مَن شهد مفعولاً بالشفاعة على إسقاط حرف الجرّ تقديره الشفاعة فيمَن شهد بالحق، وإن أراد بمَن شهد بالحق الشافع فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعًا وأن يكون متصلاً إلاّ فيمَن عبد عيسى والملائكة، والمعنى على هذا لا يملك المعبودون شفاعة إلاّ مَن شهد بالحق ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ القيل مصدر كالقول، والضمير يعود على النبي ﷺ، وقرىء قيله بالنصب والخفض وقرىء في غير السبع بالرفع، فأما النصب فقيل هو معطوف على سرّهم ونجواهم، وقيل هو معطوف على موضع الساعة لأنها مفعول أضيف إلى المصدر وقيل معطوف على مفعول محذوف تقديره يكتبون أقوالهم وقيله، وأما الخفض فقيل إنه معطوف على لفظ الساعة، ويحتمل أن يكون معطوفًا على قوله بالحق، وأما على الرفع فقيل إنه مبتدأ وخبره ما بعده، وضعّف الزمخشري ذلك كله وقال إنه من باب القسم فالنصب والخفض على إضمار حرف القسم كقولك الله لأضربنّ زيدًا والرفع كقولهم أيمن الله ولعمرك، وجواب القسم قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون كأنه قال أقسم بقيله أن هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف ﴿وَقُلْ سَلاَمٌ﴾ تقديره أمري سلام: أي مسالمة، وقيل سلام عليكم على جهة الموادعة وهو منسوخ على الوجهين ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد.



سورة الدخان

مكية وآياتها ٥٩ نزلت بعد الزخرف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيم

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ذكر في الزخرف وهو قسم جوابه إنّا أنزلناه، وقيل إنّا كنّا منذرين وهو بعيد ﴿إنّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ يعني ليلة القدر من رمضان وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ شيئًا بعد شيء وقيل معناه أنه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر، وقيل يعني بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان وذلك باطل، لقوله: ﴿إنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ مع قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضان الّذي أُنْزِلَ فِيه الْقُرْآن﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم﴾ معنى يفرق يفصل ويخلص، والأمر الحكيم أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم في ذٰلك العام نسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ليتمثّل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة، وقيل إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان وهذا باطل لِما قدّمنا ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ مفعول بفعل مضمر على الاختصاص قاله الزمخشري، وقال ابن عطية نصب على المصدر، وقيل على الحال ﴿مُرْسِلِينَ﴾ إرسال الرسل عليهم

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ

السلام، وقيل من إرسال الرحمة والأول أظهر **﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾** في هذا قولان أحدهما قول عليّ بن أبي طالب وابن عباس أن الدخان يكون قبل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين وهو من أشراط الساعة، وروى حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول أشراط الساعة الدخان» والثاني قول ابن مسعود: إن الدخان عبارة عمّا أصاب قريشًا حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجدب فكان الرجل يرى دخانًا بينه وبين السماء من شدّة الجوع قال ابن مسعود خمس قد مضين: الدخان واللزام والبطشة والقمر والدوم **﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى، أو من قول الناس لما أصابهم الدخان، وهذا أظهر لأن ما بعده من كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسقًا **﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَى﴾** هذا من كلم الله تعالى ومعناه استبعاد تذكير الكفّار مع تكذيبهم للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والواو في قوله وقد جاءهم واو الحال **﴿رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾** يعني محمدًا ﷺ **﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾** أي يعلّمه بشر **﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾** قال ابن عباس هي يوم القيامة، وقال ابن مسعود هي يوم بدر و**﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾** يعني موسى عليه السلام **﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾** أن هنا مفسّرة نائب مناب القول، وأدّوا فعل أمر من الأداء وعباد الله مفعول به وهم بنو إسرائيل، والمعنى أرسلوا بني إسرائيل كما قال في طله: **﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** [طه: ٤٧] وقيل عباد الله منادى، والمعنى أدّوا إليّ الطاعة والإيمان يا عباد الله، والأول أظهر **﴿وَأَن لاَّ تَعْلُوا﴾** أي لا تتكبّروا **﴿بِسُلْطَانٍ﴾** أي حجّة وبرهان **﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾** اختلف هل معناه الرجم بالحجارة أو السب والأول أظهر **﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾** أي اتركون وخلّوا مبيلي **﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾** هذا أمر من الله لموسى عليه السلام

مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾

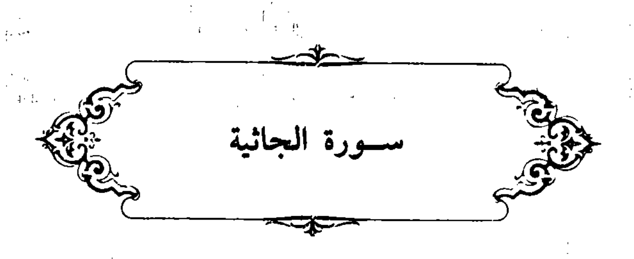
والعباد هنا بنو إسرائيل أي اخرج بهم بالليل ﴿**إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ**﴾ إخبار أن فرعون وجنوده يتبعونهم ﴿**وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا**﴾ أي ساكنًا على هيئته وقيل يابسًا ورُوِيَ أن موسى لما جاوز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق، فقال الله له اتركه كما هو ليدخله فرعونُ وقومه فيغرقوا فيه، وقيل معنى رهوًا سهلاً، وقيل منفرجًا ﴿**وَعُيُونٍ**﴾ يحتمل أن يريد الخلجان الخارجة من النيل وكانت ثم عيون في ذلك الزمان، وقيل يعني الذهب والفضة وهو بعيد ﴿**وَمَقَامٍ كَرِيمٍ**﴾ فيه قولان المنابر والمساكن الحِسان ﴿**وَنَعْمَةٍ**﴾ من التنعّم بالأرزاق وغيرها ﴿**فَاكِهِينَ**﴾ أي متنعمين، وقيل فرحين وقيل أصحاب فاكهة ﴿**كَذَلِكَ**﴾ في موضع نصب أي مثل ذلك الإخراج أخرجناهم، أو في موضع رفع تقديره الأمر كذلك ﴿**وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ**﴾ يعني بني إسرائيل حكاه الزمخشري والماوردي وضعّفه ابن عطية قال لأنه لم يروِ في مشهور التواريخ أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر في ذلك الزمان، وقد قال الحسن إنهم رجعوا إليها، ويدلّ على أن المراد بنو إسرائيل قوله في الشعراء وأورثناها بني إسرائيل ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ**﴾ فيه ثلاثة أقوال: الأول أنه عبارة عن تحقيرهم، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه بكت عليه السماء والأرض على وجه المجاز والمبالغة، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أحقر من أن يبالي بهم. الثاني قيل إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته ومن السماء موضع صعود عمله، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم كفّار أو ليس لهم عمل صالح. الثالث أن المعنى ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض، والأول أفصح وهو منزع معروف في كلام العرب ﴿**وَكَانُوا مُنظَرِينَ**﴾ أي مؤخرين ﴿**مِن فِرْعَوْنَ**﴾ بدل من العذاب ﴿**عَالِيًا**﴾ أي متكبرًا ﴿**اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ**﴾ أي كنّا عالِمين بأنهم مستحقّون لذلك ﴿**عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ أي على أهل زمانهم ﴿**بَلَاءٌ مُّبِينٌ**﴾ أي اختبار ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ**﴾ يعني كفّار قريش ﴿**فَأْتُوا بِآبَائِنَا**﴾ خاطبت قريش بذلك النبي ﷺ وأصحابه على وجه التعجيز، رُوِيَ أنهم طلبوا أن يحيي لهم قصيّ بن كلاب يسألوه عن أحوال الآخرة ﴿**أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ**﴾ كان تُبّع ملك من حمير

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

وكان مؤمنًا وقومه كفّارًا فذمّ الله قومه ولم يذمّه، ورُوِي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أدري أكان تُبّع نبيًّا أو غير نبيّ»، ومعنى الآية أقريش أشدّ وأقوى أم قوم تُبّع والذين من قبلهم من الكفّار، وقد أهلكنا قوم تُبّع وغيرهم لما كفروا فكذلك نهلك هؤلاء، فمقصود الكلام تهديد **﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾** عطف على قوم تُبّع: وقيل هو مبتدأ فيوقف على ما قبله والأول أصحّ **﴿لاَعِبِينَ﴾** حال منفية ذكرت في الأنبياء **﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾** المولى هنا يعمّ الوليّ والقريب وغير ذلك من الموالي **﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾** استثناء منقطع إن أراد بقوله: **﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾** الكفّار، ومتصل إن أراد بذلك جميع الناس **﴿طَعَامُ الأَثِيمِ﴾** أي الفاجر وهو من الإثم، وقيل يعني أبا جهل فالألف واللام للعهد والأظهر أنها للجنس فتعمّ أبا جهل وغيره **﴿كَالْمُهْلِ﴾** هو درديّ الزيت، وقيل ما يُذاب من الرصاص وغيره **﴿فَاعْتِلُوهُ﴾** أي سوقوه بتعنيف **﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾** المصبوب في الحقيقة إنما هو الحميم وهو الماء الحارّ، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازًا لأن ذلك أبلغ وأشدّ تهويلاً، وقد جاء الأصل في قوله يصبّ من فوق رؤوسهم الحميم **﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾** يقال هذا للكافر على وجه التوبيخ والتهكّم به أي كنت العزيز الكريم عند نفسك، ورُوِيَ أن أبا جهل قال ما بين جبليها أعزّ منّي ولا أكرم فنزلت الآية **﴿تَمْتَرُونَ﴾** تفتعلون من المرية وهي الشك **﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾** قرىء بضم الميم أي موضع إقامة، وفتحها أي موضع قيام والمراد به الجنة والأمين من الأمن أي مأمون فيه، وقيل من الأمنة وصف به المكان مجازًا **﴿مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾** السندس الرقيق من الديباج والإستبرق الغليظ منه **﴿كَذَلِكَ﴾** في موضع رفع أي الأمر كذلك، أو في موضع نصب أي

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

مثل ذلك زوّجناهم ﴿**يَدْعُونَ فِيهَا**﴾ أي يدعون خدّامهم ﴿**إلاّ الْمَوْتَةَ الأُولَى**﴾ استثناء منقطع، والمعنى لا يذوقون فيها الموت: لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصّة قبل ذلك، ولولا قوله فيها لكان متصلاً لعموم لفظ الموت، وقيل إلاّ هنا بمعنى بعد وذلك ضعيف ﴿**يَسَّرْنَاهُ**﴾ أي سهّلناه والضمير للقرآن ﴿**بِلِسَانِكَ**﴾ أي بلغتك وهي لسان العرب ﴿**فَأْرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ**﴾ أي ارتقب نصرنا لك وإهلاكهم فإنهم مرتقبون ضدّ ذلك، ففيه وعد له ووعيد لهم.



سورة الجاثية

مكيّة إلاّ آية ١٤ فمدنيّة وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرَّحيم

﴿تَنْزِيلُ﴾ ذكر في المزّمّل وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات وقد ذكر معناه في مواضع ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الأفّاك مبالغة من الإفك وهو الكذب، والأثيم من الإثم، وقيل إنها نزلت في النضر بن الحارث ولفظها على العموم ﴿يُصِرُّ﴾ أي يدوم على حاله من الكفر، وإنما عطفه بثم لاستعظام الإصرار على الكفر بعد سماعه آيات الله واستبعاد ذلك في العقل والطبع ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي إذا بلغه منها شيء ولم يرد العلم الحقيقي ﴿مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ كقوله من ورائه عذاب غليظ، وقد ذكر في إبراهيم ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ يعني الشمس والقمر والملائكة وبني آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي كل نعمة فمن الله تعالى، والمجرور في موضع الحال أو خبر ابتداء مضمر، وقرأ ابن عباس منه ﴿قُلْ لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفّار ولا يؤاخذوهم إذا آذوهم، وكان ذلك في صدر

ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

الإسلام، قيل إنها منسوخة بالسيف، وقيل ليست بمنسوخة لأن احتمال الأذى مندوب إليه على كل حال، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك، ورُوِيَ أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل من الكفّار فأراد عمر أن يبطش به، وأيام الله هي نعمه، فالرجاء على أصله، وقيل أيام الله عبارة عن عقابه، فالرجاء بمعنى الخوف ويغفروا مجزوم في جواب شرط مقدّر دلّ عليه قل، قال الزمخشري حذف معمول القول، والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا ﴿**لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ فاعل يجزي ضمير يعود على الله، وقرىء بنون المتكلّم، وقال ابن عطية إن الآية وعيد، فالقوم على هذا هم الذين لا يرجون أيام الله ويكسبون يعني السيئات، وقال الزمخشري القوم هم الذين آمنوا وجزاؤهم الثواب بما كانوا يكسبون بكظم الغيظ واحتمال المكروه ﴿**عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ ذكر في البقرة ﴿**بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ**﴾ أي معجزات من أمر الدين ﴿**جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ**﴾ أي ملّة ودين ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ**

سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا

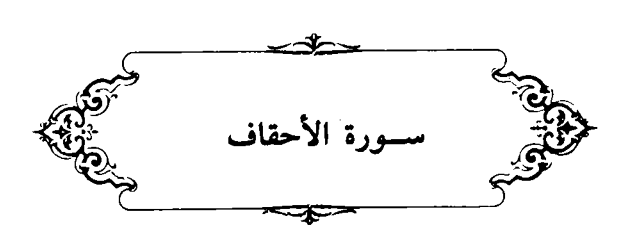
اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أم هنا للإنكار، واجترحوا اكتسبوا، والمراد بالذين اجترحوا السيئات الكفّار لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكيّة: وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين ولذلك يذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يرددها ويبكي طول الليل ويقول لنفسه من أيّ الفريقين أنت، ومعناها إنكار ما حسبه الكفّار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواء في المحيا والممات، وفي تأويلها مع ذلك قولان: أحدهما أن المراد ليس المؤمنون سواء مع الكفّار لا في المحيا ولا في الممات، فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة، والكفّار عاشوا على الكفر والمعصية وكذلك ملّتهم ليست سواء، والقول الآخر أنهم استووا في المحيا في أمور الدنيا من الصحة والرزق فلا يستوون في الممات، بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون، فالمراد بها إثبات الجزاء في الآخرة وتفضيل المؤمنين على الكافرين في الآخرة، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح فيكون معنى الآية كقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]، ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، **﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾** هذه الجملة بدل من الكاف في قوله: **﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** وهي مفسّرة للتشبيه، وهي داخلة فيما أنكره الله مما حسبه الكفّار وقيل هي كلام مستأنف؛ والمعنى على هذا أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء وأن محيا الكفّار ومماتهم سواء لأن كل واحد يموت على ما عاش عليه، وهذا المعنى بعيد، والصحيح أنها من تمام ما قبلها على المعنى الذي اخترناه، وأما إعرابها فمَن قرأ سواء بالرفع فهو مبتدأ وخبره محياهم ومماتهم والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولاً ثانيًا لنجعل، ومَن قرأ سواء بالنصب فهو حال أو مفعول ثانٍ لنجعل، ومحياهم فاعل بسواء، لأنه في معنى مستوي **﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾** أي ساء حكمهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين **﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾** معطوف على قوله بالحق، لأن فيه معنى التعليل، أو على تعليل محذوف تقديره خلق الله السمٰوات والأرض ليدلّ بهما على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت **﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾** أي أطاعه حتى صار له كالإله **﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾** أي على علم من الله سابق، وقيل على علم من هذا الضالّ بأنه على ضلال، ولكنه يتبع الضلال معاندة **﴿خَتَمَ﴾** ذكر في البقرة **﴿فَمَنْ**

ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا

يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ قال ابن عطية فيه حذف مضاف تقديره من بعد إضلال الله إياه، ويحتمل أن يريد فمَن يهديه غير الله **﴿وَقَالُوا﴾** الضمير لمَن اتخذ إلٰهه هواه أو لقريش **﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾** في أربع تأويلات: أحدها أنهم أرادوا يموت قوم ويحيا قوم، والآخر نموت نحن ويحيا أولادنا، الثالث نموت حين كنّا عدمًا أو نطفًا، ونحيا في الدنيا، والرابع نموت الموت المعروف، ونحيا قبله في الدنيا فوقع في اللفظ تقديم وتأخير، ومقصودهم على كل وجه إنكار الآخرة، ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية بقولهم: **﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ﴾**، فردّ الله عليهم بقوله: **﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾** الآية **﴿قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾** ذكر في الدخان **﴿قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾** الآية: ردّ على المنكرين للحشر والاستدلال على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة **﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾** أي تجثو على الركب وتلك هيئة الخائف الذليل **﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾** أي إلى صحائف أعمالها، وقيل الكتاب المنزل عليها، والأول أرجح لقوله: **﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾** الآية: فإن قيل: كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى؟ فالجواب أنه أضافه إليهم لأن أعمالهم ثابتة فيه، وأضافه إلى الله تعالى لأنه مالكه، وأنه هو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه **﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** أي نأمر الملائكة الحافظين بكتب أعمالكم، وقيل إن الله يأمر الحَفَظَة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ، ثم يمسكونه عندهم فتأتي أفعال العباد على ذلك، فتكتبها الملائكة، فذلك هو الاستنساخ وكان ابن عباس يحتجّ على ذلك بأن يقول: لا يكون الاستنساخ إلاّ من أصل **﴿أَفَلَمْ تَكُنْ﴾** تقديره يقال لهم ذلك **﴿وَحَاقَ﴾** ذكر

كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ .

مرارًا ﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾ النسيان هنا بمعنى الترك، وأما في قوله نسيتم فيحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الذهول ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العتبى وهي الرضا.



سورة الأحقاف

مكيّة إلاّ الآيات ١٠ و١٥ و٣٥
فمدنيّة وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا

بِسْمِ اللّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿تنْزِيلُ﴾ ذكر في الزمر **﴿إلاَّ بِالْحَقِّ﴾** ذكر مرارًا **﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾** يعني يوم القيامة **﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾** احتجاج على التوحيد وردّ على المشركين، فالأمر بمعنى التعجيز **﴿شِرْكٌ فِي السَّمٰوَاتِ﴾** أي نصيب **﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾** تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدلّ على الإشراك بالله، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد **﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾** أي بقية من علم قديم يدلّ على ما يقولون، وقيل معناه من علم تُثيرونه أي تستخرجونه، وقيل هو الإسناد، وقيل هو الخط في الرمل، وكانت العرب تتكهّن به، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان نبيّ من الأنبياء يخطّ في الرمل فمَن وافق خطّه فذاك **﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾** الآية. معناها لا أحد أضلّ ممّن يدعو إلهًا لا يستجيب له وهي الأصنام فإنها لا تسمع ولا تعقل، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم، لأنها لا تسمعه **﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾** أي كان الأصنام أعداء للذين عبدوها **﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾** الضمير في كانوا للأصنام: أي تتبرّأ

خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ

الأصنام من الذين عبدوها، وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء لأنه أسند إليهم ما يسند إلى العقلاء، من الاستجابة والغفلة والعداوة **﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾** أي لو افتريته لعاقبني الله على الافتراء عقوبة لا تقدرون على دفعها ولا تملكون شيئًا من ردّها عليه فكيف أفتريه وأتعرّض لعقاب الله **﴿هُو أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾** أي بما تتكلمون به، يقال أفاض الرجل في الحديث إذا خاض فيه واستمرّ **﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾** البدع والبديع من الأشياء: ما لم يرَ مثله أي ما كنت أول رسول ولا جئت بأمر لم يجيء به أحد قبلي، بل جئت بما جاء به ناس كثيرون قبلي، فلأيّ شيء تنكرون ذلك **﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾** فيها أربعة أقوال: الأوّل أنها في أمر الآخرة وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفّار في النار، وهذا بعيد، لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله والثاني أنها في أمر الدنيا: أي لا أدري بما يقضي الله عليّ وعليكم، فإن مقادير الله مغيبة وهذا هو الأظهر. الثالث ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة. الرابع أن هذا كان في الهجرة إذ كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض بها نخل فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ﴾** معنى الآية أرأيتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين، ثم حذف قوله ألستم ظالمين وهو الجواب، لأنه دلّ على أن الله لا يهدي القوم الظالمين **﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾** هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها، فالمعنى أرأيتم إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع شهادة شاهد من بني إسرائيل على مثله ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم ألستم أضلّ الناس وأظلم الناس، واختلف في الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال: أحدها أنه عبد الله بن

مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾

سلام، فقيل على هذا إن الآية مدنية، لأنه إنما أسلم بالمدينة، وقيل إنها مكية وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر، وكان عبد الله بن سلام يقول فيّ نزلت الآية، الثاني أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة: الثالث أنه موسى عليه السلام ورجّح ذلك الطبري والضمير في مثله للقرآن أي يشهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد، والضمير في آمن للشاهد فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر فإيمانه بيّن، وإن كان موسى عليه السلام، فإيمانه هو تصديقه بأمر محمد ﷺ وتبشيره به **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾** أي لو كان الإسلام خيرًا ما سبقنا إليه هؤلاء، والقائلون لهذه المقالة هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء كبلال وعمّار وصهيب وقيل بل قالها كنانة وقبائل من العرب لمّا أسلمت غفار ومزينة وجهينة، وقيل بل قالها اليهود لمّا أسلم عبد الله بن سلام، والأول أرجح لأن الآية مكية وكانت مقالة قريش بمكة وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة ومعنى الذين آمنوا من أجل الذين آمنوا: أي قالوا ذلك عنهم في غيبتهم وليس المعنى أنهم خاطبوهم بهذا الكلام لأنه لو كان خطابًا لقالوا ما سبقتمونا **﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾** أي لمّا لم يهتدوا قالوا هذا إفك قديم ونحو هذا ما جاء في المثل من جهل شيئاً عاداه، ووصفه بالقدم لأنه قد قيل قديمًا، فإن قيل: كيف تعمل فسيقولون في إذ وهي للماضي والعامل مستقبل؟ فالجواب: أن العامل في إذ محذوف تقديره إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون، قال ذلك الزمخشري، ويظهر لي أن إذ هنا بمعنى التعليل لا ظرفية بمعنى الماضي فلا يلزم السؤال، والمعنى أنهم قالوا هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به، وقد جاءت إذ بمعنى التعليل في القرآن وفي كلام العرب ومنه ﴿وَلَن يَنفَعَكُم الْيَوْم إِذْ ظَلَمْتُم﴾ [الزخرف: ٣٩] أي بسبب ظلمكم **﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾** الضمير في قبله للقرآن وكتاب موسى هو التوراة، وإمامًا حال، ومعناه يقتدى به **﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾** الإشارة بهذا إلى القرآن، ومعنى مصدّق مصدّق بما قبله من الكتب، وقد ذكرنا ذلك في البقرة ولسان حال من الضمير في مصدّق، وقيل مفعول بمصدّق أي صدق ذا لسان عربي وهو محمد ﷺ،

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾

واختار هذا ابن عطية **﴿اسْتَقَامُوا﴾** ذكر في حم السجدة **﴿إِحْسَانًا﴾** ذكر في العنكبوت **﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾** أي حملته بمشقّة ووضعته بمشقّة، ويقال كره بفتح الكاف وضمّها بمعنى واحد **﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾** أي مدة حمله ورضاعه ثلاثون شهرًا وهذا لا يكون إلاّ بأن ينقص من أحد الطرفين، وذلك إما أن يكون مدة الحمل ستة أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر، ومن هذا أخذ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه والعلماء أن أقلّ مدة الحمل ستة أشهر، وإنما عبّر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام لأنه منتهى الرضاع **﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾** ذكر في يوسف **﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾** هذا حدّ كمال العقل والقوة، ويقال إن الآية نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وقيل إنها عامّة **﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾** أي في جملة أصحاب الجنة كما تقول رأيت فلانًا في الناس أي مع الناس **﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾** قال مروان بن الحكم نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق حين كفره كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما أُفّ، وأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك، وقالت والله ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلاّ براءتي، ويبطل ذلك قطعًا قوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾** لأن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق أسلم وكان من خيّار المسلمين، وكان له في الجهاد غنًى عظيم، وقال السدّيّ ما رأيت أعبد منه، وقال ابن عباس نزلت في ابن لأبي بكر ولم يُسَمِّه، ويردّ ذلك ما ذكرناه عن عائشة وقيل هي على الإطلاق فيمَن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدلّ على أنها عامّة قوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيهِمُ الْقَوْلُ﴾** بصيغة الجمع، ولو أراد واحدًا بعينه لقال ذلك الذي حقّ عليه القول، وقد ذكرنا معنى أُفّ في الإسراء **﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾** أي أتعدانني

وَٱلْإِنسِۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ

أنا أن أخرج من القبر إلى البعث **﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾** أي وقد مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم أحد **﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾** الضمير لوالديه أي يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقول منهما ثم يقولان له ويلك ثم يأمرانه بالإيمان: فيقول ما هذا إلاّ أساطير الأوّلين: أي قد سطّره الأوّلون في كتبهم، وذلك تكذيب بالبعث والشريعة **﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾** أي للمحسنين والمُسيئين درجات في الآخرة بسبب أعمالهم، فدرجات أهل الجنة إلى علو، ودرجات أهل النار إلى سفل، وليوفّيهم تعليل بفعل محذوف وبه يتعلق تقديره جعل جزاءهم درجات ليوفّيهم أعمالهم **﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾** العامل فيه محذوف تقديره اذكر **﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾** تقديره يقال لهم أذهبتم طيّباتكم؛ والطيبات هنا الملاذ من المآكل وغيرها؛ وقرىء أذهبتم بهمزة واحدة على الخبر وبهمزتين على التوبيخ، والآية في الكفّار بدليل قوله يعرض الذين كفروا وهي مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله وقد رآه اشترى لحمًا أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية **﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾** أي العذاب الذي يقترن به هوان **﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾** يعني هودًا عليه السلام **﴿بِالأَحْقَافِ﴾** جمع حقف وهو الكدس من الرمل واختلف أين كانت فقيل بالشام، وقيل بين عمان ومهرة وقيل بين عمان وحضرموت، والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن **﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾** أي تقدّمت من قبله ومن بعده، والنذر جمع نذير، فإن قيل: كيف يتصوّر تقدّمها من بعده؟ فالجواب أن هذه الجملة اعتراض وهي إخبار من الله تعالى أنه قد بعث رُسُلاً متقدّمين قبل هود وبعده، وقيل معنى مَن خلفه من زمانه **﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾** أي قل إن العذاب الذي قلتم ائتنا به ليس لي علم متى يكون، وإنما يعلمه الله، وما عليّ إلاّ أن أُبلغكم ما أرسلت به **﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾** العارض السّحاب الذي يعرض في أُفق السماء، والضمير في رأوه يعود على ما تعدنا أو على المرئي المبهم الذي

أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾

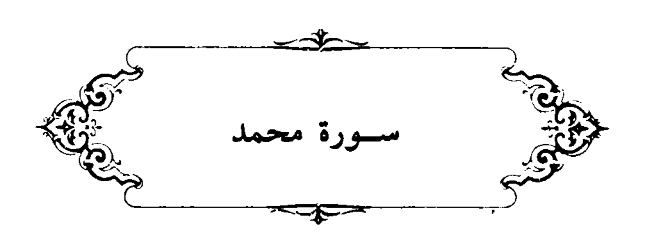
فسّره قوله عارضًا قال الزمخشري وهذا أعرب وأفصح، ورُوِيَ أنهم كانوا قد قحطوا مدّة، فلما رأوا هذا العارض ظنُّوا أنه مطر ففرحوا به فقال لهم هود عليه السلام: بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقوله ريح بدل من ما استعجلتم أو خبر ابتداء مضمر **﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾** عموم يراد به الخصوص **﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾** هذا خطاب لقريش على وجه التهديد أي مكّنا عادًا فيما لم نمكّنكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك، ثم أهلكناهم لما كفروا وإن هنا نافية بمعنى ما، وعدل عن ما كراهية لاجتماعها مع التي قبلها، وقيل إن شرطية، وجوابها محذوف تقديره إن مكّنّاكم فيه طغيتم، قال ابن عطية: وهذا تنطّع في التأويل **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾** يعني بلاد عاد وثمود وسبأ وغيرها، والمراد إهلاك أهلها **﴿فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ﴾** الآية عرض معناه النفي أي لم تنصرهم آلهتهم التي عبدوا من دون الله **﴿قُرْبَانًا﴾** أي تقربوا بهم إلى الله وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وانتصاب قربانًا على الحال، ولا يصحّ أن يكون قربانًا مفعولاً ثانيًا لاتخذوا وآلهة بدل منه لفساد المعنى، قاله الزمخشري، وقد أجازه ابن عطيّة **﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾** أي تلفوا لهم وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا إليهم **﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾** أي أملناهم نحوك، والنفر دون العشرة ورُوِيَ أن الجنّ كانوا سبعة وكانوا كلهم ذكرانًا، لأن النفر الرجال دون النساء، وكانوا من أهل نصيبين، وقيل من أهل الجزيرة، واختلف هل رآهم النبي ﷺ؟ قيل إنه لم يرهم ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك، وقيل بل علم بهم واستعدّ لهم واجتمع معهم، وقد ورد في ذلك عن عبد الله بن مسعود أحاديث مضطربة، وسبب استماع الجنّ أنهم لمّا طردوا من استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا ما هذا إلاّ لأمر حدث فطافوا بالأرض ينظرون ما أوجب ذلك حتى سمعوا قراءة رسول الله صلّى

قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا

الله عليه وآله وسلّم في صلاة الفجر في سوق عكاظ فاستمعوا إليه وآمنوا به ﴿**أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ**﴾ في هذا دلالة على أنهم كانوا على دين اليهود وقيل كانوا لم يعلموا ببعث عيسى ﴿**مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ ذكر في البقرة ﴿**دَاعِيَ اللَّهِ**﴾ هو رسول الله ﷺ ﴿**يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ**﴾ من هنا للتبعيض على الأصحّ أي يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله، وقيل معنى التبعيض أن المظالم لا تغفر وقيل إن من زائدة ﴿**وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ أي من النار، واختلف الناس هل للجنّ ثواب زائد على النجاة من النار، أم ليس لهم ثواب إلاّ النجاة خاصّة ﴿**وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ**﴾ الآية: يحتمل أن يكون من كلام الجنّ أو من كلام الله تعالى ومعنى ليس بمعجز أي لا يفوت ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْا**﴾ الآية: احتجاج على بعث الأجساد بخلق السمٰوات والأرض ﴿**وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ**﴾ يقال عييت بالأمر إذا لم تعرفه فالمعنى أنه تعالى عليم كيف خلق السمٰوات والأرض وأحكم خلقتها فلا شك أنه قادر على إحياء الموتى ﴿**بِقَادِرٍ**﴾ في موضع رفع لأنه خبر أن وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وخبرها ﴿**بَلَى**﴾ جواب لما تقدّم أي هو قادر على أن يُحيي الموتى ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ هذا خطاب للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أي اصبر على تكذيب قومك وأُولو العزم هم نوح وإبراهيم وعيسى وموسى، وقيل هم الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام لقوله: ﴿فَبِهُدَاهُم اقْتَده﴾ [٩٠]، وقيل كل مَن لَقي من أُمّته شدّة وقيل الرسل كلهم أُولو عزم فمن الرسل على هذا لبيان الجنس وعلى الأقوال المتقدمة للتبعيض ﴿**وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ**﴾ أي لا تستعجل نزول العذاب بهم فإنهم صائرون إليه فإنهم إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلاّ ساعة من نهار لاستقصار أعمارهم ﴿**بَلاَغٌ**﴾ خبر ابتداء مضمر تقديره هذا الذي وعظتم به

ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

بلاغ بمعنى كفاية في الموعظة أو بلاغ من الرسول عليه الصلاة والسلام أي بلّغ هذه المواعظ والبراهين.



مدنيّة إلاّ آية ١٣ فنزلت في الطريق
أثناء الهجرة وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ

بِسْمِ اللّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني كفّار قريش وعموم اللفظ يعمّ كل كافر كما أن قوله بعد هذا: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** يعني الصحابة وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن **﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾** يحتمل أن يكون صدّوا بمعنى أعرضوا فيكون غير متعدٍّ أو يكون بمعنى صدّوا الناس فيكون متعدّيًا وسبيل الله الإسلام والطاعة **﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾** أي أبطلها وأحبطها وقيل المراد بأعمالهم هنا ما أنفقوا في غزوة بدر فإن هذه الآية نزلت بعد بدر واللفظ أعمّ من ذلك **﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾** هذا تجريد للاختصاص والاعتناء بعد عموم قوله آمنوا وعملوا الصالحات ولذلك أكّده بالجملة الاعتراضية، وهو قوله وهو الحق من ربّهم **﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾** قيل معناه أصلح حالهم وشأنهم وحقيقة البال الخاطر الذي في القلب وإذا صلح القلب يصلح الجسد كله فالمعنى إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى **﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾** أصله فاضربوا الرقاب ضربًا ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه والمراد

وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ

اقتلوهم ولكن عبّر عنه بضرب الرقاب لأنه الغالب في صفة القتل **﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾** أي هزمتموهم والإثخان أن يكثر فيهم القتل والأسر **﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾** عبارة عن الأسر **﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾** المنّ العتق والفداء فكّ الأسير بمال وهما جائزان فإن مذهب مالك أن الإمام مُخيّر في الأسارى بين خمسة أشياء وهي المنّ والفداء والقتل والاسترقاق وضرب الجزية وقيل لا يجوز المنّ ولا الفداء لأن الآية منسوخة بقوله: **﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾** [التوبة: ٥] فلا يجوز على هذا إلاّ قتلهم والصحيح أنها مُحكَمة وانتصب منًّا وفِداءً على المصدرية والعامل فيهما فعلان مضمران **﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾** الأوزار في اللغة الأثقال فالمعنى حتى تذهب وتزول أثقالها وهي آلاتها وقيل الأوزار الآثام لأن الحرب لا بدّ أن يكون فيها إثم في أحد الجانبين واختلف في الغاية المُرادة هنا فقيل حتى يسلموا الجميع فحينئذ تضع الحرب أوزارها وقيل حتى تقتلوهم وتغلبوهم وقيل حتى ينزل عيسى ابن مريم قال ابن عطية ظاهر اللفظ أنها استعارة يُراد بها التزام الأمر أبدًا كما تقول أنا فاعل ذلك إلى يوم القيامة **﴿ذَلِكَ﴾** تقديره الأمر ذلك **﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾** أو لو شاء الله لأهلك الكفّار بعذاب من عنده ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين وأن يبلو بعض الناس ببعض **﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾** أي جعلهم يعرفون منازلهم فيها فهو من المعرفة وقيل معناه طيّبها لهم فهو من العرف وهو طيب الرائحة وقيل معناه شرفها ورفعها فهو من الأعراف التي هي الجبال **﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾** أي عثارًا وهلاكًا وانتصابه على المصدرية والعامل فيه فعل مضمر وعلى هذا الفعل عطف وأضلّ أعمالهم **﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾** أي لكفّار قريش أمثال عاقبة الكفّار المتقدمين من الدمار والهلاك **﴿مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾** أي وليّهم وناصرهم وكذلك وأن الكافرين لا مولى لهم معناه لا ناصر لهم ولا يصحّ أن يكون المولى هنا بمعنى السيد لأن

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ

الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله وردوا إلى الله مولاهم الحق لأن معنى المولى مختلف في الموضعين فمعنى مولاهم الحق ربهم وهذا على العموم في جميع الخلق بخلاف قوله مولى الذين آمنوا فإنه خاصّ بالمؤمنين لأنه بمعنى الوليّ والناصر ﴿**وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ**﴾ عبارة عن كثرة أكلهم وعن غفلتهم عن النظر كالبهائم ﴿**مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ**﴾ يعني مكة وخروجه صلّى الله عليه وآله وسلّم من وقت الهجرة ونسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها لأنهم آذوه حتى خرج ﴿**أَهْلَكْنَاهُمْ**﴾ الضمير للقرى المتقدمة المذكورة في قوله وكأين من قرية وجمعه حملاً على المعنى والمراد أهلكنا أهلها ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾ أي على حجة ويعني به النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كما يعني قريشًا بقوله: ﴿**كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ**﴾ واللفظ أعمّ من ذلك ﴿**مَّثَلُ الْجَنَّةِ**﴾ ذكر في الرعد ﴿**غَيْرِ آسِنٍ**﴾ أي غير متغيّر ﴿**كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ**﴾ تقديره أمثل أهل الجنة المذكورة كمَن هو خالد في النار فحذف هذا على التقدير والمراد به النفي وإنما حذف لدلالة التقدير المتقدّم وهو قوله أفمن كان على بيّنة من ربّه ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ**﴾ يعني المنافقين وجاء يستمعون بلفظ الجمع رعيًا لمعنى من ﴿**قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ رُوِيَ أنه عبد الله بن مسعود ﴿**مَاذَا قَالَ آنِفًا**﴾ كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين إما احتقارًا لكلامه كأنهم قالوا أيّ فائدة فيه، وإما جهلاً منهم ونسيانًا لأنهم كانوا وقت كلامه مُعرِضين عنه وآنفًا معناه الساعة الماضية قريبًا وأصله من استأنفت الشيء إذا ابتدأته ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾ يعني المؤمنين والضمير في زادهم لله تعالى أو للكلام الذي قال فيه المنافقون ماذا قال آنفًا وقيل يعني بالذين اهتدوا قومًا من النصارى آمنوا بسيّدنا محمد ﷺ فاهتداؤهم هو إيمانهم بعيسى وزيادة هداهم إسلامهم ﴿**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ**﴾

تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ

الضمير للمنافقين والمعنى هل ينتظرون إلاّ الساعة لأنها قريبة **﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾** أي علاماتها والذي كان قد جاء من ذلك مبعث سيدنا محمد ﷺ لأنه قال أنا من أشراط الساعة وبعثت أنا والساعة كهاتين **﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾** أي كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة فلا يقدرون على عمل ولا تنفعهم التوبة ففاعل جاءتهم الساعة، وذكراهم مبتدأ وخبره الاستفهام المتقدّم والمراد به الاستبعاد **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾** أي دُمْ على العلم بذلك واستدلّ بعضهم بهذه الآية على أن النظر والعلم قبل العمل لأنه قدّم قوله فاعلم على قوله واستغفر **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾** قيل متقلبكم تصرّفكم في الدنيا. ومثواكم إقامتكم في القبور وقيل متقلبكم تصرفكم في اليقظة ومثواكم منامكم **﴿لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾** كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن والرغبة فيه لأنهم كانوا يفرحون به ويستوحشون من إبطائه **﴿مُّحْكَمَةٌ﴾** يحتمل أن يريد بالمحكمة أي ليس فيها منسوخ، أو يراد متقنة، وقرأ ابن مسعود سورة محدثة **﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾** يعني المنافقين ونظرهم ذلك من شدّة الخوف من القتل لأن نظر الخائف قريب من نظر المُغشى عليه **﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾** في معناه قولان أحدهما أنه بمعنى أحق وخبره على هذا طاعة والمعنى أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحقّ والآخر أن أولى لهم كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم كقولك ويل لهم ومنه أولى لك فأولى، فيوقف على أولى لهم على هذا القول ويكون طاعة ابتداء كلام، تقديره طاعة وقول معروف أمثل، أو المطلوب منهم طاعة وقول معروف، وقولهم لك يا محمد طاعة وقول معروف بألسنتهم دون قلوبهم **﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾** أسند العزم إلى الأمر مجازًا كقولك نهاره صائم وليله قائم **﴿صَدَقُوا اللَّهَ﴾** يحتمل أن يريد صدق اللسان، أو صدق العزم والنيّة وهو أظهر **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾** هذا خطاب للمنافقين المذكورين خرج

أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

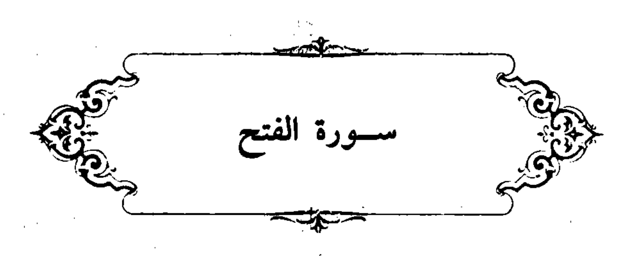
من الغيبة إلى الخطاب، ليكون أبلغ في التوبيخ والمعنى هل يتوقع منكم الإفساد في الأرض وقطع الأرحام إن تولّيتم، ومعنى توليتم صرتم وُلاة على الناس وصار الأمر لكم وعلى هذا قيل إنها نزلت في بني أُميّة وقيل معناه أعرضتم عن الإسلام **﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم﴾** نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم وقيل نزلت في قوم من اليهود كانوا قد عرفوا نبوّة سيدنا محمد ﷺ من التوراة ثم كفروا به **﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾** أي زيّن لهم ورجّاهم ومنّاهم **﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾** أي مدّ لهم في الأماني والآمال والفاعل هو الشيطان وقيل الله تعالى والأول أظهر، لتناسب الضمير بين الفاعلين، في سوّل وأملى **﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ﴾** قال ذلك اليهود للمنافقين، وبعض الأمر يعنون به مخالفة رسول الله ﷺ ومحاربته **﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾** أي كيف يكون حالهم إذا توفّتهم الملائكة، يعني ملك الموت ومَن معه، والفاء رابطة للكلام مع ما قبله والمعنى هذا جزعهم من ذكر القتال فكيف يكون حالهم عند الموت **﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُم﴾** ضمير الفاعل للملائكة، وقيل إنه للكفّار أي يضربون وجوه أنفسهم وذلك ضعيف **﴿أَمْ حَسِبَ﴾** الآية: معناها ظن المنافقون أن لن يفضحهم الله والضغن الحقد ويراد به هنا النفاق والبغض في الإسلام وأهله **﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ﴾** أي لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلامتهم ولكن الله ستر عليهم إبقاء عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين، ورُوِيَ أن الله لم يذكر واحدًا منهم باسمه **﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾** معنى لحن القول مقصده وطريقته وقيل اللحن هو الخفي المعنى كالكناية والتعريض والمعنى أنه صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم سيعرفهم من دلائل كلامهم، وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾** أي نختبركم **﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾** أي نعلمه علمًا ظاهرًا في الوجود تقوم به الحجة عليكم وقد علم الله الأشياء قبل كونها

وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ

ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللّهمّ لا تبتلينا فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا ﴿**وَشَاقُّوا الرَّسُولَ**﴾ أي خالفوه وعادوه، ونزلت الآية في المنافقين وقيل في اليهود ﴿**وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾ يحتمل أربعة معانٍ أحدها لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان والثاني لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ذكره الزمخشري وهذا على مذهب المعتزلة خلافًا للأشعرية فإن مذهبهم أن السيئات لا تبطل الحسنات. والثالث لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب، والرابع لا تبطلوا أعمالكم بأن تقتطعوها قبل تمامها، وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية: وبهذا يستدلّون على أن مَن ابتدأ نافلة لم يجز له قطعها، وهذا أبعد هذه المعاني، والأول أظهر لقوله قبل ذلك في الكفّار أو المنافقين، وسيحبط أعمالهم فكأنه يقول: يا أيّها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدّهم عن سبيل الله ومشاقّتهم الرسول ﴿**فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾ هذا قطع بأن مَن مات على الكفر لا يغفر الله له وقد أجمع المسلمون على ذلك ﴿**فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ**﴾ أي لا تضعفوا عن مقاتلة الكفّار وتبتدئوهم بالصلح فهو كقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] ﴿**وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾ أي لن ينقصكم أُجور أعمالكم يقال وترت الرجل أتره إذا نقصته شيئًا أو أذهبت له متاعًا ﴿**وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ**﴾ أي لا يسألكم جميعها إنما يسألكم ما يخفّ عليكم مثل ربع العشر وذلك خفيف ﴿**إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا**﴾ معنى يحفكم يلحّ عليكم والإحفاء أشدّ السؤال وتبخلوا جواب الشرط ﴿**وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ**﴾ الفاعل الله تعالى أو البخل، والمعنى يُخرِج ما في قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق ﴿**هَؤُلاَءِ**﴾ منصوب على التخصيص أو منادى ﴿**لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ يعني الجهاد والزكاة ﴿**وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ**﴾ أي إنما ضرر بخله على نفسه فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذي يستحقه بالإنفاق ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا**

فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

غَيْرَكُم﴾ أي يأتِ بقوم على خلاف صفتكم بل راغبين في الإنفاق في سبيل الله، فقيل إن هذا الخطاب لقريش، والقوم غيرهم هم الأنصار وهذا ضعيف لأن الآية مدنية نزلت والأنصار حاضرون، وقيل الخطاب لكل مَن كان حينئذ بالمدينة والقوم هم أهل اليمن وقيل فارس.



سورة الفتح

مدنية نزلت في الطريق عند
الانصراف من الحديبية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، لما أراد أن يعتمر بمكة فصدّه المشركون وقال رسول الله ﷺ لعمر وهما راجعان إلى المدينة، لقد نزلت عليّ سورة هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ يحتمل هذا الفتح في اللغة أن يكون بمعنى الحكم أي حكمنا لك على أعدائك، أو من الفتح بمعنى العطاء كقوله: «ما يفتح الله للناس من رحمة» أو من فتح البلاد واختلف في المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال: الأول أنه فتح مكة وعده الله به قبل أن يكون وذكره بلفظ الماضي لتحقّقه وهو على هذا بمعنى فتح البلاد، الثاني أنه ما جرى في الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش وهو على هذا بمعنى الحكم أو بمعنى العطاء ويدلّ على صحة هذا القول أنه لما وقع صلح الحديبية، شقّ ذلك على بعض المسلمين بشروط كانت فيه حتى أنزل الله هذه السورة، ويتبيّن أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة وهذا هو الأصح،

إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ

لأنه رُوِيَ أنها لمّا نزلت قال بعض الناس ما هذا الفتح وقد صدّنا المشركون عن البيت، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالروح، ورغبوا إليكم في الأمان، الثالث أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها، الرابع أنه الهداية إلى الإسلام ودليل هذا القول قوله ليغفر الله لك فجعل الفتح علّة للمغفرة ولا حجة في ذلك إذ يتصوّر في الجهاد وغيره أن يكون علّة للمغفرة أيضًا أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للتعليل فيكون المعنى إنّا فتحنا لك فتحًا مبينًا فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة بأن غفر لك وأتمّ نعمته عليك وهداك ونصرك **﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾** أي السكون والطمأنينة، يعني سكونهم في صلح الحديبية وتسلّيهم بفعل رسول الله ﷺ وقيل معناه الرحمة **﴿الظَّانِّينَ بالله ظنّ السَّوْءِ﴾** معناه أنهم ظنّوا أن الله يخذل المؤمنين وقالوا لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا وقيل معناه أنهم لا يعرفون الله بصفاته فذلك هو ظن السوء به، والأول أظهر بدليل ما بعده **﴿عَلَيهِم دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾** يحتمل أن يكون خبر أو دعاء **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾** أي تشهد على أمتك **﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾** أي تعظّموه وقيل تنصرونه وقرىء تعزّزوه بزايين منقوطتين، والضمير في تعزروه وتوقروه للنبي ﷺ وفي تسبّحوه لله تعالى، وقيل الثلاثة لله **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾** هذا تشريف للنبي ﷺ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله ثم أكد هذا المعنى بقوله: **﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾** وذلك على وجه التخييل والتمثيل يريد أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو يد المبايعين له هي يد الله في المعنى وإن لم تكن كذلك في الحقيقة وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام، كعقده مع الله كقوله: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ الله﴾ [النساء: ٨٠] وتأوّل المتأوّلون ذلك بأن يد الله معناها النعمة أو

فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ

القوّة وهذا بعيد هنا ونزلت الآية في بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد **﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾** يعني أن ضرر نكثه على نفسه ويراد بالنكث هنا نقض البيعة **﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾** الآية: سمّاهم بالمخلفين لأنهم تخلّفوا عن غزوة الحديبية، والأعراب هم أهل البوادي من العرب، لما خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى مكة يعتمر رأوا أنه يستقبل عدوًّا كثيرًا من قريش وغيرهم فقعدوا عن الخروج معه ولم يكن إيمانهم متمكّنًا فظنّوا أنه لا يرجع هو والمؤمنون من ذلك السفر ففضحهم الله في هذه السورة، وأعلم رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم، وأعلمه أنهم كاذبون في اعتذارهم **﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾** يحتمل أن يريد قولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا لأنهم كذبوا في ذلك أو قولهم فاستغفر لنا لأنهم قالوا ذلك رياء من غير صدق ولا توبة **﴿قَوْمًا بُورًا﴾** أي هالكين من البوار، وهو الهلاك ويعني به الهلاك في الدين **﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾** الآية: أخبر الله رسوله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم أن المخلّفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى، وهي غزوة خيبر فأمر الله بمنعهم من ذلك وأن يقول لهم لن تتبعونا **﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾** أي يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل الحديبية وذلك أن الله وعدهم أن يعوّضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها وأن يكون ذلك مختصًّا بهم دون غيرهم وأراد المخلّفون أن يشاركوهم في ذلك فهذا هو ما أرادوا من التبديل وقيل كلام الله قوله فلن تخرجوا معي أبدًا ولن تقاتلوا معي عدوًّا وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله ﷺ من تبوك بعد الحديبية بمدة **﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾** يريد وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم

سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ

خيبر ﴿**فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا**﴾ معناه يعزّ عليكم أن نصيب معكم مالاً وغنيمةً وبل هنا للإضراب عن الكلام المتقدّم وهو قوله لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فمعناها ردّ أن يكون الله حكم بأن لا يتبعوهم وأما بل في قوله تعالى بل كانوا لا يفقهون إلاّ قليلاً فهي إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد وإثبات لوصف المخلفين بالجهل ﴿**سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ اختلف في هؤلاء القوم على أربعة أقوال الأول: أنهم هوازن ومَن حارب النبي ﷺ في غزوة خيبر والثاني أنهم الروم إذ دعا رسول الله ﷺ إلى قتالهم في غزوة تبوك والثالث أنهم أهل الردّة من بني حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصدّيق والرابع أنهم الفرس ويتقوّى الأول والثاني بأن ذلك ظهر في حياة الرسول ﷺ وقوّى المنذر بن سعيد القول الثالث بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية قال وهذا لا يوجد إلاّ في أهل الردّة قلت وكذلك هو موجود في كفّار العرب إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوّي ذلك أنهم هوازن أو يسلمون عطف على تقاتلونهم وقال ابن عطية هو مستأنف ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ**﴾ يريد في غزوة الحديبية ﴿**لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ**﴾ الآية معناها أن الله تعالى عذر الأعمى والأعرج والمريض في تركهم للجهاد لسبب أعذارهم ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها» وفي الحديث أنهم كانوا ألفًا وأربعمائة وقيل ألفًا وخمسمائة وسبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ لمّا بلغ الحديبية وهي موضع على نحو عشرة أميال من مكة أرسل عثمان بن عفّان رضي الله عنه رسولاً إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر وأنه لا يريد حربًا فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه كرامة له فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفرّ أحد وقيل بايعوه على الموت ثم جاء عثمان بعد ذلك سالمًا وانعقد الصلح بين رسول الله ﷺ وبين أهل مكة على أن يرجع ذلك العام ويعتمر في العام القابل، والشجرة المذكورة كانت سمرة هنالك ثم ذهبت بعد سنين فمرّ عمر بن الخطاب بالموضع في خلافته فاختلف الصحابة في موضعها ﴿**فعلم ما في قلوبهم**﴾ يعني من صدق الإيمان وصدق العزم على ما

ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

بايعوا عليه وقيل من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل لأنه ذمّ للصحابة وقد ذكرنا السكينة **﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾** يعني فتح خيبر وقيل فتح مكة والأول أشهر أي جعل الله ذلك ثوابًا لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة وأما المغانم المذكورة أوّلاً فهي غنائم خيبر وهي المعطوفة على الفتح القريب وأما المغانم الكثيرة التي وعدهم الله وهي المذكورة ثانيًا فهي كل ما يغنم المسلمون إلى يوم القيامة والإشارة بقوله فعجّل لكم هذه إلى خيبر وقيل إن المغانم التي وعدهم هي خيبر والإشارة إلى صلح الحديبية **﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾** أي كفّ أهل مكة عن قتالكم في الحديبية وقيل كفّ اليهود وغيرهم عن إضرار نسائكم وأولادكم بينما خرجتم إلى الحديبية **﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾** أي تكون هذه الفعلة وهي كفّ أيدي الناس عنكم آية للمؤمنين يستدلّون بها على النصر، واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره فعل الله ذلك لتكون آية **﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾** يعني فتح مكة، وقيل فتح بلاد فارس والروم وقيل مغانم هوازن في حنين، والمعنى لم تقدروا أنتم عليها وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم، وإعراب أخرى عطف على عجّل لكم هذه أو مفعول بفعل مضمر تقديره أعطاكم أخرى أو مبتدأ **﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** يعني أهل مكة **﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾** أي عادته والإشارة إلى يوم بدر وقيل الإشارة إلى نصر الأنبياء قديمًا **﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾** رُوِيَ في سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية، ليصيبوا من عسكر رسول الله ﷺ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في جماعة من المسلمين فهزموهم وأسروا منهم قومًا، وساقوهم إلى رسول الله ﷺ فأطلقهم، فكفّ أيدي الكفّار هو أن هزموا وأسروا وكفّ أيدي المؤمنين عن الكفّار هو إطلاقهم من الأسر وسلامتهم من القتل، وقوله: **﴿مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾** يعني من بعدما أخذتموهم أسارى **﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** يعني أهل مكة **﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿ٱلْحَرَامِ﴾ يعني أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية **﴿وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾** الهدي ما يُهدى إلى البيت من الأنعام، وكان رسول الله ﷺ قد ساق حينئذ مائة بدنة وقيل سبعين ليهديها، والمعكوف المحبوس ومحله موضع نحره يعني مكة والبيت وإعراب الهدي عطف على الضمير المفعول في صدّوكم ومعكوفًا حال من الهدي، وأن يبلغ مفعول بالعكف فالمعنى صدّوكم عن المسجد الحرام، وصدّوا الهدي عن أن يبلغ محله والعكف المذكور يعني به منع المشركين للهدي عن بلوغ مكة أو حبس المسلمين بالهدي بينما ينظرون في أُمورهم **﴿وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾** الآية تعليل لصرف الله المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم فلو سلّط الله المسلمين على أهل مكة، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن كفّهم رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم، وجواب لولا محذوف تقديره لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلّطناكم عليهم **﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾** في موضع بدل من رجال ونساء أو بدل من الضمير المفعول في لم تعلموهم والوطء هنا الإهلاك بالسيف وغيره **﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾** أي تصيبكم من قتلهم مشقّة وكراهة، واختلف هل يعني الإثم في قتلهم أو الديّة أو الكفّارة أو الملامة أو عيب الكفّار لهم بأن يقولوا قتلوا أهل دينهم أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين وهذا أظهر لأن قتل المؤمن الذي لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا ديّة، ولا ملامة، ولا عيب، **﴿لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾** يعني رحمة المؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفّار بأن كفّ سيوف المسلمين عن الكفّار من أجلهم أو رحمة لمَن شاء من الكفّار بأن يسلموا بعد ذلك واللام تتعلق بمحذوف يدلّ عليه سياق الكلام تقديره كان كفّ القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته مَن يشاء **﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** معنى تزيلوا تميزوا عن الكفّار والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان أي لو انفصلوا عن الكفّار لعذّبنا الكفّار فقوله لعذّبنا جواب لو الثانية وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا ويحتمل أن يكون لعذّبنا جواب لو الأولى وكرّرت لو الثانية تأكيدًا **﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾** يعني أنفة الكفر وهي منعهم

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ

للنبي ﷺ والمسلمين عن العمرة ومنعهم من أن يكتب في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم من أن يكتب محمد رسول الله وقولهم لو نعلم أنك رسول الله لاتّبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك والعامل في إذ جعل محذوف تقديره اذكر أو قوله لعذّبنا والسكينة هي سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك ﴿وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال الجمهور هي لا إله إلاّ الله وقد رُوِيَ ذلك عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقيل لا إله إلاّ الله محمد رسول الله وقيل لا إله إلاّ الله والله أكبر وهذه كلها متقاربة وقيل هي بسم الله الرحمن الرحيم التي أبى الكفّار أن تكتب ﴿ وكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم وقيل أحقّ بها من اليهود والنصارى.

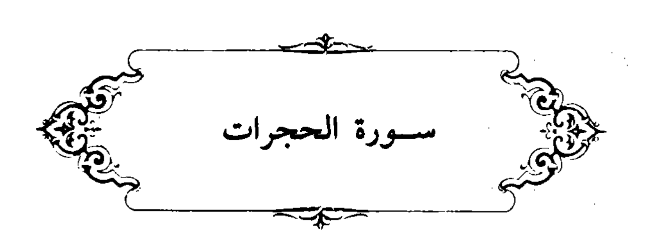
﴿لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون، ورُوِيَ أنه أتاه مَلَك في النوم فقال له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ الآية: فأخبر الناس برؤياه ذلك فظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام فلما صدّه المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون أين الرؤيا، ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك فأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أي تلك الرؤيا صادقة وسيخرج تأويلها بعد ذلك فاطمأنت قلوب المؤمنين وخرج رسول الله ﷺ في العام المقبل هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا وأقاموا بمكة ثلاثة أيام وظهر صدق رؤياه وتلك عمرة القضية ثم فتح مكة بعد ذلك ثم حجّ هو وأصحابه وصدق في هذا الموضع يتعدّى إلى مفعولين، وبالحق يتعلق بصدق أو بالرؤيا على أن يكون حالاً منها ﴿إنْ شَاءَ اللّهُ﴾ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشك في الأمر، وذلك مُحال على الله، اختلف في هذا الاستثناء على خمسة أقوال: الأول أنه استثناء قاله الملك الذي رآه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في المنام فحكى الله مقالته كما وقعت والثاني أنه تأديب من الله لعباده ليقولون إن شاء الله في كل أمر مستقبل، والثالث أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته لأنه يمكن أن يتمّ له الأمر أو يموت أو يمرض فلا يتمّ له، والرابع أن الاستثناء راجع إلى قوله آمنين لا لدخول المسجد، والخامس أن إن شاء الله بمعنى إذا شاء الله ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الحلق والتقصير من سُنّة الحج والعمرة، والحلق أفضل من التقصير، لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله

رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ

وسلّم: «رحم الله المحلّقين ثلاثًا» ثم قال في المرة الأخيرة: «والمقصّرين» **﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾** يريد ما قدّره من ظهور الإسلام في تلك المدّة فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب ورعب الناس في الإسلام فكان رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ألف وخمسمائة وقيل ألف وأربعمائة وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف **﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾** يعني فتح خيبر، وقيل بيعة الرضوان وقيل صلح الحديبية، وهذا هو الأصح لأن عمر قال لرسول الله ﷺ أفتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم». وقيل: هو فتح مكة وهذا ضعيف، لأن معنى قوله من دون ذلك قبل دخول المسجد الحرام وإنما كان فتح مكة بعد ذلك فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمرة القضية عام سبعة وفتح مكة عام ثمانية **﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾** ذكر في براءة **﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾** أي شاهدًا بأن محمدًا رسول الله أو شاهدًا بإظهار دينه **﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾** يعني جميع أصحابه وقيل مَن شهد معه الحديبية وإعراب الذين معطوف على محمد ورسول الله صفته وأشدّاء خبر عن الجميع، وقيل الذين معه مبتدأ وأشداء خبره ورسول الله خبر محمد ورجّح ابن عطية هذا والأول عندي أرجح لأن الوصف بالشدّة والرحمة يشمل النبي ﷺ وأصحابه، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدّة والرحمة مختصًا بالصحابة دون النبي ﷺ وما أحقّ النبي ﷺ بالوصف بذلك لأن الله قال فيه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ واغلُظ عَلَيْهِم﴾ [التوبة: ٧٣] فهذه هي الشدّة على الكفار والرحمة بالمؤمنين **﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾** السيما العلامة وفيه ستّة أقوال، الأول أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلّي من كثرة السجود، والثاني أنه أثر التراب في الوجه الثالث أنه صُفرة الوجه من السّهر والعبادة، الرابع حُسْن الوجه لما ورد في الحديث مَن كَثُرَت صلاته بالليل حَسُنَ وجهه بالنهار وهذا الحديث غير صحيح بل وقع فيه غلط من الراوي فرفعه إلى النبي ﷺ وهو غير مروي عنه، الخامس أنه الخشوع، السادس أن ذلك يكون في الآخرة يجعل الله لهم نورًا من أثر السجود كما يجعل غرّة من أثر الوضوء وهذا بعيد لأن قوله: **﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾** وصف حالهم في الدنيا فكيف يكون سيماهم في وجوههم كذلك، والأول أظهر، وقد كان بوجه علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن

﴿وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

عبد الله بن العباس أثر ظاهر من أثر السجود ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ أي وصفهم فيها وتم الكلام هنا، ثم ابتدأ قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾، وقيل إن مثلهم في الإنجيل عطف على مثلهم في التوراة ثم ابتدأ قوله كزرع وتقديره هم كزرع، والأول أظهر، ليكون وصفهم في التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك وعلى هذا يكون مثلهم في الإنجيل بمعنى التشبيه والتمثيل وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف كمثلهم في التوراة ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ هذا مثل ضربه الله للإسلام حيث بدأ ضعيفًا، ثم قوي وظهر وقيل الزرع مثل للنبي ﷺ لأنه بعث وحده وكان كالزرع حبّة واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل، ويقال بإسكان الطاء وفتحها بمدّ وبدون مدّ وهي لغات ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي قوّاه وهو من الموازرة بمعنى المعاونة ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول شطأه أو بالعكس لأن كل واحد منهما يقوّي الآخر، وقيل معناه ساواه طولاً فالفاعل على هذا الشطأ ووزن آزره فاعله وقيل أفعله، وقرئ بقصر الهمزة على وزن فعل ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي صار غليظًا ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ جمع ساق أي قام الزرع على سوقه، وقيل قوله كزرع يعني النبي ﷺ أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعليّ بن أبي طالب ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ تعليل لما دلّ عليه المثل المتقدّم من قوّة المسلمين فهو يتعلق بفعل يدلّ عليه الكلام تقديره جعلهم الله كذلك ليغيظ بهم الكفّار، وقيل يتعلق بوعد وهو بعيد ﴿مِنْهُم﴾ لبيان الجنس لا للتبعيض لأنه وعد عمّ جميعهم رضي الله عنهم.



سورة الحجرات

مدنيّة وآياتها ١٨ نزلت بعد المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ

بِسْـم اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به ولا تقطعوا في أمر إلاّ بنظره والثاني لا تقدّموا الولاة بمحضره فإنه يقدّم مَن شاء، والثالث لا تتقدّموا بين يديه إذا مشى وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب لا تقدّموا بفتح التاء والقاف والدال، والأول هو الأظهر لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له فربما فعل ذلك قوم مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فنهاهم الله عن ذلك، ولذلك قال مجاهد معناه لا تفتاتوا على الله شيئًا حتى يذكره على لسان رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنما قال بين يدي الله لأن النبي ﷺ إنما يتكلم بوحي من الله **﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾** أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبي ﷺ بهذا الأدب كرامةً له وتعظيمًا وسببها أن بعض جُفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم **﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾** مفعول من أجله تقديره مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته

أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا

أو جهرتم له بالقول ﷺ فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معًا من طريق المعنى، وأما من طريق الإعراب فيتعلق عند البصريين بالثاني وهو لا تجهر وعند الكوفيين بالأول وهو لا ترفعوا أصواتكم، وهذا الإحباط لأن قلّة الأدب معه ﷺ والتقصير في توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن، لعظيم ما وقع فيه من ذلك وقيل إن الآية خطاب للمنافقين وهذا ضعيف، لقوله في أولها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ وقوله: ﴿**وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ**﴾ فإنه لا يصحّ أن يقال هذا لمنافق فإنه يفعله جرأة وهو يقصده ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر: والله يا رسول الله لا أُكلّمتك إلاّ سرًّا وكان عمر يخفي كلامه حين يستفهمه النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، ولفظها مع ذلك على عمومه ومعنى امتحن اختبر فوجدها كما يجب مثل ما يختبر الذهب بالنار، فيوجد طيبًا، وقيل معناها درّبها للتقوى حتى صارت قوية على احتماله بغير تكلّف وقيل معناه أخلصها الله للتقوى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ الحجرات جمع حجرة وهي قطعة من الأرض يحجر عليها بحائط وكان لكل واحدة من أزواج النبي ﷺ حجرة ونزلت الآية في وفد بني تميم قَدِموا على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبي ﷺ ووقفوا خارجها ونادوا يا محمدًا اخرج إلينا فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلّة توقير فتربص رسول الله ﷺ مدة ثم خرج إليهم فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس: يا محمد إن مدحي زين وذمّي شين فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك» ذلك الله تعالى ﴿**أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فيهم قليل ممّن يعقل ونفى العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم والآخر أن يكون جميعهم ممّن لا يعقل وأوقع القلّة موضع النفي والأول أظهر في مقتضى اللفظ والثاني أبلغ في الذمّ ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ**﴾ يعني خيرًا في الثواب وفي انبساط نفس النبي ﷺ وقضائه حوائجهم وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم ﴿**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ سببها أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ زكاتهم فروِيَ أنه كان معاديًا لهم فأراد إذايتهم

فَعَلْتُمْ نَدِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

فرجع من بعض طريقه فكذب عليهم وقال للنبي ﷺ إنهم قد منعوني الصدقة وطردوني وارتدّوا فغضب رسول الله ﷺ وهمّ بغزوهم ونظر في ذلك فورد وفدهم مُنكِرين لذلك ورُوِيَ أن الوليد بن عقبة لمّا قَرُبَ منهم خرجوا إليه ملتقّين له فرآهم على بُعْد ففزع منهم وظنّ بهم الشرّ فانصرف فقال ما قال، ورُوِيَ أنه بلغه أنهم قالوا لا نعطيه صدقة ولا نطيعه فانصرف فقال ما قال فالفاسق المُشار إليه في الآية هو الوليد بن عقبة ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفسّاق حتى صلّى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران ثم قال لهم أزيدكم إن شئتم، ثم هي باقية في كل مَن اتّصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر، وقرىء فتبيّنوا من التبيّن وتثبّتوا بالثاء من التثبّت ويقوّي هذه القراءة أنها لمّا نزلت رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «التثبّت من الله والعجلة من الشيطان»، واستدلّ بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد، لأن دليل الخطاب يقتضي أن خبر غير الفاسق مقبول، قال المنذر البلّوطي: وهذه الآية تردّ على مَن قال إن المسلمين كلهم عدول، لأن الله أمر بالتبيّن قبل القبول، فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقًا **﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾** في موضع المفعول من أجله تقديره مخافة أن تصيبوا قومًا بجهالة، والإشارة إلى قتال بني المصطلق لما ذكر عنهم الوليد ما ذكر **﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾** أي لشقيتم، والعنت المشقّة، وإنما قال لو يطيعكم ولم يقل لو أطاعكم للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم، والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم، وذلك أن رأي رسول الله ﷺ خير وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناس في رأيهم لهلكوا، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره، وإلى ذلك الإشارة بقوله: **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ﴾** الآية **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾** اختلف في سبب نزولها، فقال الجمهور هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزّبين منهم لعبد الله بن أُبيّ ابن سلّول حين مرّ به رسول الله ﷺ وهو متوجّه إلى زيارة سعد بن عُبادة في مرضه فبَالَ حمار رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أُبيّ للنبي ﷺ لقد آذاني نتن حمارك فردّ عليه عبد الله بن رواحة وتلاحا الناس حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجريد، وقيل بالحديد، وقيل سببها أن فريقين من الأنصار وقع بينهما قتال فصالحهم رسول الله ﷺ بعد جهد ثم

﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ﴾

حكمها باقٍ إلى آخر الدهر وإنما قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا لأن الطائفة في معنى القوم والناس، فهي في معنى الجميع **﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾** أمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية، وذلك إذا تبيّن أنها باغية فأما الفتن التي تقع بين المسلمين، فاختلف العلماء فيها على قولين أحدهما أنه لا يجوز النهوض في شيء منها ولا القتال وهو مذهب سعد بن أبي وقاص وأبي ذرّ وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وحجّتهم قول رسول الله ﷺ: «قتال المسلم كفر». وأمره عليه الصلاة والسلام بكسر السيوف في الفتن. والقول الثاني أن النهوض فيها واجب لتكفّ الطائفة الباغية، وهذا قول عليّ وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء، وحجّتهم هذه الآية فإذا فرّعنا على القول الأول، فإن دخل داخل على مَن اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فليدفعه عن نفسه وإن أدّى ذلك إلى قتله لقوله ﷺ: «مَن قتل دون نفسه أو ماله فهو شهيد»، وإذا فرّعنا على القول الثاني فاختلف مع مَن يكون النهوض في الفتن فقيل مع السواد الأعظم وقيل مع العلماء، وقيل مع مَن يرى أن الحق معه، وحكم القتال في الفتن أن لا يجهز على جريح ولا يطلب هارب، ولا يقتل أسير ولا يقسم فَيْء **﴿حَتَّى تَفِيءَ﴾** أي ترجع إلى الحق **﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾** إنما ذكره بلفظ التثنية لأن أقلّ مَن يقع بينهم البغي اثنان، وقيل أراد بالأخوين الأوس والخزرج، وقرىء بين إخوتكم بالتاء على الجمع وقرىء بين إخوانكم بالنون على الجمع أيضًا **﴿لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾** نهى عن السخرية وهي الاستهزاء بالناس **﴿عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾** أي لعلّ المسخور منه خير من الساخر عند الله وهذا تعليل للنهي **﴿وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ﴾** لمّا كان القوم لا يقع إلاّ على الذكور عطف النساء عليهم **﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾** أي لا يطعن بعضكم على بعض واللمز العيب سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك، وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز في سورة الهمزة وأنفسكم هنا بمنزلة قوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُم﴾ [النور: ٦١] **﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾** أي لا يدع أحد أحدًا بلقب والتنابز بالألقاب التداعي بها وقد أجاز المحدّثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه إذا دعت إليه الضرورة ولم يقصد النقص والاستخفاف **﴿بِئْسَ**

ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

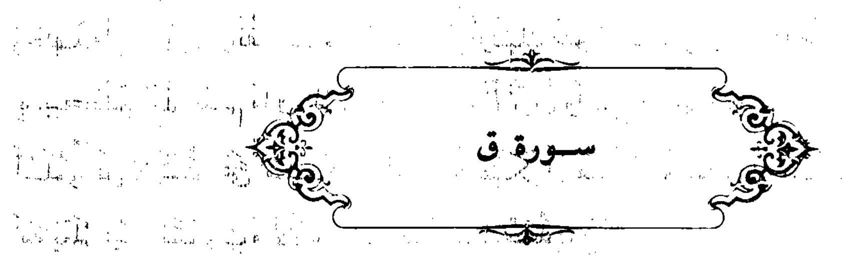
الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يريد بالاسم أن يسمّى الإنسان فاسقًا بعد أن سُمّي مؤمنًا، وفي ذلك ثلاثة أوجه: أحدها استقباح الجمع بين الفسق وبين الإيمان، فمعنى ذلك أن مَن فعل شيئًا من هذه الأشياء التي نهى عنها فهو فاسق وإن كان مؤمنًا، والآخر بئس ما يقوله الرجل للآخر يا فاسق بعد إيمانه، كقولهم لمَن أسلم من اليهود يا يهودي، الثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن وهذا على مذهب المعتزلة **﴿ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾** يعني ظنّ السوء بالمسلمين، وأما ظن الخير فهو حسن **﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾** قيل في معنى الإثم هنا الكذب لقوله ﷺ: «الظن أكذب الحديث لأنه قد لا يكون مطابقًا للأمر». وقيل إنما يكون إثمًا إذا تكلم به وأما إذا لم يتكلم به فهو في فسحة لأنه لا يقدر على دفع الخواطر واستدلّ بعضهم بهذه الآية على صحّة سدّ الذرائع في الشرع لأنه أمر باجتناب كثيرٍ من الظن، وأخبر أن بعضه إثم فأمر باجتناب الأكثر من الإثم احترازًا من الوقوع في البعض الذي هو إثم **﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾** أي لا تبحثوا عن مخبآت الناس وقرأ الحسن تحسّسوا بالحاء والتجسس بالجيم في الشرّ وبالحاء في الخير، وقيل التجسّس ما كان من وراء والتحسّس بالحاء الدخول والاستعلام **﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾** المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه والغيبة هي ما يكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: «الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره»، قيل يا رسول الله وإن كان حقًّا، قال: «إذا قلت باطلاً فذلك بهتان» وقد رخص في الغيبة في مواضع منها في التجريح في الشهادة والرواية والنكاح وشبهه وفي التحذير من أهل الضلال **﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾** شبّه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتًا والعرب تشبّه الغيبة بأكل اللحم ثم زاد في تقبيحه أن جعله ميتًا لأن الجيفة مستقذرة ويجوز أن يكون ميتًا حال من الأخ أو من لحمه وقيل فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير كأنه لمّا قرّرهم قال هل يحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا أجابوا فقالوا لا نحبّ ذلك فقال لهم فكرهتموه وبعد هذا محذوف تقديره فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تشبهه وحذف هذا لدلالة الكلام عليه وعلى هذا المحذوف يعطف قوله واتقوا الله، قاله أبو علي الفارسي، وقال الرمّاني كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل وهو أحقّ أن يُجاب لأنه بصير عالم، والطبع أعمى جاهل، وقال الزمخشري في هذه الآية

فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا۟ اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟

مبالغات كثيرة منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحد من الأحدين لا يحبّ ذلك ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتًا ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخًا له **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾** الذكر والأُنثى هنا آدم وزوجه قال ابن عطية ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال إنّا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأُنثى والأول أظهر وأصحّ لقوله ﷺ: «أنتم من آدم وآدم من التراب» ومقصود الآية التسوية بين الناس والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب فبيّن الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب وإنما هو بالتقوى قال رسول الله ﷺ: «مَن أحبّ أن يكون أكرم الناس فليتّقِ الله»، ورُوِيَ أن سبب هذه الآية أن رسول الله ﷺ أمر بني بياضة أن يزوّجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا كيف نزوّج بناتنا لموالينا؟ **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾** الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أعظم من القبيلة وتحته القبيلة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهم القرابة الأدنون فمُضَر وربيعة وأمثالهما شعوبًا، وقريش قبيلة، وبني عبد مناف بطن، وبنو هاشم فخذ، ويقال بإسكان الخاء فرقًا بينه وبين الجارحة وبنو عبد المطّلب فصيلة. وقيل الشعوب في العجم والقبائل في العرب والأسباط في بني إسرائيل ومعنى لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضًا **﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾** نزلت في بني أسد بن خزيمة وهي قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الإسلام وكانوا إنما يحبّون المغانم وعرض الدنيا فأكذبهم الله في قولهم آمنّا وصدّقهم لو قالوا أسلمنا وهذا على أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإسلام هو الانقياد بالنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى وقد يكونان متّفقان وقد يكون الإسلام أعمّ من الإيمان فيدخل فيه الإيمان حسبما ورد في مواضع أُخر **﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾** معنى لا يلتكم لا ينقصكم شيئًا من أُجور أعمالكم وفيه لغتان يقال لات وعليه قراءة نافع لا يلتكم بغير همز، ويقال ألت وعليه قراءة مَن قرأ لا يألتكم بهمزة قبل اللام، فإن قيل: كيف يعطيهم أُجور

وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا ولا يقبل عمل إلاّ من مؤمن؟ فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال فالمعنى إن رجعتم عمّا أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم وعملتم أعمالاً صالحةً فإن الله لا ينقصكم منها شيئًا ﴿**ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ أي لم يشكّوا في إيمانهم وفي ذلك تعريض بالأعراب المذكورين بأنهم في شكٍّ وكذلك قوله في هؤلاء أولئك هم الصادقون تعريض أيضًا بالأعراب إذ كذبوا في قولهم آمنّا وإنما عطف ثم لم يرتابوا بثم إشعارًا بثبوت إيمانهم في الأزمنة المتراخية المتطاولة ﴿**وَجَاهَدُوا**﴾ يريد جهاد الكفّار لأنه دليل على صحة الإيمان ويبعد أن يريد جهاد النفس والشيطان لقوله بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسلَمُوا**﴾ نزلت في بني أسد أيضًا فإنهم قالوا للنبي ﷺ إنّا آمنّا بك واتّبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم ﴿**بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ**﴾ أي هداكم للإيمان على زعمكم ولذلك قال: ﴿**إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾، ويمنّ عليكم يحتمل أن يكون بمعنى ينعم عليكم أو بمعنى يذكر إنعامه، وهذا أحسن لأنه في مقابلة يمنّون عليك.



سورة ق

مكية إلاّ آية ٣٨ فمدنية وآياتها ٤٥ نزلت بعد المرسلات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

تكلمنا على حروف الهجاء في أول سورة البقرة ويختصّ ﴿ق﴾ بأنه قيل إنه من اسم الله القاهر أو القدير وقيل هو اسم للقرآن وقيل اسم للجبل الذي يحيط بالدنيا **﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾** من المجد وهو الشرف والكرم وجواب هذا القسم محذوف تقديره ما ردّوا أمرك بحجّة وما كذّبوك ببرهان وشبه ذلك وعبّر عن هذا المحذوف وقع الإضراب ببل وقيل الجواب ما يلفظ من قول وقيل إن في ذلك لذكرى وقيل قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وهذه الأقوال ضعيفة متكلّفة **﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُنذِرٌ مِّنهُم﴾** الضمير في عجبوا لكفّار قريش والمنذر هو سيدنا محمد ﷺ وقيل الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية قال ولذلك قال تعالى **﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾** أي الكافرون من الناس والصحيح أنه لقريش وقوله: **﴿قَالَ الْكَافِرُونَ﴾** وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمّهم بالكفر كما تقول جاءني فلان فقال الفاجر كذا إذا قصدت ذمّه وقوله: **﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾** إن كان الضمير لقريش فمعنى منهم

كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ

من قبيلتهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم وإن كان الضمير لجميع الناس فمعنى منهم إنسان مثلهم، وتعجّبهم يحتمل أن يكون من أن بعث الله بشرًا أو من الأمر الذي يتضمنه الإنذار وهو الحشر ويؤيّد هذا ما يأتي بعد **﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾** العامل في إذا محذوف تقديره أنبعث إذا متنا **﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾** الرجع مصدر رجعته والمراد به البعث بعد الموت ومعنى بعيا. أي بعيد الوقوع عندهم وقيل الرجع الجواب أي جوابهم هذا بعيد عن الحق وعلى هذا يكون قوله: **﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾** من كلام الله تعالى وأما على الأول فهو حكاية كلام الكفّار وهو أظهر **﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ﴾** هذا ردّ على الكفّار في إنكارهم للبعث معناه قد علمنا ما تنقص الأرض منهم من لحومهم وعظامهم فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كلّ جسد ابن آدم تأكله الأرض إلاّ عجب الذنب منه خلق وفيه يركّب» وقيل المعنى قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم والأول قول ابن عباس والجمهور وهو أظهر **﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾** يعني اللوح المحفوظ ومعنى حفيظ جامع لا يشذّ عنه شيء وقيل معناه محفوظ من التغيير والتبديل **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾** هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أقبح من تعجّبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوّة وما تضمنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك وقال ابن عطية هذا الإضراب عن كلام محذوف تقديره ما أجادوا النظر ونحو ذلك **﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾** أي مضطرب لأنهم تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وغير ذلك من أقوالهم وقيل معناه منكر وقيل ملتبس وقيل مختلط **﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾** يعني بالنجوم **﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾** أي من شقوق وذلك دليل على إتقان الصنعة **﴿رَوَاسِيَ﴾** يعني الجبال **﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾** أي من كل نوع جميل **﴿مَاءً مُّبَارَكًا﴾** يعني المطر كله وقيل الماء المبارك ماء مخصوص ينزله الله كل سنة وليس كل المطر يتّصف بالمبارك وهذا ضعيف **﴿حَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾** هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد **﴿بَاسِقَاتٍ﴾** أي طويلات **﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾** الطلع أول ما يظهر من الثمر وهو أبيض منضّد كحبّ الرمّان فما دام ملتصقًا بعضه ببعض فهو نضيد فإذا تفرّق فليس بنضيد **﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾** تمثيل لخروج الموتى من القبور

ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ

بخروج النبات من الأرض ﴿**وَأَصْحَابُ الرَّسِّ**﴾ قوم كانت لهم بئر عظيم وهي الرسّ بعث إليهم نبيّ فجعلوه في الرسّ وردموا عليه فأهلكهم الله ﴿**وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ**﴾ يعني قوم شعيب وقد ذكر ﴿**وَقَوْمُ تُبَّعٍ**﴾ ذكر في الدخان ﴿**فَحَقَّ وَعِيدِ**﴾ أي حلّ بهم الهلاك ﴿**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ**﴾ يقال عَيِيَ بالأمر إذا لم يعرف علمه والخلق الأول خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة وقيل يعني خلق آدم، وقيل خلق السمٰوات والأرض، والأول أظهر، ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث والهمزة للإنكار ﴿**بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ أي هم في شكّ من البعث وإنما نكر الخلق الجديد لأنه كان غير معروف عند الكفّار المخاطبين وعرف الخلق الأول لأنه معروف معهود ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ**﴾ يعني جنس الإنسان ومعنى توسوس به نفسه تحدّثه نفسه من فكرتها وذلك أخفى الأشياء وقيل يعني آدم ووسوسته عند أكله من الشجرة والأول أظهر وأشهر ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ هو عرق كبير في العنق وهما وريدان عن يمين وشمال وهذا مثل في فرط القرب، والمراد به قرب علم الله واطّلاعه على عبده وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك: مسجد الجامع أو يراد بالحبل العاتق ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ**﴾ يعني المَلَكين الحافظين الكاتبين للأعمال، والتلقي هو تلقّي الكلام بحفظه وكتابته، والعامل في إذ نحن أقرب، وقيل مضمر تقديره اذكر واختاره ابن عطيّة ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**﴾ أي قاعد، وقيل مقاعد بمعنى مجالس، وردّه ابن عطيّة بأن المقاعد إنما يكون مع قعود الإنسان، والقاعد يكون على جميع هيئة الإنسان وإنما أفرده وهما اثنان لأن التقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقال الفرّاء لفظ قعيد يدلّ على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ العتيد الحاضر، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن مقعد المَلَكين على الشفتين قلمهما اللسان ومِدادهما الرّيق»، وعموم الآية يقتضي أن المَلَكين يكتبان جميع أعمال العبد ولذلك قال الحسن وقتادة يكتبان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك، وقال عكرمة إنما تكتب الحسنات والسيئات لا غير ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ**﴾ أي بلقاء الله أو فراق

بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا

الدنيا، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: وجاءت سكرة الحق بالموت، وكذلك قرأها أبو بكر الصدّيق، وإنما قال جاءت بالماضي لتحقّق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال **﴿ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنهُ تَحِيدُ﴾** أي تفرّ وتهرب، والخطاب للإنسان **﴿سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾** السائق مَلَك يسوقه، وأما الشهيد فقيل مَلَك آخر يشهد عليه وهو الأظهر، وقيل صحائف الأعمال، وقيل جوارح الإنسان **﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾** خطاب للإنسان الذي يقتضيه قوله: كل نفس، يريد أنه كان غافلاً عمّا لَقِيَ في الآخرة، وقيل هو خطاب لسيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، أي كنت في غفلة من هذا القصص وهذا في غاية الضعف لأنه خروج عن سياق الكلام **﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾** قيل كشف الغطاء معاينته أمور الآخرة **﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾** أي يُبصِر ما لم يبصره قبل، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الناس نِيام فإذا ماتوا انتبهوا» **﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾** القرين هنا الشيطان الذي كان يغويه، وقيل الملك الذي يتولى عذابه في جهنم، والأول أرجح لأنه هو القرين المذكور بعد، ولقوله نقيّض له شيطانًا فهو له قرين، ومعنى قوله: **﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾**، أي هذا الإنسان حاضر لديّ أعتدته ويسّرته لجهنم، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو المَلَك السائق، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فمعناه هذا العذاب لديّ حاضر ويحتمل أن يكون ما في قوله: **﴿مَا لَدَيَّ﴾**، موصوفة أو موصولة، فإن كانت موصوفة فعتيد وصف لها وإن كانت موصولة، فعتيد بدل منها، أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وما هي خبر المبتدأ على هذه الوجوه، ويحتمل أن يكون عتيد الخبر وتكون ما بدلاً من هذا أو منصوبة بفعل مضمر **﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾** الخطاب للمَلَكين السائق والشهيد، وقيل إنه خطاب لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة، ثم أبدل منها ألف أو على أن يكون معناه ألق ألق مثنى مبالغةً وتأكيدًا أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم خليلي وصاحبي وهذا كله تكلّف بعيد، ومما يدلّ على أن الخطاب لاثنين قوله: **﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾** **﴿مَّنَّاعٌ لِّلْخَيْرِ﴾** قيل مناع للزكاة المفروضة والصحيح العموم **﴿مُّرِيبٍ﴾** شاكٍّ في الدين فهو من الرّيب بمعنى الشك **﴿الَّذِي جَعَلَ﴾** يحتمل أن يكون مبتدأ وخبره فألقياه وأدخل فيه ألفًا لتضمنه معنى الشرط أو يكون بدلاً أو صفة ويكون فألقياه تكرارًا للتوكيد

ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ

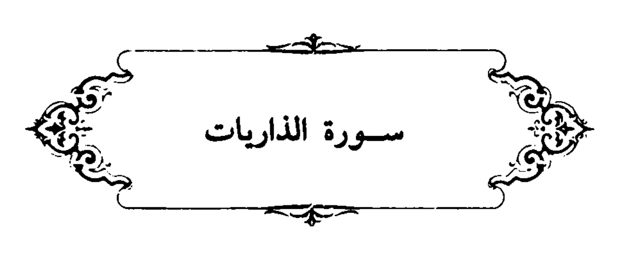
﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ القرين هنا شيطانه الذي وكّل به في الدنيا بلا خلاف ومعنى ما أطغيته ما أوقعته في الطغيان، ولكنه طغى باختياره وإنما حذف الواو هنا لأن هذه جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال قرينه قبل هذا فإنه عطف ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبديل لذلك، وقيل معناه لا يكذب أحد لديّ لعلمي بجميع الأمور فالإشارة على هذا إلى قول القرين ما أطغيته ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ الفعل مسند إلى جهنم، وقيل إلى خزنتها من الملائكة، والأول أظهر واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازًا بلسان الحال، والأظهر أنه حقيقة وذلك على الله يسير، ومعنى قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ إنما تطلب الزيادة وكانت لم تمتلىء وقيل معناه لا مزيد أي ليس عندي موضع للزيادة فهي على هذا قد امتلأت والأول أظهر وأرجح، لما ورد في الحديث لا يزال جهنم يُلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يُلقي فيها الجبار قدمه، وفي الحديث كلام ليس هذا موضعه، والمزيد يحتمل أن يكون مصدرًا كالمحيض أو اسم مفعول فإن كان مصدرًا فوزنه مفعل وإن كان اسم مفعول فوزنه مفعول ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي قربت ثم أكّد كذلك بقوله غير بعيد ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي كثير الرجوع إلى الله فهو من آب يؤوب إذا رجع، وقيل هو المسبح لله من قوله: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠] ﴿حَفِيظٍ﴾ أي حافظ لأوامر الله فيفعلها ولنواهيه فيتركها ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي اتقى الله وهو غائب عن الناس، فالمجرور في موضع الحال ومَن خشي بدل أو مبتدأ، فإن قيل: كيف قرن بالخشية الاسم الدالّ على الرحمة؟ فالجواب: إن ذلك لقصد المبالغة في الثناء على مَن يخشى الله لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه، وقال ذلك الزمخشري: ويحتمل أن يكون الجواب عن ذلك أن الرحمن صار يستعمل استعمال الاسم الذي ليس بصفة كقولنا الله ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل معناه النظر إلى وجه الأرض، كقوله: ﴿الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقيل يعني ما لم يخطر على قلوبهم كما ورد في

مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ

الحديث مما يرويه النبي ﷺ عن ربّه أنه قال: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ﴿**هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا**﴾ الضمير في هم للقرون المتقدمة، وفي منهم لكفّار قريش ﴿**فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ**﴾ أي طافوا فيها وأصله دخولها من أنقابها أو من التنقّب عن الأمر، بمعنى البحث عنه ﴿**هَلْ مِن مَّحِيصٍ**﴾ أي قالوا هل من مهرب من الله أو من العذاب ﴿**لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾ أي قلب واعٍ يعقل ويفهم ﴿**أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ أي استمع وهو حاضر القلب ﴿**وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾ اللغوب الإعياء والتعب ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**﴾ يعني كفّار قريش وغيرهم ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾ يحتمل أن يريد التسبيح باللسان، أو يريد الصلاة وقد ذكر الزمخشري فيه الوجهين وقال ابن عطية: معناه صلِّ بإجماع من المتأوّلين، وهي على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل المغرب والعشاء، وقيل هي النوافل ﴿**وَأَدْبَارَ السُّجُودِ**﴾ قال عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما: الركعتين بعد المغرب وقال ابن عباس هي النوافل بعد الفرائض، وقيل الوتر ﴿**وَاسْتَمِعْ**﴾ معناه انتظر فهو عامل في يوم ينادِ على أنه مفعول به صريح، وقيل المعنى استمع لما نقصّ عليك من أهوال القيامة فعلى هذا لا يكون عاملاً في يوم ينادِ فيوقف على استمع والأول أظهر ﴿**يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ**﴾ المنادي هنا إسرافيل الذي ينفخ في الصور، وقيل إنما وصفه بالقرب لأنه يسمعه جميع الخلق، وقيل المكان صخرة بيت المقدس، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكّة، وقيل لقربها من السماء، لأنها أقرب إلى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً وهذا ضعيف ﴿**يَوْمُ الْخُرُوجِ**﴾ يعني خروج الناس من القبور و﴿**يَوْمَ تَشَقَّقُ**﴾ العامل في هذا الظرف معنى قوله: ﴿**حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾ أو هو بدل مما قبله ﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ**﴾ أي بقهّار تقهرهم على الإيمان كقوله: ﴿**لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾ وقيل إخبار بأنه ﷺ رؤوف بهم غير جبّار عليهم وهذا أظهر ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ كقوله: ﴿**إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ**

عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ [فاطر: ١٨] لأنه لا ينفع التذكير إلاَّ مَن يخاف.



سـورة الذاريات

مكيّة وآياتها ٦٠ نزلت بعد الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩)

بِسْـــمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿والذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ هي الرياح تذرو التراب وغيره، ومنه قوله تعالى: **﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾** [الكهف: ٤٥] وانتصب ذروًا على المصدرية **﴿فَالْحَامِلاَتِ وَقْرًا﴾** هي السحاب تحمل المطر والوقر الحمل وهو مفعول به **﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾** هي السفن تجري في البحر وإعراب يُسْرًا صفة لمصدر محذوف ومعناه بسهولة **﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾** هي الملائكة تقسم أمر الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك، وأمرًا مفعول به، وقيل إن الحاملات وقرًا: السفن، وقيل جميع الحيوان الحامل، وقيل إن الجاريات يسرًا: السّحاب، وقيل الجواري من الكواكب والأول أشهر وهو قول عليّ بن أبي طالب **﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾** هذا جواب القسم ويحتمل توعدون أن يكون من الوعد أو من الوعيد والأظهر أنه يراد به البعث في الآخرة وهو يشمل الوعد والوعيد **﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾** الدين هنا الجزاء، وقيل الحساب **﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾** أي ذات الطرائق مثل الطرائق التي تكون في الماء إذا هبّت عليه

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ﴾

الرياح، وكذلك حبك الزرع وهي الطرائق التي فيه وقيل الحبك النجوم وقيل زينة السماء وقيل حُسْن خلقتها وواحد الحبك حباك أو حبيكة ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ يحتمل أن يكون خطابًا لجميع الناس لأنهم اختلفوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر، ويحتمل أن يكون خطابًا للكفّار خاصّة لأنهم اختلفوا فقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم شاعر ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ معنى يؤفك يصرف، والضمير في عنه يحتمل أربعة أوجه أحدها أن يكون للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أو للقرآن أو للإسلام والمعنى يصرف عن الإيمان به مَن صرف أي مَن سبق في علم الله أنه مصروف، الثاني أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين والمعنى يصرف عن الإيمان به مَن صرف. الثالث أن يكون الضمير للقول المختلف والمعنى يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام مَن قضى الله بسعادته، وهذا القول حسن إلاّ أن عُرْف الاستعمال في أفك ويؤفك إنما هو في العُرْف من خير إلى شرّ وهذا من شرّ إلى خير. الرابع أن يكون الضمير للقول المختلف وتكون عن سببية والمعنى يصرف بسبب ذلك القول مَن صرف عن الإيمان ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ دعاء عليهم كقولهم قاتلك الله، وقيل قتل بمعنى لعن، قال ابن عطية واللفظ لا يقتضي ذلك وقال الزمخشري أصله الدعاء بالقتل، ثم جرى مجرى لعن وقبح، والخرّاصون الكذّابون، وأصل الخرص التخمين والقول بالظن والإشارة إلى الكفّار، وقيل إلى الكهّان والأول أظهر ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ الغمرة ما يغطّي عقل الإنسان وأصله من غمرة الماء والمراد به هنا الجهلة والغفلة عن النظر ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي يقولون متى يوم الدين على وجه الاستبعاد والاستخفاف ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ هذا جواب عن سؤالهم، ومعنى يفتنون يحرقون ويعذبون، ومنه قيل للحرّة فتين لأن الشمس أحرقت حجارتها، ويحتمل أن يكون يومهم معربًا والعامل فيه مضمر تقديره يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون، وأن يكون مبنيًّا لإضافته إلى مبني، وعلى هذا يجوز أن يكون في موضع نصب بالفعل المضمر حسبما ذكرنا أو في موضع رفع والتقدير هو يوم هم على النار يفتنون ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي يقال لهم ذوقوا حرقتكم ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني يأخذون في الجنة ما أعطاهم ربّهم من الخيرات والنعيم، وقيل المعنى آخذين في الدنيا ما آتاهم ربّهم من شرعه، والأول أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه ﴿كَانُوا

يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ الهجوع النوم وفي معنى الآية قولان: أحدهما وهو الصحيح أنهم كانوا ينامون قليلاً من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرّع والدعاء، والآخر أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلاً ولا كثيرًا، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين فأما على القول الأول ففي الإعراب أربعة أوجه: الأول أن يكون قليلاً خبر كانوا وما يهجعون فاعل بقليلاً، لأن قليلاً صفة مشبّهة باسم الفاعل، وتكون ما مصدرية، والتقدير كانوا قليلاً هجوعهم من الليل، والثاني مثل هذا إلاّ أن ما موصولة والتقدير كانوا قليلاً الذي يهجعون فيه من الليل، والثالث أن تكون ما زائدة، وقليلاً ظرف، والعامل فيه يهجعون، والتقدير كانوا يهجعون وقتًا قليلاً من الليل، والرابع مثل هذا إلاّ أن قليلاً صفة لمصدر محذوف، والتقدير كانوا يهجعون هجوعًا قليلاً، وأما على القول الثاني ففي الإعراب وجهان: أحدهما أن تكون ما نافية، وقليلاً ظرف، والعامل فيه يهجعون، والتقدير كانوا ما يهجعون قليلاً من الليل، والآخر أن تكون ما نافية، وقليلاً خبر كان، والمعنى كانوا قليلاً في الناس، ثم ابتدأ بقوله من الليل ما يهجعون وكِلا الوجهين باطل عند أهل العربية، لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها فظهر ضعف هذا المعنى لبطلان إعرابه **﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** أي يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، والأسحار آخر الليل، وقد جاء في الحديث أن الله تعالى يقول في الثلث الآخر من الليل: مَن يستغفرني فأغفر له، وقيل معنى يستغفرون يصلّون وهذا بعيد من اللفظ **﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾** الحق هنا نوافل الصدقات، وقيل المراد الزكاة وهذا بعيد لأن الآية مكيّة، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة، وقيل إن الآية منسوخة بالزكاة، وهذا لا يحتاج إليه لأن النسخ إنما يكون مع التعارض، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل وتسمية النوافل بالحق كقوله حقًّا على المحسنين، وإن كان غير واجب، وقال بعض العلماء حق سوى الزكاة ورجّحه ابن عطية واختلف الناس في المحروم حتى قال الشعبي أعياني أن أعلم ما المحروم، وقيل المحروم الذي ليس له في بيت المال سهم، وقيل الذي أُجيحت ثمرته، وقيل الذي ماتت ماشيته، وقيل هو الكلب وهذه أمثلة، والمعنى الجامع لها أن المحروم الذي حرمه الله المال بأيّ وجهٍ كان **﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾** إشارة إلى ما في خلقة الإنسان من الآيات والعِبَر، ولقد قال بعض العلماء فيه أن فيه خمسة آلاف حكمة، وقال بعضهم الإنسان نسخة مختصرة من العالم **﴿وَفِي السَّمَّاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾**

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا

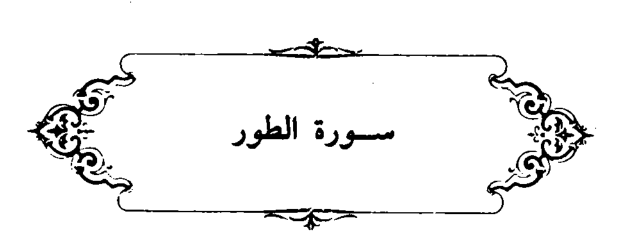
معنى في السماء رزقكم المطر، وقيل القضاء والقدر، ويحتمل أن يكون ما توعدون من الوعد والوعيد والكلّ في السماء، ولذلك قيل يعني الجنة والنار، وقيل الخير والشر **﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾** هذا جواب القسم، والضمير لما تقدّم من الآيات أو الرزق أو لما توعدون **﴿مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾** أي حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه، وما زائدة: وقرىء مثل بالنصب والرفع صفة لحق، والنصب على الحال من حق أو من الضمير المستتر فيه أو صفة لحق وبني لإضافته إلى مبني أو لتركيبه مع ما فيصير نحو أينما وكلما **﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾** المراد بالاستفهام في مثل هذا التفخيم والتهويل، وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين جاؤوا ليبشّروه بالولد وبإهلاك قوم لوط، ووصفهم بالمكرمين لأنهم مكرمون من عند الله، ولأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم لأنه خدمهم بنفسه وعجّل لهم الضيافة والعامل في إذ دخلوا على هذا: المكرمين، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكر **﴿فَقَالُوا سَلامًا﴾** نصب هذا لأنه في معنى الطلب وهو مفعول بفعل مضمر، ورفع الثاني لأنه خبر تقديره أمري سلام، وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة، وإن كان بمعنى التحيّة فإنما رفع الثاني ليدلّ على إثبات السلام فيكون قد حيّاهم بأكثر ما حيّوه وينتصب السلام الأول على هذا على المصدرية تقديره سلّمنا عليك سلامًا، ويرتفع الثاني بالابتداء تقديره: سلام عليكم قوم منكرون أي لم يعرفهم **﴿قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ﴾** يحتمل أن يكون ألا حضًا على الأكل أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية **﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾** إنما خاف منهم لمّا لم يأكلوا **﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾** هو إسحٰق عليه السلام لقوله: **﴿فَبَشَرْنَاهَا بِإِسْحَٰقَ﴾** [هود: ٧١] **﴿فِي صَرَّةٍ﴾** أي صيحة، وذلك قولها: يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهو من صرّ القلم وغيره إذا صوّت، وقيل معناه في جماعة من النساء **﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾** أي ضربته حياءً منهم وتعجّبًا من ولادتها وهي عجوز **﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾** تقديره أنا عجوز عقيم فكيف ألد أو تقديره أتلد عجوز عقيم **﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾** أي ما شأنكم وخبركم، والخطب أكثر ما يقال في الشدائد **﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾**

مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ

يعني قوم سيّدنا لوط وقد ذكرنا الحجارة ومسومة في هود ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الضمير المجرور لقرية قوم سيّدنا لوط لأن الكلام يدلّ عليها وإن لم يتقدّم ذكرها والمراد بالمؤمنين لوط وأهله: أمرهم الله بالخروج من القرية لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها، ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في الأحزاب ﴿**وَفِي مُوسَى**﴾ معطوف على قوله: ﴿**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ**﴾ أو على قوله: ﴿**وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً**﴾ ﴿**فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ**﴾ معنى تولّى أعرض عن الإيمان وركنه سلطانه وقوّته ﴿**وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾ أي قالوا إن موسى ساحر أو مجنون: فأو للشك أو للتقسيم، وقيل بمعنى الواو وهذا ضعيف ولا يستقيم هنا ﴿**وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾ أي فعل ما يلام عليه يعني فرعون ﴿**الرِّيحَ الْعَقِيمَ**﴾ وصفها بالعقم لأنها لا بركة فيها من إنشاء المطر أو إلقاح الشجر ﴿**كَالرَّمِيمِ**﴾ أي الفاني المنقطع والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أذِنَ للريح أن تهلكه ﴿**وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ**﴾ فيه قولان: أحدهما أن الحين هي الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة والآخر أن الحين من بعد ما بعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم، وعلى هذا يكون فعتوا مترتّبًا بعد تمتّعهم، وأما على الأول فيكون إخبارًا عن حالهم غير مرتّب على ما قبله ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾ يعني الصيحة التي صاحها جبريل ﴿**وَهُمْ يَنظُرُونَ**﴾ أي يعاينونها لأنها كانت بالنهار ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾ أي بقوّة وانتصاب السماء بفعل مضمر ﴿**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن معناه قادرون فهو من الوسع وهو الطاقة، ومنه على الموسع قدره أي القوي على الإنفاق، والآخر جعلنا السماء واسعة أو جعلنا بينها وبين الأرض سعة، والثالث أوسعنا الأرزاق بمطر السماء ﴿**فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**﴾ الماهد الموطىء للموضع ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾ أي نوعين مختلفين

مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

كالليل والنهار، والسواد والبياض، والصحة والمرض وغير ذلك **﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾** أمر بالرجوع إليه بالتوبة والطاعة وفي اللفظ تحذير وترهيب **﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾** توقيف وتعجيب أي هم بمثابة مَن أوصى بعضهم بعضًا أن يقول ذلك **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾** منسوخ بالسيف **﴿فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾** أي قد بلغت الرسالة فلا لوم عليك **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾** قيل معناه خلقتهم لكي آمرهم بعبادتي، وقيل ليتذلّلوا إليّ فإن جميع الإنس والجنّ متذلّل **﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾** أي ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم **﴿وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾** أي لا أريد أن يطعمون لأني مُنَزّه عن الأكل وعن صفات البشر، وأنا غنيٌّ عن العالمين، وقيل المعنى ما أُريد أن يطعموا عبيدي، فحذف المضاف تجوّزًا، وقيل معناه ما أُريد أن ينفعوني لأني غنيّ عنهم، وعبّر عن النفع العامّ بالإطعام، والأول أظهر **﴿الْمَتِينُ﴾** أي الشديد القوة **﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا﴾** الذنوب النصيب ويريد به هنا نصيبًا من العذاب، وأصل الذنوب الدلو، والمراد بالذين ظلموا كفّار قريش، وبأصحابهم مَن تقدّم من الكفّار **﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾** يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم ببدر والأول أرجح لقوله في المعارج **﴿ذَلِكَ الْيَوْم الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾** [المعارج: ٤٤] يعني يوم القيامة.



ســورة الطور

مكية وآياتها ٤٩ نزلت بعد السجدة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ

بِسْـــمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿**وَالطُّورِ**﴾ هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام، وقيل الطور كل جبل فكأنه أقسم بجنس الجبال ﴿**وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ**﴾ قيل هو اللوح المحفوظ، وقيل القرآن، وقيل صحائف الأعمال ﴿**فِي رِقٍّ مَّنشُورٍ**﴾ الرقّ في اللغة الصحيفة، وخصّصت في العُرْف بما كان من جلد، والمنشور خلاف المطوي ﴿**وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**﴾ هو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك، لا يعودون إليه أبدًا وبهذا عمرانه، وهو حيال الكعبة، وقيل البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجّاج والطائفين، والأول أظهر، وهو قول عليّ وابن عباس ﴿**وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ**﴾ يعني السماء ﴿**وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**﴾ هو بحر الدنيا، وقيل بحر في السماء تحت العرش والأول أظهر وأشهر، ومعنى المسجور المملوء ماء، وقيل الفارغ من الماء، ويُروَى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة، واللغة تقتضي الوجهين: لأن اللفظ من الأضداد، وقيل معناه الموقد نارًا من قولك سجرت التنّور، واللغة أيضًا تقتضي هذا، ورُوِيَ

ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ

أن جهنّم في البحر ﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**﴾ هذا جواب القسم، ويعني عذاب الآخرة ﴿**يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا**﴾ أي تجيء وتذهب، وقيل تدور، وقيل تتشقّق، والعامل في الظرف واقع ودافع أو محذوف ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ**﴾ الخوض التخبّط في الأباطيل شبه بخوض الماء ﴿**يَوْمَ يُدَعُّونَ**﴾ أي يدفعون بتعنيف، ويوم بدل من الظرف المتقدّم ﴿**أَفَسِحْرٌ هَذَا**﴾ توبيخ للكفّار على ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر ﴿**أَمْ أَنْتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ**﴾ توبيخ أيضًا لهم وتهكّم بهم أي هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حلّ بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق ﴿**فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا**﴾ ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهي عنه وإنما المراد التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحد من الحالين لا ينفعهم ولا يخفّف عنهم شيئًا من العذاب ﴿**إِنَّما تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ هذا تعليل لما ذكر من عذابهم، وليس تعليلاً للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس ﴿**فَاكِهِينَ**﴾ يحتمل أن يكون معناه أصحاب فاكهة فيكون نحو لابن وتامر أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور ﴿**وَوَقَاهُمْ**﴾ معطوف على قوله في جنّات أو على آتاهم ربّهم، أو تكون الواو للحال ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا**﴾ أي يقال لهم كلوا ﴿**هَنِيئًا**﴾ صفة لمصدر محذوف تقديره كلوا أكلاً هنيئًا، ويحتمل أن يكون وقع موقع فعل تقديره هنّأكم الأكل والشرب ﴿**بِحُورٍ عِينٍ**﴾ الحور: جمع حوراء وهي الشديدة بياض بياض العين وسواد سوادها، والعين جمع عيناء وهي الكبيرة العينين مع جمالها، وإنما دخلت الباء في قوله بحور لأنه تضمن قوله زوّجناهم معنى قرنّاهم، قاله الزمخشري وقال إن الذين آمنوا معطوف على بحور عين أي قرنّاهم بحور للتلذّذ بهنّ، وبالذين آمنوا للأنس معهم والأظهر أن الكلام تمّ في قوله: ﴿**بِحُورٍ عِينٍ**﴾ ويكون والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنا ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ معنى الآية ما ورد في الحديث الشريف أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «إن الله يرفع ذرّيّة المؤمن في درجته في الجنة»، وإن كانوا دونه في العمل لتقرّ بهم عينه، فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء، قيل إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغارًا،

ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ

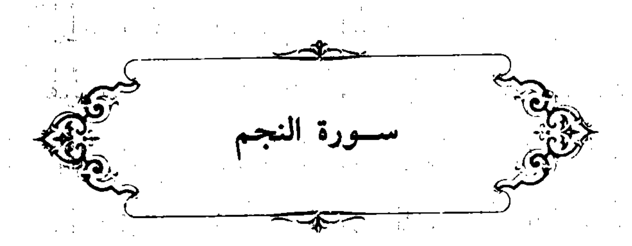
وقيل على الإطلاق في الأبناء المؤمنين، وبإيمان في موضع الحال من الذرّيّة، والمعنى أنهم اتّبعوا آباءهم في الإيمان، وقال الزمخشري إن هذا المجرور يتعلق بألحقنا، والمعنى عنده بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم، والأول أظهر، فإن قيل: لِمَ قال بإيمان بالتنكير؟ فالجواب: أن المعنى بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلاً لدرجة آبائهم ولكنهم لحقوا بهم كرامة للآباء، فالمراد تقليل إيمان الذرّيّة ولكنه رفع درجتهم فكيف إذا كان إيمانًا عظيمًا **﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾** أي ما أنقصناهم من ثواب أعمالهم بل وفّينا لهم أجورهم، وقيل المعنى ألحقنا ذرّيّتهم بهم وما نقصناهم شيئًا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك بل فعلنا ذلك تفضّلاً زيادة إلى ثواب أعمالهم والضمير على القولين يعود على الذين آمنوا، وقيل إنه يعود على الذرّيّة **﴿كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾** أي مرتهن، فإما أن تُنجيه حسناته، وإما أن تهلكه سيئاته **﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ﴾** الإمداد هو الزيادة مرة بعد مرة **﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾** أي يتعاطونها إذ هم جلساء على الشراب **﴿لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ﴾** اللغو الكلام الساقط والتأثيم الذنب فهي بخلاف خمر الدنيا **﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾** يعني خدّامهم **﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾** اللؤلؤ الجوهر، والمكنون المصون، وذلك لحُسْنه وقيل هو الذي لم يخرج من الصدف **﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾** أي كنا في الدنيا خائفين من الله، والإشفاق شدّة الخوف **﴿السَّمُومِ﴾** أشدّ الحرّ وقيل هو من أسماء جهنم **﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾** يحتمل أن يكون بمعنى نعبده، أو من الدعاء بمعنى الرغبة، ومن قبل يعنون في الدنيا قبل لقاء الله **﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾** البرّ الذي يبرّ عباده ويُحسِن إليهم، وقرىء أنه بفتح الهمزة على أن يكون مفعولاً من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به، وقرىء بكسرها على الاستئناف **﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ﴾** هذا خطاب للنبي ﷺ أي ذكّر الناس ثم نفى عنه ما نسبه إليه الكفّار من الكهانة والجنون. ومعنى بنعمة ربّك: بسبب إنعام الله عليك **﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾** أم في هذا الموضع وفيما بعده

بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ

للاستفهام بمعنى الإنكار، والتربّص الانتظار، وريب المنون حوادث الدهر، وقيل الموت، وكانت قريش قد قالت إنما هو شاعر ننتظر به ريب المنون فيهلك كما هلك مَن كان قبله من الشعراء كزهير والنابغة ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ أمر على وجه التهديد ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا﴾ الأحلام العقول: أي كيف تأمرهم عقولهم بهذا، والإشارة إلى قولهم هو شاعر أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب، وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز كقوله أصلاتك تأمرك ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أم هنا بمعنى بل، ويحتمل أن تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الإنكار كما هي في هذه المواضع كلها ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي اختلقه من تلقاء نفسه. وضمير الفاعل لرسول الله ﷺ وضمير المفعول للقرآن ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ ردّ عليهم وإقامة حجّة عليهم، والأمر هنا للتعجيز ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معناه أم خلقوا من غير ربّ أنشأهم واستعبدهم، فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله: الثاني أم خلقوا من غير أب ولا أُم كالجمادات فهم لا يؤمرون ولا ينهون كحال الجمادات: الثالث أم خلقوا من غير أن يُحاسبوا ولا يُجازوا بأعمالهم فهو على هذا كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُم عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ معناه أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق أم هم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ المعنى أعندهم خزائن الله بحيث يستغنون عن عبادته، وقيل أعندهم خزائن الله بحيث يعطون مَن شاءوا أو يمنعون مَن شاءوا، ويخصّون بالنبوّة مَن شاءوا ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ أي الأرباب الغالبون، وقيل المسيطر المسلّط القاهر ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يعني أم لهم سُلّمٌ يصعدون به إلى السماء فيسمعون ما تقول الملائكة بحيث يعلمون صحة دعواهم ثم عجزهم بقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي بحجة واضحة على دعواهم ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ معناه أتسألهم على الإسلام أجرة فيثقل عليهم غرمها فيشقّ عليهم اتباعك ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ المعنى أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لا نعذب، وقيل المعنى

يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

فهم يكتبون للناس سُنَنًا وشرائع من عبادة الأصنام وتسييب السوائب وشبه ذلك ﴿**أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا**﴾ إشارة إلى كيدهم في دار الندوة بالنبي ﷺ حيث تشاوروا في قتله أو إخراجه ﴿**فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ**﴾ أي المغلوبون في الكيد، والذين كفروا يعني مَن تقدّم الكلام فيهم وهم كفّار قريش فوضع الظاهر موضع المضمر، ويحتمل أن يريد جميع الكفّار ﴿**أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ**﴾ المعنى هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه وحصر الله في هذه الآية جميع المعاني التي توجب التكبّر والبُعْد من الدخول في الإسلام ونفاها عنهم ليبيّن أن تكبّرهم من غير موجب وكفرهم من غير حجّة ﴿**وَإِن يَرَوْا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ**﴾ كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كِسَفًا من السماء، فالمعنى أنهم لو رأوا الكِسْفَ ساقطًا عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا ليس بكِسف وإنما هو سحاب مركوم: أي كثيف بعضه فوق بعض ﴿**فَذَرْهُمْ**﴾ منسوخ بالسيف ﴿**يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ**﴾ يعني يوم القيامة والصعقة فيه هي النفخة الأولى، وقيل غير ذلك والصحيح ما ذكرنا لقوله في المعارج عن يوم القيامة: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤]، ﴿**عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ**﴾ يعني قتلهم يوم بدر وقيل الجوع بالقحط، وقيل عذاب القبر ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ**﴾ أي اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم فإنا نُريك ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ**﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه قول سبحان الله، ومعنى حين تقوم من كل مجلس، وقيل أراد حين تقوم وتقعد، وفي كل حال وجعل القيام مثالاً. الثاني أنه الصلوات النوافل؛ والثالث أنه الصلوات الفرائض، فحين تقوم الظهر والعصر: أي حين تقوم من نوم القائلة، ومن الليل المغرب والعشاء، وإدبار النجوم: الصبح ومَن قال هي النوافل جعل إدبار النجوم ركعتي الفجر.



سورة النجم

مكية إلا آية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢ نزلت بعد الإخلاص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنها الثريا لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى هوى غرب وانتثر يوم القيامة، الثاني أنه جنس النجوم، ومعنى هوى كما ذكرنا أو انقضت ترجم الشياطين. الثالث أنه من نجوم القرآن وهي الجملة التي تنزل، وهوى على هذا معناه نزل **﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾** هذا جواب القسم، والخطاب لقريش وصاحبكم هو النبي ﷺ فنفى عنه الضلال والغيّ، والفرق بينهما أن الضلال بغير قصد والغيّ بقصد وتكسّب **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾** أي ليس يتكلم بهواه وشهوته إنما يتكلم بما يوحي الله إليه **﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾** يعني القرآن **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾** ضمير المفعول للقرآن أو للنبي ﷺ، والشديد القوىٰ: جبريل، وقيل الله تعالى، والأول أرجح لقوله: **﴿ذِي قُوّة عند ذِي الْعَرْشِ﴾** [التكوير: ٢٠] والقوى جمع قوة **﴿ذُو مِرَّةٍ﴾** أي ذو قوّة، وقيل ذو هيئة حسنة، والأول هو الصحيح في اللغة **﴿فَاسْتَوَىٰ﴾** أي استوى جبريل في

أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ

الجو إذ رآه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو بحِراء، وقيل معنى استوى ظهر في صورته على ستمائة جناح قد سدّ الأفق بخلاف ما كان يتمثّل به من الصور إذا نزل بالوحي، وكان ينزل في صورة دحية ﴿**وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى**﴾ الضمير لجبريل وقيل لسيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم والأول أصحّ ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى**﴾ الضميران لجبريل أي دنا من سيدنا محمد ﷺ فتدلّى في الهواء وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره فتدلى فدنا ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾ القاب مقدار المسافة أي كان جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام في القُرْب بمقدار قوسين عربيتين، ومعناه من طرف العود إلى الطرف الآخر، وقيل من الوتر إلى العود، وقيل ليس القوس التي يرمى بها، وإنما هي ذراع تُقاس بها المقادير ذكره الثعلبي وقال إنه من لغة أهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة جبريل من سيّدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مثل أي قوسين ثم حذفت هذه المضافات، ومعنى أو أدنى أو أقرب وأو هنا مثل قوله أو يزيدون وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى، وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحديث الصحيح، وقيل إنها لله تعالى، وهذا القول يردّ عليه الحديث والعقل إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنوّ والتدلّي وغير ذلك ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ**﴾ في هذه الضمائر ثلاثة أقوال: الأول أن المعنى أوحى الله إلى عبده محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ما أوحى. الثاني أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى، وعاد الضمير على الله في القولين لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدّم ذكره، فهو كقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاه فِي لَيْلَةِ الْقَدرِ﴾ [القدر: ١]. الثالث أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، وفي قوله ما أوحى إبهام مُراد يقتضي التفخيم والتعظيم ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾ أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه بعينه بل صدق بقلبه أن الذي رآه بعينه حق والذي رأى هو جبريل يعني حين رآه بمقدار ملأ الأفق، وقيل رأى ملكوت السمٰوات والأرض، والأول أرجح لقوله: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ وقيل الذي رآه هو الله تعالى، وقد أنكرت ذلك عائشة، وسُئِلَ رسول الله ﷺ هل رأيت ربّك؟ فقال: «نورانيٌّ أراه» ﴿**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى**﴾ هذا خطاب لقريش، والمعنى أتجادلونه على ما يرى، وكانت قريش قد كذبت لما قال إنه رأى ما رأى ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ أي لقد رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام مرة أخرى وهو ليلة الإسراء، وقيل ضمير المفعول لله تعالى، وأنكرت ذلك عائشة، وقالت مَن زعم أن

﴿رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ﴾

محمدًا رأى ربّه ليلة الإسراء فقد أعظم الفرية على الله تعالى ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ هي شجرة في السماء السابعة قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ثمرتها كالقلال وورقها كآذان الفيلة»، وسُمّيت سدرة المنتهى لأن إليها ينتهي علم كل عالِم ولا يعلم ما وراءها إلاّ الله تعالى وقيل سُمّيت بذلك لأن ما نزل من أمر الله يلتقي عندها فلا يتجاوزها ملائكة العلوّ إلى أسفل، ولا يتجاوزها ملائكة السّفل إلى أعلى ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ يعني أن الجنة التي وعدها الله عباده هي عند سدرة المنتهى، وقيل هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء والأول أظهر وأشهر ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ فيه إبهام لقصد التعظيم، قال ابن مسعود غشيها فراش من ذهب، وقيل كثرة الملائكة، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي»، وهذا أولى أن تفسّر به الآية ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أي ما زاغ بصر سيدنا محمد ﷺ عمّا رآه من العجائب بل أثبتها وتيقنها، وما طغى: أي ما تجاوز ما رأى إلى غيره ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ يعني ما رأى ليلة الإسراء من السمٰوات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك. ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولاً أو نعتًا لآيات ربّه، والمعنى يختلف على ذلك ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ هذه أوثان كانت تُعبَد من دون الله فخاطب الله مَن كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم، وقال ابن عطية: الرؤيا هنا رؤية العين لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية، فأما اللاّت فصنم كان بالطائف، وقيل كان بالكعبة، وأما العُزّى فكانت صخرة بالطائف، وقيل شجرة فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها بالسيف حتى قتلها، وقيل كانت بيتًا تعظّمه العرب وأصل لفظ العُزّى مؤنثة الأعزّ، وأما مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى: ﴿الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ فأكّدها بهاتين الصفتين، وقال الزمخشري الأخرى ذمّ وتحقير أي المتأخرة الوضيعة القدر، ومنه وقالت أُخراهم لأُولاهم ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله، فأنكر الله عليهم ذلك أي كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذّكور، وتجعلون لله البنات التي هي عندكم حقيرة بغيضة، وقد ذكر هذا المعنى في النحل وغيرها، ويحتمل أن يكون أنكر

وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ

عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى مع أنهنّ إناث والإناث حقيرة بغيضة عندهم **﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾** أي هذه القسمة التي قسمتم جائرة غير عادلة يعني جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى ووزن ضيزى فعلى بضم الفاء، ولكنها كُسِرَت لأجل الياء التي بعدها **﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾** الضمير للأوثان، وقد ذكر هذا المعنى في الأعراف في قوله: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ﴾ [٧١] **﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾** يعني أنهم يقولون أقوالاً بغير حجة كقولهم إن الملائكة بنات الله، وقولهم إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك **﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾** أم هنا للإنكار، والإنسان هنا جنس بني آدم: أي ليس لأحد ما يتمنى بل الأمر بيد الله وقيل إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفّار من شفاعة الأصنام وقيل إلى قول العاصي بن وائل: ﴿لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]، وقيل هو تمنّي بعضهم أن يكون نبيًا، والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه **﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى السَّمَـٰوَاتِ﴾** الآية: ردّ على الكفّار في قولهم إن الأوثان تشفع لهم كأنه يقول الملائكة الكرام لا تُغني شفاعتهم شيئًا إلاّ بإذن الله فكيف أوثانكم **﴿إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾** معناه أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلاّ بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة فيه ويرضى عنه **﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى﴾** يعني قولهم إن الملائكة بنات الله، ثم ردّ عليهم بقوله: **﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾** **﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾** أي إلى ذلك انتهى علمهم لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا، ولمْ يعلموا ما ينفع في الآخرة **﴿لِيَجْزِيَ﴾** اللام متعلقة بمعنى ما قبلها، والتقدير أن الله ملك أمر السمٰوات والأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا. وقيل يتعلق بضلّ واهتدى **﴿كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾** ذكرنا الكبائر في النساء **﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾** فيه أربعة أقوال: الأول أنه صغائر الذنوب فالاستثناء على هذا منقطع. الثاني أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفلتة والسقطة دون دوام

ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ

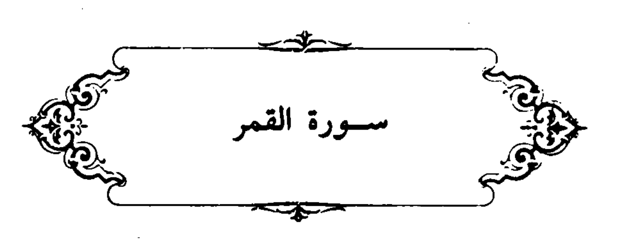
عليها. الثالث أنه ما ألمّوا به في الجاهلية من الشرك والمعاصي: الرابع أنه الهم بالذنوب وحديث النفس به دون أن يفعل ﴿أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُم﴾ أي لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير، قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نهى عن أن يزكّي بعض الناس بعضًا وهذا بعيد لأنه تجوز التزكية في الشهادة وغيرها ﴿أَفرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ الآية: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل نزلت في العاصي بن وائل ﴿وَأَكْدَىٰ﴾ أي قطع العطاء وأمسك ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ قيل وفى طاعة الله في ذبح ولده، وقيل وفى تبليغ الرسالة، وقيل وفى شرائع الإسلام، وقيل وفى الكلمات التي ابتلاه الله بهنّ، وقيل وفى هذه العشر الآيات ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ذكر فيما تقدّم، وهذه الجملة تفسير لما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ السعي هنا بمعنى العمل، وظاهرها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجّة لمالك في قوله لا يصوم أحد عن وليّه إذا مات وعليه صيام، واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصل نفعها إلى مَن فعلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِم ذُرِّيَّتَهُم﴾ [الطور: ٢١] والصحيح أنها محكمة لأنها خبر والأخبار لا تنسخ وفي تأويلها ثلاثة أقوال: الأول أنها إخبار عمّا كان في شريعة غيرنا فلا يلزم في شريعتنا الثاني أن للإنسان ما عمل بحق وله ما عمل له غيره بهبة العامل له فجاءت الآية في إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها الثالث أنها في الذنوب وقد اتفق أنه لا يحتمل أحد ذنب أحد، ويدلّ على هذا قوله بعدها: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وكأنه يقول لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يؤاخذ إلاّ بذنب نفسه ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ قيل معناه يراه الخلق يوم القيامة، والأظهر أنه صاحبه لقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه﴾ [الزلزلة: ٧] ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ فيه قولان أحدهما أن معناه إلى الله المصير في الآخرة، والآخر أن معناها أن العلوم تنتهي إلى الله ثم يقف العلماء عند

وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ

ذلك، ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «لا فكرة في الربّ» ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ قيل معناه أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار، وهذا تخصيص لا دليل عليه وقيل أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات، وهذا مجاز وقيل خلق في بني آدم الضحك والبكاء والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن لأن الضحك دليل على السرور والفرح كما أن البكاء دليل على الحزن فالمعنى أن الله تعالى أحزن مَن شاء من عباده، وأسرّ مَن شاء ﴿وَأَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ يعني الحياة المعروفة والموت المعروف وقيل أحيا بالإيمان وأمات بالكفر والأول أرجح، لأنه حقيقة ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني المنيّ ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ من قولك أمنى الرجل إذا خرج منه المنيّ ﴿النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ﴾ يعني الإعادة للحشر وتُمْنَى يعني أكسب عباده المال، وهو من قنية المال وهو كسبه وادّخاره وقيل معنى أقنى أفقر وهذا لا تقتضيه اللغة، وقيل معناه أرضى وقيل قنع عبده ﴿الشِّعْرَىٰ﴾ نجم في السماء وتسمّى كلب الجبّار وهما شعريان وهما الغميصاء والعبور وخصّها بالذكر دون سائر النجوم لأن بعض العرب كان يعبدها ﴿عَادًا الأُولَىٰ﴾ وصفها بالأولى لأنها كانت في قديم الزمان، فهي الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة، وقيل إنما سُمّيت أولى لأن ثم عادًا أُخرى متأخرة وهذا لا يصحّ وقرأ نافع عادًا الأولى بإدغام تنوين عاد في لام الأولى بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام وضعّف المزني والمبرّد هذه القراءة وهمز قالون الأولى دون ورش وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين عادًا وإسكان لام الأولى ﴿وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى﴾ أي ما أبقى منهم أحدًا وقيل ما أبقى عليهم ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ هي مدينة قوم لوط، ومعنى أهوى طرحها من علو إلى أسفل وفي قوله ما غشى تعظيم للأمر ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق معناه بأيّ نِعَم ربّك تشكّ ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَى﴾ يعني القرآن أو النبي ﷺ، ومعنى من النذر الأولى من نوعها وصفتها ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ أي قربت القيامة ﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل لفظه ثلاثة أوجه: أن يكون مصدرًا كالعافية أي ليس لها كشف وأن يكون بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلامة وأن يكون صفة لمحذوف تقديره نفس كاشفة أو جماعة كاشفة ويحتمل معناه وجهين: أحدهما أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة أي ليس لها مَن يُزيلها إذا وقعت والآخر أن يكون بمعنى الاطّلاع أي ليس لها مَن يعلم وقتها إلاّ الله ﴿أَفَمِنْ

ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ الإشارة إلي القرآن وتعجّبهم منه إنكاره **﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾** أي لاعبون لاهون، وقيل غافلون مفرطون **﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾** هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره، وقد قال ابن مسعود قرأها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فسجد وسجد كلّ مَن كان معه.



سورة القمر

مكية إلاّ الآيات ٤٤ و٤٥
و٤٦ فمدنية وآياتها ٥٥ نزلت بعد الطارق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ**﴾ أي قربت القيامة، ومعنى قربها أنها بقي لها من الزمان قليل بالنسبة إلى ما مضى ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبّابة والوسطى ﴿**وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ هذا إخبار بما جرى في زمان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وذلك أن قريشًا سألنه آية فأراهم انشقاق القمر فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اشهدوا»، وقال ابن مسعود انشقّ القمر فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه، وقيل معنى انشقّ القمر أنه ينشقّ يوم القيامة، وهذا قول باطل تردّه الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلاّ مَن لا يعتبر قوله: ﴿**وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾ هذه الضمائر لقريش والآية المُشار إليها انشقاق القمر وعند ذلك قالت قريش سحر محمد القمر ومعنى مستمر دائم وقيل معناه ذاهب يزول عن قريب وقيل شديد وهو على هذا المعنى من المرة وهي

حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ

القوة **﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾** أي كل شيء لا بدّ له من غاية فالحق يحقّ والباطل يبطل **﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾** الأنباء هنا يراد بها ما ورد في القرآن من القصص والبراهين والمواعظ ومزدجر اسم مصدر بمعنى الازدجار أو اسم موضع بمعنى أنه مظنّة أن يزدجر به **﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾** بدل من ما فيه أو خبر ابتداء مضمر **﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾** يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية لمعنى الاستبعاد والإنكار **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾** أي أعرض عنهم لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم **﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾** العامل في يوم مضمر تقديره اذكر أو قوله يخرجون بعد ذلك وليس العامل فيه تولّ عنهم لفساد المعنى فقد تمّ الكلام في قوله تولّ عنهم فيوقف عليه وقيل المعنى تولّ عنهم أي يوم يدعُ الدّاعِ والأول أظهر وأشهر والدّاعي جبريل أو إسرافيل إذ ينفخ في الصور والشيء النكر الشديد الفظيع وأصله من الإنكار أي هو منكور لأنه لم يرَ قطّ مثله والمراد به يوم القيامة **﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾** كناية عن الذلّة وانتصب خُشّعًا على الحال من الضمير في يخرجون **﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾** أي من القبور **﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾** شبّههم بالجراد في خروجهم من الأرض فكأنه استدلال على البعث كالاستدلال بخروج النبات وقيل إنما شبّههم بالجراد في كثرتهم وأن بعضهم يموج في بعض **﴿مُّهْطِعِينَ﴾** أي مسرعين وقيل ناظرين إلى الدّاع **﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾** يعني نوح عليه السلام ووصفه هنا بالعبودية تشريفًا له واختصاصًا **﴿وَازْدُجِرَ﴾** أي زجروه بالشتم والتخويف وقالوا له لئن لم تنته يا نوح لتكوننّ من المرجومين **﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾** أي قد غلبني الكفّار فانتصر لي وانتصر لنفسك، وقالت المتصوّفة معناه قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر منّي وهذا بعيد ضعيف **﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾** عبارة عن كثرة المطر فكأنه يخرج من أبواب، وقيل فتحت في السماء أبواب يومئذ حقيقة والمنهمر الكثير **﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾** ماء السماء وماء الأرض **﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾** أي قد قضي في الأزل ويحتمل أن يكون المعنى أنه قدّر بمقدار معلوم، ورُوِيَ في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعًا **﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾** يعني السفينة والدسر هي

مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ

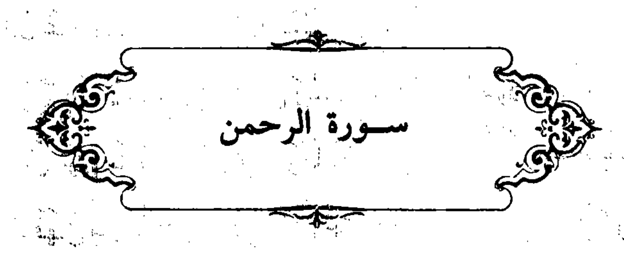
المسامير واحدها دسار، وقيل هي مقادم السفينة، وقيل أضلاعها والأول أشهر ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾ عبارة عن حفظ الله ورعيه لها ﴿**جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ**﴾ أي جزاء لنوح: وقيل جزاء لله تعالى والأول أظهر وانتصب جزاء على أنه مفعول من أجله والعامل فيه ما تقدّم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال أي جعلنا ذلك كله جزاء لنوح ويحتمل أن يكون قوله كفر من الكفر بالدين والتقدير لمَن كفر به فحذف الضمير أو يكون من الكفر بالنعمة لأن نوحًا عليه السلام نعمة من الله كفرها قومه فلا يحتاج على هذا إلى الضمير المحذوف ﴿**وَلَقَدْ تَّرَكْنَاهَا آيَةً**﴾ الضمير للقصة المذكورة أو الفعلة أو السفينة ورُوِيَ في هذا المعنى أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة ﴿**فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ تحضيض على الاذّكار فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده ووزن مدّكر مفتعل وأصله مدتكر ثم أبدل من التاء دالاً وأُدغمت فيها الدال ﴿**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾ توقيف فيه تهديد لقريش والنذر جمع نذير ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ**﴾ أي يسّرناه للحفظ وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظًا بالغًا بخلاف غيره من الكتب وقد رُوِيَ أنه لم يحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلاّ القرآن وقيل معنى الآية سهّلناه للفهم والاتّعاظ به لما تضمن من البراهين والحِكَم البليغة وإنما كرّر هذه الآية البليغة وقوله فذوقوا عذابي ونذر لينبّه السامع عند كل قصة فيعتبر بها إذ كل قصة من القصص التي ذكرت عبرة وموعظة فختم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد في قوله فكيف كان عذاب ونذر ومن الملاطفة في قوله ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ﴿**رِيحًا صَرْصَرًا**﴾ أي مصوّتة فهو من الصرير بمعنى الصوت وقيل معناه باردة فهو من الصرّ ﴿**يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ**﴾ رُوِيَ أنه كان يوم أربعاء حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر ﴿**تَنزِعُ النَّاسَ**﴾ أي تقلعهم من مواضعهم ﴿**كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ**﴾ أعجاز النخل هي أُصولها والمنقعر المنقطع فشبّه الله عادًا لمّا هلكوا بذلك لأنهم طِوال عِظام الأجساد كالنخل وقيل كانت الريح تقطع رؤوسهم فتبقى الأجساد بلا رؤوس فشبّههم بأعجاز النخل لأنها دون أغصان وقيل كانوا حفروا حُفَرًا يمتنعون بها من الريح فهلكوا فيها فشبّههم بأعجاز النخل إذا كانت في حفرها ﴿**أَبَشَرًا**﴾ هو صالح عليه السلام، وانتصب بفعل

ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ

مضمر والمعنى أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرًا وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدًا وهم جماعة كثيرون ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي عناد، وقيل معناه جنون، وقيل معناه همّ وغمّ وأصله من السعير بمعنى النار وكأنه احتراق النفس بالهمّ ﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ أنكروا أن يخصّه الله بالنبوّة دونهم، وذلك جهل منهم، فإن الفضل بيد الله يؤتيه مَن يشاء ﴿أَشِرٌ﴾ بطِرٌ مُتكبر ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدّوا على الناقة فالضمير في نبّئهم يعود على ثمود وعلى الناقة تغليبًا للعقلاء، وقيل إن الضمير لثمود، والمعنى لا يتعدّى بعضهم على بعض ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي مشهود ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ يعني عاقر الناقة واسمه قدار وهو أُحَيمر ثمود وأشقاها ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ أي اجترأ على أمر عظيم، وهو عقر الناقة وقيل تعاطى السيف ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بها جبريل صيحة فماتوا منها ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ الهشيم هو ما تكسّر وتفتّت من الشجر وغيرها والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وهي حائط من الأغصان أو القصب ونحو ذلك، أو يكون تحليقًا للمواشي أو السكنى فشبّه الله ثمود لمّا هلكوا بما يتفتّت من الحظيرة من الأوراق وغيرها، وقيل المحتظر المحترق ﴿حَاصِبًا﴾ ذكر في العنكبوت ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ تشكّكوا ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ الضيف هنا هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى لوط ليُهلِكوا قومه وكان قومه قد ظنوا أنهم من بني آدم وأرادوا منهم الفاحشة فطمس الله على أعينهم فاستوت مع وجوههم، وقيل إن الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدًا ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ هذا

فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

خطاب لقريش على وجه التهديد والهمزة للإنكار ومعناه: هل الكفّار منكم خير عند الله من الكفّار المتقدّمين المذكورين بحيث أهلكناهم لما كذبوا الرسل وتنجون أنتم وقد كذبتم رسلكم، بل الذي أهلكهم يهلككم **﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾** معناه أم لكم في كتاب الله براءة من العذاب **﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾** أي نحن نجتمع وننتصر لأنفسنا بالقتال **﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾** هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيهزم جمع قريش وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة **﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ﴾** المراد بالمجرمين هنا الكفّار وضلالهم في الدنيا، والسعر لهم في الآخرة وهو الاحتراق، وقيل أراد بالمجرمين القدرية لقوله في الردّ عليهم إنّا كل شيء خلقناه بقدر والأول أظهر **﴿يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ﴾** أي يُجَرّون فيها **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾** المعنى أن الله خلق كل شيء بقدر أي بقضاء معلوم سابق في الأزل ويحتمل أن يكون معنى بقدر بمقدار في هيئته وصفته وغير ذلك والأول أرجح وفيه حجة لأهل السُّنّة على القدرية وانتصب كل شيء بفعل مضمر يفسّره خلقناه **﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾** عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله والواحدة يراد بها الكلمة وهي قوله: كُنْ **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾** يعني أشياعكم من الكفار **﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾** أي كل ما فعلوه مكتوب في صحائف الأعمال **﴿مُسْتَطَرٌ﴾** أي مكتوب وهو من السطر تقول سطّرت واستطرت بمعنى واحد والمراد الصغير والكبير من أعمالهم وقيل جميع الأشياء **﴿وَنَهَرٍ﴾** يعني أنهار الماء والخمر واللبن والعسل واكتفى باسم الجنس **﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾** أي في مكان مرضي.



سورة الرحمن

مدنيّة وآياتها ٧٨ نزلت بعد الرعد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ هذا تعديد نعمة على مَن علّمه الله القرآن وقيل معنى علّم القرآن جعله علامة وآية لسيّدنا محمد ﷺ والأول أظهر وارتفع الرحمن بالابتداء والأفعال التي بعده أخبار متوالية ويدلّ على ذلك مجيئها بدون حرف عطف ﴿خَلَقَ الإنسَانَ﴾ قيل جنس الناس وقيل يعني آدم وقيل يعني سيدنا محمد ﷺ ولا دليل على التخصيص والأول أرجح ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يعني النطق والكلام ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي يجريان في الفلك بحسبان معلوم وترتيب مقدّر وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ النجم عند ابن عباس النبات الذي لا ساق له كالبقول، والشجر النبات الذي له ساق وقيل النجم جنس نجوم السماء، والسجود عبارة عن التذلّل والانقياد لله تعالى وقيل سجود الشمس غروبها وسجود الشجر ظلّه ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يعني الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره وكرّر ذكره اهتمامًا به وقيل أراد العدل ﴿وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾

ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ

أي لا تنقصوا إذا وزنتم ﴿لِلأَنَامِ﴾ أي للناس وقيل الإنس والجنّ وقيل الحيوان كله ﴿الأَكْمَامِ﴾ يحتمل أن يكون جمع كمّ بالضم وهو ما يغطّي ويلفّ النخل من الليف وبه شبّه كمّ القميص أو يكون جمع كمّ بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة ﴿الْعَصْفِ﴾ ورق الزرع وقيل التين ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ قيل هو الريحان المعروف وقيل كل مشموم طيّب الريح من النبات وقيل هو الرزق ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآلاء هي النّعم واحدها إلى على وزن معى وقيل إلى على وزن قضى وقيل ألى على وزن أمد أو على وزن حصر والخطاب للثقلين الإنس والجنّ بدليل قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان رُوِيَ أن هذه الآية لمّا قرأها رسول الله ﷺ سكت أصحابه فقال جواب الجنّ خير من سكوتكم إني لمّا قرأتها على الجنّ قالوا لا نكذب بشيء من آلاء ربّنا وكرّر هذه الآية تأكيدًا ومبالغةً وقيل إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله فليس بتأكيد لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرّات ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ الإنسان هو آدم والصلصال الطّين اليابس فإذا طبخ فهو فخّار ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ الجانّ الجنّ يعني إبليس والد الجنّ والمارج اللهيب المضطرب من النار ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يريد مشرق الشمس والقمر ومغرب الشمس والقمر وقيل مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ذكر في الفرقان، أي يلتقي ماء هذا وماء هذا وذلك إذا نزل المطر في البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر، وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما بانصباب الأنهار في البحر، وأما على قول مَن قال إن البحرين بحر فارس وبحر الروم، أو بحر القلزم واليمن فضعيف لقوله في الفرقان: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [٥٣] وكل واحد من هذه أجاج، والمراد بالبحرين في هذه السورة ما أراد في الفرقان ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي حاجز يعني جرم الأرض، أو حاجز من قدرة الله ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي لا يبغي أحدهما على الآخر بالاختلاط، وقيل لا يبغيان على الناس بالفيض ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ اللؤلؤ كبار الجوهر والمرجان صغاره، وقيل بالعكس وقيل إن المرجان أحجار حُمْر، قال ابن عطية: وهذا هو

وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ

الصواب، وأما قوله منهما ولا يخرج إلاّ من أحدهما، فقد تكلمنا عليه في فاطر ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾ يعني السفن وسمّاها منشآت لأن الناس ينشؤنها، وقرىء بكسر الشين بمعنى أنها تنشىء السير أو تنشىء الموج، والأعلام الجبال شبّه السفن بها ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الضمير في عليها للأرض يدلّ على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدّم لها ذكر ويعني بمَن عليها بني آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ الوجه هنا عبارة عن الذات، وذو الجلال صفة للذات لأن من أسمائه تعالى الجليل ومعناه يقرب من معنى العظيم، وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده كما قال: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ المعنى أن كل مَن في السمٰوات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم مَن يسأله بلسان المقال، وهم المؤمنون ومنهم مَن يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ المعنى أنه تعالى يتصرّف في ملكوته تصرّفًا يظهر في كل يوم من العطاء والمنع، والإماتة والإحياء وغير ذلك ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ قرأها فقيل له وما ذلك الشأن؟ قال: «من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع قومًا ويضع آخرين» وسئل بعضهم كيف قال كل يوم هو في شأن والقلم قد جفّ بما هو كائن إلى يوم القيامة، فقال هو في شأن يبديه لا في شأن يبتديه ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ معناه الوعيد كقولك لمَن تهدّده سأفرغ لعقوبتك وليس المراد التفرّغ من شغل ويحتمل أن يريد انتهاء مدة الدنيا، وإنه حينئذ ينقضي شأنها فلا يبقى إلاّ شأن الآخرة فعبّر عن ذلك بالتفرّغ قال جعفر بن محمد سمّى الإنس والجنّ ثقلين كأنهما ثُقلا بالذنوب ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا﴾ هذا كلام يقال للجنّ والإنس يوم القيامة أي إن قدرتم على الهروب والخروج من أقطار السمٰوات والأرض فافعلوا، ورُوِيَ أنهم يفرّون يومئذ لما يرون من أهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة، قد أحاطت بالأرض فيرجعون وقيل بل خوطبوا بذلك في الدنيا والمعنى إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا وقوله فانفذوا أمر يراد به التعجيز ﴿لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ

أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾

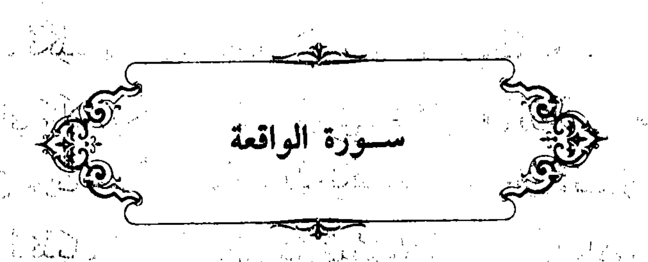
﴿بِسُلْطَانٍ﴾ أي لا تقدرون على النفوذ إلاّ بقوة وليس لكم قوة **﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾** الشواظ لهيب النار والنحاس الدخان وقيل هو الصفر يذاب ويصبّ على رؤوسهم وقرىء شواظ بضمّ الشين وكسرها وهما لغتان وقرىء نحاس بالرفع عطف على شواظ وبالخفض عطف على نار **﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾** جواب إذا قوله فيومئذ وقال ابن عطيّة جوابها محذوف **﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾** معنى وردة حمراء كالوردة، وقيل هو من الغرس الورد، قال قتادة السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء، والدهان جمع دهن كالزيت وشبهه شبه السماء يوم القيامة به لأنها تُذاب من شدّة الهول، وقيل يشبّه لمعانها بلمعان الدهن، وقيل إن الدهان هو الجلد الأحمر **﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ﴾** السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة إذ لا يحتاج إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسيماهم ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صحائفهم، وأما السؤال الثابت في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُم أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] وغيره، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ فلا تعارض بين المنفي والمثبت وقيل: إن ذلك باختلاف المواطن والأول أحسن **﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾** يعني بعلامتهم وهي سواد الوجوه وغير ذلك، والمجرمون هنا الكفّار بدليل قوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون **﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾** قيل معناه: يؤخذ بعض الكفّار بناصيته وبعضهم بقدميه، وقيل بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه فيطوى ويطرح في النار **﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾** الحميم الماء السخن والآن الشديد الحرارة، وقيل الحاضر من قولك آن الشيء إذا حضر والأول أظهر **﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾** مقام ربه القيام بين يديه للحساب ومنه يوم يقوم الناس لربّ العالمين، وقيل قيام الله بأعماله، ومنه أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت، وقيل معناه لمَن خاف ربّه وأقحم المقام، كقولك خفت جانب فلان واختلف هل الجنتان

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾

لكل خائف على انفراده، أو للصنف الخائف وذلك مبني على قوله لمَن خاف مقام ربّه هل يراد به واحد أو جماعة، وقال الزمخشري: إنما قال جنتان لأنه خاطب الثقلين فكأنه قال جنة للإنس وجنة للجن، ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات، قاله ابن عطية، والأفنان جمع فنن وهو الغصن أو جمع فنّ وهو الصنف من الفواكه وغيرها ﴿مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي نوعان ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجنا هو ما يُجتنى من الثمار ودانٍ قريب، ورُوِيَ أن الإنسان يجتني الفاكهة في الجنة على أيّ حال كان من قيام أو قعود أو اضطجاع لأنها تتدلّى له إذا أرادها وفي قوله جنا الجنتين ضرب من ضروب التجنيس ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ذكر في الصّافات ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ﴾، المعنى أنهنّ أبكار، ولم يطمثهنّ معناه لم يفتضّهنّ. وقيل الطمث الجماع سواء كان لبكر أو غيرها، ونفى أن يطمثهنّ إنس أو جانّ، مبالغة وقصدًا للعموم فكأنه قال لم يطمثهن شيء، وقيل أراد لم يطمث نساء الإنس إنس ولم يطمث نساء الجنّ جنّ، وهذا القول بأن الجنّ يدخلون الجنة ويتلذّذون فيها بما يتلذّذ البشر ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ شبّه النساء بالياقوت والمرجان في الحُمرة والجمال، وقد ذكرنا المرجان في أول السورة، ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ المعنى أن جزاء مَن أحسن بطاعة الله أن يُحسِن الله إليه بالجنة، ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله ﷺ فقال له: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين ويقوّي هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العليّ، وجعل جنّتين دونها لمَن كان دون ذلك، فالجنّتان المذكورتان أولاً للسابقين، والجنّتان المذكورتين ثانيًا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد في الواقعة، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال هنا: عينان تجريان وقال في الآخرتين عينان نضّاختان، والجري أشدّ من النضخ وقال هنالك من كل فاكهة زوجان، وقال هنا فاكهة ونخل ورمّان، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفتها هنالك

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

وكذلك صفة البسط ويفسّر ذلك قول رسول الله ﷺ جنّتان من ذهب آنيتهما وكلّ ما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وكلّ ما فيهما ﴿**مُدْهَامَّتَانِ**﴾ أي تضربان إلى السواد من شدّة الخضرة ﴿**عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾ أي تفوران بالماء والنضخ بالخاء المعجمة أشدّ من النضح بالحاء المهملة ﴿**فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**﴾ خصّ النخل والرمّان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة تشريفًا لهما وبيانًا لفضلهما على سائر الفواكه وهذا هو التجريد ﴿**خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**﴾ خيرات جمع خيرة وقال الزمخشري وغيره أصله خيرات بالتشديد ثم خفّف كميت وقرىء بالتشديد، قالت أمّ سلمة يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى خيرات حِسان قال خيرات الأخلاق حِسَان الوجوه ﴿**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ الحور جمع حوراء والمقصورات المحجوبات لأن النساء يمدحن بملازمة البيوت ويذممن بكثرة الخروج والخيام هي البيوت التي من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من اللؤلؤ ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ**﴾ الرفرف البسط، وقيل الوسائد وقيل رياض الجنة ﴿**وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**﴾ العبقري الطنافس، وقيل الزرابي، وقيل الديباج الغليظ، وهو منسوب إلى عبقري وتزعم العرب أنه بلد الجنّ فإذا أعجبتها شيء نسبته إليه ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ**﴾ ذكر تبارك في الفرقان وغيرها والاسم هنا يراد به المسمّى على الأظهر وقرأ الجمهور ذي الجلال بالياء صفة لربك وقرأ ابن عامر بالواو صفة للاسم وقد ذكر معنى ذي الجلال والإكرام.



سورة الواقعة

مكية إلا آيتي ٨١ و٨٢ فمدنيتان وآياتها ٩٦ نزلت بعد طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال مَن قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدًا ولما حضرت ابن مسعود الوفاة قيل له ما تركت لبناتك، قال: تركت لهنّ سورة الواقعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني إذا قامت القيامة فالواقعة اسم من أسماء القيامة، تدلّ على هولها كالطامّة والصاخّة وقيل الواقعة الصيحة وهي النفخة في الصور وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس، تقع يوم القيامة وهذا بعيد ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه: الأول أن تكون الكاذبة مصدر كالعافية والمعنى ليس لها كذب ولا ردّ. الثاني أن تكون كاذبة صفة محذوف كأنه قال ليس لها حال كاذبة أي هي صادقة الوقوع ولا بدّ وهذا المعنى قريب من الأول. الثالث أن يكون التقدير ليس لها نفس كاذبة أي تكذيب في إنكار البعث لأن كل نفس تؤمن حينئذ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ تقديره هي خافضة رافعة، فينبغي أن يوقف على ما قبله لبيان المعنى والمراد بالخفض والرفع أنها تخفض أقوامًا إلى النار وترفع أقوامًا إلى الجنة،

ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا

وقيل ذلك عبارة عن هولها لأن السماء تنشقّ والأرض تتزلزل وتمرّ والجبال تنسف فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها ﴿**إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا**﴾ أي زلزلت وحرّكت تحريكًا شديدًا وإذا هنا بدل من إذا وقعت ويحتمل أن يكون العامل فيه خافضة رافعة ﴿**وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا**﴾ أي فتّتت وقيل سُيِّرت ﴿**هَبَاءً مُنبَثًّا**﴾ الهباء ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا تكاد تُرَى إلاّ في الشمس إذا دخلت على كُوّة قاله ابن عباس وقال عليّ بن أبي طالب هو ما تطاير من حوافر الدوابّ من التراب، وقيل ما تطاير من شرر النار، فإذا طفى لم يوجد شيئًا والمنبث المتفرّق ﴿**وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً**﴾ هذا خطاب لجميع الناس لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة وهم السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، فأما السابقون فهم أهل الدرجات العُلا في الجنة، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار ﴿**فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**﴾ هذا ابتداء خبر فيه معنى التعظيم، كقولك زيد ما زيد، والميمنة يحتمل أن تكون مشتقّة من اليمن وهو ضدّ الشؤم وتكون المشأمة به مشتقّة من الشؤم أو تكون الميمنة من ناحية اليمين والمشأمة من ناحية الشمال، واليد الشؤمى هي الشمال وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين والشرّ من الشمال، أو لأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾ الأول مبتدأ والثاني خبره على وجه التعظيم كقولك أنت أنت أو على معنى أن السابقين إلى طاعة الله هم السابقون إلى الجنة، وقيل إن السابقون الثاني صفة للأول أو تأكيد، والخبر أولئك المقربون، والأرجح أن يكون الثاني خبر الأول لأنه في مقابلة قوله أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، وعلى هذا يوقف على السابقون الثاني ويبتدىء بما بعده ﴿**ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ**﴾ الثلّة الجماعة من الناس، فالمعنى أن السابقين من الأوّلين أكثر من السابقين من الآخرين، والأوّلون هم أول هذه الأمة والآخرون المتأخرون من هذه الأمة، والدليل على ذلك ما رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «الفرقتان في أُمتي» وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممّن بعدهم فكثر السابقون من السلف الصالح، وقلّوا بعد ذلك ويشهد لذلك قوله ﷺ خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وقيل إن الفرقتين في أمة كل نبيّ

مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ

فالسابقون في كل أمة يكثرون في أولها ويقلّون في آخرها، وقيل إن الأوّلين هم مَن كان قبل هذه الأمة والآخرين هم هذه الأمة فيقتضي هذا أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة وهذا بعيد، وقيل إن السابقين يُراد بهم الأنبياء، لأنهم كانوا في أول الزمان أكثر مما كانوا في آخره ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ السُرُر جمع سرير والموضونة المنسوجة وقيل المشبّكة بالدرّ والياقوت، وقيل معناه متواصلة قد أدنى بعضها من بعض ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ أي وجوه بعضهم إلى بعض ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الولدان صغار الخدم والمخلدون الذين لا يموتون، وقيل المقرطون بالخلدات وهي ضرب من الأقراط، والأول أظهر ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ الأكواب جمع كوب وهو الإناء وهو الذي لا أُذُن له ولا خرطوم يمسك به والأباريق جمع إبريق وهو الإناء الذي له خرطوم أو أُذُن يمسك ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ ذكر في الصّافات ﴿لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ﴾ أي لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يصيب من خمر الدنيا وقيل لا يفرقون عنها فهو من الصدع وهو الفرقة، ومعنى لا ينزفون لا يسكرون ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ قيل يتخيّرون ما شاءوا لكثرتها، وقيل مخيّرة مرضيّة ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قدّمنا معناه، وقرىء بالرفع على تقدير فيها حور أو عطف على الضمير في متّكئين، أو على ولدان، وبالخفض عطف على المعنى كأنه قال ينعمون بهذا كله وبحور عين، وقيل خفض على الجوار ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ شبّههنّ باللؤلؤ في البياض ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حُسْنه وسألت أُمّ سلمة رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه فقال: «صفاؤهنّ كصفاء الدرّ في الأصداف الذي لا تمسّه الأيدي» ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا﴾ اللغو الكلام الساقط كالفحش وغيره والتأثيم مصدر بمعنى لا يؤثّم أحد هناك نفسه ولا غيره ﴿إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا﴾ انتصب سلامًا على أنه بدل من قيلاً أو صفة له أو مفعول به لقيلا، لأن معناه قولاً، ومعنى السلام على هذا التحيّة، والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلّمون سلامًا بعد سلام، ويحتمل أن يكون معناه السلامة، فينتصب بفعل مضمر تقديره أسلموا سلامًا ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ هذا مبتدأ وخبره قصد به التعظيم فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده ويحتمل أن يكون الخبر في سدر، ويكون ما أصحاب

مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ

اليمين اعتراضًا، والأول أحسن، وكذلك إعراب أصحاب الشمال **﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾** السّدر شجر معروف، قال ابن عطية هو الذي يقال له شجر أُم غيلان وهو كثير في بلاد المشرق وهي في بعض بلاد الأندلس دون بعض والمخضود الذي لا شوك له كأنه خضد شوكه، وذلك أن سدر الدنيا له شوك، فوصف سدر الجنة بضدّ ذلك وقيل المخضود هو الموقّر الذي انثنت أغصانه من كثرة حمله فهو على هذا من خضد الغصن إذا ثناه **﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾** الطلح شجر عظيم كثير الشوك، قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو شجر الموز، وحكى ابن عطيّة هذا عن علي بن أبي طالب وابن عباس وقرأ عليّ بن أبي طالب وطلع منضود بالعين فقيل له إنما هو وطلح بالحاء فقال ما للطلح والجنة فقيل له أنصلحها في المصحف فقال المصحف اليوم لا يغير، والمنضود الذي تنضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق **﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾** أي منبسط لا يزول لأنه لا تنسخه الشمس، وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها اقرؤوا إن شئتم وظلّ ممدود» وماء مسكوب: أي مصبوب، وذلك عبارة عن كثرته وقيل المعنى أنه جار في غير أخاديد، وقيل المعنى أنه يجري من غير ساقية ولا دلو ولا تعب **﴿لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ﴾** أي لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا، فإن شجر الجنة يثمر في كل وقت ولا تمتنع ببُعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع **﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾** هي الأسرة، وقد رُوِيَ ارتفاع السرير منها مسيرة خمسمائة عام وقيل هي النساء وهذا بعيد **﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾** الضمير لنساء الجنة، فإن سياق الكلام يقتضي ذلك، وإن لم يتقدّم ذكرهنّ ولكن تقدّم ذكر الفرش وهي تدلّ على النساء وأما مَن قال إن الفرش هي النساء فالضمير عائد عليها وقيل يعود على الحور العين المذكورة قبل هذا وذلك بعيد فإن ذلك في وصف جنّات السابقين، وهذا في وصف جنّات أصحاب اليمين ومعنى إنشاء النساء أن الله تعالى يخلقهنّ في الجنة خلقًا آخر في غاية الحُسْن بخلاف الدنيا فالعجوز ترجع شابّة والقبيحة ترجع حَسَنة **﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾** رُوِيَ أنهنّ دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرًا **﴿عُرُبًا﴾** جمع عروب وهي المتودّدة إلى زوجها بإظهار محبته وعبّر عنهنّ ابن عباس بأنهنّ العواشق لأزواجهنّ وقيل الحسنة الكلام **﴿أَتْرَابًا لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾** أي مستويات في السنّ مع أزواجهنّ، ورُوِيَ أنهنّ يكونون في سنّ أبناء ثلاث وثلاثين عامًا ولأصحاب اليمين يتعلق بقوله: **﴿أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾** على

﴿ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

ما قاله الزمخشري ويحتمل أن يتعلق بأترابًا، وهذا هو الذي يقتضيه المعنى أي أترابًا لأزواجهن ﴿**ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ**﴾ أي جماعة من أول هذه الأمة وجماعة من آخرها وقد قال رسول الله ﷺ: «الفرقتان من أمتي» وفي ذلك ردّ على مَن قال إنهما من غير هذه الأمة وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثُلّة من الأوّلين وثُلّة من الآخرين بخلاف السابقين فإنهم قليل في الآخرين وذلك لأن السابقين في أول هذه الأمة أكثر منهم في آخرها لفضيلة السلف الصالح وأما أصحاب اليمين فكثير في أولها وآخرها ﴿**فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ**﴾ السموم الحرّ الشديد والحميم الماء الحارّ جدًّا واليحموم هو الأسود وظلّ من يحموم هو الدخان في قول الجمهور، وقيل سرادق النار المحيط بأهلها فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلّهم وقيل هو جبل في جهنم ﴿**وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ**﴾ معنى يصرّون يدومون من غير إقلاع والحنث هو الإثم، وقيل هو الشرك، وقيل هو الحنث في اليمين أو اليمين الغموس ﴿**أَئِذَا مِتْنَا**﴾ الآية معناها أنهم أنكروا البعث بعد الموت، وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين في الرعد وآباؤنا في الصّافّات ﴿**أَيُّهَا الضَّالُّونَ**﴾ خطابًا لكفّار قريش وسائر الكفّار ﴿**فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ**﴾ الضمير للمأكول ﴿**فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**﴾ وزن الهيم فعل بضم الفاء، وكسرت الهاء لأجل الياء وهو جمع أهيم وهو الجمل الذي أصابه الهيام بضم الهاء وهو داء مُعطِش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم والأنثى هيماء، وقيل جمع هائم وهائمة، وقيل الهيم الرمال التي لا تُروَى من الماء وهو على هذا جمع هيام بفتح الهاء وقرىء شرب بضم الشين واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب وقرىء بالفتح وهو مصدر فإن قيل كيف عطف قوله فشاربون على شاربون ومعناهما واحد، فالجواب أن المعنى مختلف لأن الأول يقتضي الشرب مطلقًا والآخر يقتضي الشرب الكثير المشبّه لشرب الهيم ﴿**هَذَا نُزُلُهُمْ**﴾ النزل أول ما يأكله الضيف فكأنه يقول هذا أول عذابهم فما ظنّك بسائره.

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق إما بالخالق تعالى وإما بالبعث لأن الخلقة الأولى دليل عليه **﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾** هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث وتتضمن أيضًا وعيد وتعديد نِعَم ومعنى تُمنون تقذفون المنيّ في رحم المرأة **﴿أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾** هذا توقيف يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلاّ هو **﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾** أي جعلناه مقدّرًا بآجال معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسّط **﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾** المسبوق على الشيء هو المغلوب عليه بحيث لا يقدر عليه ونبدّل أمثالكم معناه نهلككم ونستبدل قومًا غيركم، وقيل نمسخكم قردة وخنازير وننشئكم معناه نبعثكم بعد هلاككم وفيما لا تعلمون معناه ننشئكم في خلقة لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه فمعنى الآية أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم ففيها تهديد واحتجاج على البعث **﴿فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾** تحضيض على التذكير والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة وفي هذا دليل على صحة القياس **﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾** المراد بالزراعة هنا إنبات ما يزرع وتمام خلقته لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدّعيه غيره قال رسول الله ﷺ: «لا يقولنّ أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت» والمراد بالحرث قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها وقد يقال لهذا زرع ومنه قوله يعجب الزراع **﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾** الحطام اليابس المفتّت وقيل معناه تبن بلا قمح فظلتم تفكهون أي تطرحون الفاكهة وهي المسرّة يقال رجل فكه إذا كان مسرورًا منبسط النفس ويقال تفكّه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينًا لأن صيغة تفاعل تأتي لزوال الشيء كقولهم تحرّج وتأثّم إذا زال عنه الحرج والإثم فالمعنى صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطامًا وقد عبّر بعضهم عن تفكهون بأن معناه تتفجعون وقيل تندمون وقيل تعجبون وهذه معانٍ متقاربة والأصل ما ذكرنا **﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾** تقديره تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطامًا والمغرم المعذب لأن الغرام هو أشدّ العذاب ويحتمل أن يكون من الغرم أي مثقلون بما غرمنا من

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا

النفقة على الزرع والمحروم الذي حرمه الله الخير ﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾ هي السحاب، والأجاج الشديد الملوحة، فإن قيل لم تثبت اللام في قوله لو نشاء لجعلناه حطامًا وسقطت في قوله لو نشاء جعلناه أجاجًا؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أغنى إثباتها أولاً عن إثباتها ثانيًا مع قرب الموضعين والآخر أن هذه اللام تدخل للتأكيد فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب لأن الإنسان لا يشرب إلاّ بعد أن يأكل ﴿النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي تقدحونها من الزناد والزناد قد يكون من حجرين ومن حجر وحديدة ومن شجر وهو المرخ والعلماء والعفار ولمّا كانت عادة العرب في زنادهم من شجر، قال الله تعالى: ﴿أَأَنتُم أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ أي الشجرة التي تزند النار منها وقيل أراد بالشجرة نفس النار كأنه يقول نوعها أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك وهذا بعيد ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أي تذكّر بنار جهنم ﴿وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ المتاع ما يتمتع به ويحتمل المقوين أن يكون من الأرض القواء وهي الفيافي ومعنى المقوين الذين دخلوا في القواء ولذلك عبّر ابن عباس عنه بالمسافرين ويحتمل أن يكون من قولهم أقوى المنزل إذا خلا فمعناه الذين خلت بطونهم أو موائدهم من الطعام ولذلك عبّر بعضهم عنه بالجائعين ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ لا في هذا الموضع وأمثاله زائدة وكأنها زيدت لتأكيد القسم أو لاستفتاح الكلام نحو ألا وقيل هي نافية لكلام الكفّار كأنه يقول لا صحة لما يقول الكفّار وهذا ضعيف والأول أحسن لأن زيادة لا كثيرة معروفة في كلام العرب ومواقع النجوم فيه قولان أحدهما قال ابن عباس إنها نجوم القرآن إذ نزل على النبي ﷺ مقطّعًا بطول عشرين سنة فكل قطعة منه نجم والآخر قول كثير من المفسّرين أن النجوم الكواكب ومواقعها مغاربها ومساقطها، وقيل مواضعها من السماء وقيل انكدارها يوم القيامة ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه وقوله لو تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته فهو اعتراض في اعتراض، والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو مواقع النجوم وجواب القسم إنه لقرآن كريم وأعاد الضمير على القرآن لأن المعنى يقتضيه أو لأنه مذكور على قول من قال إن مواقع النجوم نزول القرآن ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي مصون والمراد بهذا الكتاب المكنون المصاحف التي كتب فيها القرآن أو صحف القرآن التي بأيدي الملائكة عليهم

ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ

السلام ﴿لاَّ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ الضمير يعود على الكتاب المكنون، ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله إلاّ أن هذا ضعيف لوجهين أحدهما: أن مسّ الكتاب حقيقة ومسّ القرآن مجاز، والحقيقة أولى من المجاز والآخر أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذكور فإذا قلنا إنه يعود على الكتاب المكنون فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الملائكة، فالمطهرون يراد بهم الملائكة لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب والآية إخبار بأنه لا يمسّه إلاّ هم دون غيرهم؛ وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الناس، فيحتمل أن يريد بالمطهرين المسلمين، لأنهم مطهرون من الكفر أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر وهي الجنابة أو الحيض، فالطهارة على هذا الاغتسال أو المطهرين من الحدث الأصغر، فالطهارة على هذا الوضوء ويحتمل أن يكون قوله لا يمسّه خبرًا أو نهيًا على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهيًا وقال لو كان نهيًا لكان بفتح السين وقال المحقّقون: إن النهي يصحّ مع ضمّ السين لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزومًا أو اتصل به ضمير المفرد المذكر ضمّ عند التقاء الساكنين إتباعًا لحركة الضمير وإذا جعلناه خبرًا فيحتمل أن يقصد به مجرّد الإخبار أو يكون خبرًا بمعنى النهي وإذا كان لمجرّد الإخبار فالمعنى أنه لا ينبغي أن يمسّه إلاّ المطهّرون أي هذا حقّه وإن وقع خلاف ذلك واختلف الفقهاء فيمَن يجوز له مسّ المصحف على حسب الاحتمالات في الآية، فأجمعوا على أنه لا يجوز أن لا يمسّه كافر لأنه إن أراد بالمطهّرين المسلمين، فذلك ظاهر وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك وأما الحدث ففيه ثلاثة أقوال: الأول أنه لا يجوز أن يمسّه الجُنُب ولا الحائض ولا المُحدِث حدثًا أصغر وهو قول مالك وأصحابه ومنعوا أيضًا أن يحمله بعلاقة أو وسادة وحجّتهم الآية على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر وقد احتجّ مالك في الموطأ بالآية على المسألة ومن حجتهم أيضًا كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم أن لا يمسّ القرآن إلاّ طاهر، الثاني أنه يجوز مسّه للجنب والحائض والمحدث حدثًا أصغر وهو مذهب أحمد بن حنبل والظاهرية وحملوا المطهرون على أنهم المسلمون والملائكة أو جعلوا لا يمسّه لمجرد الإخبار، والقول الثالث أنه لا يجوز مسّه بالحدث الأصغر دون الأكبر ورخّص مالك في نفسه على غير وضوء للمعلم والصبيان لأجل المشقّة. واختلفوا في قراءة الجنب للقرآن فمنعه الشافعي وأبو حنيفة مطلقًا وأجازه الظاهرية مطلقًا، وأجاز مالك قراءة الآية اليسيرة. واختلف في قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب فعن مالك في ذلك روايتان، وفرّق بعضهم بين اليسير والكثير

تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا

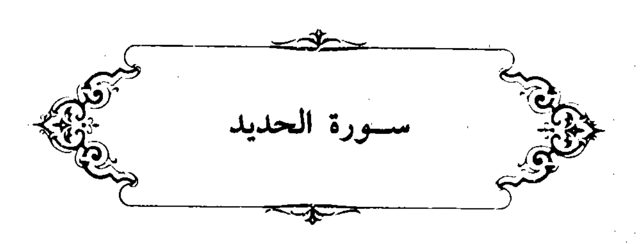
﴿أَفَبِهَٰذَا الحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ هذا خطاب للكفّار، والحديث المُشار إليه هو القرآن، ومدهنون معناه متهاونون وأصله من المداهنة وهي لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن قال ابن عباس معناه مكذبون ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال ابن عطية أجمع المفسّرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر إنه نزل بنوء كذا وكذا، والمعنى تجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف شكر لدلالة المعنى عليه وقرأ علي بن أبي طالب وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وكذلك قرأ ابن عباس إلاّ أنه قرأ تكذبون بضمّ التاء والتشديد كقراءة الجماعة وقراءة علي بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب أي يكذبون في قولهم نزل المطر بنوء كذا ومن هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب وكافر بي مؤمن بالكوكب فأما مَن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما مَن قال مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب». والمَنهي عنه في هذا الباب أن يعتقد أن للكوكب تأثيرًا في المطر وأما مراعاة العوائد التي أجراها الله تعالى فلا بأس به لقوله ﷺ: «إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة»، وقد قال عمر للعباس وهما في الاستسقاء كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يقولون إنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعًا، قال ابن الطيب فما مضت سبع حتى مطروا، وقيل إن معنى الآية تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبي ﷺ فإنهم كانوا يقولون إن آمنّا به حرمنا الله الرزق، كقولهم إن نتّبع الهدى معك نتخطف من أرضنا فأنكر الله عليهم ذلك وإعراب أنكم على هذا القول مفعول بتجعلون على حذف مضاف تقديره تجعلون سبب رزقكم التكذيب ويحتمل أن يكون مفعولاً من أجله تقديره تجعلون رزقكم حاصلاً من أجل أنكم تكذبون، وأما على القول الأول فإعراب أنكم تكذبون مفعول لا غير ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ لولا هنا عرض والضمير في بلغت للنفس لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وبلوغها للحلقوم حين الموت والفعل الذي دخلت عليه لولا هو قوله ترجعونها أي هلاّ رددتم النفس حين الموت، ومعنى الآية احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم لأنهم إذا حضر أحدهم الموت لم يقدروا أن يردّوا روحه إلى جسده، وذلك دليل على أنهم عبيد مقهورون ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ هذا خطاب لمن يحضر الميت من أقاربه وغيرهم، يعني تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يحتمل أن يريد قرب نفسه تعالى بعلمه واطّلاعه أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح فيكون من قرب المسافة ﴿وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ﴾ إن أراد بقوله نحن أقرب

تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾

الملائكة فقوله لا تبصرون من رؤية العين، وإن أراد نفسه تعالى فهو من رؤية القلب **﴿فَلَوْلاَ إن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** لولا هنا عرض كالأولى وكرّرت للتأكيد والبيان لما طال الكلام والفعل الذي دخلت عليه لولا الأولى والثانية قوله ترجعونها أي هلاّ رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وغير مربوبين ومقهورين فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين في كفركم وترتيب الكلام فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فارجعوا إن كنتم صادقين **﴿فَأَمَّا إن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾** الضمير في كان للمتوفى وكرّر هنا ما ذكره في أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فالمراد بالمقربين هنا السابقون المذكورون هناك **﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾** الروح الاستراحة وقيل الرحمة رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قرأ فروح بضم الراء ومعناه الرحمة وقيل الخلود أي بقاء الروح وأما الريحان فقيل إنه الرزق وقيل الاستراحة وقيل الطيب وقيل الريحان المعروف وفي قوله روح وريحان ضرب من ضروب التجنيس **﴿فَسَلاَمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾** معنى هذا على الجملة نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم والسلام هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو التحيّة والخطاب في ذلك يحتمل أن يكون للنبي ﷺ أو لأحد من أصحاب اليمين فإن كان للنبي ﷺ فالسلام بمعنى السلامة والمعنى سلام لك يا محمد منهم أي لا ترى منهم إلاّ السلامة من العذاب وإن كان الخطاب لأحد من أصحاب اليمين فالسلام بمعنى التحيّة والمعنى سلام لك أي تحيّة لك يا صاحب اليمين من إخوانك وهم أصحاب اليمين أي يسلّمون عليك فهو كقوله إلاّ قيلاً سلامًا سلامًا أو يكون بمعنى السلامة والتقدير سلامة لك يا صاحب اليمين ثم يكون قوله من أصحاب اليمين خبر ابتداء مضمر تقديره أنت من أصحاب اليمين **﴿وَأَمَّا إن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾** يعني الكفّار وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة **﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾** النزل أول شيء يقدّم للضيف **﴿إنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾** الإشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من أحوال الخلق في الآخرة وحق اليقين معناه الثابت من اليقين. وقيل إن الحق واليقين بمعنى واحد فهو من إضافة الشيء إلى نفسه كقوله مسجد الجامع واختار ابن عطية أن يكون كقولك في أمر تؤكده هذا يقين اليقين أو صواب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب **﴿فَسَبِّحْ**

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾

بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت سبّح اسم ربّك الأعلى قال عليه السلام: «اجعلوها في سجودكم» فلذلك استحبّ مالك وغيره أن يقول في السجود سبحان ربّي الأعلى وفي الركوع سبحان ربّي العظيم وأوجبه الظاهرية ويحتمل أن يكون المعنى تسبيح الله بذكر أسمائه والاسم هنا جنس الأسماء والتعظيم صفة للربّ أو يكون الاسم هنا واحدًا والعظيم صفة له وكأنه أمره أن يسبّح بالاسم الأعظم ويؤيّد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد بها وفي أولها التسبيح وجملة من أسماء الله وصفاته، قال ابن عباس اسم الله العظيم الأعظم موجود في ستّ آيات من أول سورة الحديد، ورُوِيَ أن الدعاء عند قراءتها مُستجاب.



سورة الحديد

مدنية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ هذا التسبيح المذكور هنا وفي أوائل سائر السور المسبّحات يحتمل أن يكون حقيقة أو أن يكون بلسان الحال لأن كل ما في السمٰوات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته والأول أرجح لقوله: ﴿ولَكِن لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُم﴾ [الإسراء: ٤٤] وذكر التسبيح هنا وفي الحشر والصفّ بلفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع، وكل واحد منهما يقتضي الدوام ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ أي ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية ﴿والظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ أي الظاهر للعقول بالأدلّة والبراهين الدالّة على الباطن الذي لا تدركه الأبصار أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كُنه ذاته وقيل الظاهر العالي على كل شيء فهو من قولك ظهرت على الشيء إذا علوت عليه، والباطل الذي بطن كل شيء أي علم باطنه، والأول أظهر وأرجح ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدلّ على أنه تعالى جامع لها مع اختلاف معانيها وفي ذلك مطابقة

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ

لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان **﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾** قد ذكر وكذلك ما بعده **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾** يعني أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته. وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك **﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾** ذكر في الحج ولقمان **﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾** يعني الإنفاق في سبيل الله وطاعته، ورُوِيَ أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك وعلى هذا رُوِيَ أن قوله: **﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟﴾** نزلت في عثمان بن عفّان رضي الله عنه، فإنه جهّز جيش العسرة يومئذ ولفظ الآية مع ذلك عامّ وحكمها باقٍ، لجميع الناس وقوله: **﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾** يعني أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله لأنه خلقها ولكنه متّعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرّف فيها فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه ويحتمل أن يكون جعلكم مستخلفين عمّن كان قبلكم فورثتم عنه الأموال فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمَن بعدكم كما خلفها لكم مَن كان قبلكم، والمقصود على كل وجه تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا **﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾** معناه أيّ شيء يمنعكم من الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة فقوله ما لكم استفهام يُراد به الإنكار ولا تؤمنون في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه ما لكم والواو في قوله والرسول يدعوكم واو الحال **﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾** يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدّي إلى الإيمان، أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى **﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍ﴾** يعني سيدنا محمّدًا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم والعبودية هنا للتشريف والاختصاص والآيات هنا القرآن **﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾** الآية: معناه أيّ شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله

أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ

والله يرث ما في السمٰوات والأرض إذا فني أهلها ففي ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا ﴿**لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ**﴾ الفتح هنا فتح مكة، وقيل صلح الحديبية، والأول أظهر وأشهر، ومعنى الآية التفاوت في الأجر والدرجات بين مَن أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة وبين مَن أنفق وقاتل بعد ذلك فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفًا والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشدّ ويؤخذ من الآية أن مَن أنفق في شدّة أعظم أجرًا ممّن أنفق في حال الرخاء وفي الآية حذف دلّ عليه الكلام تقديره لا يستوي منكم مَن أنفق من قبل الفتح وقاتل مع مَن أنفق من بعد الفتح وقاتل ثم حذف ذلك لدلالة قوله أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وفي هذا المعنى قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا تسبّوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»، يعني السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار وخاطب بذلك مَن جاء بعدهم من سائر الصحابة، ويدخل في الخطاب كلّ مَن يأتي إلى يوم القيامة ﴿**وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**﴾ أي كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة ﴿**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾ ذكر في البقرة ﴿ **يَوْمَ تَرَى**﴾ العامل في الظرف أجر كريم أو تقدير اذكر ﴿**يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبِأَيْمَانِهِمْ**﴾ قيل إن هذا النور استعارة يُراد به الهدى والرضوان والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة وقد رُوِيَ ذلك عن رسول الله ﷺ فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يُضيء قدّامهم وعن يمين كل واحد منهم وقيل يكون أصله في أيمانهم يحملونه فينبسط نوره قدّامهم، ورُوِيَ أن نور كل أحد على قدر إيمانه فمنهم مَن يكون نوره كالنخلة ومنهم مَن يضيء ما قرب من قدميه، ومنهم مَن يضيء مرة ويهمّ بالإطفاء مرة، قال ابن عطية ومن هذه الآية أخذ الناس مشي المعتق بالشمعة قدّام معتقه إذا مات ﴿**بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ**﴾ أي يقال لهم ذلك ﴿**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ من نُّورِكُمْ**﴾ يوم بدل من يوم ترى أو متعلق بالفوز العظيم أو بمحذوف تقديره اذكر ومعنى الآية أن كل مؤمن مُظهِر للإيمان يعطى يوم

وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ

القيامة نورًا فيبقى نور المؤمنين وينطفىء نور المنافقين فيقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم أي نأخذ منه ونستضيء به ومعنى انظرونا انتظرونا وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف والمنافقون ليسوا كذلك ويحتمل أن يكون من النظر أي انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاؤوا بنورهم ولكن يضعف هذا لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدّى بإلى وقرىء أنظرونا بهمزة قطع ومعناه أخّرونا أي أمهلونا في مشيكم حتى نلحقكم ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو قول الملائكة ومعناه الطّرد للمنافقين والتهكّم بهم لأنهم قد علموا أن ليس وراءهم نور، ووراءكم ظرف العامل فيه ارجعوا وقيل إنه لا موضع له من الإعراب وأنه كما لو قال ارجعوا ومعنى هذا الرجوع ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان أو ارجعوا خائبين وتنحّوا عنّا فالتمسوا نورًا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾ أي ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه وقيل إن هذا السور هو الأعراف وهو سور بين الجنة والنار وقيل هو الجدار الشرقي من بيت المقدس وهذا بعيد ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ باطنه هو جهة المؤمنين وظاهره هو جهة المنافقين وهي خارجة كقوله ظاهر المدينة أي خارجها والضمير في باطنه وظاهره يحتمل أن يكون للسور أو للباب والأول أظهر ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي ينادي المنافقين المؤمنين فيقولون لهم ألم نكن معكم في الدنيا يريدون إظهارهم الإيمان ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي أبطأتم بإيمانكم وقيل تربصتم الدوائر بالنبي ﷺ وبالمسلمين ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي شككتم في الإيمان ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ﴾ أي طول الأمل والتمني ومن ذلك أنهم كانوا يتمنّون أن يهلك النبي ﷺ والمؤمنين أو يهزمون إلى غير ذلك من الأماني الكاذبة ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي الفتح وظهور الإسلام أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب ﴿الْغَرُورُ﴾ هو الشيطان ﴿هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾ أي هي أولى بكم وحقيقة المولى الوليّ الناصر فكأن هذا استعارة منه أي لا وليّ لكم تأوون إليه إلاّ النار ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ معنى ألم يأن: ألم يحن.

قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ

يقال أنى الأمر إذا حان وقته، وذكر الله يحتمل أن يريد به القرآن أو الذكر أو التذكير بالمواعظ وهذه آية موعظة وتذكير قال ابن عباس: عُوتِبَ المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن وسمع الفضيل بن عياض قارئًا يقرأ هذه الآية فقال قد آن فكان سبب رجوعه إلى الله وحُكِيَ أن عبد الله بن المبارك أخذ العود في صباه ليضربه فنطق بهذه الآية فكسره ابن المبارك وتاب إلى الله ﴿**وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ**﴾ عطف ولا يكونوا على أن تخشع ويحتمل أن يكون نهيًا والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارى ﴿**فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ**﴾ أي مدّة الحياة وقيل انتظار القيامة، وقيل انتظار الفتح والأول أظهر ﴿**اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ أي يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات، وقيل إنه تمثيل للقلوب أي يُحيي الله القلوب بالمواعظ كما يُحيي الأرض بالمطر، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين ندبوا إلى أن تخشع قلوبهم، والأول أظهر وأرجح لأنه الحقيقة ﴿**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ**﴾ بتشديد الصاد من الصدقة وأصله المتصدقين، وكذلك قرأ أُبيّ بن كعب وقرىء بالتخفيف من التصديق أي صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام، ﴿**وَأَقْرَضُوا اللَّهَ**﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال إن الذين تصدقوا وأقرضوا، وقد ذكرنا معنى أقرضوا في قوله مَن ذَا الذي يقرض الله ﴿**الصِّدِّيقُونَ**﴾ مبالغة من الصدق أو من التصديق، وكونه من الصدق أرجح لأن صيغة فعيل لا تبنى إلاّ من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حُكِيَ بناؤها من رباعي كقولهم رجل مسيك من أمسك ﴿**وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ يحتمل أن يكون الشهداء مبتدأ وخبره ما بعده، أو يكون معطوفًا على الصدّيقين، فإن كان مبتدأ ففي المعنى قولان: أحدهما أنه جمع شهيد في سبيل الله فأخبر أنهم عند ربّهم لهم أجرهم ونورهم والآخر أنه جمع شاهد، ويراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم يشهدون على قومهم، وإن كان معطوفًا ففي المعنى قولان، أحدهما: أنه جمع شهيد فوصف الله المؤمنين بأنهم صدّيقون وشهداء: أي جمعوا الوصفين، ورُوِيَ في هذا المعنى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «مؤمنو أُمّتي شهداء» وتلا هذه الآية، والآخر أنه جمع شاهد لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله

وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا

لتكونوا شهداء على الناس ﴿**لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾ هذا خبر عن الشهداء خاصّة إن كان مبتدأ أو خبر عن المؤمنين إن كان الشهداء معطوفًا، ونورهم هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة حسبما ذكر في هذه السورة، وقيل هو عبارة عن الهدى والإيمان، ﴿**كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**﴾ الآية معناها تشبيه الدنيا بالزرع الذي يُنبته الغيث في سرعة تغيّره بعد حُسْنه وتحطّمه بعد ظهوره والكفّار هنا يراد به الزرّاع فهو من قوله كفرت الحبّ إذا سترته تحت الأرض وخصّهم بالذّكر لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يعجب، وقيل أراد الكفّار بالله وخصّهم بالذّكر لأنهم أشدّ إعجابًا بالدنيا وأكثر حرصًا عليها ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ أي سابقوا إلى الأعمال التي تستحقّون بها المغفرة، فقيل المعنى كونوا في أول صف من القتال، وقيل احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام، وقيل كونوا أول داخل إلى المسجد، وأول خارج منه وهذه أمثلة، والمعنى العامّ المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات وقد استدلّ بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ السماء هنا يراد به جنس السمٰوات بدليل قوله في آل عمران، وقد ذكرنا هناك معنى عرضها.

﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا**﴾ المعنى أن الأمور كلها مقدّرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون، قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر وقيل أراد به المصيبة في العُرْف وهو ما يصيب من الشرّ وخصّ ذلك بالذكر لأنه أهمّ على الناس وفي الأرض يعني القحوط والزلازل وغير ذلك وفي أنفسهم يعني الموت، والمرض، والفقر،

إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً

وغير ذلك ونبرأها معناه نخلقها والضمير يعود على المصيبة أو على أنفسكم أو على الأرض، وقيل يعود على جميعها لأن المعنى صحيح في كلها **﴿لِكَيلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾** المعنى فعل الله ذلك وأخبركم به لكيلا تسلموا لقضاء الله ولا تكترثوا بأمور الدنيا، ومعنى لا تأسوا لا تحزنوا أي فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا فيها وقرأ الجمهور بما آتاكم بالمدّ أيّ بما أعطاكم الله من الدنيا، وقرأ أبو عمرو بما أتاكم بالقصر أي بما جاءكم من الدنيا فإن قيل إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر كما قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه لما أتي بمال كثير اللّهمّ إنّا لا نستطيع إلاّ أن نفرح بما زيّنت لنا، فالجواب: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يُخرِج عن الصبر والتسليم **﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾** المختال صاحب الخيلاء والفخور شديد الفخر على الناس **﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾** بدل من كل مختال فخور أو خبر ابتداء مضمر تقديره هم الذين أو منصوب بإضمار أعني أو مبتدأ وخبره محذوف **﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾** الكتاب هنا جنس الكتاب والميزان العدل وقيل الميزان الذي يوزن به ورُوِيَ أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح وقال له مُرْ قومك يَزِنُوا به **﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾** خبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال وقيل بل أنزله حقيقة لأن آدم نزل من الجنة ومعه المِطرَقة والإبرة **﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾** يعني أنه يعمل منه سلاح للقتال ولذلك قال وليعلّم الله مَن ينصره ورسله والمنافع للناس سكك الحرث والمسامير وغير ذلك **﴿فَمِنْهُم مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾** أي من ذرّيّة نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم و**﴿قَفَّيْنَا﴾** ذكر في البقرة **﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾** هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم في بعض كما وصف أصحاب سيّدنا

﴿ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ﴾

محمد ﷺ، بأنهم رُحماء بينهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية هي الانفراد في الجبال والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا ومعنى ابتدعوها أي أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم، وإعراب رهبانية معطوف على رأفة ورحمة أي جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية وابتدعوها صفة للرهبانية والجعل هنا بمعنى الخلق والمعتزلة يعربون رهبانية مفعولاً بفعل مضمر يفسّره ابتدعوها لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله فأعربوها على مذهبهم وكذلك أعربها أبو علي الفارسي وذكر الزمخشري الوجهين ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ كتبنا هنا بمعنى فرضنا وشرعنا وفي هذا قولان: أحدهما أن الاستثناء منقطع والمعنى ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله والآخر أن الاستئناف متصل والمعنى كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله والأول أرجح لقوله: ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ ولقراءة عبد الله بن مسعود ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي لم يدوموا عليها ولم يحافظوا على الوفاء بها يعني أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم والضمير في رعوها للذين ابتدعوا الرهبانية وكان يجب عليهم إتمامها وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالى عليهم، لأن مَن دخل في شيء من النوافل يجب عليه إتمامه وقيل الضمير لمَن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ إن قيل كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا ينبغي فالجواب من وجهين: أحدهما أن معنى آمنوا دوموا على الإيمان واثبتوا عليه والآخر أنه خطاب لأهل الكتاب فالمعنى يا أيها الّذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ويؤيّد هذا قوله يؤتكم كفلين من رحمته أي نصيبين، وقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ثلاثة يؤتون أجْرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بي الحديث ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يحتمل أن يريد النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة أو يكون عبارة عن الهدى ويؤيّد الأول أنه مذكور في هذه السورة، ويؤيّد الثاني قوله: وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ لا في قوله لئلا زائدة، والمعنى ليعلم أهل الكتاب

ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

وكذلك قرأها ابن عباس وقرأ ابن مسعود لكيلا يعلم، والمعنى إن كان الخطاب لأهل الكتاب يا أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدروا على شيء من فضل الله الذي وعد مَن آمن منكم، وهو تضعيف الأجْر والنور والمغفرة، لأنهم لم يسلموا. فلم ينالوا شيئًا من ذلك، وإن كان الخطاب للمسلمين، فالمعنى: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئًا مما أعطى الله المسلمين من ضعيف الأجْر والنور والمغفرة، وقد رُوِيَ في سبب نزول الآية: أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية في الردّ عليهم، وهو يقوّي هذا القول، ورُوِيَ أيضًا أن سببها أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجْرَهم مرتين فنزلت الآية مُعلمة أن المسلمين مثلهم في ذلك.

سورة المجادلة

مدنية وآياتها ٢٢ نزلت بعد المنافقون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ نزلت الآية في خولة بنت حكيم، وقيل خولة بنت ثعلبة، وقيل خولة بنت خويلد، وقيل اسمها جميلة وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت فظاهر منها وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريمًا مؤبّدًا فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أوسًا أكل شبابي ونشرت له بطني فلما كبرت ومات أهلي ظاهر منّي، فقال رسول الله ﷺ: «ما رأيتك إلاّ قد حرمت عليه»، فقالت: يا رسول الله لا تفعل إني وحيدة ليس لي أهل سواه فراجعها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بمثل مقالته فراجعته، فهذا هو جدالها ﴿وتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ كانت تقول اللّهمَّ إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري، ورُوِيَ أنها كانت تقول اللّهمَّ إن لي منه صبية صغارًا إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا ﴿واللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ المحاورة هي المراجعة في الكلام قالت عائشة رضي

وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ

الله عنها: سبحان مَن وسَعَ سمعه الأصوات لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى عليّ وسمع الله كلامها، ونزل القرآن في ذلك فبعث رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم إلى زوجها وقال له أتعتق رقبة، فقال والله ما أملكها فقال أتصوم شهرين متتابعين، فقال والله ما أقدر، فقال له أتطعم ستّين مسكينًا، فقال لا أجد إلاّ أن يعينني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمعونة وصلاة يريد الدعاء فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعًا وقيل بثلاثين صاعًا ودعا له فكفّر بالإطعام وأمسك زوجته **﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم﴾** قرىء يظاهرون بألف بعد الظاء وبحذفها وبالتشديد والتخفيف والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار، والظهار المجمع عليه هو أن يقول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أُمي ويجري مجرى ذلك عند مالك تشبيه الزوجة بكل امرأة مُحَرّمة على التأبيد كالبنت والأُخت وسائر المُحَرّمات بالنسب والمُحَرّمات بالرّضاع والمصاهرة سواء ذكر لفظ الظهر أو لم يذكره كقوله أنتِ عليّ كأُمّي أو كبطن أُمّي أو يدها أو رِجلها خلافًا للشافعي فإن ذلك كله عنده ليس بظهار لأنه وقف عند لفظ الآية وقاسَ مالك عليها لأنه رأى أن المقصد تشبيه حلال بحرام **﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾** ردّ الله بهذا على مَن كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة وأخبر تعالى أن تصير الزوجة أُمًّا باطل فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة **﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾** أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور فالمنكر هو الذي لا تُعرَف له حقيقة والزّور هو الكذب وإنما جعله كذبًا لأن المظاهر يصير امرأته كأُمّه وهي لا تصير كذلك أبدًا والظهار محرّم ويدلّ على تحريمه أربعة أشياء أحدها قوله تعالى: **﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾** فإن ذلك تكذيب للمُظاهر والثاني أنه سمّاه منكرًا والثالث أنه سمّاه زورًا والرابع قوله: **﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾** فإن العفو والمغفرة لا تقع إلاّ عن ذنب وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفّارة **﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾** اختلف الناس في معنى قوله ثم يعودون لما قالوا على ستّة أقوال الأول أنه إيقاع الظهار في الإسلام فالمعنى أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية فإذا فعلوه في الإسلام فذلك عَوْد إليه هذا قول ابن قتيبة فتجب الكفّارة عنده بنفس الظهار بخلاف أقوال غيره فإن الكفّارة لا تجب إلاّ بالظهار والعَوْد معًا. الثاني أن العَوْد هو وطأ الزوجة رُوِيَ ذلك عن مالك فلا تَجب الكفّارة على هذا حتى يطأ فإذا وطىء وجبت عليه الكفّارة سواء أمسك المرأة أو طلّقها أو ماتت الثالث أن العود هو العزم على الوطىء ورُوِيَ هذا أيضًا عن مالك فإذا عزم على الوطء وجبت الكفّارة سواء أمسك المرأة أو طلّقها أو ماتت. الرابع أن العود هو العزم على الوطىء وعلى إمساك

يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ

الزوجة وهذا أصحّ الروايات عن مالك. الخامس أنه العزم على الإمساك خاصّة وهذا مذهب الشافعي فإذا ظاهر ولم يطلّقها بعد الظهار وجبت الكفّارة، السادس أنه تكرار الظهار مرة أخرى وهذا مذهب الظاهرية وهو ضعيف لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكمًا في أول مرة وإنما يوجب في الثانية وإنما نزلت الآية فيمَن ظاهر أول مرة فذلك يردّ عليهم ويختلف معنًى لما قالوا باختلاف هذه الأقوال فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية فما مصدرية والمعنى يعودون لقولهم وأما على سائر الأقوال فما بمعنى الذي والمعنى يعودون للوطء الذي حرّموه أو للعزم عليه أو للإمساك الذي تركوه أو للعزم عليه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ جعل الله الكفّارة في الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني فالأول تحرير رقبة والثاني صيام شهرين متتابعين والثالث إطعام ستّين مسكينًا فأما الرقبة فاشترط مالك أن تكون مؤمنة لأن مذهبه حمل المطلق على المقيّد وجاءت هنا مطلقة وجاءت في كفّارة القتل مقيّدة بالإيمان وأما صيام الشهرين فاشترط فيه التتابع فإن أفسد الصائم التتابع باختياره ابتدأه من أوله باتفاق وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك يبني على ما كان فيه وقال أبو حنيفة يبتدىء، ورُوِيَ القولان عن الشافعي، وأما الإطعام فمشهور مذهب مالك أنه مدّ لكل مسكين بمدّ هشام واختلف في مدّ هشام فقيل إنه مدّان غير ثلث بمدّ النبي ﷺ، وقيل إنه مدّ وثلث، وقيل إنه مدّان وقال الشافعي وابن القصّار يطعم مدًّا بمدّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لكل مسكين ولا يجزيه إلاّ كمال عدد الستّين فإن أطعم مسكينًا واحدًا ستّين يومًا لم يجزه عند مالك والشافعي خلافًا لأبي حنيفة وكذلك إن أطعم ثلاثين مرتين والطعام يكون من غالب قوت البلد ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئًا من ذلك حتى يكفر. وقال الحسن والثوري أراد الوطء خاصّة فأباحا ما دونه قبل الكفّارة وذكر الله قوله من قبل أن يتماسّا في التحريم والصوم ولم يذكره في الإطعام فاختلف العلماء في ذلك فحمل مالك الإطعام على ما قبله، ورأى أنه لا يكون إلاّ قبل المسيس وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل على المقيّد، وقال أبو حنيفة يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفّارة لأن الله لم ينصّ في الإطعام أنه قبل المسيس ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عطية الإشارة إلى الرخصة في النقل من

لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا أَحْصَىٰهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ

التحرير إلى الصوم وقال الزمخشري المعنى ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا، وهذا أظهر لأنه أعمّ **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾** أي يخالفون ويعادون **﴿كُبِتُوا﴾** أي هلكوا وقيل لُعِنوا وقيل كبت الرجل إذا بقي خزيانًا ونزلت الآية في المنافقين واليهود **﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾** يحتمل أن يكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفيّ فيكون ثلاثة مضاف إليه بمعنى الجماعة من الناس فيكون ثلاثة بدل أو صفة، والأول أحسن **﴿إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾** يعني بعلمه وإحاطته وكذلك سادسهم، وهو معهم أينما كانوا **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾** نزل في قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك فعادوا، وقيل نزلت في المنافقين، والأول أرجح لقوله: **﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾** لأن هذا من فعل اليهود والأحسن أن المراد والمنافقين معًا لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: ١٤] فنزلت الآية في الطائفتين **﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾** كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيقولون السام عليك يا محمد بدلاً من السلام عليكم والسام الموت وهو ما أرادوه بقولهم وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول لهم: «وعليكم» فسمعتهم عائشة يومًا فقالت بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة إن الله يكره الفحش والتفحّش»، فقالت أما سمعت ما قالوا قال: «أما سمعت ما قلت لهم إني قلت وعليكم» ويريد بقوله ما لم يحيّك به الله قوله تعالى: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ **﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾** كانوا يقولون لو كان نبيًا لعذّبنا الله بإذايته فقال الله **﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾**

مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

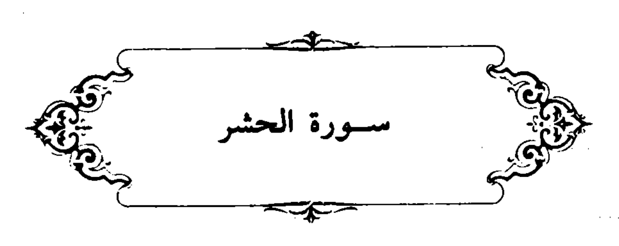
أي يكفيهم ذلك عذابًا **﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** قيل يعني النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وحذف وصفها بذلك لدلالة الأول عليه وقيل أراد نجوى اليهود والمنافقين ويؤيّد هذا قوله ليجزي الذين آمنوا **﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾** اختلف في سبب نزول الآية فقيل نزلت في مقاعد الحرب والقتال وقيل نزلت بسبب ازدحام الناس، في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم على القرب منه وقيل أقام النبي ﷺ، قومًا ليجلس أشياخًا من أهل بدر في مواضعهم، فنزلت الآية ثم اختلفوا هل هي مقصورة على مجلس النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أو هي عامّة في جميع المجالس، فقال قوم إنها مخصوصة ويدلّ على ذلك قراءة المجلس بالإفراد، وذهب الجمهور إلى أنها عامّة ويدلّ على ذلك قراءة المجالس بالجمع وهذا هو الأصح ويكون المجلس بالإفراد على هذا للجنس والتفسيح المأمور به هو التوسّع دون القيام ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لا يقم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه ولكن تفسّحوا وتوسّعوا» وقد اختلف في هذا النهي عن القيام من المجلس لأحد هل هو على التحريم أو الكراهة **﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾** أي يوسع لكم في جنته ورحمته **﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾** أي إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك واختلف في هذا النشوز المأمور به فقيل إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة، وقيل إذا أُمروا بالقيام من مجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، لأنه كان يحبّ الانفراد أحيانًا وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام، وقيل المراد القيام في المجلس للتوسّع **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** فيها قولان أحدهما يرفع الله المؤمنين العلماء درجات فقوله والذين أوتوا العلم درجات صفة للذين آمنوا كقوله جاءني العاقل الكريم وأنت تريد رجلاً واحدًا، والثاني يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعًا درجات فالدرجات على الأول للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء وعلى الثاني للمؤمنين الذين ليسوا علماء، وللعلماء أيضًا ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يوجد في موضع آخر كقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «فضل العالِم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً»، وقوله عليه السلام: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فإذا كان لهم فضل على العابدين

خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ

والشهداء، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين» **﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾** قال ابن عباس سببها أن قومًا من شبّان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ في غير حاجة، لتظهر منزلتهم وكان النبي ﷺ سمحًا لا يردّ أحدًا، فنزلت الآية مشدّدة في أمر المناجاة، وقيل سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة النبي ﷺ وهذه الآية منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها: **﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾** الآية: فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة بعد أن كان أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا؟ فقال قوم لم يعمل بها أحد وقال قوم عمل بها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه رُوِيَ أنه كان له دينارًا فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرّات تصدّق في كل مرة منها بدرهم وقيل تصدّق في كل مرة بدينار ثم أنزل الله الرخصة لمَن كان قادرًا على الصدقة وأما مَن لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله: **﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** **﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾** التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها أو تخفيفها بعد وجوبها **﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾** أي دوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم دون ما كنتم قد كلّفتم من الصدقة عند المناجاة **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾** نزلت في قوم من المنافقين تولّوا قومًا من اليهود وهم الذين غضب الله عليهم **﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ﴾** يعني أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود فهو كقوله فيهم: **﴿مذبذبين بَيْنَ ذَٰلِكَ لا إلى هَؤُلاء ولا إلى هَؤُلاء﴾** [النساء: ١٤٣] **﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** يعني أن المنافقين كانوا إذا عُوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا وقد صدر ذلك منهم مرارًا كثيرةً هي مذكورة في السير وغيرها **﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾** أصل

ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

الجُنّة ما يستتر به ويتّقى به المحذور كالترس، ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يُظهِرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم، وقرىء اتخذوا بكسر الهمزة ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ**﴾ أي غلب عليهم وتملّك نفوسهم ﴿**فِي الأَذَلِّينَ**﴾ أي في جملة الأذلّين: أي معهم ﴿**كَتَبَ اللَّهُ**﴾ أي قضى وقدّر ﴿**لاَ تَجِدُ قَوْمًا**﴾ الآية: معناها لا تجد مؤمنًا يحبّ كافرًا ولو كان أقرب الناس إليه وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفّارًا، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أُحُد، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزير بن عمير يوم أُحُد، ودعا أبو بكر الصدّيق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي ﷺ أن يقعد، وقيل إن الآية نزلت في حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله ﷺ، والأحسن أنها على العموم، وقيل نزلت فيمن يصحب السلطان وذلك بعيد ﴿**يُوَادُّونَ**﴾ هذه مفاعلة من المودّة فتقتضي أن المودّة من الجهتين ﴿**مَنْ حَادَّ اللَّهَ**﴾ أي عاداه وخالفه ﴿**كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ**﴾ أي أثبته فيها كأنه مكتوب ﴿**وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**﴾ أي بلطف وهدى وتوفيق وقيل بالقرآن، وقيل بجبريل ﴿**أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ**﴾ هذه في مقابلة قوله أولئك حزب الشيطان، والحزب هم الجماعة المتحزّبون لمَن أُضيفوا إليه.



مدنيّة وآياتها ٢٤ نزلت بعد البيّنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ

بِسْم اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

نزلت هذه السورة في يهود بني النضير وكانوا في حصون بمقربة من المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فأرادوا غيره فأطلعه الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرّقوا في البلاد **﴿هو الَّذِي أَخرَجَ الَّذينَ كَفَرُوا﴾** يعني بني النضير **﴿لأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾** في معناه أربعة أقوال: أحدها أنه حشر القيامة أي خروجهم من حصونهم أول الحشر والقيام من القبور آخره، ورُوِيَ في هذا المعنى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لهم: «امضوا هذا أول الحشر، وأنا على الأثر»، الثاني: أن المعنى الأول موضع الحشر وهو الشام، وذلك أن أكثر بني النضير خرجوا إلى الشام، وقد جاء في الأثر أن حشر القيامة إلى أرض الشام، ورُوِيَ في هذا المعنى أن النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال لبني النضير: «اخرجوا»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر». الثالث: أن المراد الحشر في الدنيا

ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ

الذي هو الجلاء والإخراج، فإخراجهم من حصونهم أول الحشر، وإخراج أهل خيبر آخره، الرابع: أن معناه إخراجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم النبي ﷺ. وقال الزمخشري اللام في قوله لأول بمعنى عند كقولك جئت لوقت كذا ﴿**مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا**﴾ يعني لكثرة عدّتهم ومنعة حصونهم ﴿**فَأَتَاهُمُ اللَّهُ**﴾ عبارة عن أخذ الله لهم ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أما إخراب المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها، وأسند ذلك إلى الكفّار في قوله يخربون لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم، وأما إخراب الكفّار لبيوتهم فلثلاثة مقاصد: أحدها حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدّوا بها أفواه الأزقة ويحصّنوا ما خرّبه المسلمون من الأسوار، والثاني ليحملوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك. الثالث أن لا تبقى مساكنهم مبنية للمسلمين فهدموها شحًا عليها ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ**﴾ استدلّ الذين أثبتوا القياس في الفقه بهذه الآية واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها ﴿**وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا**﴾ الجلاء هو الخروج عن الوطن، فالمعنى لولا أن كتب الله على بني النضير خروجهم عن أوطانهم لعذّبهم في الدنيا بالسيف كما فعل بإخوانهم بني قريظة، ولهم مع ذلك عذاب النار ﴿**شَاقُّوا**﴾ ذكر في الأنفال ﴿**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ**﴾ اللّينة هي النخلة وقيل هي الكريمة من النخل، وقيل النخلة التي ليست بعجوة، وقيل ألوان النخل المختلط، وسبب الآية أن رسول الله ﷺ لمّا نزل على حصون بني النضير قطع المسلمون بعض نخلهم وأحرقوه فقال بنو النضير ما هذا إلاّ فساد يا محمد وأنت تنهى عن الفساد، فنزلت الآية معلّمة أن كل ما جرى من قطع أو إمساك فإن الله أذِنَ للمسلمين في ذلك ﴿**لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ**﴾ يعني بني النضير، واستدلّ بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب، فإن الله قد صوّب فعل مَن قطع النخل ومَن تركها، واختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم فأجازه الجمهور لهذه الآية، ولإقرار رسول الله ﷺ على تحريق نخل بني النضير، وكرهه قوم لوصية أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه الجيش الذي وجهه إلى الشام أن لا يقطعوا شجرًا مثمرًا ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُم فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ**

﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾

وَلاَ رِكَابٍ﴾ معنى أفاء الله: جعله فيئًا لرسول الله ﷺ، وأوجفتم من الوجيف وهو سرعة السير، والركاب هي الإبل، والمعنى أن ما أعطى الله رسوله من أموال بني النضير لم يمشِ المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه ولا حصّلوه بقتال ولكن حصل بتسليط رسوله ﷺ على بني النضير، فأعلم الله من هذه الآية أن ما أخذه من بني النضير وما أخذه من فدك: فهو فيء خاصّ بالنبي ﷺ يفعل فيه ما يشاء، لأنه لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فهما بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بالقتال فأخذ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله وقسم سائرها في المهاجرين، ولم يعطِ الأنصار منها شيئًا غير أن أبا دجانة وسهل بن حنيف شكوا فاقة فأعطاهما رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم منها سهمًا، هذا قول جماعة، وقال عمر بن الخطاب كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقي جعله في السلاح والكراع عدّة في سبيل الله وقال قوم من العلماء وكذلك كلّ ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصّة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين **﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾** الآية اضطرب الناس في تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابًا عظيمًا فإن ظاهرها أن الأموال التي تؤخذ للكفّار تكون لله وللرسول ومَن ذكر بعد ذلك ولا يخرج منها خمس، ولا تقسم على مَن حضر الوقيعة وذلك يعارض ما ورد في الأنفال من إخراج الخمس، وقسمة سائر الغنيمة على مَن حضر الوقيعة فقال بعضهم إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال وهذا خطأ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة وقال بعضهم إن آية الأنفال في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض، وأن هذه الآية في أرض الكفّار قالوا ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين، وهذا التخصيص لا دليل عليه وقيل غير ذلك، والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال، فإن آية الأنفال في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم باقيه على الغانمين، وأما هذه الآية ففي حكم الفيء وهو ما يؤخذ من أموال الكفّار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ، وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفيء وفي الأنفال

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾

لفظ الغنيمة وقد تقرّر في الفقه الفرق بين الفيء والغنيمة، وأن حكمهما مختلف، قاله أبو محمد بن الفرس: وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه وهو أظهر الأقوال وأما فعل عمر في أرض مصر والعراق، فالصحيح أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين بقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير، ولكنه حذف هذا لقوله في الآية قبل هذا ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ﴾ فاستغنى بذكر ذلك أولاً عن ذكره ثانيًا ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في هذه الجملة لأنها من تمام الأولى فهي غير أجنبية منها فإنه بيّن في الآية الأولى حكم أموال بني النضير، وبيّن في هذه الآية حكم ما كان مثلها من أموال غيرهم على العموم، ويصرف الفيء فيما يصرف فيه خمس الغنائم لأن الله سوّى بينهما في قوله ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، وقد ذكرنا ذلك في الأنفال فأغنى عن إعادته وقد ذكرنا في الأنفال معنى قوله لله وللرسول وما بعد ذلك ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ أي كيلا يكون الفيء الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء، وذلك أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قسم أموال بني النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء، ولم يعطِ الأنصار منها شيئًا فإنهم كانوا أغنياء فقال بعض الأنصار لنا سهمنا من هذا الفيْء فأنزل الله هذه الآية، والدُولة بالضم والفتح ما يدول الإنسان أي يدور عليه من الخير، ويحتمل أن يكون من المداولة أي كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ويبقى الفقراء بلا شيء ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ نزلت بسبب الفيء المذكور: أي ما أتاكم الرسول من الفيء فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، فكأنها أمر للمهاجرين بأخذ الفيء ونهي للأنصار عنه، ولفظ الآية مع ذلك عامّ في أوامر رسول الله ﷺ أو نواهيه، ولذلك استدلّ بها عبد الله بن مسعود على المنع من لُبس المحرّم المَخيط ولعن الواشمة والواصلة في القرآن لورود ذلك عن رسول الله ﷺ.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ هذا بدل من قوله لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ليبيّن بذلك أن المراد المهاجرين ووصفهم بأنهم أُخرجوا من ديارهم وأموالهم لأنهم هاجروا من مكة

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

وتركوا فيها أموالهم وديارهم ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ هم الأنصار والدار هي المدينة لأنها كانت بلدهم والضمير في قبلهم للمهاجرين، فإن قيل كيف قال تبوّؤوا الدار والإيمان وإنما تتبوّأ الدار أي تسكن ولا يتبوّأ الإيمان؟ فالجواب من وجهين: الأول أن معناه تبوؤوا الدار وأخلصوا الإيمان فهو كقولك: فعلفتها تبنًا وماءً باردًا: تقديره: علفتها تبنًا وسقيتها ماءً باردًا، الثاني أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان كله موطن لهم لتمكّنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك. فإن قيل: قوله من قبلهم يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه لأنها كانت بلدهم، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل، لأن أكثر المهاجرين أسلم قبل الأنصار. فالجواب من وجهين: أحدهما أنه أراد بقوله من قبلهم من قبل هجرتهم، والآخر أنه أراد تبوؤوا الدار مع الإيمان معًا أي جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين، لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبوّىء الدار فيكون الإيمان على هذا مفعولاً معه، وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن هذا السؤال وعن السؤال الأول، فإنه إذا كان الإيمان مفعولاً معه لم يلزم السؤال الأول، إذ لا يلزم إلاّ إذا كان الإيمان معطوفًا على الدار ﴿**وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا**﴾ قيل إنّ الحاجة هنا بمعنى الحسد، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتجاج على أصلها والضمير في يجدون للأنصار، وفي أوتوا للمهاجرين، والمعنى أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره، ولا يجدون في صدورهم شيئًا بسبب ذلك ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ**﴾ أي يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الاحتياج والخصاصة هي الفاقة. ورُوِيَ أن سبب هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه» فقالوا بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة، ورُوِيَ أيضًا أن سببها أن رجلاً من الأنصار أضاف رجلاً من المهاجرين فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته والله ما عندنا إلاّ قوت الصبيان فقال لها نوّمي صبيانك وأطفئي السراج، وقدّمي ما عندك للضيف ونوهمه نحن أنّا نأكل ولا نأكل ففعلا ذلك فلما غدا على رسول الله ﷺ فقال له عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ شُحّ النفس هو البخل

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ

والطمع وفي هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شُحّ أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم وبأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أُوتي المهاجرون وأنهم يحبون المهاجرين ﴿**وَالَّذِين جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ**﴾ جاؤوا هذا معطوف على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل فالمعنى أن الفيء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم ويعني بهم الفرقة الثالثة من الصحابة وهم من عدا المهاجرين والأنصار كالذين أسلموا يوم فتح مكة وقيل يعني مَن جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومَن تبعهم إلى يوم القيامة وعلى هذا حملها مالك فقال: إن مَن قال في أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له في الغنيمة والفيء، لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فمَن قال ضدّ ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا**﴾ الآية: نزلت في عبد الله بن أُبيّ ابن سلول وقوم من المنافقين بعثوا إلى بني النضير، وقالوا لهم اثبتوا في حصونكم فإنّا معكم كيف ما تقلّبت حالكم ﴿**وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا**﴾ أي لا نسمع فيكم قول قائل ولا نطيع مَن يأمرنا بخذلانكم ثم كذبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها، فإن قيل: كيف قال لئن نصروهم ليولنّ الأدبار بعد قوله لا ينصرونهم؟ فالجواب: إن المعنى على الفرض والتقدير أي لو فرضنا أن ينصروهم لولّوا الأدبار ﴿**لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ**﴾ الرهبة هي الخوف، والمعنى أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله ﴿**لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ**﴾ أي لا يقدرون على قتالكم مجتمعين إلاّ وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم ﴿**بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ**﴾ يعني عداوة بعضهم لبعض ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾ أي تظن أنهم مجتمعون بالألفة

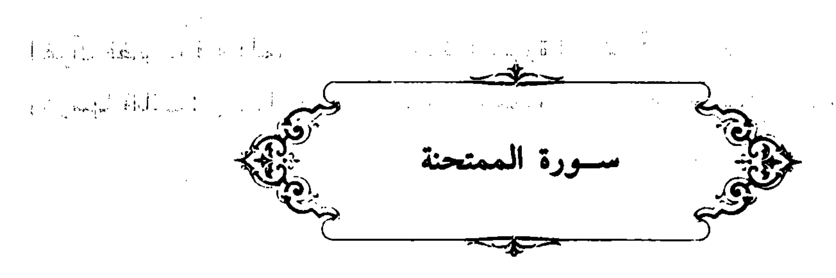
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ

والمودّة وقلوبهم متفرّقة بالمخالفة والشحناء ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع فإن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير فكانوا أمثالهم وقيل يعني أهل بدر الكفّار، فإنهم قبلهم ومثلاً لهم في أن غلبوا وقهروا والأول أرجح لأن قوله قريبًا يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة وذلك أوقع على بني قينقاع وأيضًا فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليق لأنهم يهود مثلهم، وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم.وذلك هو المراد بقوله: ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ وقريبًا ظرف زمان ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ مثل الله المنافقين الذين أغووا يهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان فإنه يغوي ابن آدم ثم يتبرّأ منه والمراد بالشيطان والإنسان هنا الجنس، وقيل أراد الشيطان الذي أغوى قريشًا يوم بدر وقال لهم إني جار لكم، وقيل المراد بالإنسان برصيص العابد، فإنه استودع امرأة فزيّن له الشيطان الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزيّن له الشيطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبيّن ما فعل فتعرّض له الشيطان قال له اسجد لي أُنجيك فسجد له فتركه الشيطان وقال له إني بريء منك وهذا ضعيف في النقل، والأول أرجح ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ الضميران يعودان على الشيطان والإنسان، وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ هذا أمر بأن تنظر كل نفس ما قدّمت من أعمالها ليوم القيامة ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكفّ عن السيئات وتزيد من الحسنات، وإنما عبّر عن يوم القيامة بغد تقريبًا له لأن كلّ ما هو آتٍ قريب، فإن قيل: لِمَ كرّر الأمر بالتقوى؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه تأكيد، والآخر وهو الأحسن أنه أمر أولاً بالتقوى استعدادًا ليوم القيامة، ثم أمر به ثانيًا لأن الله خبير بما يعملون، فلما اختلف الموجبات كرّره مع كل واحد منهما ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ يعني الكفّار والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعن الترك أو الغفلة أي نسوا حقّ الله

خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ الآية: توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه وقلّة خشوعه عند تلاوة القرآن فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدّع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه وقيل الغيب الآخرة والشهادة الدنيا، والعموم أحسن ﴿الْقُدُّوسُ﴾ مشتق من التقديس، وهو التنزّه عن صفات المخلوقين وعن كل نقص وعيب وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح ﴿السَّلَامُ﴾ في معناه قولان: أحدهما الذي سلم عباده من الجور، والآخر السليم من النقائص، وأصله مصدر بمعنى السلامة وصف به مبالغة أو على حذف مضاف تقديره ذو السلام ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ فيه قولان: أحدهما أنه من الأمن أي الذي أمّن عباده، والآخر أنه من الإيمان أي المصدّق لعباده في إيمانهم أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة أو المصدّق نفسه في أقواله ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال الرقيب والشاهد والأمين، قال الزمخشري أصله مؤيمن بالهمزة ثم أبدلت هاء ﴿الْجَبَّارُ﴾ في معناه قولان: أحدهما أنه من الإجبار بمعنى القهر، والآخر أنه من الجبر أي يجبر عباده برحمته، والأول أظهر ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ أي الذي له التكبّر حقًا ﴿الْبَارِئُ﴾ أي الخالق يقال أبرأ الله الخلق أي خلقهم ولكن البارىء والفاطر يراد بهما الذي برأ الخلق واخترعه ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي خالق الصور ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مَن أحصاها دخل الجنة»، قال المؤلّف: قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك، فقلت له: ولِمَ ذلك؟ قال: لأني قرأت على القاضي أبي علي بن أبي الأحوص فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود، قال: قرأت على النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لي: «ضع يدك على رأسك»، قلت: ولِمَ ذاك يا رسول الله فداك أبي وأمي؟ قال: «أقرأني جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي: ضع يدك على رأسك يا محمد، قلت: ولِمَ ذاك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى افتتح

القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها فقالت: يا ربّنا ولِمَ ذاك؟ قال: إنه شفاء من كل داء إلاّ السام، والسام الموت».



سورة الممتحنة

مدنيّة وآياتها ١٣ نزلت بعد الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي

بِسْــم اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ العدو يطلق على الواحد والجماعة، والمراد به هنا كفّار قريش وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية فورّى عن ذلك بخيبر فشاع في الناس أنه خارج إلى خيبر وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة منهم حاطب فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ من السماء فبعث عليّ بن أبي طالب والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها أخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئًا فقال بعضهم ما معها كتاب فقال عليّ بن أبي طالب ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذب الله، والله لتخرجنّ الكتاب أو لنجرّدنك قالت أعرضوا عني فأخرجته من قرون رأسها، وقيل أخرجته من حجزتها فجاؤوا

تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا

به رسول الله ﷺ فقال لحاطب: «مَن كتب هذا» قال أنا يا رسول الله ولكن لا تعجل عليّ فوالله ما فعلت ذلك ارتدادًا عن ديني ولا رغبة في الكفر ولكني كنت امرءًا ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها فأحببت أن تكون لي عندهم يد يرعونني بها في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «صدق حاطب إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر لعلّ الله قد اطّلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم لا تقولوا لحاطب إلاّ خيرًا» فنزلت الآية عتابًا لحاطب وزجرًا عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تشريف له، لأن الله شهد له بالإيمان في قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** **﴿تُلْقُونَ إِلَيهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾** عبارة عن إيصال المودّة إليهم وألقى يتعدّى بحرف جرّ وبغير حرف جرّ كقوله: ﴿أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنّي﴾ [طه: ٣٩] وهذه الجملة في موضع الحال من الضمير في قوله: **﴿لاَ تَتَّخِذُوا﴾** أو في موضع الصفة لأولياء أو استئناف **﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾** حال من الضمير في لا تتخذوا أو في تلقون **﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾** أي يخرجون الرسول ويخرجونكم يعني إخراجهم من مكة، فإنهم ضيّقوا عليهم وآذوهم حتى خرجوا منها مهاجرين إلى المدينة، ومنهم مَن خرج إلى أرض الحبشة **﴿أَن تُؤْمِنُوا﴾** مفعول من أجله أي يخرجونكم من أجل إيمانكم **﴿إن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾** جواب هذا الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو لا تتخذوا، والتقدير إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياءَ وجهادًا مصدر في موضع الحال أو مفعول من أجله وكذلك ابتغاء **﴿إن يَثْقَفُوكُمْ﴾** معناه إن يظفروا بكم **﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾** أي تمنّوا أن تكفروا فتكونون مثلهم، قال الزمخشري وإنما قال ودّوا بلفظ الماضي بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع لأنهم أرادوا كفركم قبل كل شيء **﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ﴾** إشارة إلى ما قصد حاطب من رعي قرابته **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾** يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم أو من الفصل بمعنى التفريق أي يفرّق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة، وقيل إن العامل في يوم القيامة ما قبله وذلك بعيد **﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾** الأسوة هو الذي يقتدي به فأمر الله المسلمين أن يقتدوا

بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ

بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه في عداوة الكفّار والتبرّىء منهم ومعنى والذين معه مَن آمن به من الناس، وقيل الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريبًا من عصره، ورجّح ابن عطية هذا القول بما ورد في الحديث أن إبراهيم عليه السلام قال لزوجته ما على الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك ﴿بُرَآءُ﴾ جمع بريء ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي كذبناكم في أقوالكم، ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض والمقاطعة لهم ﴿إلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا استثناء من قوله أُسوة حسنة، فالمعنى اقتدوا بهم في عداوتهم للكفّار ولا تقتدوا بهم في هذا، لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له فلما تبيّن له أنه عدوٌّ لله تبرّأ منه، وقيل الاستثناء من التبرّي والقطيعة، والمعنى تبرّأ إبراهيم والذين معه من الكفّار إلاّ أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ هذا من كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام والذين معه وهو متّصل بما قبل الاستثناء فهو من جملة ما أُمروا أن يقتدوا به ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في معناه قولان: أحدهما لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالهم لأنهم يقولون غلبناهم فيكون ذلك لهم لأنّا على الحق وهم على الباطل. والآخر: لا تسلّطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجّح ابن عطيّة هذا، لأنه دعاء لأنفسهم وأما على القول الأول فهو دعاء للكفّار ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفّار وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر بحيث لا يفتتن الكفّار بذلك ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ لمّا أمر الله المسلمين بعداوة الكفّار ومقاطعتهم فامتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفّار من القرابة فعلم الله صدقهم فآنسهم بهذه الآية ووعدهم بأن يجعل بينهم مودّة، وهذه المودّة كملت في فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش وقيل المودّة تزوّج النبي ﷺ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش، وردّ ابن عطية هذا القول بأن تزوّج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية ﴿لاَّ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ رخّص الله للمسلمين في

قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ

مبرّة مَن لم يقاتلهم من الكفّار، واختلف فيهم على أربعة أقوال: الأول أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب كانوا قد صالحوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم على أن لا يقاتلوه ولا يُعينوا عليه. الثاني أنهم كانوا من كفّار قريش لم يقاتلوا المسلمين ولا أخرجوهم من مكة، والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال. الثالث أنهم النساء والصبيان، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر الصدّيق قالت يا رسول الله إن أُمي قَدِمَت عليّ وهي مشركة أفأصِلها قال: «نعم صِلِي أُمّك». الرابع أنه أراد مَن كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا، وأما الذين نهى الله عن مودّتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم فهم كفّار قريش **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾** أي اختبروهنّ لتعلموا صدق إيمانهنّ، وإنما سمّاهنّ مؤمنات لظاهر حالهنّ، وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال: أحدها أن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت لبغضها في زوجها ولا لخوف وغير ذلك من أعراض الدنيا سوى حبّ الله ورسوله والدار الآخرة، والثاني أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله، والثالث أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا من ترك الإشراك والسرقة، وقتل أولادهنّ وترك الزنا والبهتان، والعصيان، فإذا أقرّت بذلك فهو امتحانها قالته عائشة رضي الله تعالى عنها **﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾** نزلت هذه الآية إثر صلح الحديبية، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يردّ المسلمين إلى الكفّار، وكلّ مَن جاء مسلمًا من الرجال والنساء فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية ومنع من ردّ المؤمنة إلى الكفّار إذا هاجرت إلى المسلمين وكانت المرأة التي هاجرت حينئذ أُميمة بنت بشر امرأة حسّان بن الدحداحة، وقيل سبيعة الأسلمية، ولما هاجرت جاء زوجها فقال يا محمد ردّها علينا فإن ذلك في الشرط الذي لنا عليك فنزلت الآية: فامتحنها رسول الله ﷺ فلم يردّها وأعطى مهرها لزوجها، وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط هربت من زوجها إلى المسلمين واختلف في الرجال هل حكمهم في ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على ردّ مَن أسلم منهم، أو يجوز حتى الآن على قولين والأظهر الجواز لأنه إنما نسخ ذلك في النساء **﴿لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾** هذا تعليل للمنع من ردّ المرأة إلى الكفّار وفيه دليل على

﴿عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ

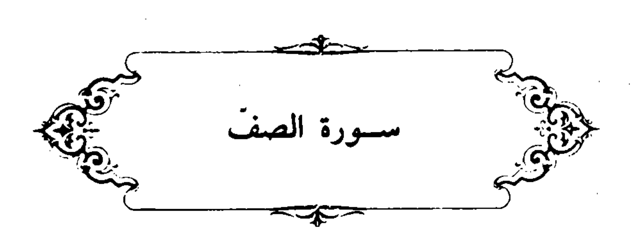
ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات ﴿وَآتوهُم مَا أَنفقوا﴾ يعني أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات إذا هاجرن ثم أباح للمسلمين تزوّجهنّ بالصداق ﴿وَلاَ تُمسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ العصم جمع عصمة أي النكاح فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر، يعني المشركات من عَبَدَة الأوثان، فالآية على هذا محكمة، وقيل يعني كل كافرة فعلى هذا نسخ منها جواز تزوّج الكتابيات لقوله: ﴿والمُحصنَات مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَاب من قَبلِكم﴾ [المائدة: ٥]، ورُوِيَ أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب كانت كافرة فطلّقها ﴿وَاسأَلُوا مَا أَنفقتُمْ وَلْيَسأَلُوا مَا أَنفقُوا﴾ أي اطلبوا من الكفّار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتي فررن إلى الكفّار، وليطلب الكفّار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين ﴿وَإِن فَاتَكُم شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ معنى فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار هروب نساء المسلمين إلى الكفّار، والخطاب في قوله فعاقبتم وآتوا الذين ذهبت أزواجهم للمسلمين وقوله عاقبتم ليس من العقاب على الذنب وإنما هو من العقبى أي أصبتم عقبى وهي الغنيمة أو من التعاقب على الشيء كما يتعاقب الرجلان على الدابّة إذا ركبها هذا مرّة وهذا مرة أخرى، فلما كان نساء المسلمين يهربون إلى الكفّار ونساء الكفار يهربون إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء وسبب الآية أنه لما قال الله: ﴿وَاسأَلُوا مَا أَنفقتُمْ وَلْيَسأَلُوا مَا أَنفقُوا﴾، قال الكفّار لا نرضى بهذا الحكم ولا نعطي صداق مَن هربت زوجته إلينا من المسلمين، فأنزل الله هذه الآية الأخرى وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصداق لمَن هربت زوجته من المسلمين إلى الكفّار ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم على قول مَن قال إن معنى فعاقبتم غنمتم، وقيل من مال الفيء، وقيل من الصدقات التي كانت تُدفع للكفّار إذا فرّ أزواجهم إلى المسلمين فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية، قد ارتفعت لأنها نزلت في قضايا معينة وهي مهادنة النبي ﷺ مع مشركي العرب ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة فلا تجوز مهادنة المشركين من العرب إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس لأن الله قال في المشركين اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وقال في أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، وقال النبي ﷺ في المجوس سنّوا بهم سُنّة أهل الكتاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ

فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ

الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله ﷺ يبايعهنّ بالكلام ولا تمسّ يده يد امرأة ورد هذا في الحديث الصحيح عن عائشة، ورُوِيَ أنه ﷺ لفّ على يده ثوبًا كثيفًا ثم لمس النساء يده كذلك وقيل إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء، فغمسن أيديهنّ فيه **﴿وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾** معناه عند الجمهور أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدًا ليس له وكانت المرأة تلتقط الولد، فتقول لزوجها هذا ولدي منك وإنما قال **﴿يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾** لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذي تلده به بين رجليها، واختار ابن عطية أن يكون البهتان هنا على العموم بأن يُنسَب للرجل غير ولده أو تفتري على أحد بالقول أو تكذب فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك، وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال بين أيديهنّ يراد به اللسان والفم وبين الأرجل يراد به الفرج **﴿وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾** أي لا يعصينّك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي ومن ذلك النهي عن النياحة وشقّ الجيوب، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه، وورد في الحديث أن النساء لمّا بايعن رسول الله ﷺ هذه المبايعة، فقرّرهنّ على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة وهي امرأة أبي سفيان بن حرب يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل عليّ إن أخذت من ماله بغير إذنه، فقال لها: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» فلما قرّرهنّ على أن لا يزنين، قالت هند يا رسول الله أتزني الحرّة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزني الحرّة» يعني في غالب المرأة، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء فلما قال ولا يقتلن أولادهنّ قالت نحن ربّيناهم صغارًا وقتلتهم أنت ببدر كبارًا، فضحك رسول الله ﷺ فلما وقفهنّ على أن لا يعصينه في معروف قالت ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيك، وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم، لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهنّ هذا فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون ترك هذه الشروط لأنها قد تقرّرت وعلمت من الشرع بالضرورة فلا حاجة إلى اشتراطها **﴿لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** يعني اليهود وكان بعض فقراء المسلمين يتودّد إليهم ليصيبوا من أموالهم، وقيل يعني كفّار

ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

قريش، والأول أظهر لأن الغضب قد صار عُرفًا لليهود كقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم﴾ [الفاتحة: ٧] ﴿قَد يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ مَن قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود، فمعنى يئسوا من الآخرة يئسوا من خير الآخرة والسعادة فيها ومَن قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفّار قريش، فالمعنى يئسوا من وجود الآخرة، وصحّتها لأنهم مكذبون بها تكذيبًا جزمًا وقوله: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما أن يريد كما يئس الكفّار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور فقوله من أصحاب يتعلق بيئس وهو على حذف مضاف، والآخر أن يكون من أصحاب القبور لبيان الجنس أي كما يئس الذين في القبور من سعادة الآخرة لأنهم تيقنوا أنهم يعذبون فيها.



سـورة الصفّ

مدنية وآياتها ١٤ نزلت بعد التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ

بِسْــم اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

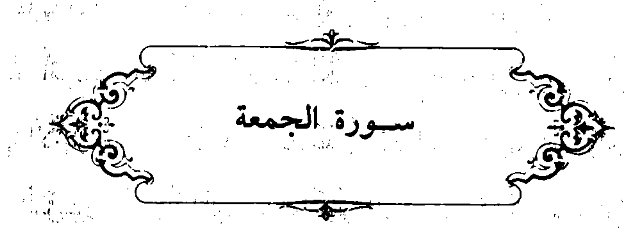
﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفعَلُونَ﴾ في سببها ثلاثة أقوال أحدها قول ابن عباس أن جماعة قالوا وددنا أن نعرف أحبّ الأعمال إلى الله فنعمله ففرض الله الجهاد فكرهه قوم فنزلت الآية والآخر أن قومًا من شبّان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم في الغزو بما لم يفعلوا ويقولون فعلنا وصنعنا وذلك كذب فنزلت الآية زجرًا لهم والثالث أنها نزلت في المنافقين لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين نحن معكم ومنكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** إلاّ أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهرون ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر مَن يقول ما لا يفعل **﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفعَلُونَ﴾** كان بعض السلف يستحي أن يعظ الناس لأجل هذه الآية ويقول أخاف من مقت الله والمقت هو البغض لريبة أو نحوها وانتصب مقتًا على التمييز وأن تقولوا فاعل وقيل فاعل كبر محذوف تقديره كبر فعلكم مقتًا وأن تقولوا بدل من الفاعل

يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ

المحذوف أو خبر ابتداء مضمر **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾** وورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها في شأن القتال وقال بعض الناس قتال الرجالة أفضل من قتال الفرسان لأن التراصّ فيه يتمكن أكثر مما يتمكّن للفرسان قاله ابن عطية وهذا ضعيف خفيّ على قائله مقصد الآية وليس المراد نفس التراصّ وإنما المراد الثبوت والجدّ في القتال **﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾** المرصوص هو الذي يضمّ بعضه إلى بعض وقيل هو المعقود بالرصاص ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾** كانوا يؤذونه بسوء الكلام وبعصيانه وتنقيصه وانظر في الأحزاب ولا تكونوا كالذين آذوا موسى **﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾** هذا إقامة حجّة عليهم وتوبيخ لهم وتقبيح لإذايته مع علمهم بأنه رسول الله ولذلك أدخل قد الدّالّة على التحقيق **﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾** هذه عقوبة على الذنب بذنب وزيغ القلب هو ميله عن الحق **﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** إنما قال موسى يا قوم وقال عيسى يا بني إسرائيل لأنه لم يكن له فيهم أب **﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾** معناه مذكور في البقرة في قوله: **﴿مُصَدِّقًا لِّما مَعَكُم﴾** [٤١] **﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾** عن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أتقياء أبرار **﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾** قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي وأنا العاقب فلا نبيّ بعدي»، وأحمد مشتق من الحمد ويحتمل أن يكون فعلاً سُمّي به أو يكون صفة سُمّي بها كأحمد ويحتمل أن يكون بمعنى حامد أو بمعنى محمود كمحمد **﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾** يحتمل أن يريد عيسى أو محمد عليهما الصلاة والسلام ويؤيّد الأول اتصاله بما قبله ويؤيّد الثاني قوله وهو يدعى إلى الإسلام لأن الداعي إلى الإسلام هو محمد ﷺ **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾** ذكر في براءة

كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿تُؤْمِنونَ بِاللَّهِ﴾ الآية تفسير للتجارة المذكورة قال الأخفش هو عطف بيان عليها **﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾** جزم في جواب تؤمنون لأنه بمعنى الأمر وقد قرأه ابن مسعود آمنوا وجاهدوا على الأمر لأنه يقتضي التحضيض **﴿وَأُخرَىٰ تحبُّونَها﴾** ارتفع أخرى على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره ولكم نعمة أخرى أو انتصب على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره ويمنحكم أخرى **﴿نَصرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾** تفسير لأخرى فهو بدل منها **﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾** قال الزمخشري عطف على تؤمنون بالله لأنه في معنى الأمر **﴿كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾** جمع ناصر وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج سمّاهم الله به وليس ذلك المراد هنا **﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾** هذا التشبيه محمول على المعنى لأن ظاهره كونوا أنصار الله كقول عيسى والمعنى كونوا أنصار الله كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله وقد ذكر في آل عمران معنى الحواريين وأنصاري إلى اللهِ **﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾** قيل إنهم ظهروا بالحجة، وقيل إنهم غلبوا الكفّار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام، وقيل إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد ﷺ.



سورة الجمعة

مدنيّة وآياتها ١١ نزلت بعد الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿الْقُدُّوسِ﴾ ذكر في الحشر **﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنهُمْ﴾** يعني سيّدنا محمدًا ﷺ، والأمّيين هم العرب، وقد ذكر معنى الأمّيّ في الأعراف **﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾** عطفًا على الأميين وأراد بهؤلاء فارس وسئل رسول الله ﷺ مَن هؤلاء الآخرون فأخذ بيد سلمان الفارسي، وقال: «لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء» يعني فارس، وقيل هم الروم ومنهم على هذين القولين يريد به البشرية وفي الدين لا في النسب وقيل هم أهل اليمن وقيل التابعون، وقيل هم سائر المسلمين والأول أرجح لوروده في الحديث الصحيح **﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾** أي لم يلحقوا بهم لنفي وسيلحقون وذلك أن لما لذكر الماضي القريب من الحال **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾** إشارة إلى نبوّة محمد ﷺ وهداية الناس به **﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾** يعني اليهود ومعنى حملوا التوراة كلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها و**﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾** لم يطيعوا أمرها ولم يعملوا بها، شبّههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على

مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢاۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ

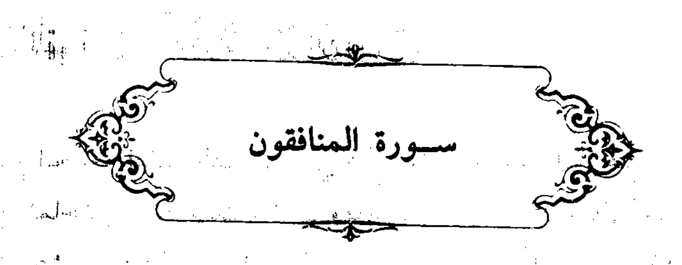
ظهره ولم يدرَ ما فيها **﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾** يعني اليهود الذين كذبوا سيدنا محمد ﷺ وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها لأن التوراة تنطق بنبوّته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فكلّ مَن قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة **﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾** ذكر في البقرة **﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾** النداء للصلاة هو الأذان لها ومَن في قوله من يوم الجمعة لبيان إذا، وتفسير له وذكر الله يراد به الخطبة والصلاة، ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل الأولى اختلف في الأذان للجمعة هل هو سُنّة كالأذان لسائر الصلوات أو واجب لظاهر الآية لأنه شرط في السعي لها أن يكون عند الأذان والسعي واجب فالأذان واجب. الثانية كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ على جدار المسجد وقيل على باب المسجد وقيل كان بين يديه صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو على المنبر وقد كان بنو أميّة يأخذون بهذا وبقي بقرطبة زمانًا وهو باقٍ في المشرق إلى الآن قال أبو محمد بن الفرس قال مالك في المجموعة إن هشام بن عبد الملك هو الذي أحدث الأذان بين يديه قال وهذا دليل على أن الحديث في ذلك ضعيف. الثالث كان الأذان للجمعة واحدًا ثم زاد عثمان رضي الله عنه النداء على الزوراء ليسمع الناس واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة: الرابعة، السعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري وقرأ عمر بن الخطاب فامضوا إلى ذكر الله وهذا تفسير للسعي فهو بخلاف السعي في قول رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إذا نُودِي للصلاة فلا تأتونها وأنتم تسعون». الخامسة، حضور الجمعة واجب لحمل الأمر الذي في الآية على الوجوب باتفاق إلاّ أنها لا تجب على المرأة ولا على الصبي ولا على المريض باتفاق ولا على العبد والمسافر عند مالك والجمهور خلافًا للظاهرية وتعلقوا بعموم الآية وحجة الجمهور قول

لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم: «الجمعة واجبة على كل مسلم في جماعة إلاّ أربعة: عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض وحجّتهم في المسافر أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان لا يقيم الجمعة في السفر واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا، وهل يجوز للعروس التخلّف عنها أم لا، والمشهور أنها لا تسقط عنه لعموم الآية، السادسة، اختلف متى يتعيّن الإقبال إلى الصلاة فقيل إذا زالت الشمس، وقيل إذا أذّن المؤذّن وهو ظاهر الآية، السابعة اختلف في الموضع الذي يجب منه السعي إلى الجمعة فقيل ثلاثة أميال وهو مذهب مالك وقيل ستة أميال وقيل تجب على مَن كان داخل المصر، وقيل على مَن سمع النداء، وقيل على مَن آواه الليل إلى أهله، الثامنة، اختلف في الوالي هل هو من شرط الجمعة أم لا على قولين، والمشهور سقوطه لأن الله لم يشترطه في الآية ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أمر بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذّنون في الأذان وذلك على الوجوب فيقتضي تحريم البيع واختلف في البيع الذي يعقد في ذلك الوقت هل يفسخ أم لا واختلف في بيع مَن لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبد هل يجوز في ذلك الوقت أم لا والأظهر جوازه لأنه إنما منع منه مَن يدعى إلى الجمعة ويجري النكاح في ذلك الوقت مجرى البيع في المنع ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الأمر للإباحة باتفاق وحكى الإجماع على ذلك ابن عطية وابن الفرس ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ قيل معناه طلب المعاش فالأمر على هذا للإباحة ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «الفضل المبتغى عيادة مريض أو صلة صديق أو اتباع جنازة» وقيل هو طلب العلم وإن صحّ الحديث لم يعدل إلى سواه ﴿وإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ سبب الآية أن رسول الله ﷺ كان قائمًا على المنبر يخطب يوم الجمعة فأقبلت عِير من الشام بطعام وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي وكانت عادتهم أن تدخل العِير المدينة بالطبل والصياح سرورًا بها فلما دخلت العِير كذلك انفضّ أهل المسجد إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر ولم يبقَ معه إلاّ اثني عشر رجلاً قال جابر بن عبد الله أنا أحدهم وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف في الثاني عشر فقيل عبد الله مسعود وقيل عمّار بن ياسر وقيل إنما بقي معه ﷺ ثمانية ورُوِيَ أنه ﷺ قال لهؤلاء: «لقد كانت الحجارة سوّمت في السماء على المنفضّين» وظاهر الآية يقتضي أن الجماعة شرط في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور إلاّ أنهم اختلفوا في مقدار الجماعة

﴿عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾

الذين تنعقد بهم الجمعة فقال مالك ليس في ذلك عدد محدود وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية وروى ابن الماجشون عن مالك ثلاثون وقال الشافعي أربعون وقال أبو حنيفة ثلاثة مع الإمام وقيل اثني عشر عدد الذين بقوا مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإن قيل: لِمَ قال انفضّوا إليها بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أراد انفضّوا إلى اللهو وانفضّوا إلى التجارة ثم حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه قاله الزمخشري والآخر أنه قال ذلك تهممًا بالتجارة إذ كانت أهم وكانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها قاله ابن عطية **﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾** اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا، وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا، فمَن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام ومَن لم يوجبه رأى أن ما فعله النبي ﷺ من ذلك لم يكن على الوجوب ومذهب مالك أن من سُنّة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين وقال أبو حنيفة لا يجلس بين الخطبتين لظاهر الآية وذكر القيام فيها دون الجلوس، وحجّة مالك فعل رسول الله ﷺ **﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيرٌ مِّنَ اللَّهوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾** إن قيل لِمَ قدّم اللهو هنا على التجارة وقدّم التجارة قبل هذا على اللهو؟ فالجواب أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه وذلك أن العرب تارة يبتدئون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل كقولك فلان يخون في الكثير والقليل فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه وتارة يبتدئون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك فلان أمين، على القليل والكثير فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه لو عكست في كل واحد من المثالين لم يكن حسنًا فإنك لو قدّمت في الخيانة القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى ولو قدّمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة وكذلك قوله إذا رأوا تجارةً أو لهوًا انفضّوا إليها. قدّم التجارة هنا ليبيّن أنهم ينفضّون إليها وأنهم مع ذلك ينفضّون إلى اللهو الذي هو دونها وقوله خير من اللهو ومن التجارة قدّم اللهو ليبيّن أن ما عند الله خير من اللهو وأنه أيضًا خير من التجارة التي هي أعظم منه ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن.



سورة المنافقون

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

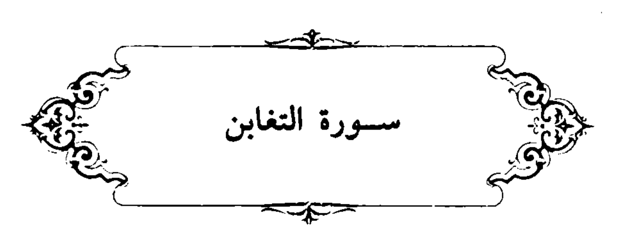
﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فلذلك كذّبهم الله بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة، وأما قوله والله يعلم إنك لرسوله فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ إبطال للرسالة، فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليُزيل هذا الوهم وليحقّق الرسالة وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله لرسول الله ﴿جُنَّةً﴾ ذكر في المجادلة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الإشارة إلى سوء عملهم وفضيحتهم وتوبيخهم، وأما قوله: ﴿آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ فيحتمل وجهين: أحدهما أن يكون فيمَن آمن منهم إيمانًا صحيحًا ثم نافق بعد ذلك، والآخر أن يريد آمنوا في الظاهر كقوله: ﴿إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٤و٧٦] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني أنهم حِسَان الصور ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ

﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾

لِقَوْلِهِمْ﴾ يعني أنهم فصحاء الخطاب والضمير في قوله وإذا رأيتهم تعجبك وفي قوله تسمع لقولهم للنبي ﷺ ولكل مخاطب **﴿كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾** شبّههم بالخشب في قلّة أفهامهم فكان لهم منظر بلا مخبر وقال الزمخشري إنما شبّههم بالخُشُب المسنّدة إلى حائط لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة بخلاف الخشب التي في سقف أو مغروسة في جدار فإن فيها حينئذ منفعة فالتشبيه على هذا في عدم المنفعة، وقيل كانوا يستندون في مجلس رسول الله ﷺ فشبّههم في استنادهم بالخشب المسنّدة إلى الحائط **﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيهِمْ﴾** عبارة عن شدّة خوفهم من المسلمين وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحًا ظنّوا أن النبي ﷺ يأمر بقتلهم **﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾** الدعاء عليهم يتضمن ذمّهم وتقبيح أحوالهم **﴿أَنّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾** أي كيف يصرفون عن الإيمان مع ظهوره **﴿وَإذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ﴾** أي أمالوها إعراضًا واستكبارًا وقصص هذه الآية وما بعدها أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني المصطلق فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه فكان ممّن ازدحم عليه جهجاه بن سعيد أجير لعمر بن الخطاب وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أُبيّ ابن سلّول رأس المنافقين فلطم الجهجاه سنان فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا جهجاه بالمهاجرين فقال عبد الله بن أُبيّ والله ما مثلنا ومثل هؤلاء يعني المهاجرين إلاّ كما قال الأول سمّن كلبك يأكلك ثم قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ يعني بالأعزّ نفسه وأتباعه ويعني بالأذلّ رسول الله ﷺ ومَن معه، ثم قال لقومه إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم، ولو قطعتم ذلك عنهم لفرّوا عن مدينتكم فسمعه زيد بن أرقم فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فبلغ ذلك عبد الله بن أُبيّ ابن سلول فحلف أنه ما قال من ذلك شيئًا وكذّب زيدًا فنزلت السورة عند ذلك فبعث رسول الله ﷺ إلى زيد وقال: «لقد صدقك الله يا زيد» فخزي عبد الله بن أُبيّ ابن سلول ومقته الناس، فقيل له امضِ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يستغفر لك فلوى رأيه إنكارًا لهذا الرأي وقال أمرتوني بالإسلام فأسلمت وأمرتوني بأداء زكاة مالي ففعلت ولم يبقَ لكم إلاّ أن تأمروني أن أسجد لمحمد ثم مات عبد الله بن أُبيّ بعد ذلك بقليل وأُسندت هذه الأقوال التي قالها عبد اللهبن أُبيّ إلى ضمير الجماعة لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها

وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١

﴿سَوَاءٌ عَلَيهِمْ أَستَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ رُوِيَ أنه لما نزلت إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لأزيدنّ على السبعين» فلمّا فعل عبد الله بن أُبيّ وأصحابه ما فعلوا شدّد الله عليهم في هذه السورة وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه وفي هذا نظر، لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرى بمدّة ﴿لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي لا تشغلكم وذكر الله هنا على العموم في الصلاة والدعاء والعبادة، وقيل يعني الصلاة المكتوبة والعموم أولى ﴿وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ عموم في الزكاة وصدقة التطوّع والنفقة في الجهاد وغير ذلك، وقيل يعني الزكاة المفروضة والعموم أولى ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ بالجزم عطف على موضع جواب الشرط، وقرأ أبو عمرو فأكون بالنصب عطف على فأصّدّق.



سورة التغابن

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعد التحريم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ

بِسْــم اللَّهِ الرَّحمٰن الرَّحيم

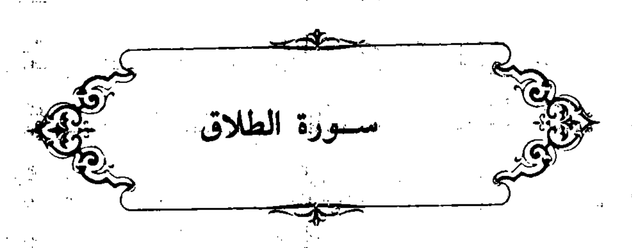
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في تأويل الآية وجهان: أحدهما الذي خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به لكن منكم مَن كفر ومنكم مَن آمن فالكفر والإيمان على هذا هو من اكتساب العبد والآخر أن المعنى هو الذي خلقكم على صنفين فمنكم مَن خلقه مؤمنًا ومنكم مَن خلقه كافرًا فالإيمان والكفر على هذا هو ما قضى الله على كل واحد، والأول أظهر، لأنه عطفه على خلقكم بالفاء يقتضي أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة لا في أصل الخلقة **﴿خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾** ذكر معناه في مواضع **﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾** تعديد نعمه في حُسْن خلقة بني آدم لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر فلا يخرجه ذلك عن حُسْن الصورة الإنسانية وإنما هو قبيح بالنظر إلى مَن هو أحسن منه من الناس وقيل يعني العقل والإدراك الذي خصّ به الإنسان والأول أرجح لأن الصورة إنما تطلق على الشكل

وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب لقريش وسائر الكفّار **﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾** معناه أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرًا أو تكبّروا عن اتباع بشر والبشر يقع على الواحد والجماعة **﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾** قال عبد الله بن عمر زعم كناية عن كذب **﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾** العامل في يوم لتنبؤن أو محذوف تقديره اذكر ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ذلك يوم التغابن يعني يوم القيامة والتغابن مستعار من تغابن الناس في التجارة وذلك إذا فاز السعداء بالجنة فكأنهم غبنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء فالتغابن على هذا بمعنى الغبن وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونه بين اثنين كقولك تضارب وتقاتل إنما هي فعل واحد كقولك تواضع قال ابن عطية وقال الزمخشري يعني نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء والتغابن على هذا بين اثنين قال وفيه تهكّم بالأشقياء لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن للسعداء **﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** يحتمل أن يريد بالمصيبة الرزايا وخصّها بالذكر لأنها أهم على الناس أو يريد جميع الحوادث من خير أو شر وبإذن الله عبارة عن قضائه وإرادته تعالى **﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾** قيل معناه مَن يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهدِ الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله وهذا أحسن إلاّ أن العموم أحسن منه **﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾**

﴿فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

سببها أن قومًا أَسلموا وأرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة فحذّرهم الله من طاعتهم في ذلك وقيل نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده فشكوا من فراقه فرقّ لهم ورجع ثم إنه ندم وهمّ بمعاقبتهم فنزلت الآية محذّرة من فتنة الأولاد ثم صرف الله تعالى عن معاقبتهم بقوله: **﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾** الآية ولفظ الآية مع ذلك على عمومه في التحذير ممّن يكون للإنسان عدوًّا من أهله وأولاده سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا **﴿واللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** ترغيب في الآخرة وتزهيد في الأموال والأولاد التي فتن الناس بها **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾** قيل إن هذا ناسخ لقوله: ﴿اتّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢] وَرُوِيَ أنه لما نزل حقّ تقاته شقّ ذلك على الناس حتى نزل ما استطعتم وقيل لا نسخ بينهما لأن حق تقاته معناه فيما استطعتم إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلاّ ما يستطيع وهذه الآية على هذا مبيّنة لتلك وتحرز بالاستطاعة من الإكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبد وإعراب ما في قوله ما استطعتم ظرفية **﴿خَيْرًا لأنفُسِكُمْ﴾** منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه وقيل هو مفعول بأنفقوا لأن الخير بمعنى المال وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره أنفقوا إنفاقًا خيرًا لأنفسكم **﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾** ذكر في الحشر **﴿إِن تُقْرِضُوا﴾** ذكر في البقرة **﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾** ذكر في اللغات.



سورة الطلاق

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعد الإنسان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ**﴾ إن قيل لِمَ نُودِيَ النبيّ ﷺ وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة؟ فالجواب: أنه لمّا كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمته، قيل إذا طلّقتم خطابًا له ولهم وخصّ هو عليه الصلاة والسلام بالنداء تعظيمًا له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا أي افعل أنت وقومك، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلّغ لأمته، فكأنه قال يأيّها النبي إذا طلّقت أنت وأمتك وقيل تقديره يأيّها النبي قل لأمتك إذا طلّقتم وهذا ضعيف لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختصّ بأمته دونه، وقيل إنه خوطب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بطلّقتم تعظيمًا له، كما تقول للرجل المعظّم أنتم فعلتم، وهذا أيضًا ضعيف، لأنه يقتضي اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالحكم دون أمته، ومعنى إذا طلّقتم هنا إذا أردتم الطلاق، واختلف في الطلاق هل هو مُباح أو مكروه، فأما إذا كان على غير وجه السُّنّة فهو ممنوع ولكن يلزم، وأما اليمين

بالطلاق فممنوع ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ تقديره طلّقوهنّ مستقبلات لعدّتهنّ، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأُبيّ بن كعب فطلّقوهنّ في قبل عدّتهنّ وقرأ ابن عمر لقبل عدّتهنّ ورُوِيَت القراءتان عن رسول الله ﷺ ومعنى ذلك كله لا يطلّقها وهي حائض، فهو منهيٌّ عنه بإجماع لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمر الله بها وهو استقبال العدّة، واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلّل بتطويل العدّة، أو هو تعبّد، والصحيح أنه معلّل بذلك، وينبني على هذا الخلاف فروع منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟ ومنها هل يجوز طلاقها في الحيض وهي حامل أم لا؟ ومنها هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟ فالتعليل بتطويل العدّة يقتضي جواز هذه الفروع، والتعبد يقتضي المنع، ومَن طلّق في الحيض لزمه الطلاق، ثم يؤمر بالرجعة على وجه الإجبار عند مالك وبدون إجبار عند الشافعي حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلّق وإن شاء أمسك، حسبما ورد في حديث ابن عمر حين طلّق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال له مُرْه فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلّق وإن شاء أمسك واشترط مالك آن يطلّقها في طُهْر لم يمسّها فيه ليعتدّ بذلك الطهر فإنه إن طلّقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتدّ بالوضع أو بالأقراء فليس طلاقًا لعدّتها كما أمر الله ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أمر بذلك لما ينبني عليها من الأحكام في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ﴾ نهى الله سبحانه وتعالى أن يُخرِج الرجل المرأة المطلّقة من المسكن الذي طلّقها فيه ونهاها هي أن تخرج باختيارها، فلا يجوز لها المبيت خارجًا عن بيتها ولا أن تغيب عنه نهارًا إلاّ لضرورة التصرّف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة، فإن كان المسكن مُلْكًا للزوج، أو مُكترًى عنده، لزمه إسكانها فيه، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدّة وإن كانت قد أمتعته فيه مدّة الزوجية ففي لزوم خروج العدّة له قولان في المذهب والصحيح لزومه لأن الامتناع قد انقطع بالطلاق ﴿إلاّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدّة ما هي؟ على خمسة أقوال الأول أنها الزنا فتخرج لإقامة الحدّ قاله الليث بن سعد والشعبي. الثاني أنه سوء الكلام مع الأصهار فتخرج ويسقط حقّها من السكنى، ويلزمها الإقامة في مسكن تتّخذه حفظًا للنسب، قاله ابن عباس ويؤيّده قراءة أُبيّ بن كعب، إلاّ أن يفحشن عليكم. الثالث أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك، فمتى فعلت شيئًا من ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن عباس أيضًا وإليه مال الطبري، الرابع أنه الخروج عن بيتها خروج انتقال فمتى فعلت ذلك سقط حقّها في السكنى قاله ابن الفرس: وإلى هذا ذهب

يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ

مالك في المرأة إذا نشزت في العدّة، الخامس أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلّقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى قاله قتادة ﴿لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ المراد به الرجعة عند الجمهور أي أحصوا العدّة وامتثلوا ما أمرتم به لعلّ الله يُحدِث الرجعة لنسائكم، وقيل إن سبب الرجعة المذكورة في الآية تطليق النبي ﷺ لحفصة بنت عمر فأمره الله بمراجعتها ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يريد آخر العدّة والإمساك بمعروف هو تحسين العِشْرة وتوفية النفقة، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق والوفاء بالشروط ونحو ذلك ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذا خطاب للأزواج والمأمور به هو الإشهاد على الرجعة عند الجمهور، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحبّ على قولين في المذهب وقال ابن عباس هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة، وهذا أظهر لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق، وقد ذكرنا العدالة في البقرة وقوله ذوي عدل يدلّ على أنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء وهو مذهب مالك خلافًا لمَن أجاز شهادة النساء في ذلك وقوله منكم يريد من المسلمين وقيل من الأحرار فيؤخذ من ذلك ردّ شهادة العبيد، وهو مذهب مالك ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ هذا خطاب للشهود وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد بها القيام فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد وهو فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن القرس ويحتمل أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسّره الزمخشري وهو أظهر لقوله لله وهو كقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥] ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من الأحكام ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ قيل إنها في الطلاق ومعناها من يتّق الله فيطلّق طلقة واحدة، حسبما تقتضيه السُّنّة، يجعل له مخرجًا بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق وفي هذا المعنى رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال لمَن طلّق ثلاثًا إنك لم تتّقِ الله فبانت منك امرأتك ولا أرى لك مخرجًا أي لا رجعة لك وقيل إنها على العموم أي مَن يتّقِ الله في أقواله وأفعاله يجعل له مخرجًا من كرب الدنيا والآخرة، وقد رُوِيَ هذا أيضًا عن ابن عباس وهذا أرجح لخمسة أوجه أحدها حمل اللفظ على عمومه فيدخل في ذلك الطلاق وغيره، الثاني أنه رُوِيَ أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أنه أسر ولده وضيّق

مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ

عليه رزقه فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى فلم يلبث إلاّ يسيرًا وانطلق ولده ووسّع الله رزقه، والثالث أنه رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قرأها فقال: «مخرجًا من شُبُهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة»، والرابع رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم» ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ الآية: فما زال يقرؤها ويُعيدها، الخامس قوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾، فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم قال بعض العلماء الرزق على نوعين رزق مضمون لكل حيّ طول عمره وهو الغذاء الذي تقومَ به الحياة وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، «ورزق موعود للمتّقين خاصّة»، وهو المذكور في هذه الآية ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره وقد تكلمنا على التوكّل في آل عمران ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ أي يبلغ ما يريد ولا يُعجِزه شيء، هذا حضٌّ على التوكّل وتأكيد له، لأن العبد إذا تحقّق أن الأمور كلّها بيد الله توكّل عليه وحده ولم يعوّل على سواه ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي مقدارًا معلومًا ووقتًا محدودًا ﴿وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ رُوِيَ أنه لما نزل قوله: ﴿وَالمُطَلَّقَات يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَة قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قالوا يا رسول الله فما عدّة مَن لا قرء لها من صغر أو كبر؟ فنزلت هذه الآية معلمة أن المطلّقة إذا كانت ممّن لا تحيض فعدّتها ثلاثة أشهر، فقوله: ﴿اللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾: يعني التي انقطعت حيضتها لكبر سِنّها، وقوله: ﴿وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني الصغيرة التي لم تبلغ المحيض وهو معطوف على اللائي يئسن أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره واللائي لم يحضن كذلك، وقوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ هو من الريب بمعنى الشك وفي معناه قولان أحدهما إن ارتبتم في حكم عدّتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والآخر إن ارتبتم في حيضها هل انقطع أو لم ينقطع فهي على التأويل الأول في التي انقطعت حيضتها لكبر سنّها حسبما ذكرنا وهو الصحيح وهي على التأويل الثاني في المرتابة وهي التي غابت عنها الحيضة وهي في سنّ مَن تحيض وقد اختلف العلماء في عدّتها على ثلاثة أقوال: أحدها أنها ثلاثة أشهر خاصّة حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل، والآخر أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرىء بها أمَد الحمل وهذا مذهب مالك وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والثالث

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن﴾

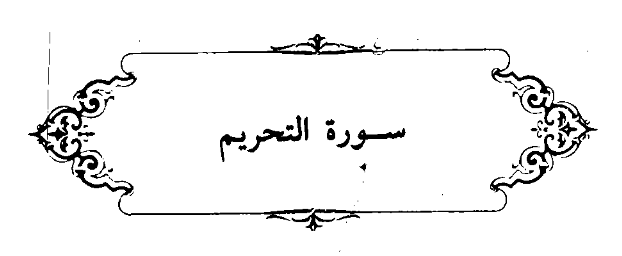
أنها تعتدّ بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سنّ مَن لا تحيض وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة ﴿وَأُولَاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هذه الآية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وسائر العلماء عامّة في المطلّقات والمتوفى عنهنّ فمتى كانت إحداهنّ حاملاً فعدّتها وضع حملها وقال عليّ بن أبي طالب وابن عباس إنما هذه الآية في المطلّقات الحوامل فهنّ اللاتي عدّتهنّ وضع حملهنّ وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملاً فعدّتها عندهما أبعد الأجَلين إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرًا فحجّة الجمهور حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت زوجًا لسعد بن خولة فتوفّي عنها في حجّة الوداع وهي حبلى فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بعكك فسألت رسول الله ﷺ فقال لها: «إنكحي مَن شئت». وقد ذكر أن ابن عباس رجع إلى هذا الحديث لما بلغه ولو بلغ عليًا رضي الله عنه لرجع إليه وقال عبد الله بن مسعود إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصرى يعني سورة الطلاق نزلت بعد الآية التي في البقرة ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ فهي مخصّصة لها حسبما قاله جمهور العلماء ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أمر الله بإسكان المطلّقة طول العدّة فأما المطلّقة غير المبتوتة فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتّفاق، وأما المبتوتة ففيها ثلاثة أقوال: أحدها أنها يجب لها السكنى دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعي، والثاني يجب لها السكني والنفقة وهو مذهب أبي حنيفة، والثالث أنها ليس لها سكنى ولا نفقة، فحجّة مالك حديث فاطمة بنت قيس وهو أن زوجها طلّقها البتّة، فقال لها رسول الله ﷺ: «ليس لك عليه نفقة»، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة، وحجّة مَن أوجب لها السكنى: قول عمر بن الخطاب: لا ندع آية من كتاب ربّنا لقول امرأة إني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «لها السكني والنفقة»، وحجّة مَن لا يجعل لها سكنى ولا نفقة أن في بعض الروايات عنها أنها قالت لم يجعل لي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نفقة ولا سكنى، وقوله: ﴿مِن حَيْثُ سَكَنتُم﴾ معناه: أسكنوهنّ مكانًا من بعض مساكنكم فمن للتبعيض، ويفسّر ذلك قول قتادة لو لم يكن له إلاّ بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ الوجد هو الطاقة والسّعة في المال فالمعنى أسكنوهنّ مسكنًا مما تقدرون عليه، وإعرابه عطف بيان لقوله حيث سكنتم ويجوز في الوجد ضمّ الواو وفتحها وكسرها وهو بمعنى واحد، والضمّ أكثر وأشهر ﴿وَإِن كُنَّ

وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَـٰٓأُولِى

أولاتِ حَملٍ فأَنفِقوا عَلَيْهِنَّ حتَّى يَضعن حَمْلَهُنَّ﴾ اتفق العلماء على وجوب النفقة في العدّة للمطلّقة الحامل عملاً بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيًا أو بائنًا واتفقوا على أن للمطلقة غير الحامل النفقة في العدّة إذا كان الطلاق رجعيًا فإن كان بائنًا فاختلفوا في نفقتها حسبما ذكرناه وأما المتوفّى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فلا نفقة لها عند مالك والجمهور لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلّقات وقال قوم لها النفقة في التركَة **﴿فإنْ أرْضَعْنَ لَكُمْ فآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ﴾** المعنى إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلّقات أولادكم فآتوهنّ أجرة الرضاع وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه **﴿وَائْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾** هذا خطاب للرجال والنساء والمعنى أن يأمر كلّ واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان وقيل معنى ائتمروا تشاوروا ومنه ﴿إنّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [القصص: ٢٠] **﴿وإن تعَاسَرْتُم فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخرَى﴾** المعنى إن تشطّطت الأُم على الأب في أُجرة الرضاع وطلبت منه كثيرًا فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق له إلاّ أن لا يقبل الطفل غير ثدي أُمه فتُجبَر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج **﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾** أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ولا يكلّف الزوج ما لا يطيق ولا تضيع الزوجة بل يكون الحال معتدلاً وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس وهو مذهب مالك خلافًا لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية ومَن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه خلافًا لأبي حنيفة وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطليق عليه قولان في المذهب **﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾** أي حاسبنا أهلها قيل يعني الحساب في الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده وقيل يعني في الدنيا وهذا أرجح لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله: **﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾**، أو لأن قوله حاسبناها وعذّبناها بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع فمعنى حاسبناها أي آخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها والعذاب هو عقابهم في الدنيا والنكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله **﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولاً﴾** الذكر هنا هو القرآن والرسول هو محمد ﷺ

ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

وإعراب رسولاً مفعول بفعل مضمر تقديره أرسل رسولاً وهذا الذي اختاره ابن عطية وهو أظهر الأقوال وقيل إن الذكر والرسول معًا يراد بهما القرآن والرسول على هذا بمعنى الرسالة وقيل إنهما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره ذكرًا ذا رسول وقيل رسولاً مفعول بالمصدر الذي هو الذكر. وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل بدل من الذكر لأنه نزل به أو سمّي ذكرًا لكثرة ذكره لله وهذا كله بعيد ﴿وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا خلاف أن السمٰوات سبع وأما الأرض فاختلف فيها فقيل إنها سبع أرضين لظاهر هذه الآية ولقوله ﷺ: «مَن غصب شبرًا من أرض طوّقه يوم القيامة من سبع أرضين» وقيل إنما هي واحدة فقوله مثلهنّ على القول الأول يعني به المماثلة في العدد وعلى القول الثاني يعني به المماثلة في عظم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك والأول أرجح ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يريد بالأمر الوحي أو أحكام الله وتقديره لخلقه.



مدنيّة وآياتها ١٢ نزلت بعد الحجرات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها روايتان إحداهما أن رسول الله ﷺ جاء يومًا إلى بيت زوجه حفصة بنت عمر بن الخطاب فوجدها قد مرّت لزيارة أبيها فبعث إلى جاريته مارية فجامعها في البيت فجاءت حفصة فقالت يا رسول الله ما كان في نسائك أهون عليك منّي أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مترضيًا لها: «أيرضيك أن أحرمها»؟ قالت: نعم، فقال: «إني قد حرمتها»، والرواية الأخرى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً؛ فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له مَن دنا منها أكلت مغافير والمغافير صمغ العرفط وهو حلو كريه الريح ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لا ولكني شربت عسلاً»، فقلن له جرست نحلة العرفط فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا أشربه أبدًا»، وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة فدخل بعد ذلك

على زينب فقالت ألا أسقيك من ذلك؟ فقال: «لا حاجة لي به»، فنزلت الآية عتابًا له على أن يضيّق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل، والرواية الأولى أشهر وعليها تكلم الناس في فقه السورة، وقد خرّج الرواية الثانية البخاري وغيره ولنتكلم على فقه التحريم، فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء، فلا يلزم ولا شيء عليه عند مالك، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفّارة، وأما تحريم الأمة فإن نوى به العتق لزم وإن لم يَنْوِ به ذلك لم يلزم وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام وأما تحريم الزوجة فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة فقال أبو بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم إنما يلزم فيه كفّارة يمين وقال مالك في المشهور عنه ثلاث تطليقات في المدخول بها وينوي في غير المدخول بها فيحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث، وقال ابن الماجشون هي ثلاث في الوجهين ورُوِيَ عن مالك أنها طلقة بائنة، وقيل طلقة رجعية ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحلّ الله لك يعني تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة، وهذا يدلّ على أنها نزلت في تحريم الجارية وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه وإنما تركه لرائحته ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له وإنما وقع العتاب على تضييقه عليه السلام على نفسه وامتناعه مما كان له فيه أرب وبئس ما قال الزمخشري في أن هذا كان منه زلّة لأنه حرّم ما أحلّ الله وذلك قلّة أدب على منصب النبوّة ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ التحلّة هي الكفّارة وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة المائدة من صفتها واختلف في المراد بها هنا فأما على قول مَن قال إن الآية نزلت في تحريم الجارية فاختلف في ذلك فمَن قال إن التحريم يلزم فيه كفّارة يمين استدلّ بها ومَن قال إن التحريم يلزم فيه طلاق قال إن الكفّارة هنا إنما هي لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حلف وقال والله لا أطؤها أبدًا وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل فاختلف أيضًا فمَن أوجب في تحريم الطعام كفّارة قال هذه الكفّارة للتحريم ومَن قال لا كفّارة فيه قال إنما هذه الكفّارة لأنه حلف ألاّ يشربه وقيل هي في يمينه عليه السلام أن لا يدخل على نسائه شهرًا ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر أو بمعنى السيد الأعظم ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ اختلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال أحدها أنه تحريم الجارية فإنه لمّا حرّمها قال لحفصة لا تخبري بذلك أحدًا والآخر أنه قال إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده والثالث أنه قوله شربت عسلاً والأول أشهر وبعض أزواجه حفصة ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ كانت حفصة قد أخبرت

وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا

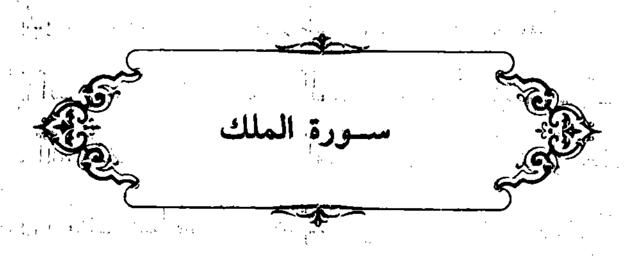
عائشة بما أسرّ إليها رسول الله ﷺ من تحريم الجارية فأخبر الله رسوله عليه السلام بذلك فعاقب حفصة على إفشائها لسرّه فطلّقها ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها وقيل لم يطلّقها فقوله فلما نبأت به حذف المفعول وهو عائشة وقوله وأظهره الله عليه أي أطلعه على إخبارها به وقوله عرّف بعضه أي عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياءً وتكريمًا فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلاّت والتقصير في العتاب وقرىء عرف بالتخفيف من المعرفة ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِه قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾ أي لمّا أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سرّه ظنّت بأن عائشة هي التي أخبرته فقالت له مَن أنبأك هذا؟ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه سكتت وسلّمت ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة وتوبتهما مما جرى منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل ومعنى صغت أي مالت عن الصواب وقرأ ابن مسعود زاغت والمعنى إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ المعنى إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوؤه من إفراط الغيرة وإفشاء سرّه ونحو ذلك فإن له مَن ينصره ومولاه هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على مولاه ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخبر ما عطف عليه ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الوليّ الناصر فيكون جبريل معطوف فيوصل مع ما قبله ويوقف على صالح المؤمنين ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره وهذا أظهر وأرجح لوجهين: أحدهما أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريفًا له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره، لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس في ذلك إظهار مِزية له، الوجه الثاني أنه ورد في الحديث الصحيح أنه لمّا وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال يا رسول الله ما يشقّ عليك من شأن النساء فإن كنت طلّقتهنّ فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك، فنزلت الآية موافقة لقول عمر فقوله يقتضي معك النصرة ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اختلف في صالح هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة فعلى القول بأنه مفرد هو أبو بكر، وقيل عليّ بن أبي طالب، وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم في كل صالح ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الآية، نصرة للنبي ﷺ، ورُوِيَ أن عمر قال ذلك ونزل القرآن

مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ

بموافقته ولقد قال عمر حينئذ للنبي ﷺ والله يا رسول الله لئن أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت، والسائحات معناه الصائمات قاله ابن عباس وقد رُوِيَ عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقيل معناه مهاجرات وقيل ذاهبات إلى الله لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض وقوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾، قال بعضهم المراد بالأبكار هنا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون فإن الله يزوّج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إيّاهما في الجنة وهذا يفتقر إلى نقل صحيح ودخلت الواو هنا للتقسيم ولو سقطت لاختلّ المعنى لأن الثيوبة والبكارة لا يجتمعان، وقال الكوفيون هي واو الثمانية وذلك ضعيف ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ أي أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار فعبّر بالمسبّب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة ﴿وَقُودُهَا﴾ ذكر في البقرة ﴿مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعني زبانية النار وغلظهم وشدّتهم يحتمل أن يريد في أجرامهم وفي قساوة قلوبهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل إن هذا تأكيد لقوله: ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ﴾، وقيل إن معنى لا يعصون امتثال الأمر، ومعنى يفعلون ما يؤمرون جدّهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس ﴿لاَ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ويحتمل أن يكون هذا خطاب من الله للكفّار أو خطاب من الملائكة ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح هي أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبدًا ولا تريد أن تعود وقيل معناه توبة خالصة فهو من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا قال الزمخشري وُصِفَت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي والنصح في الحقيقة صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم وقد تكلمنا على التوبة في قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] في النور ﴿يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ العامل في يوم يحتمل أن يكون ما قبله أو ما بعده أو محذوف تقديره اذكر، والوقف والابتداء يختلف على ذلك ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يحتمل أن يكون معطوفًا على النبي أو مبتدأ وخبره بعده ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ ذكر في الحديد ﴿جَاهِدِ

نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

﴿الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ذكر في براءة **﴿امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾** قيل اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والعة، وهذا يفتقر إلى صحة نقل **﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾** قال ابن عباس خيانة امرأة نوح في أنها كانت تقول إنه مجنون وخيانة امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قَدِموا عليه، وكانتا مع ذلك كافرتين، وقيل خانتا بالزنا، وأنكر ابن عباس ذلك وقال ما زنت امرأة نبيّ قطّ تنزيهًا من الله لهم عن هذا النقص، وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفّار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كأنه يقول لا يغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما وقيل هذا مثال لأزواج النبي ﷺ فيما ذكر في أول السورة وهذا باطل لأن الله إنما ضربه للذين كفروا. وامرأة فرعون اسمها آسية وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها، ورُوِيَ في قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح **﴿مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾** تعني كفره وظلمه، وقيل مضاجعته لها وهذا ضعيف **﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾** يعني الفرج الذي هو الجارحة وإحصانها له هو صيانتها وعفّتها عن كل مكروه **﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾** عبارة عن نفخ جبريل في فرجها، فخلق الله فيه عيسى عليه السلام وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه، وفي ذلك تشريف له **﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾** كلمات ربّها يحتمل أن يريد بها الكتب التي أنزل الله أو كلامه مع الملائكة وغيرهم، وكتابه بالإفراد يحتمل أن يريد به التوراة أو الإنجيل أو جنس الكتب وقرىء بالجمع يعني جميع كتب الله **﴿مِنَ الْقَانِتِينَ﴾** أي من العابدين، فإن قيل: لِمَ قال من القانتين بجمع المذكّر وهي أُنثى؟ فالجواب: أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلّب الذكور.



مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الطور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم

وورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه وأنه عليه الصلاة والسلام قال: إنها تُنجي من عذاب القبر ﴿تَبَارَكَ﴾ فعل مشتق من البركة، وقيل معناه تعاظم وهو مختصّ بالله تعالى ولم ينطق له بمضارع ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ يعني ملك السمٰوات والأرض والدنيا والآخرة، وقيل يعني ملك الملوك في الدنيا فهو كقوله مالك الملك والأول أعمّ وأعظم ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ يعني موت الخلق وحياتهم، وقيل الموت الدنيا لأن أهلها يموتون، والحياة الآخرة لأنها باقية فهو كقوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوان﴾ [العنكبوت: ٦٤] وهو على هذا وصف بالمصدر والأول أظهر ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي ليختبركم واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجّة بما يصدر منهم وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه والمعنى ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قرأها فقال: «أيكم أحسن عملاً وأشدّكم لله خوفًا وأورع عن محارم

ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟

الله وأسرع في طاعة الله» ﴿**سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ طِبَاقًا**﴾ أي بعضها فوق بعض، والطّباق مصدر وُصفت به السمٰوات أو على حذف مضاف تقديره ذوات طباق وقيل إنه جمع طبقة ﴿**مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾ أي من قلّة تناسب وخروج عن الإتقان، والمعنى أن خلقة السمٰوات في غاية الإتقان وقيل أراد خلقه جميع المخلوقات ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلقة السمٰوات أظهر لورودها بعد قوله خلق سبع سمٰوات طِباقًا فبان قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت بيان وتكميل ما قبله والخطاب في قوله ما ترى وارجع البصر وما بعده للنبي ﷺ أو لكل مخاطب ليعتبر ﴿**فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ**﴾ الفطور الشقوق جمع فطر، وهو الشقّ وإرجاع البصر ترديده في النظر، ومعنى الآية الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل بل هي ملتئمة مستوية ﴿**ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ**﴾ أي انظر نظرًا بعد نظر للتثبّت والتحقّق، وقال الزمخشري معنى التثنية في كرّتين التكثير لا مرّتين خاصّة، كقولهم لبّيك فإن معناه إجابات كثيرة ﴿**يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾ الخاسىء هو المبعد عن الشيء الذي طلبه، والحسير هو الكليل الذي أدركه التعب فمعنى الآية أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقًا أو خللاً رجع بصرك ولم ترَ شيئًا من ذلك فكأنه خاسىء لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل وهو مع ذلك كليل من شدّة النظر وكثرة التأمّل ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**﴾ السماء الدنيا هي القريبة منّا، والمصابيح يُراد بها النجوم فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال، وإن كانت في غيرها من السمٰوات فقد زيّنت السماء الدّنيا، لأنها ظاهرة فيها لنا ويحتمل أن يريد أنه زيّن السماء الدّنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها على أن القول بموضع الكواكب وفي أيّ سماء هي لم يرد في الشريعة ﴿**وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ**﴾ أي جعلنا منها رجومًا، لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين فهو كقولك: أكرمت بني فلان إذا أكرمت بعضهم، والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمّي به ما يُرجَم به، قال الزمخشري معنى كون النجوم رجومًا للشياطين والشّهب تنقضّ من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء فالشّهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها لأنها ثابتة في الفلك قال قتادة خلق الله النجوم لثلاثة أشياء زينة السماء ورجوم الشياطين ويهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر ﴿**وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ**

بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾

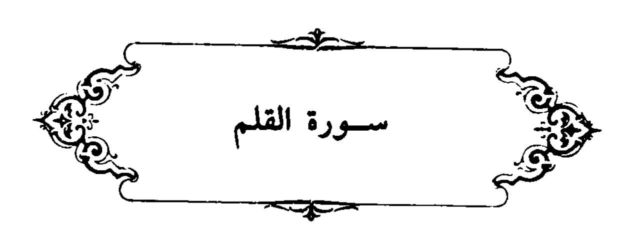
﴿السَّعِيرِ﴾ يعني للشياطين **﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾** الشهيق أقبح ما يكون من صوت الحمار ويعني به هنا ما يسمع من صوت جهنم لشدّة غليانها وهولها أو شهيق أهلها، والأول أظهر **﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾** أي تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها **﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾** أي تكاد جهنم ينفصل بعضها عن بعض لشدّة غيظها على الكفّار، فيحتمل أن تكون هي المغتاظة بنفسها ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية والأول أظهر لأن حال الزبانية يُذكَر بعد هذا وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها أو يكون عبارة عن شدّتها **﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾** أي كلما أُلقِيَ في جهنم جماعة من الكفّار سألتهم الزبانية هل جاءكم من نذير أي رسول وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم، ولذلك اعترفوا فقالوا بلى قد جاءنا نذير، وقوله كلما يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعة تُلقى في النار **﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ كَبِيرٍ﴾** يحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفّار أو من قول الكفّار للرسل في الدنيا **﴿وَقَالُوا﴾** الضمير للكفّار أي لو كنّا نسمع كلام الرُّسُل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير **﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾** اعترافهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف وذنبهم هنا يراد به تكذيب الرُّسُل **﴿فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾** انتصب فسحقًا بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم **﴿بِالْغَيْبِ﴾** فيه قولان أحدهما أن معناه وهم غائبون عن الناس ففي ذلك وصف لهم بالإخلاص والآخر أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها على أن هذا القول إنما يحسن في قوله يؤمنون بالغيب **﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾** المعنى سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسرّ **﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾** هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء لأن الخالق يعلم مخلوقاته ويحتمل أن يكون من خلق فاعلاً يراد به الخالق والمفعول محذوف تقديره ألا يعلم الخالق خلقه أو يكون من خلق مفعولاً والفاعل مضمر تقديره ألا يعلم الله مَن خلق والأول أرجح لأن مَن خلق إذا كان مفعولاً اختصّ بمَن يعقل والمعنى الأول يعمّ مَن يعقل ومَن لا يعقل **﴿الأَرْضَ ذَلُولاً﴾** فعول هنا بمعنى مفعول أي

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي

مذلولة فهي كركوب وحلوب **﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾** قال ابن عباس هي الجبال وقيل الجوانب والنواحي وقيل الطرق والمعنى تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض فاستعار لها الذلّ والمناكب تشبيهًا بالدواب **﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾** يعني البعث يوم القيامة **﴿أَأَمِنتُم﴾** الآية مقصودها التهديد والتخويف للكفّار وكذلك الآية التي بعدها **﴿تَمُورُ﴾** ذكر في الطور **﴿حاصبًا﴾** يحتمل أن يريد حجارة أو ريحًا شديدةً **﴿نَذِيرِ﴾** بمعنى الإنذار وكذلك النكير بمعنى الإنكار **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾** تنبيه على الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها وصافّات جمع صافّة وهي التي تبسط جناحها للطيران والقبض ضمّ الجناحين إلى الجنب وعطف يقبض على صافّات لأن الفعل في معنى الاسم تقديره قابضات فإن قيل لم يقل قابضات على طريقة صافّات؟ فالجواب أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران كما أن مدّ الأطراف هو الأصل في السباحة فذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطائر قليلاً للاستراحة والاستعانة فذكر بلفظ الفعل لقلّته **﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾** خطاب للكفّار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجّة عليهم ودخلت أم التي يراد بها الإنكار على من فأُدغمت فيها وكذلك أمّن هذا الذي يرزقكم والضمير في أمسك لله أي مَن يرزقكم إن منع الله رزقه، **﴿بَل لَّجُّوا﴾** أي تمادوا في العتوّ والنفور عن الإيمان **﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾** الآية توقيف على الحالتين، أيّهما أهدى والمراد بها توبيخ الكفّار، وفي معناها قولان: أحدهما أن المشي هنا استعارة في سلوك طريق الهدى والضلال في الدنيا، والآخر أنه حقيقة في المشي في الآخرة لأن الكافر يحمل على المشي إلى جهنم على وجهه فأما على القول الأول فقيل إن الذي يمشي مُكِبًّا أَبو جهل والذي يمشي سويًا سيّدنا محمد ﷺ، وقيل حمزة وقيل هي على العموم في كل مؤمن وكافر، وقد تمشي هذه الأقوال أيضًا على

ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

الثاني، والمكبّ هو الذي يقع على وجهه يقال أكبّ الرجل وكبّه غيره فالمعدّى دون همزة والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾** الضمير للكفّار والوعد يراد به البعث أو عذابهم في الدنيا **﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾** ضمير الفاعل للكفّار وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمنه الوعد **﴿زُلْفَةً﴾** أي قريبًا وقيل عيانًا **﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي ظهر فيها السوء لما حلّ بها **﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾** تفتعلون من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون به والقائلون لذلك الملائكة أو يقال لهم بلسان الحال **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ﴾** الآية سببها أن الكفّار كانوا يتمنّون هلاك النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والمسلمين فأمره الله أن يقول لهم: **﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾** فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال والهلاك هنا يحتمل أن يراد به الموت أو غيره ومعنى مَن يجير الكافرين من عذاب أليم: مَن يمنعهم من العذاب **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾** الآية احتجاج على المشركين والغور مصدر وصف به فهو بمعنى غاير أي ذاهب في الأرض والمَعين الكثير واختلف وزنه فعيل أو مفعول فالمعنى إن غار ماؤكم الذي تشربون هل يأتيكم غير الله بماء مَّعين.



سـورة القلم

مكيّة إلاّ من آية ١٧ إلى غاية آية ٣٣ ومن
آية ٤٨ إلى غاية آية ٥٠ فمدنيّة وآياتها ٥٢ نزلت بعد العلق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن

بِسْـــم اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿ن﴾ حرف من حروف الهجاء وقد تقدّم الكلام عليها في البقرة ويختصّ ﴿ن﴾ بأنه قيل إنه حرف من الرحمن فإن حروف الرحمن ألف ولام وراء وحاء وميم ون وقيل نون هنا يراد به الحوت وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبعة وهذا لا يصحّ على أن نون بمعنى الحوت معروف في اللغة ومنه ذو النون وقيل إن نون هنا يراد به الدُّواة وهذا غير معروف في اللغة ويبطل قول مَن قال إنه الحوت أو الدواة بأنه لو كان كذلك لكان معربًا بالرفع أو النصب أو الخفض ولكان في آخره تنوين فكونه موقوفًا دليل على أنه حرف هجاء نحو ألم وغيره من حروف الهجاء الموقوفة ﴿وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ اختلف فيه على قولين أحدهما أنه القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ فالضمير في يسطرون للملائكة والآخر أنه القلم المعروف عند الناس أقسم الله به لما فيه من المنافع والحِكَم والضمير في يسطرون على هذا لبني آدم ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم وهو خطاب

سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن

لمحمد ﷺ معناه نفي نسبة الكفّار له من الجنون وبنعمة ربّك اعتراض بين ما وخبرها كما تقول أنت بحول الله أفضل والمجرور في موضع الحال وقال الزمخشري إن العامل فيه بمجنون ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ذكر في فصّلت ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا ثناء على خلق رسول الله ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم القرآن تعني التأدّب بآدابه وامتثال أوامره وعبّر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع وذلك رأس الخلق وتفصيل ذلك أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم جمع كل فضيلة وحاز كل خصلة جميلة، فمن ذلك شرف النسب ووفور العقل وصحّة الفهم وكثرة العلم وشدّة الحياء وكثرة العبادة والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتودّد والاقتصاد والزهد والتواضع والشفقة والعدل والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم وحُسْن المعاشرة وحُسْن التدبير وفصاحة اللسان وقوّة الحواس وحُسْن الصورة وغير ذلك حسبما ورد في أخباره وسيره صلّى الله عليه وآله وسلّم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام بُعِثت لأتمّم مكارم الأخلاق، وقال الجنيد سمّي خلقه عظيمًا لأنه لم تكن له همّة سوى الله عزّ وجلّ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ قيل إن المفتون هنا بمعنى المجنون ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة والخطاب في قوله فستبصر للنبي ﷺ وفي قوله ويبصرون لكفّار قريش واختلف في الباء التي في قوله بأيّكم على أربعة أقوال الأول أنها زائدة، الثاني أنها غير زائدة والمعنى بأيّكم الفتنة فأوقع المفتون موقع الفتنة كقولهم ما له معقول أي عقل، الثالث أن الباء بمعنى في والمعنى في أيّ فريق منكم المفتون واستحسن ابن عطية هذا، الرابع أن المعنى بأيّكم فتنة المفتون ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ المداهنة هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي، ورُوِيَ أن الكفّار قالوا للنبي ﷺ لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك فنزلت الآية ولم ينتصب فيدهنون في جواب التمنّي بل رفعه بالعطف على تدهن قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهم يدهنون ﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل ﴿مَّهِينٍ﴾ هو الضعيف الرأي والعقل قال ابن عطية هو من مهن إذا ضعف فالميم فاء الفعل، وقال الزمخشري هو من المهانة وهي الذلّة والحقارة وقال ابن عباس المهين الكذاب ﴿هَمَّازٍ﴾ هو الذي يعيب الناس ﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ أي كثير المشي بالنميمة يقال نميم ونميمة بمعنى واحد قال رسول الله ﷺ: «لا

كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا

يدخل الجنة نمّام» ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي شحيح لأن الخير هنا هو المال وقيل معناه منّاع من الخير أي يمنع الناس من الإسلام، والعمل الصالح ﴿مُعْتَدٍ﴾ هو من العدوان وهو الظلم ﴿أَثِيمٍ﴾ من الإثم وهو ارتكاب المحرّمات ﴿عُتُلٍّ﴾ أي غليظ الجسم قاسي القلب بعيد الفهم كثير الجهل ﴿زَنِيمٍ﴾ أي ولد زنا؛ وقيل هو الذي في عنقه زنمة كزنمة الشاة التي تعلق في حلقها، وقيل معناه مريب قبيح الأفعال وقيل ظلوم، وقيل لئيم وقوله بعد ذلك أي بعد ما ذكرنا من عيوبه، فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان واختلف في الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة، فقيل لم يقصد بها شخص معين بل كلّ مَن اتّصف بها وقيل المقصود بها الوليد بن المغيرة لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين، وكذلك كان، وقيل أبو جهل وقيل الأخنس بن شريق ويؤيّد هذا أنه كانت له زنمة في عنقه، قال ابن عباس عرفناه بزنمته وكان لقيط من ثقيف ويُعدّ في بني زهرة فيصحّ وصفه بزنيم على القولين، وقيل الأسود بن عبد يغوث ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ في موضع مفعول من أجله يتعلق بقوله لا تطع أي لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه، ويجوز أن يتعلق بما بعده، والمعنى على هذا أنه قال في القرآن: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾، لأنه ذو مال وبنين يتكبّر بماله وبنيه والعامل في أن كان على هذا فعل من المعنى ولا يجوز أن يعمل فيه قال الذي هو جواب إذا لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله والأول أظهر وقد تقدّم معنى أساطير الأوّلين ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أصل الخرطوم أنف السبع ثم استعير للإنسان استخفافًا به وتقبيحًا له والمعنى نجعل له سِمَة وهي العلامة على خرطومه، واختلف في هذه السمة قيل هي الضربة بالسيف يوم بدر، وقيل علامة من نار تُجعَل على أنفه في جهنم وقيل علامة تُجعَل على أنفه يوم القيامة ليُعرَف بها ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي بلونا قريشًا كما بلونا أصحاب الجنة وكانوا إخوة من بني إسرائيل لهم جنة، رُوِيَ أنها بمقربة من صنعاء فحلفوا أن لا يعطوا مسكينًا منها شيئًا وباتوا عازمين على ذلك، فأرسل الله على جنتهم طائفًا من نار فأحرقتها فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق ثم تبيّنوها فعرفوها وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا فندموا وتابوا إلى الله ووجه تشبيه قريش أصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش ببعث محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك فعاقبهم الله كما عاقبهم وقيل شبّه قريشًا لما أصابهم الجوع

طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا

لشدّة القحط حين دعا عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأصحاب الجنة لمّا هلكت جنتهم **﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾** أي حلفوا أن يقطعوا غلّة جنتهم عند الصباح وكانت الغلّة ثمرًا **﴿وَلاَ يَسْتَثْنُونَ﴾** في معناه ثلاثة أقوال أحدها لم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا ليصرمنّها والآخر لا يستثنون شيئًا من ثمرها إلاّ أخذوه لأنفسهم والثالث لا يتوقفون في رأيهم ولا ينتهوا عنه أي لا يرجعون عنه **﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾** قال الفرّاء الطائف الأمر الذي يأتي بالليل **﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾** فيه أربعة أقوال الأول أصبحت كالليل لأنها اسودّت لما أصابها والصريم في اللغة الليل الثاني أصبحت كالنهار لأنها ابيضّت كالحصيد ويقال صريم لليل والنهار الثالث أن الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب الرابع أصبحت كالمصرومة أي المقطوعة **﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾** أي نادى بعضهم بعضًا حين أصبحوا وقال بعضهم لبعض **﴿اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾** أي جنتكم **﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾** أي حاصدين لثمرتها **﴿يَتَخَافَتُونَ﴾** يكلّم بعضهم بعضًا في السرّ ويقولون **﴿لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾** وأن في قوله أن اغدوا وأن لا يدخلنّها حرف عبارة وتفسير **﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾** في الحرد أربعة أقوال الأول أنه المنع الثاني أنه القصد الثالث أنه الغضب الرابع أن الحرد اسم للجنة وقادرين يحتمل أن يكون من القدرة أي قادرين في زعمهم أو من التقدير بمعنى التضييق أي ضيقوا على المساكين **﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾** أي أخطأنا طريق الجنة قالوا ذلك لما لم يعرفوها فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا **﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾** أي حرمنا الله خيرها **﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾** أي خيرهم وأفضلهم ومنه أمة وسطًا أي خيارًا **﴿لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ﴾** أي تقولون سبحان الله وقيل هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه وقيل أراد الاستثناء في اليمين كقولهم إن شاء الله والأول أظهر لقولهم بعد ذلك سبحان ربّنا والمعنى أن هذا الذي هو أفضلهم كان قد حضّهم على التسبيح **﴿يَتَلاَوَمُونَ﴾** أي يلوم بعضهم بعضًا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين أو على غفلتهم عن التسبيح بدليل قوله ألم أقل لكم لولا تسبحون **﴿عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾** يحتمل أنهم طلبوا البدل في الدنيا أو في الآخرة والأول أرجح لأنه رُوِيَ عن ابن مسعود أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودًا

خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي مثل هذا العذاب الذي ينزل بأهل الجنة ينزل بقريش ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ الهمزة للإنكار أي كيف يسوّي الله بين المسلمين والمجرمين بل يجازي كل أحد بعمله والمراد بالمجرمين هنا الكفّار ﴿مَا لَكُمْ﴾ توبيخ للكفّار وما مبتدأ ولكم خبره وتمّ الكلام هنا فينبغي أن يوقف عليه ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ توبيخ آخر أي كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هذه الجملة معمول تدرسون وكان أصل إن الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها وتخيرون معناه تختارون لأنفسكم ومعنى الآية هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم ﴿أَم لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ المعنى هل حلفنا لكم أيمانًا أن لكم ما تحكمون ومعنى بالغة ثابتة واصلة إلى يوم القيامة، وقوله إن لكم هو جواب القسم الذي يقتضيه الأيمان ولذلك أكده بإن واللام وما تحكمون هو اسم إن دخلت عليه اللام المؤكّدة ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي يا محمد اسأل قريشًا أيّهم زعيم بهذه الأمور، والزعيم هو الضامن للأمر القائم به ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ هذا تعجيز للكفّار، ومعناه إن كان لكم شركاء يقدرون على شيء فأتوا بهم، واختلف هل قوله فليأتوا بهم في الدنيا، أي أحضروهم حتى يرى حالهم أو يقال لهم ذلك يوم القيامة: والشركاء هم المعبودون من الأصنام وغيرها وقال الزمخشري معناه أم لكم ناس يشاركونكم في هذا القول، ويوافقونكم عليه فأتوا بهم يعني أنهم لا يوافقهم أحد عليه، والأول أظهر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال المتأوّلون ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدّته، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينادي مُنادٍ يوم القيامة لتتبع كل أُمة ما كانت تعبد فيتبع الشمس مَن كان يعبد الشمس ويتبع القمر مَن كان يعبد القمر ويتبع كل أحد ما كان يعبد ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم مُنافقوهم فيقال لهم ما شأنكم فيقولون ننتظر ربّنا قال فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه فيقول أنا ربّكم فيقولون نعوذ بالله منك، قال فيقول أتعرفونه بعلامة ترونها فيقولون نعم فيكشف لهم عن ساق فيقولون نعم أنت ربّنا ويخرّون للسجود فيسجد كل مؤمن وترجع أصلاب المنافقين عظمًا واحدًا فلا

ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا

يستطيعون سجودًا» وتأويل الحديث كتأويل الآية ﴿**وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ**﴾ تفسيره في الحديث الذي ذكرنا، فإن قيل كيف يدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف؟ فالجواب: أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود في الدنيا لا على وجه التكليف والعبادة ﴿**وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**﴾ أي قد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود فيمتنعون منه وهم سالمون في أعضائهم قادرون عليه ﴿**فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ**﴾ تهديد للمكذبين بالقرآن وإعراب مَن يكذب مفعول معه أو معطوف، وقد ذكرنا في الأعراف سنستدرجهم وما بعده ﴿**أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا**﴾ معناه أنت لا تسألهم أُجرة على الإسلام فتثقل عليهم فلا عذر لهم في تركهم الإسلام، وقد فسّرنا هذا وما بعده في الطور ﴿**فَٱصْبِرْ**﴾ يقتضي مسالمة للكفّار، نسخت بالسيف ﴿**وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ**﴾ هو يونس عليه السلام وسمّاه صاحب الحوت لأن الحوت ابتلعه وهو أيضًا ذو النون والنون هو الحوت، وقد ذكرنا قصته في الأنبياء والصّافّات، فنهى الله محمدًا ﷺ أن يكون مثله في الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبًا، ورُوِيَ أن هذه الآية نزلت لمّا همّ النبي ﷺ أن يدعو على الكفّار ﴿**إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**﴾ هذا آخر ما جرى ليونس ونداؤه هو قوله في بطن الحوت لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، والمكظوم الشديد الحزن ﴿**لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ**﴾ هو جواب لولا والمنفي هو الذمّ لا نبذه بالعراء فإنه قد قال في الصّافّات فنبذناه بالعراء فالمعنى لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم لكنه نبذ وهو غير مذموم وقد ذكرنا العراء في الصّافّات ﴿**وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ**﴾ عبارة عن شدّة عداوتهم وإن مخفّفة من الثقيلة بدليل دخول اللام وليزلقونك معناه يهلكونك كقولك نظر فلان إلى عدوّه نظرة كاد يصرعه وأصله من زلق القدم، وقرىء بفتح الياء وضمّها وهما لغتان وقيل إن المعنى يأخذونه بالعين وكان ذلك في بني أسد كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شيء إلاّ أصابه بالعين فأراد بعضهم أن يصيب

هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢)

النبي ﷺ فعصمه الله من ذلك، وقال الحسن دواء مَن أُصيب بالعين قراءة هذه الآية ﴿وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني القرآن أو هو موعظة وتذكير للخلق.

سورة الحاقة

مكيّة وآياتها ٥٢ نزلت بعد الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾ هي القيامة ووزنها فاعلة سمّيت الحاقّة لأنها تحقّ أي يصحّ وجودها، ولا ريب في وقوعها ولأنها حقّت لكل أحد جزاء عمله أو لأنها تبدىء حقائق الأمور ﴿مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ ما استفهامية يراد بها التعظيم وهي مبتدأ وخبرها ما بعده والجملة خبر الحاقّة، وكان الأصل الحاقّة ما هي ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التعظيم والتهويل، وكذلك و﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ لفظه استفهام والمراد به التعظيم والتهويل ﴿بِٱلْقَارِعَةِ﴾ هي القيامة سُمّيت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ يعني الصيحة التي أخذت ثمود وسُمّيت بذلك لأنها جاوزت الحدّ في الشدّة، وقيل الطاغية مصدر فكأنه قال أهلكوا بطغيانهم، فهو كقوله كذبت ثمود بطغواها وقيل هي صفة لمحذوف تقديره أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية أو الفئة الطاغية والباء على هذين القولين سببية وعلى القول الأول كقولك قتلت زيدًا بالسيف ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ذكر في فصّلت، وعاتية أي شديدة وسُمّيت بذلك

﴿أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾

لأنها عتت على عادٍ، وقيل عتت على خزّانها فخرجت بغير إذنهم ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ رُوِيَ أنها بَدَت صبيحة يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من شوّال، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر ﴿حُسُومًا﴾ قال ابن عباس معناه كاملة متتابعة لم يتخلّلها غير ذلك، وقيل معناه شؤمًا وقيل هو جمع حاسم من الحسم وهو القطع أي قطعتهم بالإهلاك فحسومًا على القول الأول والثاني مصدر في موضع الحال، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ جمع صريع وهو المطروح بالأرض، والضمير المجرور يعود على منازلهم لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدّم ذكرها أو على الأيام والليالي، أو على الريح ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تقدّم في القمر معنى تشبيههم بأعجاز النخل، والخاوية هي التي خَلَت من طول بلائها وفسادها ﴿مِّن بَاقِيَةٍ﴾ أي من بقية، وقيل من فئة باقية وقيل إنه مصدر بمعنى البقاء ﴿وَمَن قَبْلَهُ﴾ يريد مَن تقدّم قبله من الأمم الكافرة وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم المراد لأن عادًا وثمود قد ذكرا وقوم لوط هم المؤتفكات وقوم نوح قد أُشير إليهم في قوله لما طغى الماء حملناكم في الجارية، وقرىء بكسر القاف وفتح الباء ومعناه جنده وأتباعه ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ إما أن يكون مصدرًا بمعنى الخطيئة أو صفة لمحذوف تقديره بالفعلة الخاطئة ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ إن عاد الضمير على فرعون وقومه، فالرسول موسى عليه السلام، وإن عاد على المؤتفكات: فالرسول لوط عليه السلام، وإن عاد على الجميع، فالرسول اسم جنس أو بمعنى الرسالة ﴿رَّابِيَةً﴾ أي عظيمة وهي من قولك ربا الشيء إذا كثر ﴿طَغَى الْمَاءُ﴾ عبارة عن كثرته، فيحتمل أن يريد أنه طغى على أهل الأرض أو على خزّانه وقت طوفان نوح عليه السلام ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ هي السفينة، فإن أراد سفينة نوح فمعنى حملناكم حملنا آباءكم لأن كل مَن على الأرض من ذرّية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة، وإن أراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ الضمير للفعلة وهي الحمل في السفينة وقيل للسفينة، فإن أراد جنس السفن: فالمعنى أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمَن ركب أو سمع بها وإن أراد سفينة نوح فقد قيل إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيدانها أول هذه الأمة ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير لنجعلها، وهذا يقوي أن يكون للفعلة، والأُذُن الواعية هي التي تفهم ما

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ﴾

تسمع وتحفظه، يقال وعيت العلم إذا حصّلته، ولذلك عبّر بعضهم عنها بأنها التي عقلت عن الله، ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال لعليّ بن أبي طالب: «إني دعوت الله أن يجعلها أُذنك يا عليّ»، قال عليّ فما نسيت بعد ذلك شيئًا سمعته، قال الزمخشري: إنما قال أُذن واعية بالتوحيد والتنكير للدلالة على قلّة الوعاة ولتوبيخ الناس بقلّة مَن بقي منهم، وللدلالة على أن الأُذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهي المعتبرة عند الله دون غيرها ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني نفخة الصور وهي الأولى ﴿فَدُكَّتَا﴾ الضمير للأرض والجبال، ومعنى دُكّتا ضرب بعضها ببعض حتى تندق، وقال الزمخشري: الدكّ أبلغ من الدق، وقيل معناه بسطت حتى تستوي الأرض والجبال ﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي قامت القيامة، وقيل وقعت صخرة بيت المقدس وهذا ضعيف ﴿وَاهِيَةٌ﴾ أي مسترخية ساقطة القوة، ومنه قولهم دار واهية أي ضعيفة الجدران ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ الملك هنا اسم جنس والأرجاء الجوانب واحدها رجا مقصور، والضمير يعود على السماء، والمعنى أن الملائكة يكونون يوم القيامة على جواب السماء لأنها إذا وهيت وقفوا على أطرافها، وقيل يعود على الأرض لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدّم ذكرها، ورُوِيَ في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفًا على جوانب الأرض والأول أظهر وأشهر ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال ابن عباس هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدّتهم وقيل ثمانية أملاك رؤوسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة، ويؤيّد هذا ما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هو اليوم أربعة»، فإذا كان يوم القيامة قوّاهم الله بأربعة سواهم ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ خطاب لجميع العالم والعرض البعث أو الحساب ﴿خَافِيَةٌ﴾ أي حال خافية من الأعمال والسرائر ويحتمل المعنى لا يخفى من أجسادهم لأنهم يحشرون حُفاة عُراة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ الكتاب هنا صحائف الأعمال ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ هاؤم اسم فعل، قال ابن عطيّة معناه تعالوا وقال الزمخشري هو صوت يُفهَم منه معنى خذ، وكتابيه مفعول يطلبه هاؤم واقرءوا من ضمير المعنى تقديره هاؤم كتاب اقرءوا كتابي ثم حذف لدلالة الآخر عليه وعمل فيه العامل، الثاني وهو اقرءوا عند البصريين، والعامل الأول هو هاؤم عند الكوفيين، والدليل على صحة قول البصريين أنه لو عمل الأول لقال اقرؤوه، والهاء في كتابيه للوقف

حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا

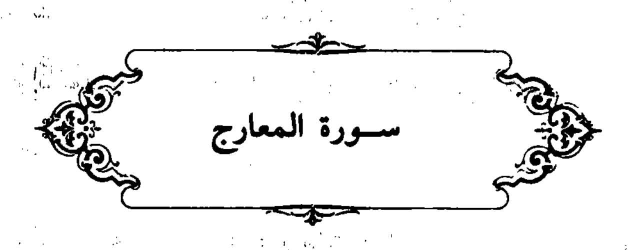
وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وكان الأصل أن تسقط في الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف وقد أسقطها في الوصل بعضهم، ومعنى الآية أن العبد الذي يعطى كتابه بيمينه يقول للناس اقرءوا كتابيه على وجه الاستبشار والسرور بكتابه ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ أي ذات رِضًا كقولهم تامر لصاحب التمر قال ابن عطية ليست بياء اسم فاعل، وقال الزمخشري يجوز أن يكون اسم فاعل نسب الفعل إليها مجازًا وهو لصاحبها حقيقة ﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قطف وهو ما يُجتَنى من الثمار ويُقطَف كالعنقود ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي قريبة، ورُوِيَ أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أيّ حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع ﴿أَسلفتم﴾ أي قدّمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي الماضية يعني أيام الدنيا ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ هم الكفّار بدليل قوله إنه كان لا يؤمن بالله العظيم فجعل علّة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم، وأما المؤمنون فيعطون كتبهم بأيمانهم، لكن اختلف فيمَن يدخل النار منهم، هل يُعطى كتابه قبل دخول النار أو بعد خروجه منها؟ وهذا أرجح لقوله: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ لأن هذا كلام سرور فيبعد أن يقوله مَن يحمل إلى النار ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ أي يتمنى أنه لم يعطَ كتابه وقال ابن عطية يتمنى أن يكون معدومًا لا يجري عليه شيء والأول أظهر ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ أي ليت الموتة الأولى كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا إحياء ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ يحتمل أن يكون نفيًا أو استفهامًا يراد به النفي ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ أي زال عني مُلكي وقدرتي وقيل ذهبت عني حجّتي ﴿خُذُوهُ﴾ خطاب للزبانية يقوله لهم الله تعالى أو الملائكة بأمر الله ﴿فَغُلُّوهُ﴾ أي اجعلوا غلاً في عنقه؛ ورُوِيَ أنها نزلت في أبي جهل ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ معنى ذرعها أي طولها، واختلف في هذا الذراع فقيل إنه الذراع المعروف، وقيل بذراع الملك وقيل في الذراع سبعون باعًا، كل باع ما بين مكة والكوفة ولله درّ الحسن البصري في قوله الله أعلم بأيّ ذراع هي وجعلها سبعين ذراعًا لإرادة وصفها بالطول فإن السبعين من الأعداد التي تقصد بها العرب التكثير، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار أو تكون بين جميعهم وقد حكى الثعلبي ذلك ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي أدخلوه، ورُوِيَ أن هذه

يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ

السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج من دبره، فاسلكوه على هذا من المقلوب في المعنى كقولهم أدخلت القلنسوة في رأسي ورُوِيَ أنها تلتوي عليه حتى تعمّه وتضغطه فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها، وإنما قدّم قوله في سلسلة على اسلكوه لإرادة الحصر أي لا تسلكوه إلاّ في هذه السلسلة وكذلك قدّم الحميم على صلوه لإرادة الحصر أيضًا ﴿طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ يحتمل أنه أراد إطعام مسكين فوضع الاسم موضع المصدر أو يقدّر لا يحضّ على بذل طعام المسكين وأضاف الطعام إلى المسكين لأن له إليه نسبة ووصفه بأنه لا يحضّ على طعام المسكين يدلّ على أنه لا يطعمه من باب أولى وهذه الآية تدلّ على عظم الصدقة وفضلها، لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر لله ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: ليس له صديق والآخر ليس له شراب ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ فإن الحميم الماء الحار، والغسلين صديد أهل النار عند ابن عباس وقيل شجر يأكله أهل النار، وقال اللغويون هو ما يجري من الجراح إذا غسلت وهو فعلين من الغسل ﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ جمع خاطىء وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدًا والمخطىء الذي يفعله بغير تعمد ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ لا زائدة غير نافية ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني جميع الأشياء لأنها تنقسم إلى ما يبصر وما لا يبصر كالدنيا والآخرة والإنس والجن والأجسام والأرواح وغير ذلك ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم والضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل لمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عطية يحتمل أن تكون ما نافية، فنفى إيمانهم بالجملة أو تكون مصدرية فوصف إيمانهم بالقلة، وقال الزمخشري القلة هنا بمعنى العدم، أي تؤمنون ولا تذكرون ألبتة ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ التقول هو أن ينسب إلى أحد ما لم يقل، ومعنى الآية لو تقول علينا محمد لعاقبناه، ففي ذلك برهان على أن القرآن من عند الله ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ قال ابن عباس اليمين هنا القوة ومعناه لو تقول علينا لأخذناه بقوتنا وقيل هي عبارة عن الهوان كما يقال لمن يسجن أخذ بيده وبيمينه، قال الزمخشري معناه لو تقول علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول، وعبر عن ذلك بقوله: لأخذنا منه باليمين لأن السياف إذا أراد أن يضرب المقتول في جسده أخذ بيده اليمنى ليكون ذلك أشد عليه لنظره إلى السيف

ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

﴿**الْوَتِينَ**﴾ نياط القلب، وهو عرق إذا قطع مات صاحبه، فالمعنى لقتلناه ﴿**فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾ الحاجز المانع، والمعنى لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه وإنما جمع حاجزين لأن أحد في معنى الجماعة ﴿**وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ**﴾ الضمير للقرآن وقيل لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم والأول أظهر ﴿**وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ أي حسرة عليهم في الآخرة، لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين ﴿**وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ**﴾ قال الكوفيون هذا من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: مسجد الجامع، وقال الزمخشري المعنى عين اليقين ومحض اليقين، وقال ابن عطية ذهب الحذّاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه.



سورة المعارج

مكيّة وآياتها ٤٤ نزلت بعد الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ مَن قرأ سائل بالهمز احتمل معنيين أحدهما أن يكون بمعنى الدعاء أي دعا داعٍ بعذاب واقع، وقد تكون الإشارة إلى قول الكفّار أمطر علينا حجارة من السماء وكان الذي قالها النضر بن الحارث، والآخر أن يكون بمعنى الاستخبار أي سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على هذا بمعنى عن وتكون الإشارة إلى قوله متى هذا الوعد وغير ذلك، وأما مَن قرأ سال بغير همز فيحتمل وجهين. أحدهما: أن يكون مخفّفًا من المهموز، فيكون فيه المعنيان المذكوران، والثاني أن يكون من سال السيل إذا جرى ويؤيّد ذلك قراءة ابن عباس سال سيل، وتكون الباء على هذا كقولك ذهبت بزيد وإذا كان من السيل احتمل وجهين: أحدهما أن يكون شبّه العذاب في شدّته وسرعة وقوعه بالسيل وثانيهما أن تكون حقيقة قال زيد بن ثابت في جهنم وادٍ يقال له سائل فتلخّص من هذا أن في القراءة بالهمز يحتمل معنيين وفي القراءة بغير همز أربعة معانٍ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾

يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ

يحتمل أن يتعلق بواقع وتكون اللام بمعنى على أو تكون صفة للعذاب أو يتعلق بسأل إذا كانت بمعنى دعا أي دعا للكافرين بعذاب أو تكون مستأنفًا كأنه قال هو للكافرين ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يتعلق بواقع أي واقع من عند الله أو بدافع أي ليس له دافع من عند الله أو يكون صفة للعذاب أو مستأنفًا ﴿ذِي ٱلْمَعَارِجِ﴾ جمع معرج وهو المصعد إلى علو كالسلم والمدارج التي يرتقى بها قال ابن عطية هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة وقيل هي المراقي إلى السماء وهذا أظهر لأنه فسّرها بما بعدها من عروج الملائكة ﴿وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى عرشه ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه فالعروج هو من الأرض إلى العرش والروح هنا جبريل عليه السلام بدليل قوله نزل به الروح الأمين على قلبك وقيل الروح ملائكة حَفَظَة على الملائكة وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل وقيل الروح جنس أرواح الناس وغيرهم ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ اختلف في هذا اليوم على قولين: أحدهما أنه يوم القيامة والآخر أنه في الدنيا والصحيح أنه يوم القيامة لقول رسول الله ﷺ في حديث مانع الزكاة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدّي زكاتها إلاّ صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد يعني يوم القيامة ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة وهذا هو الأظهر أو هل وصف بذلك لشدّة أهواله كما يقال يوم طويل إذا كان فيه مصائب وهموم وإذا قلنا إنه في الدنيا فالمعنى أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة وقيل الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا والملائكة تعرج وتنزل في هذه المرة وهذا كله على أن يكون قوله في يوم يتعلق بتعرّج ويحتمل أن يكون في يوم صفة للعذاب فيتعيّن أن يكون اليوم يوم القيامة والمعنى على هذا مستقيم ﴿فَاصْبِرْ﴾ هذا متّصل بما قبله من العذاب وغيره أي اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب ولذلك وصفه بالقرب مبالغة في تسلية النبي ﷺ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ يحتمل أن يعود الضمير على العذاب أو على اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة والبعيد يحتمل أن يراد به بُعد الزمان أو بُعد الإمكان وكذلك القُرْب يحتمل أن يُراد به قُرب الزمان لأن كل آتٍ قريب ولأن الساعة قد قربت وقرب الإمكان لقدرة الله عليه ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ يوم هنا بدل من يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أو بدل من الضمير المنصوب في نراه أو منصوب بقوله قريبًا أو بقوله يود المجرم أو بفعل مضمر تقديره اذكر والمهل هو درديّ الزيت شبّه السماء به في سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة وقيل هو ما أُذيب من الفضة ونحوها شبّه السماء به في

حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾

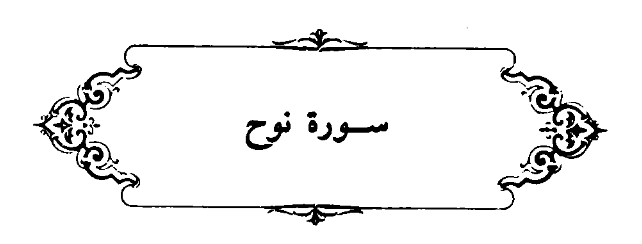
تلوّنه ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ العهن هو الصوف شبّه الجبال به في انتفاشه وتخلخل أجزائه وقيل هو الصوف المصبوغ ألوانًا فيكون التشبيه في الانتفاش وفي اختلاف الألوان لأن الجبال منها بيض وسود وحُمْر ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ الحميم هنا الصديق والمعنى لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إعانة لعلمه أنه لا يقدر له على شيء، وقيل لا يسأله عن حاله لأن كل أحد مشغول بنفسه ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يقال بصر الرجل بالرجل إذا رآه وبصّرته إياه بالتشديد إذا أريته إياه والضميران يعودان على الحميمين لأنهما في معنى الجمع، والمعنى أن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكنه لا يسأله ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ يعني امرأته ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ يعني القرابة الأقربين ﴿تُؤْوِيهِ﴾ أي تضمه فيحتمل أن يريد تضمه في الانتماء إليها أو في نصرته وحفظه من المضرّات ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ الفاعل الافتداء الذي يقتضيه لو يفتدي وهذا الفعل معطوف على لو يفتدي وإنما عطفه بثم إشعارًا ببُعد النجاة وامتناعها ولذلك زجره عن ذلك بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ الضمير للنار لأن العذاب يدل عليها، ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسّره بالخبر ولظى علم لجهنم مشتق من اللظى بمعنى اللهب ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ﴾ الشوى أطراف الجسد وقيل جلد الرأس فالمعنى أن النار تنزعها ثم تعود ونزّاعة بالرفع بدل من لظى أو خبر ابتداء مضمر أو خبر لأنها إن جعلنا لظى منصوبًا على التخصيص أو بدل من الضمير، أو خبر ثانٍ لإنها إن جعلنا لظى خبر لها ونزّاعة بالنصب حال ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني الكفّار الذين تولّوا عن الإسلام ودعاؤها لهم عبارة عن أخذها لهم وقال ابن عباس تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقيل معناه تهلك حكاه الخليل عن العرب ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ يقال أوعيت المال وغيره إذا جمعته في وعاء فالمعنى جمع المال وجعله في وعاء وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفّار جمعوا المال من غير حلّه ومنعوه من حقه ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه. سئل أحمد بن يحيى مؤلّف الفصيح عن الهلوع فقال قد فسّره الله فلا تفسير أبين من تفسيره وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وذكر الله على وجه الذم لهذه الخلائق، ولذلك استثنى منه المصلّين لأن صلاتهم تحملهم على قلّة الاكتراث بالدنيا

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ٣٩ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ﴾

فلا يجزعون من شرّها ولا يبخلون بخيرها **﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾** الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر والمحافظة عليها المذكورة بعد ذلك هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها **﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾** قد ذكرنا في الذاريات معنى حق والسائل والمحروم، ووصفه هنا بالمعلوم إن أراد الزكاة فهي معلومة المقدار شرعًا وإن أراد غيرها فمعنى المعلوم أن العبد يجعل على نفسه وظيفة معلومة عنده **﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾** أي لا يكون أحد آمنًا منه فإن الأمن من عذاب الله حرام فلا ينبغي للعبد أن يُزيل عنه الخوف حتى يدخل الجنة **﴿لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾** ذكر في المؤمنين وكذلك لفروجهم حافظون **﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾** قال ابن عباس شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله وقال الجمهور يعني الشهادة عند الحكّام ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها فقيل هو التحقيق لها كقوله ﷺ: «على مثل الشمس فاشهدوا» وقيل هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع فأما إن دُعِيَ الشاهد إلى الأداء فهو واجب عليه وأما إذا لم يُدْعَ إلى الأداء فالشهادة على ثلاثة أقسام أحدها حقوق الناس، فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك، والثاني حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس، فيجب أداء الشهادة بذلك دُعِيَ أو لم يُدْعَ، الثالث حقوق الله التي لا يُستدام فيها التحريم كالحدود فهذا ينبغي ستره، حتى يدعى إليه **﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾** أي مُسرعين مُقبلين إليك بأبصارهم، كان رسول الله ﷺ إذا أقبل الكفّار ينظرون إليه ويستمعون قراءته، ومعنى قِبَلَكَ في جهتك وما يليك **﴿عِزِينَ﴾** أي جماعات شتّى وهو جمع عِزَة بتخفيف الزاي وأصله عزوة، وقيل عزهة ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضًا من اللام المحذوفة **﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾** كانوا يقولون إن كان ثَمّ جنّة فنحن أهلها **﴿كَلاَّ﴾** ردع لهم عمّا طمعوا فيه من دخول الجنة **﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾** كناية عن المنيّ الذي خلق الإنسان منه، وفي

بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه أحدها: تحقير الإنسان والردّ على المتكبّرين كما قال بعضهم إن الإنسان خلق من نطفة مذرة ويصير جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة، الثاني الردّ على الكفّار في طمعهم أن يدخلوا الجنّة كأنه يقول إنا خلقناكم مما خلقنا منه الناس، فلا يدخل أحد الجنة إلاّ بالعمل الصالح لأنكم سواء في الخلقة، الثالث الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مّهين فهو قادر على أن يعيدهم كقوله: ﴿أَلَم يَكُ نُطْفَةً مِن منيّ يُمْنى﴾ [القيامة: ٣٧] إلى آخر السورة ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ معناه أقسم ولا زائدة ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ﴾ ذكر في الصّافّات ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ تهديد للكفّار بإهلاكهم وإبدال خير منهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي مغلوبين والمعنى إنّا لا نعجز عن التبديل المذكور أو عن البعث ﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد لهم وفيه مهادنة منسوخة بالسيف ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة بدليل أنه أبدل منه ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ النصب الأصنام، وأصله كل ما نصب إلى الإنسان فهو يقصد إليه مسرعًا من علم أو بناء أو غير ذلك وفيه لغات فتح النون وإسكان الصاد وضمّ النون وإسكان الصاد وضمّها ويوفضون معناه يسرعون والمعنى أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا.



سورة نوح

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعد النحل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ و﴿أَنِ ٱعْبُدُوا﴾ يحتمل أن تكون مفسّرة أو مصدرية على تقدير بأن أنذر وبأن اعبدوا والأول أظهر ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذي أصابهم ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ من هنا للتبعيض أي يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا لأن الإسلام يجبّ ما قبله ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم، لأن ذلك في مشيئة الله تعالى وقيل إن من هنا زائدة وذلك باطل لأن من لا تُزاد عند سيبويه إلاّ في غير الواجب وقيل هي لبيان الجنس وقيل لابتداء الغاية وهذان القولان ضعيفان في المعنى والأول هو الصحيح لأن التبعيض فيه متّجه ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ظاهر هذا يقتضي أنهم إن فعلوا ما أُمروا به أخّروا إلى أجَلٍ مسمّى وإن لم يفعلوا لم يؤخروا وذلك يقتضي القول بالأجلين وهو مذهب المعتزلة وعلى هذا حملها الزمخشري، وأما على مذهب أهل السُّنّة فهي من المشكلات وتأوّلها ابن عطيّة فقال ليس للمعتزلة في الآية مجال لأن المعنى

أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ

أن نوحًا عليه الصلاة والسلام لم يعلم هل هم ممّن يؤخّر أو ممّن يعاجل ولا قال لهم إنكم تؤخّرون عن أجل قد حان لكن قد سبق في الأزل إما ممّن قُضِيَ له بالإيمان والتأخير أو ممّن قُضِي له بالكفر والمعاجلة وكان نوحًا عليه السلام قال لهم آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممّن قُضِيَ له بالإيمان والتأخير وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممّن قُضِي عليه بالكفر والمعاجلة فكان الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة وأما عند الله فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدّر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدّر محتوم **﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾** هذا يقتضي أن الأجل محتوم كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وفي هذا حجة لأهل السّنّة والقوية للتأويل الذي ذكرنا وفيه أيضًا ردّ على المعتزلة في قولهم بالأجلَين ولمّا كان كذلك قال الزمخشري إن ظاهر هذا مُناقض لِما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا وتأوّل ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذي لا يؤخّر هو الأجل الثاني وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمّرهم الله مثلاً ألف عام وإن لم يؤمنوا عمّرهم تسعمائة عام فالألف عام هي التي تؤخر إذا جاءت والتسعمائة عام هي التي وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا **﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾** أي دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المغفرة التي هي سبب عن الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن سعادتهم **﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾** فعلوا ذلك لئلا يسمعوا كلامه فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك **﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾** أي جعلوها غشاوة عليهم لئلا يسمعوا كلامه أو لئلا يراهم ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إعراضهم **﴿وَأَصَرُّواْ﴾** أي داوموا على كفرهم **﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾** إعراب جهارًا مصدر من المعنى كقولك قعد القرفصاء أو صفة لمصدر محذوف تقديره دعا جهارًا أو مصدر في موضع الحال أي مجاهرًا **﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾** ذكر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارًا ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجدّ في النصيحة وتبليغ الرسالة صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال ابن عطية الجهار دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم

ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ

والإسرار دعاء كل واحد على حِدَته ﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا**﴾ مفعول من الدرّ وهو كثرة الماء، وفي الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار ولذلك خرج عمر بن الخطاب إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء ثم نزل المطر وشكا رجل إلى الحسن الجدب فقال له استغفر الله ﴿**مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ فيه أربع تأويلات: أحدها أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة فالمعنى ما لكم لا ترجون أن يوقركم الله في دار ثوابه قال ذلك الزمخشري وقوله لله على هذا بيان للموقر ولو تأخر لكان صفة لوقارًا. والثاني أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبّت والمعنى ما لكم لا ترجون لله وقارًا متثبتين حتى تتمكنون من النظر بوقاركم وقوله لله على هذا مفعول دخلت عليه اللام كقولك ضربت لزيد وإعراب وقارًا على هذا مصدر في موضع الحال، الثالث أن الرجاء هنا بمعنى الخوف والوقار بمعنى العظمة والسلطان فالمعنى ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه ولله على هذا صفة للوقار في المعنى، الرابع أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار من قولك وقر بالمكان إذا استقر فيه والمعنى ما لكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار ﴿**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾ أي طورًا بعد طور، يعني أن الإنسان كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله، وقيل الأطوار الأنواع المختلفة، فالمعنى أن الناس على أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وألسنتهم وغير ذلك ﴿**طِبَاقًا**﴾ ذكر في الملك ﴿**وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا**﴾ القمر إنما هو في السماء الدنيا وساغ أن يقول فيهنّ لما كان في إحداهنّ فهو في الجميع كقولك، فلان في الأندلس، إذا كان في بعضها والشمس في السماء الرابعة وقيل في الخامسة وجعل القمر نورًا والشمس سراجًا، لأن ضوء السراج أقوى من النور فإن السراج هو الذي يُضيء فيبصر به والنور قد يكون أقل من ذلك ﴿**وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا**﴾ هذا عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض ونباتًا مصدر على غير المصدر أو يكون تقديره أنبتكم فنبتم إنباتًا ويحتمل أن يكون منصوبًا على الحال ﴿**ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا**﴾ يعني بالدفن ﴿**وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا**﴾ يعني بالبعث من القبور ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا**﴾ شبّه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها وأخذ

مِنۡهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرًاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ

بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافًا لما ذهب إليه أهل التعديل وفي ذلك نظر **﴿سُبُلاً فِجَاجًا﴾** ذكر في الأنبياء **﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا﴾** يعني اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم وقرىء ولده بفتحتين وولد بضم الواو وسكون اللام وهما بمعنى واحد **﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾** الكبّار بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف والكبار بالتخفيف أبلغ من الكبير **﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾** أي وصّى بعضهم بعضًا بذلك **﴿وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا﴾** هذه أسماء أصنامهم، كان قوم نوح يعبدونها ورُوِيَ أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صوّرهم أهل ذلك العصر من حجارة وقالوا ننظر إليها لنتذكر أعمالهم الصالحة، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيمهم من بعدهم لتلك الصور حتى عبدوها من دون الله ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها وقيل بل الأسماء فقط إلى قبائل العرب، فكان وَدًّا لكلب بدومة الجندل وكان سُوَاع لهذيل وكان يغوث لمراد وكان يعوق لهمذان وكان نَسْرًا لذي الكلاع من حمير وقرىء وَدًّا بفتح الواو وضمّها وهما لغتان **﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾** الضمير للرؤساء من قوم نوح والمعنى أضلّوا كثيرًا من أتباعهم وهذا من كلام نوح عليه السلام، وكذلك **﴿لاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً﴾** من كلامه وهو دعاء عليهم وقال الزمخشري إنه معطوف على قوله: **﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾** والتقدير قال ربّ إنهم عصوني وقال: **﴿لاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً﴾** **﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾** هذا من كلام الله إخبارًا عن أمرهم، وما زائدة للتأكيد وإنما قدّم هذا المجرور للتأكيد أيضًا ليبيّن أن إغراقهم وإدخالهم النار، إنما كان بسبب خطاياهم وهي الكفر وسائر المعاصي **﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾** يعني جهنّم وعبّر عن ذلك بالفعل الماضي لأن الأمر محقّق وقيل أراد عرضهم على النار وعبّر عنه بالإدخال **﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾** ديارًا من الأسماء المستعملة في النفي العام يقال ما في الدار ديّار أي ما فيها أحد ووزنه فيعال وكان أصله ديوار ثم قلبت الواو ياء وأُدغمت في الياء وليس وزنه فعال لأنه لو كان كذلك لقيل دوار لأنه مشتق من الدور أو من الدار، ورُوِيَ أن نوحًا عليه السلام لم يدعُ على قومه بهذا الدعاء إلاّ بعد أن يئس من إيمانهم وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم **﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي**

عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ يؤخذ من هذا أن سُنّة الدعاء أن يقدّم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره وكان ولدا نوح عليه السلام مؤمنين قال ابن عباس لم يكن لنوح ابن كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام واسم والد نوح لمك بن متوشلخ وأُمه شمخا بنت أنوش، حكاه الزمخشري ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ قيل بيته المسجد وقيل السفينة وقيل شريعته سمّاها بيتًا استعارة وهذا بعيد وقيل داره وهذا أرجح لأنه الحقيقة ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وفيه دليل على جواز ذلك خلافًا لمَن قال من المتأخرين أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة، قال بعض العلماء إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفّار حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات ﴿تَبَارًا﴾ أَي هلاكًا والله أعلم.

سورة الجنّ

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعد الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ تقدّمت في الأحقاف قصة هؤلاء الجنّ الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ وأسلموا ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أي قال كذلك بعضهم لبعض وعجبًا مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك عجبت عجبًا وقيل هو على حذف مضاف تقديره ذا عجب ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ جدّ الله جلاله وعظمته وقيل معناه من قولك فلان مجدود إذا استغنى وقرىء أنه في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها وكذلك فيما بعده إلى قوله وإنا منّا المسلمون فأما الكسر فاستئناف أو عطف على إنّا سمعنا ولكنه كسر في معمول القول فيكون عطف عليه من قول الجنّ وأما الفتح فقيل إنه عطف على قوله أنه استمع نفر وهذا خطأ من طريق المعنى لأن قوله استمع نفر في موضع معمول أُوحي فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أُوحي وأن لا يكون من كلام الجنّ وقيل إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله آمنّا به وهذا ضعيف لأن الضمير المجرور لا يعطف

ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ

عليه إلاّ بإعادة الخافض وقال الزمخشري هو معطوف على محل الجار والمجرور في آمنّا به كأنه قال صدقناه وصدقنا أنه تعالى جدّ ربّنا وكذلك ما بعده ولا خلاف في فتح ثلاث مواضع وهي: أنه استمع، وأن لو استقاموا، وأن المساجد لله؛ لأن ذلك مما أُوحي لا من كلام الجنّ **﴿وَأَنَّه كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾** هذا من كلام الجنّ وسفيههم أبوهم إبليس، وقيل هو اسم جنس لكل سفيه منهم واختار ذلك ابن عطية، والشطط التعدّي ومجاوزة الحدّ **﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾** أي ظننا أن الأقوال التي كان الإنس والجن يقولونها على الله صادقة وليست بكذب لأنّا ظننّا أنه لا يكذب أحد على الله **﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾** تفسير هذا ما رُوِيَ أن العرب كانوا إذا حلّ أحد منهم بوادٍ صاح بأعلى صوته يا عزيز هذا الوادي إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك ويعتقد أن ذلك الجنّ الذي بالوادي يحميه **﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾** ضمير الفاعل للجن وضمير المفعول للإنس والمعنى أن الجنّ زادوا الإنس ضلالاً وإثمًا لما عاذوا بهم أو زادوهم تخويفًا لما رأوا ضعف عقولهم، وقيل ضمير الفاعل للإنس وضمير المفعول للجنّ والمعنى أن الإنس زادوا الجنّ تكبّرًا وطغيانًا لما عاذوا بهم حتى كان الجنّ يقول أنا سيّد الجنّ والإنس **﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾** الضمير في ظنوا لكفّار الإنس وظننتم خطاب الجن بعضهم لبعض، فالمعنى أن كفّار الإنس والجنّ ظنوا أن لن يبعث الله أحدًا، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعث الرسل أو البعث من القبور **﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾** هذا إخبار عن ما حدث عند مبعث النبي ﷺ من منع الجنّ من استراق السمع من السماء ورجمهم واللمس المسّ واستعير هنا للطلب، والحرس اسم مفرد في معنى الحرّاس كالخدم في معنى الخدام، ولذلك وصف بشديد وهو مفرد ويحتمل أن يريد به الملائكة الحرّاس أو النجوم الحارسة وكرّر الشهب لاختلاف اللفظ **﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾** المقاعد جمع مقعد وقد فسّر رسول الله ﷺ صورة قعود الجنّ أنهم كانوا واحدًا فوق واحد فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهّان ويزيدون معها ثم يزيد الكهّان للكلمة مائة كذبة **﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾** الرصد اسم جمع للراصد

يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ

كالحرّاس للحارس وقال ابن عطية هو مصدر وصف به ومعناه منتظر قال بعضهم إنّ رمي الجنّ بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي ﷺ واختار ابن عطية والزمخشري أنه كان قبل المبعث قليلاً، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجنّ من استراق السمع بالكليّة والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى كوكبًا: «انقضّ ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية»؟ قالوا: كنّا نقول ولد ملك أو مات ملك، فقال رسول الله ﷺ: «ليس الأمر كذلك» ثم وصف استراق الجنّ للسمع وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم ﴿وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ﴾ الآية: قال ابن عطية معناه لا ندري أيؤمن الناس بهذا النبي فيرشدوا، أو يكفرون به فينزل بهم الشر؟ وقال الزمخشري معناه لا ندري هل أراد الله بأهل الأرض خيرًا أو شرًا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو من توفيق؟ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي منّا قوم دون ذلك فحذف الموصوف وأراد به الذين ليس صلاحهم كاملاً أو الذين ليس لهم صلاح فإن دون قد تكون بمعنى أقلّ أو بمعنى غير ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ الطرائق المذاهب والسير وشبهها والقدد المختلفة وهو جمع قدة وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل وهو على حذف مضاف أي كنّا ذوي طرائق ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ﴾ الظن هنا بمعنى العلم، وقال ابن عطية هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم ﴿سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ﴾ يعنون القرآن ﴿فَلاَ يَخَافُ بَخْسًا وَلاَ رَهَقًا﴾ البخس النقص والظلم، والرهق تحمل ما لا يطاق، وقال ابن عباس البخس نقص الحسنات، والرهق الزيادة في السيئات ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ يعني الظالمين: يقال قسط الرجل إذا جار، وأقسط بالألف إذا عدل وهاهنا انتهى ما حكاه الله من كلام الجنّ، وأما قوله فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشدًا يحتمل أن يكون من بقية كلامهم أو يكون ابتداء كلام الله تعالى وهو الذي اختاره ابن عطية، وأمّا قوله: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾ فهو من كلام الله باتفاق وليس من كلامهم ﴿تَحَرَّوْا﴾ أي قصدوا الرشد ﴿وَأَن لَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ الماء الغدق الكثير وذلك استعارة في توسيع

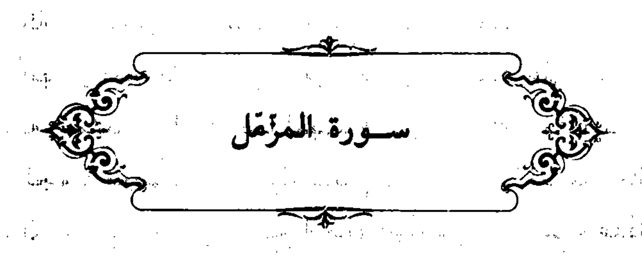
﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن﴾

الرزق والطريقة هي طريقة الإسلام وطاعة الله فالمعنى لو استقاموا على ذلك لوسع الله أرزاقهم فهو كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا واتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَات مِنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقيل هي طريقة الكفر والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسّع الله عليهم في الدنيا أملاكهم استدراجًا ويؤيّد هذا قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ والأول أظهر، والضمير في استقاموا يحتمل أن يكون للمسلمين أو للقاسطين المذكورين أو لجميع الجنّ أو للجنّ الذين سمعوا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أو لجميع الخلق ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة، فمعنى الفتنة الاختبار هل يسلمون أم لا وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى الفتنة الإضلال والاستدراج ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ معنى يسلكه يدخله والصعد الشديد المشقّة وهو مصدر صعد يصعد ووصف بالمصدر للمبالغة يقال فلان في صعد أي في مشقة وقيل صعدًا جبل في النار ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أراد المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله، ورُوِيَ أن الآية نزلت بسبب تغلّب قريش على الكعبة، وقيل أراد الأعضاء التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهذا بعيد، وعطف أن المساجد لله على أُوحي إليّ أنه استمع وقال الخليل معنى الآية لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا، أي لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ عبد الله هنا محمد ﷺ ووصفه بالعبودية اختصاصًا له وتقريبًا وتشريفًا وقال الزمخشري أنه سمّاه هنا عبد الله ولم يقل الرسول أو النبي لأن هذا واقع في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه لأنه مما أُوحِيَ إليه فذكر ﷺ نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلّل وهذا الذي قاله بعيد مع أنه إنما يمكن على قراءة أنه لما قام بفتح الهمزة فيكون عطفًا على أوحي إليّ أنه استمع وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون إخبارًا من الله أو من جملة كلام الجنّ فيبطل ما قاله ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ اللبد الجماعات واحدها لبدة والضمير في كادوا يحتمل أن يكون للكفّار من الناس أي كادوا يجتمعون على الردّ عليه وإبطال أمره أو يكون للجنّ الذين استمعوا أي كادوا يجتمعون عليه لاستماع القرآن والبركة به ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي ملجأ ﴿إِلاَّ بَلاَغًا﴾ بدل من ملتحدًا أي لا أجد ملجأ إلاّ بلاغ الرسالة ويحتمل أن يكون استثناءً منقطعًا ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ قال الزمخشري هذا الجار والمجرور ليس بصلة البلاغ إنما هو بمعنى بلاغًا كائنًا

يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

من الله ويحتمل عندي أن يكون متعلقًا ببلاغًا والمعنى بلاغ من الله ﴿وَرِسَالاَتِهِ﴾ قال الزمخشري إنه معطوف على بلاغًا كأنه قال إلاّ التبليغ والرسالة، ويحتمل أن يكون ورسالاته معطوفًا على اسم الله ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ جمع خالدين على معنى مَن يعصِ لأنه في معنى الجمع والآية في الكفّار وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين لأنّ مذهبهم خلودهم في النار والدليل على أنها في الكفّار وجهان أحدهما أنها مكيّة والسورة المكيّة إنما الكلام فيها مع الكفّار والآخر دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفّار ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ تعلقت حتى بقوله يكونون عليه لبدًا وجعلت غاية لذلك والمعنى أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قال ذلك الزمخشري وقال أيضًا يجوز أن يتعلق بمحذوف يدلّ على المعنى كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون وهذا أظهر ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ إن هنا نافية والمعنى قل لا أدري أقريب ما توعدون أم بعيد وعبّر عن بُعده بقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ ويعني بما توعدون قتلهم يوم بدر أو يوم القيامة ﴿فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ أي لا يطلع أحدًا على علم الغيب إلاّ مَن ارتضى وهم الرسل فإنه يُطلعهم على ما شاء من ذلك ومن في قوله من رسول لبيان الجنس لا للتبعيض والرسل هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة وعلى هذا حملها ابن عطية أو الرُسُل من بني آدم وعلى هذا حملها الزمخشري واستدلّ بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفات فإن الله خصّ الاطّلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم وفيها أيضًا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدّعي أهلها الاطّلاع على الغيب لأنهم ليسوا من الرسل ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ المعنى أن الله يسلك من بين يدي الرسل ومن خلفه ملائكة يكونون رصدًا يحفظونه من الشياطين وقد ذكرنا رصدًا في هذه السورة قال بعضهم ما بعث الله رسولاً إلاّ ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة ربّه ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ﴾ في الفاعل بيعلم ثلاثة أقوال: الأول أي ليعلم الله أن الرُسُل قد بلغوا رسالات ربّهم أي يعلمه موجودًا وقد كان علم ذلك قبل كونه. الثاني ليعلم

محمد أن الملائكة الرصد أبلغوا رسالات ربّهم. الثالث ليعلم مَن كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة والأول أظهر وجمع الضمير في أبلغوا وفي ربّهم حملاً على المعنى لأن مَن ارتضى من رسول يراد به جماعة ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع وهذه الجملة معطوفة على قوله ليعلم لأن معناه أنه قد علم قال ذلك ابن عطية ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ هذا عموم في جميع الأشياء وعددًا منصوب على الحال أو تمييز أو مصدر من معنى أحصى.



مكية إلا الآيات ١٠ و١١
و٢٠ فمدنية وآياتها ٢٠ نزلت بعد القلم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ نداء للنبي ﷺ ووزن المزّمّل متفعل فأصله متزمّل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي وفي تسمية النبي ﷺ بالمزّمّل ثلاثة أقوال أحدها أنه كان في وقت نزول الآية متزمّلاً في كِساء أو لحاف والتزمّل الالتفاف في الثياب بضمّ وتشمير هذا قول عائشة والجمهور، والثاني أنه كان قد تزمّل في ثيابه للصلاة، الثالث أن معناه المتزمّل للنبوّة أي المتشمّر المجدّ في أمرها والأول هو الصحيح لما ورد في البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ لما جاءه المَلَك وهو في غار حِراء في ابتداء الوحي رجع ﷺ إلى خديجة ترعد فرائصه فقال: «زمّلوني زمّلوني» فنزلت يا أيّها المدّثر وعلى هذا نزلت يا أيّها المزّمّل فالمزّمّل على هذا تزمّله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاءه جبريل وقال الزمخشري كان نائمًا في قطيفة فنودي يا أيها المزّمّل ليبيّن الله الحالة التي كان عليها من التزمّل في القطيفة لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل وهذا القول بعيد غير سديد، وقال السهيلي في ندائه

بالمزّمّل فائدتان: إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم لعليّ: «قم أبا تراب»، والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمّل راقد بالليل ليتنبّه إلى ذِكر الله لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكلّ مَن اتّصف بتلك الصفة ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب، فعلى القول بالندب فهو ثابت غير منسوخ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه فرض على النبي ﷺ وحده ولم يزل فرضًا عليه حتى توفي، الثاني أنه فرض عليه وعلى أمّته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم نسخ بقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآية: وصار تطوّعًا هذا قول عائشة رضي الله عنها وهو الصحيح، واختلف كم بقي فرضًا فقالت عائشة عامًا وقيل ثمانية أشهر وقيل عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية، الثالث أنه فرض عليه ﷺ وعلى أمّته وهو ثابت غير منسوخ، ولكن ليس الليل كله إلاّ ما تيسّر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين ﴿إِلَّا قَلِيلٗا نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ في معنى هذا الكلام أربعة أقوال: الأول وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله نصفه بدل من الليل أو من قليلاً، وجعل النصف قليلاً بالنسبة إلى الجميع والضميران في قوله: أو انقص منه، أو زد عليه: عائدان على النصف والمعنى أن الله خيّره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلاً أو يزد عليه. الثاني: قال الزمخشري إلاّ قليلاً استثناء من النصف كأنه قال نصف الليل إلاّ قليلاً فخيّره على هذا بين حالتين وهما أن يقوم أقلّ من النصف أو أكثر منه وهذا ضعيف، لأن قوله أو انقص منه قليلاً تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف، القول الثالث قال الزمخشري أيضًا: يجوز أن يريد بقوله أو انقص منه قليلاً نصف النصف وهو الربع ويكون الضمير في قوله أو زد عليه يعود على ذلك، أي زد على الربع فيكون ثلثًا فيكون التخيير على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع، وهذا أيضًا بعيد، القول الرابع قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى إلاّ قليلاً الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها، والمراد بالليل على هذا الليالي فهو جنس وهذا بعيد لأنه قد فسّر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه، فدلّ ذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالي، فإن قيل: لِمَ قيّد النقص من النصف بالقلّة فقال أو انقص منه قليلاً وأطلق في الزيادة فقال أو زد عليه ولم يقل قليلاً؟ فالجواب: أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيّدها بالقلّة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرًا ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ الترتيل هو التمهّل

طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

والمدّ وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك مُعين على التفكّر في معاني القرآن بخلاف الهذ الذي لا يَفقه صاحبه ما يقول وكان رسول الله ﷺ يقطع قراءته حرفًا حرفًا ولا يمرّ بآية رحمة إلاّ وقف وسأل ولا يمرّ بآية عذاب إلاّ وقف وتعوّذ ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾ هذه الآية اعتراض بين آية قيام الليل، والقول الثقيل هو القرآن واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال أحدها أنه سُمّي ثقيلاً لما كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يلقاه من الشدّة عند نزول الوحي عليه حتى أن جبينه ليتفصّد عرقًا في اليوم الشديد البرد، وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أُوحِيَ إليه وهو على ناقته بركت به، وأُوحِيَ إليه وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترضّ فخذ زيد والثقل على هذا حقيقة، الثاني أنه ثقيل على الكفّار بإعجازه ووعيده، الثالث أنه ثقيل في الميزان، الرابع أنه كلام له وزن ورجحان، الخامس أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي، وهذا اختيار ابن عطية وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية، قيام الليل لمشقته ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ**﴾ في الناشئة سبعة أقوال: الأول أنه النفس الناشئة بالليل أي التي تنشأ من مضجعها وتقوم للصلاة، الثاني الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة، الثالث العبادة الناشئة بالليل أي تحدث فيه، الرابع الناشئة القيام بعد النوم فمَن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة، الخامس الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء، السادس الناشئة بعد المغرب والعشاء، السابع ناشئة الليل ساعاته كلها ﴿**هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا**﴾ يحتمل معنيين أحدهما: أثقل وأصعب على المصلّي ومنه قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اللّهمَّ اشدد وطأتك على مضر»، والأثقل أعظم أجرًا فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر. الثاني أشدّ ثبوتًا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبُعد عن الناس ويقرب هذا من معنى ﴿**أَقْوَمُ قِيلًا**﴾ وقرىء وطئًا بكسر الواو على وزن فعال ومعناه موافقة أي يوافق القلب اللسان بحضور الذهن ﴿**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**﴾ السبح هنا عبارة عن التصرّف في الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرّف في أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربّك وقيل المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فأدّه بالنهار فإنه طويل يسع ذلك ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ**﴾ قيل معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك واللفظ أعمّ من ذلك ﴿**وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**﴾ أي انقطع إليه بالعبادة والتوكّل عليه وحده وقيل التبتّل رفض الدنيا وتبتيلاً مصدر على غير قياس ﴿**فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**﴾ الوكيل هو القائم بالأمور والذي تُوكَل إليه الأشياء فهو أمر بالتوكّل على الله ﴿**وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا**

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ﴾

يَقُولُونَ﴾ أي على ما يقول الكفّار والآية منسوخة بالسيف وقيل إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله: **﴿ٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾** وأما الصبر فمأمور به في كل وقت **﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾** هذا تهديد لهم وانتصب المكذبين على أنه مفعول معه أو معطوف **﴿أُولِي ٱلنَّعْمَةِ﴾** أي التنعّم في الدنيا ورُوِيَ أن الآية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا **﴿أَنكَالًا﴾** جمع نكل وهو القيد من الحديد. رُوِيَ أنها قيود سود من نار **﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾** شجرة الزقّوم ومعنى ذا غصّة أي يغصّ به آكلوه وقيل هو شوك يعترض في حلوقهم لا ينزل ولا يخرج ورُوِيَ أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قرأ هذه الآية فصعق **﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾** أي تهتزّ وتتزلزل والعامل في يوم معنى الكلام المتقدّم وهو **﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا﴾** **﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾** الكثيب كدس الرمل والمهيل الليّن الرخو الذي تهيله الريح أي تنشره وزنه مفعول والمعنى أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾** خطاب لجميع الناس لأن رسول الله ﷺ بُعِثَ إلى الناس كافّة وقال الزمخشري هو خطاب لأهل مكة و**﴿شَاهِدًا عَلَيْكُم﴾** أي يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وإنما يشهد على مَن أدركه لقوله ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفّيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم» **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾** يعني موسى عليه السلام وهو المراد بقوله: **﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنَ ٱلرَّسُولَ﴾** فاللام للعهد **﴿ أَخْذًا وَبِيلًا﴾** أي عظيمًا شديدًا **﴿يَوْمًا﴾** مفعول به وناصبه تتّقون أي كيف تتّقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم وقيل هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم، وقيل هو ظرف أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكروا قوله السماء منفطر به **﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا﴾** الولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء، ويجعل يحتمل أن يكون مسندًا إلى الله تعالى أو إلى اليوم، والمعنى أن الأطفال يشيبون يوم القيامة، فقيل إن ذلك حقيقة، وقيل إنه عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل إنه عبارة عن طوله **﴿ٱلسَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾** الانفطار الانشقاق والضمير

بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ

المجرور يعود على اليوم أي تتفطر السماء لشدّة هوله ويحتمل أن يعود على الله أي تنفطر بأمره وقدرته والأول أظهر والسماء مؤنثة وجاء منفطر بالتذكير لأن تأنيثها غير حقيقي أو على الإضافة تقديره ذات انفطار أو لأنه أراد السقف ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ الضمير في وعده يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله والأول أظهر لأنه ملفوظ به ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدّم من المواعظ والوعيد ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ يريد سبيل التقرّب إلى الله ومعنى الكلام حضّ على ذلك وترغيب فيه ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل ومعناها أن الله يعلم أنك ومَن معك من المسلمين تقومون قيامًا مختلفًا مرة يكثر ومرة يقلّ، لأنكم لا تقدرون على إحصاء أوقات الليل وضبطها فإنه لا يقدر على ذلك إلاّ الله فخفّف عنكم وأمركم أن تقرءوا ما تيسّر من القرآن ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ مَن قرأها بالخفض فهو عطف على ثلثي الليل أي تقوم أقلّ من ثلثي الليل وأقلّ من نصفه وثلثه ومَن قرأ بالنصب فهو عطف على أدنى أي تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ يعني المسلمين وهو معطوف على الضمير الفاعل في تقوم ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام أي لن تحصوا تقدير الليل، وقيل معناه لن تطيقوه أي لن تطيقوا قيام الليل كله ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن التخفيف كقوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُم﴾ [المجادلة: ١٣] ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي إذا لم تقدروا على قيام الليل كله فقوموا بعضه واقرءوا في صلاتكم بالليل ما تيسّر من القرآن، وهذا الأمر للندب، وقال ابن عطيّة هو للإباحة عند الجمهور وقال قوم منهم الحسن وابن سيرين هو فرض لا بدّ منه ولو أقلّ ما يمكن حتى قال بعضهم مَن صلّى الوتر فقد امتثل هذا الأمر، وقيل كان فرضًا ثم نسخ بالصلوات الخمس، وقال بعضهم هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى﴾ ذكر الله في هذه الآية الأعذار التي تكون لبني آدم تمنعهم من قيام الليل فمنها المرض ومنها السفر للتجارة وهي الضرب في الأرض لابتغاء فضل الله ومنها الجهاد ثم كرّر الأمر بقراءة ما تيسّر تأكيدًا للأمر به أو تأكيدًا للتخفيف وهذا أظهر لأنه ذكره بأثر الأعذار ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يعني المكتوبتين ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ معناه

مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

تصدّقوا، وقد ذكر في البقرة ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ نصب خيرًا لأنه مفعول ثانٍ لتجدوه والضمير فصل ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ قال بعض العلماء إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية وكان رسول الله ﷺ إذا سلّم من صلاته استغفر ثلاثًا.



مكيّة وآياتها ٥٦ نزلت بعد المزّمّل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ

بِسْمِ اللّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ وزنه متفعّل ومعناه الذي تدثر في كِساء أو ثياب وتسميته بذلك كتسميته بالمزّمّل حسبما ذكرنا في موضعه وقال السهيلي: في ندائه بالمدّثّر ثلاثة فوائد: الاثنتان اللتان ذُكِرَتا في المزّمّل وفائدة ثالثة وهي أن العرب يقولون النذير العريان للنذير الذي يكون في غاية الجدّ والتشمير والنذير بالثياب ضدّ هذا فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير، وقيل إن هذه أول سورة نزلت من القرآن: والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي أنذر الناس وهذه بعثة عامّة ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي عظّمه ويحتمل أن يريد قول الله أكبر ويؤيّد ذلك ما رُوِيَ عن أبي هريرة أن المسلمين قالوا بِمَ نفتتح صلاتنا فنزلت وربّك فكبّر وقوله وربّك فكبّر: من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة واختلف في هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سُنّة، والآخر أنه يراد به الطهارة

يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز، الثالث: أن معناه لا تلبس الثياب من مكسب خبيث **﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾** فيه ثلاثة أقوال، أحدها: أن الرجز الأوثان، رُوِيَ ذلك عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو قول عائشة، والآخر أن الرجز السخط والعذاب وهذا أصله في اللغة فمعناه اهجر ما يؤدّي إليه ويوجبه، الثالث: أنه المعاصي والفجور، قال بعضهم كل معصية رجز **﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾** يحتمل قوله تمنن أن يكون بمعنى العطاء أو بمعنى المنّ وهو ذكر العطاء وشبهه، أو بمعنى الضعف فإن كان بمعنى العطاء ففيه وجهان، أحدهما: أن معناه لا تعطِ شيئًا لتأخذ أكثر منه، قال بعضهم هذا خاصّ بالنبي ﷺ ومُباح لأمّته، والآخر: لا تعطِ الناس عطاءً وتستكثره، لأن الكريم يستقلّ ما يعطي وإن كثيرًا، وإن كان من المنّ بالشيء ففيه وجهان، الأول: لا تمنن على الناس بنبوّتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه، الثاني: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك وتقع لك بها إعجاب وإن كان من الضعف فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حمّلناك من ذلك **﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾** أي اصبر لوجهه وطلب رضاه، ويحتمل أن يريد الصبر على المكاره والمصائب، أو على إذاية الكفّار له، أو على العبادة **﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾** يعني نفخ في الصور، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى والثانية **﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾** هذا وعيد وتهديد، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق، وفي معنى وحيدًا ثلاثة أقوال: أحدها: رُوِيَ أنه كان يلقب الوحيد، أي لا نظير له في ماله وشرفه وكونه وحيدًا نعمة عدّدها الله عليه، الثاني: أن معناه خلقته منفردًا ذليلاً، الثالث: أن معناه خلقته وحدي فوحيدًا على هذا من صفة الله تعالى وإعرابه على هذا حال من الضمير الفاعل في قوله خلقت وهو على القولين الأوّلين حال من الضمير المفعول **﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا﴾** أي كثيرًا، واختلف في مقداره فقيل: ألف دينار، وقيل عشرة آلاف دينار، وقيل يعني الأرض لأنها مدّت **﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾** أي حضورًا، ورُوِيَ أنه كان له عشرة من الأولاد، وقيل ثلاثة عشرة لا يفارقونه، وأسلم منهم ثلاثة وهم: خالد وهشام وعمّار **﴿وَمَهَّدتُّ له تمهيدًا﴾** أي بسطت له في الدنيا بالمال والقوّة وطيب العيش **﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾** أي يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله، وهذا غاية الحرص **﴿كَلَّا﴾** زجر عمّا طمع فيه من الزيادة **﴿عَنِيدًا﴾** أي معاندًا مخالفًا، والآيات هنا يراد بها القرآن لأن الوليد قال فيه إنه سحر، ويحتمل أن يريد الدلائل **﴿سَأُرْهِقُهُ

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ﴾

صَعُودًا﴾ الصعود العقبة الصعبة، ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنها عقبة في جهنم كلما صعدها الإنسان ذاب ثم يعود، فالمعنى سأشقّ عليه بتكليفه الصعود فيها ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أي فكر فيما يقول، وقدّر في نفسه ما يقول في القرآن أي هيّأ كلامه، رُوِيَ أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلّم، ودخل على أبي بكر الصدّيق فعاتبه أبو جهل، وقال له إن قريشًا قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد وما يخلصك عندهم إلاّ أن تقول في كلام محمد قولاً يرضيهم، فافتتن وقال أفعل ذلك ثم فكّر فيما يقول في القرآن فقال: أقول شعر ما هو شعر، أقول كهانة ما هو بكهانة، أقول إنه سحر وإنه قول البشر ليس منزلاً من عند الله ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دعاء عليه وذمّ وكرّره تأكيدًا لذمّه وتقبيح حاله قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن، فيكون قوله قتل لا يراد به الدعاء عليه وإنما هو كقولهم قاتل الله فلانًا ما أنجعه يريدون التعجّب من حاله واستعظام وصفه، وقال الزمخشري يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء أو حكاية لقول قريش تهكّمًا بهم ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي نظر في قوله ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ البسور هو تقطيب الوجه وهو أشدّ من العبوس، وفعل ذلك من حسده للنبي ﷺ أي عبس في وجهه عليه الصلاة والسلام، أو عبس لمّا ضاقت عليه الحِيَل ولم يَدْرِ ما يقول ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي أعرض عن الإسلام ﴿سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي ينقل عمّن تقدّم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظم لها وتهويل ﴿لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ﴾ مبالغة في وصف عذابها أي لا تدع غاية من العذاب إلاّ أذاقته إياها أو لا تبقي شيء أُلقي فيها إلاّ أهلكته وإذا أهلك لم تذره هالكًا بل يعود للعذاب ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ معنى لوّاحة مغيّرة يقال لوّحه السفر إذا غيّره والبشر جمع بشرة وهي الجلدة، فالمعنى أنها تحرق الجلود وتسوّدها وقيل لوّاحة من لاح إذا ظهر والبشر الناس أي تلوح للناس، وقال الحسن تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ يعني الزبانية خَزَنَة جهنم فقيل هم تسعة عشر ملكًا وقيل تسعة عشر صفًا من الملائكة والأول أشهر ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً﴾ سبب الآية أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل: أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به، فنزلت الآية ومعناها أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم ورُوِيَ أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفّار ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ

كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ

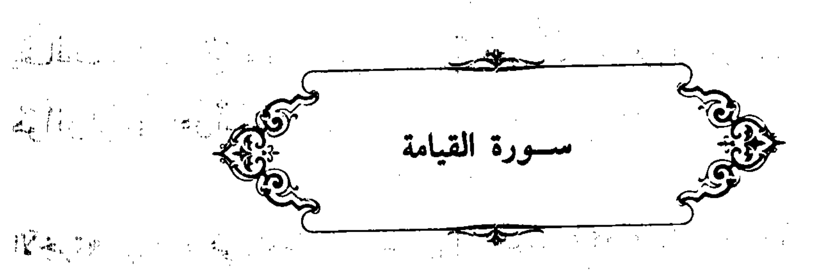
﴿كَفَرُوا﴾ أي جعلناهم هذا العدد ليفتتن الكفّار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولون ما قالوا **﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾** أي ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد ﷺ من عدد ملائكة النار حق لأنه موافق لما في كتبهم **﴿وَلاَ يَرْتَابَ﴾** أي لا يشك **﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾** أن ما قاله محمد ﷺ حق، فإن قيل: كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد وهو تكرار؟ فالجواب أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكّوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال وقال الزمخشري ذلك مبالغة وتأكيد **﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾** المرض عبارة عن الشك وأكثر ما يطلق الذين في قلوبهم مرض على المنافقين فإن قيل هذه السورة مكيّة ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة، فالجواب من وجهين أحدهما أن معناه يقول المنافقون إذا حدّثوا ففيه إخبار بالغيب والآخر أن يريد مَن كان بمكة من أهل الشك، وقولهم: **﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾**: استبعاد لأن يكون هذا من عند الله **﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾** يحتمل القصد بهذا وجهين أحدهما وصف جنود الله بالكثرة أي هم من كثرتهم لا يعلمهم إلاّ الله والآخر رفع اعتراض الكفّار على التسعة عشر أي لا يعلم أعداد جنود الله إلاّ هو لأن منهم عددًا قليلاً ومنهم عددًا كثيرًا حسبما أراد الله **﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾** الضمير لجهنّم أو للآيات المتقدمة **﴿كَلاَّ﴾** ردع للكفّار عن كفرهم وقال الزمخشري هي إنكار لأن تكون لهم ذكرى **﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾** أي ولّى وقرىء دبر بغير ألف والمعنى واحد وقيل معناه دبر الليل والنهار أي جاء في دبره **﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾** أي أضاء ومنه الإسفار بصلاة الصبح **﴿إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ﴾** الضمير لجهنم أو للآيات والنذارة أي هي من الأمور العظام والكبر جمع كبرى وقال ابن عطية جمع كبيرة والأول هو الصحيح **﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾** تمييز أو حال من إحدى الكِبَر وقيل النذير هنا الله فالعامل فيه على هذا محذوف وهذا ضعيف وقيل هو حال من هذه السورة أي قم فأنذر نذيرًا وهذا بعيد قال الزمخشري هو من بدع التفاسير **﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾** التقديم عبارة عن تقديم سلوك طريق الهدى والتأخّر ضدّه ولمَن شاء بدل من البشر أي هم متمكّنون من التقدّم والتأخّر وقيل

أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا

معناه الوعيد كقوله فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر وعلى هذا أعرب الزمخشري أن يتقدّم مبتدأ ولمَن شاء خبره والأول أظهر ﴿رَهِينَةٌ﴾ قال ابن عطية الهاء في رهينة للمبالغة أو على تأنيث النفس وقال الزمخشري ليست بتأنيث رهين لأن فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكّر والمؤنّث وإنما هي بمعنى الرهن أي كل نفس رهن عند الله بعملها ﴿إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ أي أهل السعادة فإنهم فكّوا رِقابهم بأعمالهم الصالحة كما فكّ الراهن رهنه بأداء الحق وقال عليّ بن أبي طالب أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وقال ابن عباس هم الملائكة ﴿يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي يسأل بعضهم بعضًا عن حال المجرمين الذين في النار ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ أي ما أدخلكم النار وهذا خطاب للمجرمين يحتمل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة فأجابوهم بقولهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ وما بعده أي هذا الذي أوجب دخولهم النار، وإنما أخّر التكذيب بيوم الدين تعظيمًا له لأنه أعظم جرائمهم ﴿نَخُوضُ﴾ الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ هو الموت عند المفسّرين وقال ابن عطية: إنما اليقين الذي أرادوا ما كانوا يكذبون به في الدنيا، فيتيقنونه بعد الموت ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ إنما ذلك لأنهم كفّار، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد في الكفّار، وجمع الشافعين دليل على كثرتهم كما ورد في الآثار، تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحين ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ يعني كفّار قريش ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ المستنفرة بفتح الفاء التي استنفرها الفزع وبالكسر بمعنى النافرة شبّه الكفّار بالحمر النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام ويعني حمر الوحش، ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ قال ابن عباس: القسورة الرماة وقال أيضًا هو الأسد، وقيل أصوات الناس، وقيل الرجال الشداد، وقيل سواد أول الليل ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ المعنى يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتابًا من الله، ومعنى منشرة منشورة غير مطوية أي طرية كما كتبت لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا للرسول ﷺ لا نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء فيه من ربّ العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر باتّباعك ﴿كَلاَّ﴾ ردع عمّا أرادوه ﴿بَل لاَّ يَخَافُونَ

يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

الآخِرَةَ﴾ أي هذه هي العلّة والسبب في إعراضهم **﴿كَلاَّ﴾** تأكيد للردع الأول أو ردع عن عدم خوفهم الآخرة **﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾** الضمير لما تقدّم من الكلام أو للقرآن بجملته **﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾** فاعل شاء ضمير يعود على من، وفي ذلك حضّ وترغيب وقيل الفاعل هو الله ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله **﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾** أي هو أهل لأن يُتّقى لشدّة عقابه، وهو أهل لأن يغفر الذنوب لكرمه وسعة رحمته وفضله.



سورة القيامة

مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم

﴿لاَ أُقْسِمُ﴾ في الموضعين معناه أقسم ولا زائدة لتأكيد القسم وقيل هي استفتاح كلام بمنزلة ألا وقيل هي نفي لكلام الكفّار ﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير في الطاعات، فإن النفوس على ثلاثة أنواع فخيرها النفس المطمئنة وشرّها النفس الأمّارة بالسوء وبينهما النفس اللوّامة، وقيل اللوّامة هي المذمومة الفاجرة، وهذا بعيد لأن الله لا يقسم إلاّ بما يعظم من المخلوقات ويستقيم إن كان لا أقسم نفيًا للقسم ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ الإنسان هنا للجنس أو الإشارة به للكفّار المنكرين للبعث ومعناه أيظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب، وهذه الجملة هي التي تدلّ على جواب القسم المتقدّم ﴿بَلَى﴾ تقديره نجمعها ﴿قَادِرِينَ﴾ منصوب على الحال من الضمير في نجمع والتقدير نجمعها ونحن قادرون ﴿عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ البنان الأصابع، وفي المعنى قولان: أحدهما أنه إخبار بالقدرة على البعث أي قادرين على

ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا

أن نسوّي أصابعه أي نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة، وإنما خصّ الأصابع دون سائر الأعضاء لدقّة عظامها وتفرّقها والآخر أنه تهديد في الدنيا، أي قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار وخُفّ الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه والأول أليق بسياق الكلام ﴿**بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**﴾ هذه الجملة معطوفة على أيحسب الإنسان، ويجوز أن يكون استفهامًا مثلها أو تكون خبرًا وليست بل هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده، وليفجر معناه ليفعل أفعال الفجور وفي معنى أمامه ثلاثة أقوال: أحدها أنه عبارة عمّا يستقبل من الزمان، أي يفجر بقية عمره الثاني أنه عبارة عن اتّباع أغراضه وشهواته يقال مشى فلان قدّامه إذا لم يرجع عن شيء يريده والضمير على هذين القولين يعود على الإنسان، الثالث أن الضمير يعود على يوم القيامة والمعنى يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة ﴿**يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ**﴾ أيان معناها متى وهذا السؤال على يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد ﴿**بَرِقَ ٱلْبَصَرُ**﴾ هذا إخبار عن يوم القيامة، وقيل عن حالة الموت وهذا خطأ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد، ولا يجمع بينه وبين الشمس وبرق بفتح الراء معناه لمع وصار له برق، وقرىء بكسر الراء ومعناه تحيّر من الفزع، وقيل معناه شخص فيتقارب بمعنى الفتح والكسر ﴿**وَخَسَفَ الْقَمَرُ**﴾ ذهب ضوؤه، يقال خسف هو وخسفه الله والخسوف للقمر والكسوف للشمس، وقيل الكسوف ذهاب بعض الضوء، والخسوف ذهاب جميعه وقيل بمعنى واحد ﴿**وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ**﴾ في جمعهما ثلاثة أقوال: أحدها أنهما يجمعان حيث يطلعهما الله من المغرب، والآخر أنهما يجمعان يوم القيامة، ثم يقذفان في النار، وقيل في البحر، فتكون النار الكبرى. الثالث أنهما يجمعان فيذهب ضوؤهما ﴿**لاَ وَزَرَ**﴾ أي لا ملجأ ولا مغيث ﴿**بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**﴾ أي بجميع أعماله ما قدّم منها في أول عمره وما أخّر في آخره، وقيل ما تقدّم في حياته وما أخّر من سُنّة أو وصيّة بعد مماته، وقيل ما قدّم لنفسه من ماله وما أخّر منه لورثته ﴿**بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾ في معناه قولان: أحدهما: أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة، والآخر: أنه حجّة بيّنة لأن خلقته تدلّ على خالقه فوصف بالبصارة مجازًا لأن مَن نظر فيه أبصر الحق، والأول أليق بما قبله وما بعده كأنه قال ينبؤ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها، وكذلك يلتئم مع قوله: ﴿**وَلَوْ**

تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ

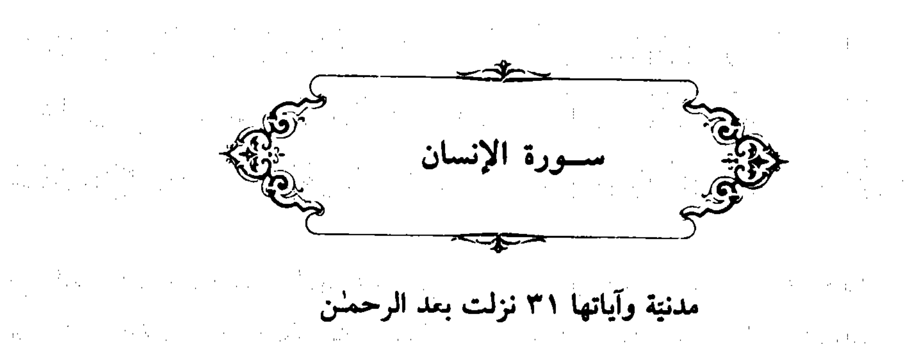
أَلْقَى مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ويكون هو جواب لو حسبما نذكره ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُۥ﴾ فيه قولان، أحدهما: أن المعاذير الأعذار أي الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها والآخر أن المعاذير الستور أي الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ الضمير في به يعود على القرآن دلّت على ذلك قرينة الحال وسبب الآية أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرّك به شفتيه مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن ينصت ويستمع، وقيل كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشقّ عليه فنزلت الآية والأول هو الصحيح لأنه ورد في البخاري وغيره ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ ضمن الله له أن يجمعه في صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله، ويحتمل قرآنه هنا وجهين، أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرًا من قرأت، والآخر: أن يكون معناه تأليفه في صدره فهو مصدر من قولك قرأت الشيء أي جمعته ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده، ومعنى اتّبع قرآنه اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها، وقيل اتبع القرآن في الأوامر والنواهي ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي علينا أن نبيّنه لك ونجعلك تحفظه، وقيل علينا أن نبيّن معانيه وأحكامه، فإن قيل ما مناسبة قوله لا تحرّك به لسانك الآية لما قبلها فالجواب أنه لعلّه نزل معه في حين واحد فجعل على ترتيب النزول ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي تحبّون الدنيا، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومَن كان على مثل حالهم في حبّ الدنيا و﴿كَلَّا﴾ ردع عن ذلك ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد أي ناعمة، ومنه نضرة النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هذا من النظر بالعين، وهو نص في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة وهو مذهب أهل السُّنّة، وأنكره المعتزلة وتأوّلوا ناظرة بأن معناها منتظرة، وهذا باطل لأن نظر بمعنى انتظر يتعدّى بغير حرف جرّ، تقول نظرتك أي انتظرتك، وأما المتعدّي بإلى فهو من نظر العين، ومنه قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٣] وقال بعضهم إلى هنا ليست بحرف جر وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النّعم وهذا تكلّف في غاية البعد، وتأوّله الزمخشري بأن معناه كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به وهذا بعيد وقد جاء عن النبي ﷺ في النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل فهي تفسير للآية ﴿بَاسِرَةٌ﴾ أي عابسة

يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ

تظهر عليها الكآبة والبسور أشدّ من العبوس ﴿**تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ**﴾ أي مصيبة قاصمة الظهر والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين ﴿**إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ**﴾ يعني حالة الموت والتراقي جمع ترقوة وهي عظام أعلى الصدر والفاعل لبلغت نفس الإنسان دلّ على ذلك سياق الكلام وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت ﴿**وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ**﴾ أي قال أهل المريض مَن يرقيه عسى أن يشفيه وقيل معناه أن الملائكة تقول مَن يرقى بروحه أي يصعد بها إلى السماء فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر والثاني من الرقيّ وهو العلو ﴿**وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ**﴾ أي تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله ﴿**وَٱلْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ**﴾ هذا عبارة عن شدّة كرب الموت وسكراته أي التفّت ساقه على الأخرى عند السياق وقيل هو مجاز كقوله: «كشفت الحرب عن ساقها» إذا اشتدت وقيل معناه ماتت ساقه فلا تحمله وقيل التفّت أي لفّها الكافر إذا كفر وفي قوله: ﴿**السَّاقُ**﴾ و﴿**الْمَسَاقُ**﴾ ضرب من ضروب التجنيس ﴿**إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**﴾ هذا جواب إذا بلغت التراقي والمساق مصدر من السوق كقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرِ﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿**فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى**﴾ لا هنا نافية وصدق هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله أو من الصدقة ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل ﴿**يَتَمَطَّىٰ**﴾ أي يتبختر في مشيته وذلك عبارة عن التكبّر والخيلاء وكانت هذه المشية معروفة في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم ﴿**أَوْلَىٰ لَكَ**﴾ وعيد وتهديد ﴿**فَأَوْلَىٰ**﴾ وعيد ثانٍ ثم كرّر ذلك تأكيدًا ورُوِيَ أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لبب أبا جهل وقال له إن الله يقول لك: ﴿**أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى**﴾ فنزل القرآن بموافقة ذلك ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى**﴾ هذا توبيخ ومعناه أيظن أن يُترَك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء، فهو كقوله: ﴿**أَفَحَسِبْتُم أَنَّما خَلَقْنَاكُم عَبَثًا**﴾ [المؤمنون: ١١٥]، والإنسان هنا جنس، وقيل نزلت في أبي جهل ولا يبعد أن يكون سببها خاصًا ومعناها عامّ ﴿**أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ**﴾ النطفة النقطة ويُمْنَى من قولك أمنى الرجل ومعنى الآية الاستدلال بخلقة الإنسان على بعثه كقوله: ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [يس: ٧٩] والعلقة الدم لأن المنيّ يصير في الرحم دمًا ﴿**فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ**﴾ أي

بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾

خلقة بشرًا فسوّى صورته أي أتقنها ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ هذا تقرير واحتجاج، ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال بلى وفي رواية سبحانك اللّهمّ بلى.



سـورة الإنسان

مدنيّة وآياتها ٣١ نزلت بعد الرحمٰن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ هل هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام، وقيل هل بمعنى قل، والإنسان هنا جنس، والحين الذي أتى عليه حين كان معدومًا قبل أن يخلق، وقيل الإنسان هنا آدم والحين الذي أتى عليه حين كان طينًا قبل أن ينفخ فيه الروح وهذا ضعيف لوجهين أحدهما قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصحّ هنا في آدم، والآخر أن مقصد الآية تحقير الإنسان ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي أخلاط واحدها مشج بفتح الميم والشين وقيل مشج بوزن عدل، وقال الزمخشري ليس أمشاج بجمع وإنما هو مفرد كقولهم برمة أعشار، ولذلك أوقع صفة للمفرد واختلف في معنى الأخلاط هنا فقيل أخلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وقيل اختلاط ماء الرجل والمرأة ورُوِيَ أن عظام الإنسان، وعصبه من ماء الرجل، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة، وقيل معناه ألوان وأطوار أي يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة

لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي نختبره وهذه الجملة في موضع الحال أي خلقناه مبتلين له وقيل معناه نصرفه في بطن أُمه نطفة ثم علقة ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ هذا معطوف على خلقنا الإنسان ومَن جعل نبتليه بمعنى نصرفه في بطن أُمه فهذا عطف عليه، وقيل إن نبتليه مؤخّر في المعنى أي جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه وهذا تكلّف بعيد ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي سبيل الخير والشر ولذلك قسم الإنسان إلى قسمين شاكرًا أو كفورًا وهما حالان من الضمير في هديناه والهدى هنا بمعنى بيان الطريقين وموهبة العقل الذي يميّز به بينهما ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد أي هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر قل كلٌّ من عند الله ﴿سَلاَسِلاَ﴾ مَن قرأه بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له في الآحاد ومَن قرأه بالتنوين فله ثلاث توجيهات أحدها أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلاّ أفعل والآخر أن النون بدل من حرف الإطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف والثالث أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عوّد لسانه صرف ما لا ينصرف فجرى على ذلك ﴿الأَبْرَارَ﴾ جمع بار أو برّ ومعناه العاملون بالبرّ وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون الذرّ ﴿مِن كَأْسٍ﴾ ذكر في الصّافّات معنى الكأس ومن هنا يحتمل أن تكون للتبعيض أو لابتداء الغاية ﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي تمزج الخمر بالكافور وقيل المعنى أنه كافور في طيب رائحته كما تمدح طعامًا فتقول هذا مِسْك ﴿عَيْنًا﴾ بدل من كافورًا على القول بأن الخمر تُمزَج بالكافور أو بدل من موضع من كأس على القول الآخر كأنه قال يشربون خمرًا خمر عين وقيل هو مفعول يشربون وقيل منصوب بإضمار فعل ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية الباء زائدة والمعنى يشربها وهذا ضعيف لأن الباء إنما تُزاد في مواضع ليس هذا منها وإنما هي كقولك شربت الماء بالعسل لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ وصفهم بالعبودية وفيه معنى التشريف والاختصاص. كقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي يفجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرًا سهلاً لا يصعب عليهم وفي الأثر أن في قصر النبي ﷺ في الجنة عينًا تفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي منتشرًا شائعًا ومنه استطار الفجر إذا انشقّ ضوؤه ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في عليّ بن

وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ

أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطورهم ليأكلوه جاء مسكين فرفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين والآية على هذا مدنية لأن عليًا إنما تزوّج فاطمة بالمدينة وقيل إنما هي مكيّة وليست في عليّ ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ الضمير للطعام أي يطعمونه مع حبّه والحاجة إليه فهو كقوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون﴾ [آل عمران: ٩٢] وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفِسِهِم وَلَو كَانَ بِهِم خَصَاصَة﴾ [الحشر: ٩] ففي قوله: ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ تتميم وهو من أدوات البيان وقيل الضمير لله وقيل للإطعام المفهوم من يطعمون والأول أرجح وأظهر ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قد ذكرنا المسكين واليتيم وأما الأسير ففيه خمسة أقوال أحدها أن الأسير الكافر بين المسلمين ففي إطعامه أجر لأنه في كل ذي كبد رطبة أجر وقيل نسخ ذلك بالسيف والآخر أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية والثالث أنه المملوك الرابع أنه المسجون الخامس أنه المرأة لقوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا لأنهنّ عَوَانٌ عندكم» وهذا بعيد والأول أرجح لأنه رُوِيَ أن النبي ﷺ كان يُؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول: «أحسِن إليه» ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ عبارة عن الإخلاص لله ولذلك فسّروه وأكّدوه بقولهم: ﴿لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾ والشكور مصدر كالشكر ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بألسنتهم أو قالوه في نفوسهم فهو عبارة عن النيّة والقصد ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وصف اليوم بالعبوس مجاز على وجهين أحدهما أن يوصف اليوم بصفة أهله كقولهم نهاره صائم وليله قائم ورُوِيَ أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران والآخر يشبه في شدّته بالأسد العبوس ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ قال ابن عباس معناه طويل وقيل شديد ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ النضرة التنعّم وهذا في مقابلة عبوس الكافر وقوله وقاهم ولقاهم من أدوات البيان ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبما ذكرنا من قصة عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، وقد ذكرنا الأرائك ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا﴾ عبارة عن اعتدال هوائها أي ليس فيها حرّ ولا برد، والزمهرير هو البرد الشديد، وقيل هو القمر بلغة طيىء، والمعنى

قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا

[illegible]

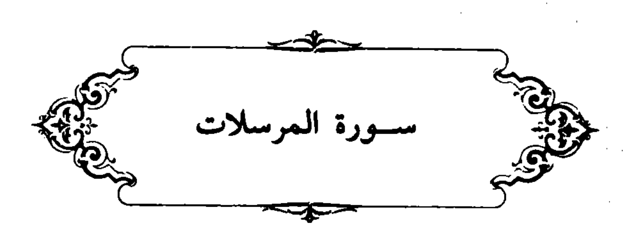
على هذا أن للجنّة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ معناه أن ظلال الأشجار متدلية عليهم قريبة منهم وإعراب دانية معطوف على متكئين، وقال الزمخشري هو معطوف على الجملة التي قبلها وهي لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا؛ لأن هذه الجملة في حكم المفرد تقديره غير رائين فيها شمسًا ولا زمهريرًا ودانية، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم أي جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال، وقيل هو صفة لجنة عطف بالواو كقولك فلان عالم وصالح، وقيل هو معطوف عليها أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ القطوف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب، وشبه ذلك، وتذليلها هو أن تتدلى إلى الأرض، وروي أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أي حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع، لأنها تتدلى لهم كما يريدون، وهذه الجملة في موضع الحال من دانية، أي دانية في حال تذليل قطوفها أو معطوفة عليها ﴿بِآنِيَةٍ﴾ هي جمع إناء ووزنها أفعلة وقد ذكرنا الأكواب في الواقعة ﴿قَوَارِيرَا﴾ القوارير هي الزجاج، فإن قيل كيف يتفق أنها زجاج مع قوله من فضة؟ فالجواب: أن المراد أنها في أصلها من فضة وهي تشبه الزجاج في صفائها وشفيفها، وقيل هي من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه لشرف الفضة وبياضها، ومن قرأ قوارير بغير تنوين فهو على الأصل ومن نونه فعلى ما ذكرنا من سلاسل ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ هذه صفة للقوارير والمعنى قدروها على قدر الأكف أو على قدر ما يحتاجون من الشراب قال مجاهد: هي لا تغيض ولا تفيض، وقيل قدروها على حسب ما يشتهون، والضمير الفاعل في قدروها يحتمل أن يكون للشاربين بها أو للطائفين بها ﴿مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ هو كما ذكرنا في مزاجها كافورًا ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ معناه سلس منقاد الجرية، وقيل سهل الانحدار في الحلق، يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد وزيدت الباء في التركيب للمبالغة في سلاسته فصارت الكلمة خماسية، وقيل سل فعل أمر سبيلًا مفعول به وهذا في غاية الضعف ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ ذكر في الواقعة و﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ شبههم باللؤلؤ في الحسن والبياض وبالمنثور منه في كثرتهم وانتشارهم في القصور ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ مفعول رأيت محذوف ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يُرى فيها وثم ظرف مكان، وقال الفراء تقديره إذا رأيت ما ثم فما مفعولة ثم حذفت، قال الزمخشري وهذا خطاب لأن ثم صلة لما ولا يجوز

وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ

حذف الموصول وترك الصلة ﴿**مُلْكًا كَبِيرًا**﴾ يعني كثرة ما أعطاهم الله حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه، حسبما ورد في الحديث وقيل أراد أن الملائكة تسلّم عليهم، وتستأذن عليهم، فهم بذلك كالملوك ﴿**عَٰلِيَهُمْ**﴾ بسكون الياء مبتدأ خبره ﴿**ثِيَابُ سُندُسٍ**﴾ أي ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس، وقرىء بالنصب على الحال، من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم. وقال ابن عطية العامل فيه لقاهم أو جزاهم، وقال أيضًا يجوز أن ينتصب على الظرف لأن معناه فوقاهم، وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق وقرىء ﴿**خُضْرٌ**﴾ بالخفض صفة لسندس وبالرفع صفة لثياب ﴿**وَإِسْتَبْرَقٌ**﴾ بالرفع عطف على ثياب، وبالخفض عطف على سندس ﴿**وَحُلُّوا**﴾ وزنه فعلوا معناه جعل لهم حليّ ﴿**أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ**﴾ ذكرنا الأساور في الكهف، فإن قيل كيف قال هنا أساور من فضة، وفي موضع آخر أساور من ذهب؟ فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة، قال رسول الله ﷺ: «جنّتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فلعلّ الذهب للمقرّبين، والفضة لأهل اليمين ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معًا ﴿**شَرَابًا طَهُورًا**﴾ أي ليس بنجس كخمر الدنيا، وقيل معناه أنه لم تعصره الأقدام، وقيل معناه لا يصير بولاً ﴿**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً**﴾ أي يقال لهم هذا يقوله الله تعالى والملائكة ﴿**آثِمًا أَوْ كَفُورًا**﴾ أو هنا للتنويع فالمعنى لا تُطِع النوعين، فاعلاً للإثم ولا كفورًا، وقيل هي بمعنى الواو أي جامعًا للوصفين لأن هذه هي حالة الكفّار، ورُوِيَ أن الآية نزلت في أبي جهل، وقيل أن الآثم عتبة بن ربيعة، والكفور الوليد بن المغيرة، والأحسن أنها على العموم، لأن لفظها عامّ، وإن كان سبب نزولها خاصًا ﴿**بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ هذا أمر بذكر الله في كل وقت، وقيل إشارة إلى الصلوات الخمس، فالبكرة صلاة الصبح، والأصيل الظهر والعصر، ومن الليل المغرب والعشاء ﴿**إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ**﴾ أي الدنيا والإشارة إلى الكفّار واليوم الثقيل يوم القيامة، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدّته ﴿**وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ**﴾ الأسر الخلقة وقيل المفاصل والأوصال، وقيل القوّة ﴿**بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ**

رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

تَبْدِيلًا﴾ أي أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم وقيل مسخناهم فبدّلنا صورهم وهذا تهديد **﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾** الإشارة إلى الآية أو السورة أو الشريعة بجملتها **﴿فَمَن شَاءَ﴾** تحضيض وترغيب ثم قيّد مشيئتهم بمشيئة الله **﴿وَالظَّالِمِينَ﴾** منصوب بفعل مضمر تقديره ويعذّب الظالمين.



سورة المرسلات

مكيّة إلاّ آية ٤٨ فمدنيّة وآياتها ٥٠ نزلت بعد الهمزة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين: أحدهما أنها الملائكة والآخر أنها الرياح فعلى القول بأنها الملائكة سمّاهم المرسلات لأن الله تعالى يرسلهم بالوحي وغيره وسمّاهم العاصفات لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيّهم إلى امتثال أوامر الله تعالى، وسمّاهم ناشرات لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجوّ، وينشرون الشرائع في الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال وسمّاهم الفارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل، وعلى القول بأنها الرياح، سمّاها المرسلات لقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ [الروم: ٤٨] وسمّاها العاصفات من قوله: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢] أي شديدة وسمّاها الناشرات لأنها تنشر السحاب في الجوّ منه قوله: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨] وسمّاها الفارقات لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله: ﴿وَيَجْعَله كِسَفًا﴾ [الروم: ٤٨] وأما الملقيات ذِكرًا فهم الملائكة لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم

نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ

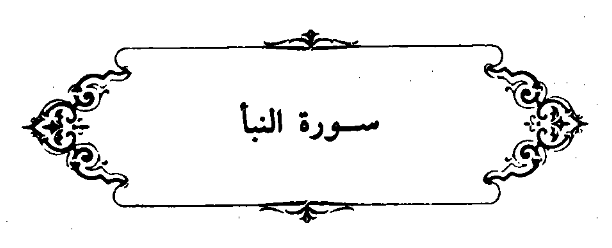
السلام والأظهر في المرسلات والعاصفات أنها الرياح لأن وصف الريح بالعصف حقيقة والأظهر في الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة ولم يقل أحد إنها الرياح ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال: ﴿وَٱلْمُرْسَلَاتِ﴾ ﴿فَٱلْعَاصِفَاتِ﴾ ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ﴾ ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء وقد قيل في المرسلات والملقيات أنهم الأنبياء عليهم السلام ﴿عُرْفًا﴾ معناه فضلاً وإنعامًا وانتصابه على أنه مفعول من أجله وقيل معناه متتابعة وهو مصدر في موضع الحال وأما عصفًا ونشرًا وفرقًا فمصادر وأما ذكرًا فمفعول به ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ العذر فسره ابن عطية وغيره بمعنى إعذار الله إلى عباده لئلا تبقى لهم حجة أو عذر وفسره الزمخشري بمعنى الاعتذار يقال عذر إذا محا الإساءة وأما نذرًا فمن الإنذار وهو التخويف وقرىء بضم الذال في الموضعين وبإسكانها ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصبهما على البدل من ذكرًا أو مفعولاً بذكر أو يحتمل أن يكون عذرًا جمع عذير أو عاذر ونذرًا جمع نذير فيكون نصبهما على الحال ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ يعني البعث والجزاء وهو جواب القسم ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي زال ضوؤها وقيل مُحِيت ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ أي انشقت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ أي صارت غبارًا ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي جُعل لها وقت معلوم فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة وقرىء وقتت بالواو وهو الأصل والهمزة بدل من الواو ﴿لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ هو من الأجل كما أن التوقيت من الوقت وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم ثم بينه بقوله: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ أي يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تكراره في هذه السورة قيل إنه تأكيد وقيل بل في كل آية ما يقتضي التصديق فجاء ويل يومئذ للمكذبين راجعًا إلى ما قبله في كل موضع منها ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ﴾ يعني الكفار المتقدمين كقوم نوح وغيرهم ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ﴾ يعني قريشًا وغيرهم من الكفار بمحمد ﷺ وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم يعني الكفار ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني المني، والمهين الضعيف ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني رحم المرأة وبطنها ﴿إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾

قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ

يعني وقت الولادة وهو معلوم عند تسعة أشهر أو أقلّ منها أو أكثر **﴿فَقَدَّرْنَا﴾** بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله فنِعمَ القادرون وإذا كان من التقدير فهو تجنيس **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾** الكفات من كفت إذا ضمّ وجمع فالمعنى أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها والموتى في بطنها وانتصب أحياءً وأمواتًا على أنه مفعول بكفاتًا لأن الكفات اسم لما يضمّ ويجمع فكأنه قال جامعة أحياءً وأمواتًا ويجوز أن يكون المعنى تكفتهم أحياءً وأمواتًا فيكون نصبهما على الحال من الضمير وإنما نكّر أحياءً وأمواتًا للتفخيم ودلالة على كثرتهم **﴿رَوَاسِيَ﴾** يعني الجبال **﴿شَامِخَاتٍ﴾** أي مرتفعات **﴿مَاءً فُرَاتًا﴾** أي حلوًا **﴿انطَلِقُوا﴾** خطاب للمكذبين وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماضٍ ثم كرّره لبيان المنطلق إليه **﴿إِلَى ظِلّ﴾** [الواقعة: ٤٣] يعني دخان جهنم ومنه: **﴿ظِلٍّ من يَحْمُوم﴾** **﴿ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾** أي يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتظلّهم بينما يكون المؤمنون في ظلال العرش وقيل إن هذه الآية في عبدة الصليب لأنهم على ثلاث شُعَب فيقال لهم انطلقوا إليه **﴿لاَّ ظَلِيلٍ﴾** نفى عنه أن يظلّهم كما يظلّ العرش المؤمنين ونفى أيضًا أن يمنع عنهم اللهب **﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾** الضمير في أنها لجهنم والقصر واحد القصور وهي الديار العِظام شبّه الشرر به في عظمته وارتفاعه في الهواء وقيل هو الغليظ من الشجر واحده قصرة كجمرة وجمر **﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾** في الجمالات قولان أحدهما أنها جمع جِمال شبّه بها الشرر وصفر على ظاهره لأن لون النار يضرب إلى الصُفرة وقيل صفر هنا بمعنى سود يقال جمل أصفر أي أسود وهذا أليق بوصف جهنم الثاني أن الجمالات قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة وقرىء جمالات بضم الجيم وهي قلوس السفن وهي حبالها العظام **﴿هَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ﴾** هذا في مواطن وقد يتكلمون في مواطن أُخر لقوله: **﴿يَوْمَ تَأْتِي كلُّ نَفْس تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِها﴾** [النحل: ١١١] **﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾** تعجيز لهم وتعريض بكيدهم في الدنيا وتقريع عليه **﴿كُلُوا

كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وَاشْرَبُوا﴾ يقال لهم ذلك في الجنة بلسان الحال أو بلسان المقال **﴿هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** نصب هنيئًا على الحال أو على الدعاء **﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾** خطاب للكفّار على وجه التهديد تقديره قل لهم كلوا وتمتّعوا قليلاً في الدنيا **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾** هذا إخبار عن حال الكفّار في الدنيا وذكر الركوع عبارة عن الصلاة وقيل معنى اركعوا اخشعوا وتواضعوا وقيل هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة لأنهم إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرون على الركوع كقوله: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] والأول أشهر وأظهر **﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾** الضمير للقرآن.



سـورة النبأ

مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد المعارج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أصل عم عن ما ثم أُدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما لأنها استفهامية تقديرها عن أيّ شيء يتساءلون وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر والضمير في يتساءلون لكفّار قريش أو لجميع الناس ومعناه يسأل بعضهم بعضًا **﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾** هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك ويتعلق عن النبإ بفعل محذوف يفسّره الظاهر تقديره يتساءلون عن النبأ ووقعت هذه الجملة جوابًا عن الاستفهام وبيانًا للمسؤول عنه كأنه لمّا قال عمّ يتساءلون أجاب فقال يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل يتعلق عن النبأ بيتساءلون الظاهر والمعنى على هذا لأيّ شيء يتساءلون عن النبأ العظيم والأول أفصح وأبرع وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله عمّ يتساءلون **﴿الَّذِي هُم فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾** إن كان الضمير في يتساءلون لكفّار قريش فاختلافهم أن منهم مَن يقطع بالتكذيب ومنهم مَن يشكّ أو يكون اختلافهم قول بعضهم سحر وقول بعضهم شعر وكهانة

لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا

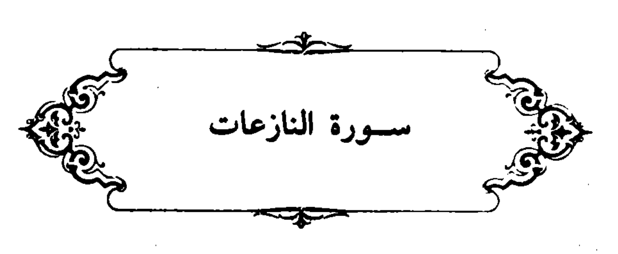
وغير ذلك وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع وتهديد ثم كرّره للتأكيد ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا﴾ أي فراشًا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفّار فيما أنكروه من البعث كأنه يقول إن الإله الذي قدر على خلقة هذه المخلوقات العِظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أنه ذكرها حجّة على التوحيد لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ شبّهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أَن تميد ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي من زوجين ذكرًا وأُنثى، وقيل معناه أنواعًا في ألوانكم وصوركم وألسنتكم ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي راحة لكم، وقيل معناه قطعًا للأعمال والتصرف والسبت القطع وقيل معناه موتًا لأن النوم هو الموت الأصغر ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوتِها وَالَّتِي لَم تَمُت في مَنامِها﴾ [الزمر: ٤٢] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيلَ لِبَاسًا﴾ شبّهه بالثياب التي تلبس لأنه ستر عن الحيوان ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي تُطلَب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف تقديره ذا معاش، وقال الزمخشري معناه يُعاش فيه فجعله بمعنى الحياة في مقابلة السُّبات الذي بمعنى الموت ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني السمٰوات ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني الشمس والوهّاج الوقّاد الشديد الإضاءة، وقيل الحارّ الذي يضطرم من شدّة لهبه ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ يعني المطر والمعصرات هي السحاب وهو مأخوذ من العصر لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء، أو من العصرة بمعنى الإغاثة ومنه وفيه يعصرون، وقيل هي السمٰوات وقيل الرياح والثجاج السريع الاندفاع ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ الحبّ هو القمح والشعير وسائر الحبوب والنبات هو العشب ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي ملتفّة وهو جمع لف بضمّ اللام، وقيل بالكسر وقيل لا واحد له ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ أي في وقت معلوم ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يعني نفخة القيام من القبور ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي جماعات ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي تنفتح فتكون فيها شِقاق كالأبواب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ أي حملت ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ عبارة عن تلاشيها وفنائها والسراب في اللغة ما يظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا وإنما هو تشبيه في أنه لا شيء ﴿مِرْصَادًا﴾ أي موضع الترصد

وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ

والرصد هو الارتقاب والانتظار، أي تنتظر الكفّار ليدخلوها وقيل معناه طريقًا للمؤمنين يمرّون عليه إلى الجنة لأن الصراط منصوب على جهنم **﴿مَآبًا﴾** أي مرجعًا **﴿لاَّبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾** جمع حقبة أو حقب وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل إنها محدودة ثم اختلف في مقدارها، فرُوِيَ عن النبي ﷺ أنها ثمانون ألف سنة، وقال ابن عباس ثلاثون سنة وقيل ثلثمائة سنة، وعلى القول بالتحديد فالمعنى أنهم يبقون فيها أحقابًا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى غير نهاية وقيل إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي، ثم نسخ بقوله: **﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾** وهذا خطاب لأن الأخبار لا تنسخ، وقيل هي في عصاة المؤمنين الذي يخرجون من النار، وهذا خطأ لأنها في الكفّار لقوله: **﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾** وقيل معناها أنهم يبقون أحيانًا لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب **﴿لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا﴾** أي لا يذوقون برودة تخفّف عنهم حرّ النار وقيل لا يذوقون ماءً باردًا وقيل البرد هنا النوم والأول أظهر **﴿إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾** استثناء من الشراب وهو متصل والحميم الماء الحارّ والغسّاق صديد أهل النار وقد ذكر في سورة داود **﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾** أي موافقًا أعمالهم لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار، ووفاقًا مصدر وصف به أو هو على حذف مضاف تقديره ذو وفاق **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَابًا﴾** هذا مثل لا يرجون لقاءنا وقد ذكر **﴿كِذَّابًا﴾** بالتشديد مصدر بمعنى تكذيب وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة وهي تكذيب بعضهم لبعض **﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾** قال رسول الله ﷺ: «ما نزل في أهل النار أشدّ من هذه الآية» **﴿مَفَازًا﴾** أي موضع فوز يعني الجنة **﴿حَدَائِقَ﴾** أي بساتين **﴿وَكَوَاعِبَ﴾** جمع كاعب وهي الجارية التي خرج ثديها **﴿أَتْرَابًا﴾** أي على سنٍّ واحد **﴿وكَأْسًا دِهَاقًا﴾** أي ملأى وقيل صافية والأول أشهر **﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾** أي كافيًا من أحسب الشيء إذا كفاه، وقيل معناه على حسب أعمالهم **﴿رَّبِّ السَّمَـٰوَاتِ﴾** بالرفع مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر وبالخفض صفة لربك، والرحمن بالخفض صفة وبالرفع خبر المبتدأ أو خبر ابتداء مضمر **﴿لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾** قال ابن عطيّة الضمير للكفّار أي لا يملكون أن يخاطبوه بمقدرة ولا غيرها وقيل المعنى لا يقدرون أن يخاطبهم كقوله ولا يكلمهم الله وقال

ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

الزمخشري الضمير لجميع الخلق أي ليس بأيديهم شيء من خطاب الله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قيل هو جبريل وقيل ملك عظيم يكون هو وحده صفًا والملائكة صفًا، وقيل يعني أرواح بني آدم فهو اسم جنس ويوم يتعلق بلا يملكون أو لا يتكلمون ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ﴾ الضمير للملائكة والروح أي تمنعهم الهيبة من الكلام إلاّ من بعد أن يأذن الله لهم وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على هذا وقيل الضمير للناس خاصّة والصوابُ المُشار إليه قول لا إله إلاّ الله أي مَن قالها في الدنيا ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي الحق وجوده ووقوعه ﴿فَمَن شَاءَ﴾ تخصيص وترغيب ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني عذاب الآخرة ووصفه بالقرب لأن كلّ آتٍ قريب أو لأن الدنيا على آخرها ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ المرء هنا عموم في المؤمن والكافر، وقيل هو المؤمن وقيل هو الكافر والعموم أحسن لأن كل أحد يرى ما عمل لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الزلزلة: ٧] الآية ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ تمنّى أن يكون يوم القيامة ترابًا فلا يُحَاسَب ولا يُجازَى، وقيل تمنّى أن يكون في الدنيا ترابًا أي لم يُخلَق، ورُوِيَ أن البهائم تُحشَر ليقتصّ لبعضهم من بعض ثم تُرَدّ ترابًا فيتمنى الكافر أن يكون ترابًا مثلها، وهذا يقوّي الأول، وقيل الكافر هنا إبليس يتمنّى أن يكون خُلِقَ من تراب مثل آدم وذرّيته لما رأى ثوابهم وقد كان احتقر التراب في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[الأعراف: ١٢].



سورة النازعات

مكية وآياتها ٤٦ نزلت بعد النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

اختلف في معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمدبّرات، فقيل إنها الملائكة وقيل النجوم، فعلى القول بأنها الملائكة سمّاهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادها وناشطات لأنهم ينشطونها أي يخرجونها فهو من قولك نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها وسابحات لأنهم يسبحون في سيرهم أي يسرعون فيسبقون فيُدبّرون أُمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله وعلى القول بأنها النجوم سمّاها نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج وسابحات لأنها تسبح في الفلك ومنه كلٌّ في فلك يسبحون فتسبق في جريها فتدبّر أمرًا من علم الحساب، وقال ابن عطية لا أعلم خلافًا أن المدبّرات أمرًا الملائكة وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا وقد قيل في النازعات والناشطات أنها النفوس تنزع من معنى النزع بالموت فتنشط من الأجساد، وقيل في السابحات والسابقات أنها الخيل وأنها السفن ﴿غَرْقًا﴾ إن قلنا النازعات

يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا

الملائكة ففي معنى غرقًا وجهان: أحدهما أنها من الغرق أي تغرق الكفّار في جهنم والآخر أنه من الإغراق في الأمر بمعنى المبالغة فيه أي تبالغ في نزعها فتقطع الفلك كله، وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضًا من الإغراق أي تغرق في الخروج من الجسد والإعراب غرقًا مصدر في موضع الحال، ونشطًا وسبحًا وسبقًا مصادر، وأمرًا مفعول به، وجواب القسم محذوف وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة، وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة على تقدير حذف لام التأكيد، وقيل هو ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ وهذا بعيد لبُعده عن القسم ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا لمعنى القسم ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قيل الراجفة النفخة الأولى في الصور والرادفة النفخة الثانية لأنها تتبعها ولذلك سمّاها رادفة من قولك ردفت الشيء إذا تبعته، وفي الحديث أن بينهما أربعين عامًا، وقيل الراجفة الموت والرادفة القيامة، وقيل الراجفة الأرض، من قوله: ﴿تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤] والرادفة السماء لأنها تنشقّ يومئذ والعامل في يوم ترجف محذوف وهو الجواب المقدّر تقديره لتبعثنّ يوم ترجف الراجفة وإن جعلنا يوم ترجف الجواب فالعامل في يوم معنى قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ وقوله: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ في موضع الحال ويحتمل أن يكون العامل فيه تتبعها ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي شديدة الاضطراب والوجيف والوجيب بمعنى واحد وارتفع قلوب بالابتداء وواجفة خبره، وقال الزمخشري: واجفة صفة والخبر أبصارها خاشعة ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ كناية عن الذلّ والخوف وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوّز والتقدير قلوب أصحابها ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ هذا حكاية قول الكفّار في الدنيا، ومعناه على الجملة إنكار البعث فالهمزة في قوله: ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ للإنكار ولذلك اتفق العلماء على قراءته بالهمزتين إلاّ أن منهم مَن سهّل الثانية ومنهم مَن خفّفها واختلفوا في إذا كنّا عظامًا نَخرة فمنهم مَن قرأه بهمزة واحدة لأنه ليس بموضع استفهام ولا إنكار ومنهم مَن قرأه بهمزتين تأكيدًا للإنكار المتقدّم ثم اختلفوا في معنى الحافرة على ثلاثة أقوال: أحدها أنها الحالة الأولى يقال رجع فلان في حافرته إذا رجع إلى حالته الأولى فالمعنى أئنا لمردودون إلى الحياة بعد الموت والآخر أن الحافرة الأرض بمعنى محفورة فالمعنى أئنّا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في القبور والثالث أن الحافرة النار والعظام النخرة البالية المتعفنة وقرىء ناخرة بألف وبحذف الألف وهما بمعنى واحد إلاّ أن حذف الألف أبلغ لأن فعِل أبلغ من فاعل وقيل معناه العظام المجوّفة التي تمرّ بها الريح فيُسمع لها نخير والعامل في إذا

هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ

كنا محذوف تقديره إذا كنّا عظامًا نبعث ويحتمل أن يكون العامل فيه مردودون في الحافرة ولكن إنما يجوز ذلك على قراءة إذا كنّا بهمزة واحدة على الخبر ولا يجوز على قراءته بهمزتين لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها ﴿**قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ**﴾ الكرّة الرجعة والخاسرة منسوبة إلى الخسران كقوله عيشة راضية أي ذات رِضًى أو معناه خاسر أصحابها ومعنى هذا الكلام أنهم قالوا إن كان البعث حقًّا فكرّتنا خاسرة لأنّا ندخل النار ﴿**فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ**﴾ يعني النفخة في الصور للقيام من القبور وهذا من كلام الله تعالى ردًا على الذين أنكروا البعث كأنه يقول لا تظنوا أنه صعب على الله هو عليه يسير فإنما ينفخ نفخة واحدة في الصور فيقوم الناس من قبورهم ﴿**فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ**﴾ إذا هنا فجائية والساهرة وجه الأرض والباء ظرفية والمعنى إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرع شيء ﴿**هَلْ أَتَاكَ**﴾ توقيف وتنبيه وليس المراد به مجرد الاستفهام ﴿**طُوًى**﴾ ذكر في طٰه ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ**﴾ تفسير للنداء ﴿**هَلْ لَكَ إِلَى أَن تَزَكَّىٰ**﴾ أن تتطهّر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل وقال بعضهم تزكّى تسلم وقيل تقول لا إله إلاّ الله والأول أعمّ ﴿**الآيَةَ الْكُبْرَىٰ**﴾ قلب العصا حيّة وإخراج اليد بيضاء وجعلهما واحدة لأن الثانية تتبع الأولى ويحتمل أن يريد الأولى وحدها ﴿**ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ**﴾ الإدبار كناية عن الإعراض عن الإيمان ويسعى عبارة عن جدّه في الكفر وفي إبطال أمر موسى عليه السلام وقيل هو حقيقة أي قام من مجلسه يفرّ من مُجالسة موسى أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانًا ﴿**فَحَشَرَ**﴾ أي جمع جنوده وأهل مملكته ﴿**فَنَادَىٰ**﴾ أي نادى قومه وقال لهم ما قال ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر مَن يناديهم والأول أظهر ورُوِيَ أنه قام فيهم خطيبًا فقال ما قال ﴿**فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى**﴾ النكال مصدر بمعنى التنكيل والعامل فيه أخذه الله لأنه بمعناه وقيل العامل محذوف والآخرة هي دار الآخرة والأولى الدنيا فالمعنى نكال الآخرة بالنار ونكال الأولى بالغرق وقيل الآخرة قوله: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ والأولى قوله ما علمت لكم من إله غيري وقيل بالعكس فالمعنى أخذه الله وعاقبه على كلمة الآخرة وكلمة الأولى ﴿**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ**﴾ هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث فإن الذي خلق السماء قادر على خلق

سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾

الأجساد بعد فنائها ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ السمك غلظ السماء وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة خمسمائة عام وقيل السمك السقف ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي أتقن خلقتها وقيل جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي جعله مظلمًا يقال غطش الليل إذا أظلم وأغطشه الله ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى وأضاف الضحى والليل إلى السماء من حيث أنهما ظاهران منها وفيها ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أي بسطها واستدلّ بها مَن قال إن الأرض بسيطة غير كروية وقد ذكرنا في فصّلت الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩، وفصّلت: ١١] ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها فإن قيل لما قال أخرج بغير حرف العطف؟ فالجواب أن هذه الجملة في موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله الزمخشري ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أي أثبتها ونصب الجبال بفعل مضمر يدلّ عليه الظاهر وكذلك الأرض ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾ تقديره فعل ذلك كله تمتيعًا لكم منه ﴿وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بما ذكر ﴿الطَّامَّةُ﴾ هي القيامة وقيل النفخة الثانية واشتقاقها من قولك لهم الأمر إذا علا وغلب ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ أي أظهرت لكل مَن يرى فهي لا تخفى على أحد ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ذكر في سورة الرحمن ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ أي ردّها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة قال بعض الحكماء إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه وقال سهل التستري لا يسلم من الهوى إلاّ الأنبياء وبعض الصدّيقين ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ذكر في الأعراف ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ أي من ذكر زمانها فالمعنى لست في شيء من ذكر ذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة كثيرًا فلما نزلت هذه الآية انتهى ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ أي منتهى علمها لا يعلم متى تكون إلاّ هو وحده ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ أي إنما بُعِثْتَ لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها وخصّ الإنذار بمَن يخشاها

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

لأنه هو الذي ينفعه الإنذار ﴿**لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾ أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلاّ عشية يوم أو ضحى يوم وأضاف الضحى كذلك إلى العشيّة لما بينهما من الملابسة إذ هما في يوم واحد.

سورة عبس

مكية وآياتها ٤٢ نزلت بعد النجم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

سبب نزول صدر هذه السورة أن رسول الله ﷺ كان حريصًا على إسلام قريش وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا فيسلم بإسلامهم غيرهم فبينما هو مع رجل من عظمائهم قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أُميّة بن خلف، وقال ابن عباس كانوا جماعة إذ أقبل عبد الله ابن أُم مكتوم الأعمى فقال يا رسول الله علّمني مما علّمك الله، وكرّر ذلك وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم فكره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قطع الأعمى كلامه فعبس وأعرض عنه وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ فنزلت الآية فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله ابن أم مكتوم بعد ذلك يقول: «مرحبًا بمَن عاتبني فيه ربّي ويبسط له رداءه وقد استخلفه على المدينة مرّتين» ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أي عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه قال ابن عطيّة في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب لأن في ذلك بعض الإعراض وقال الزمخشري في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار،

﴿تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾

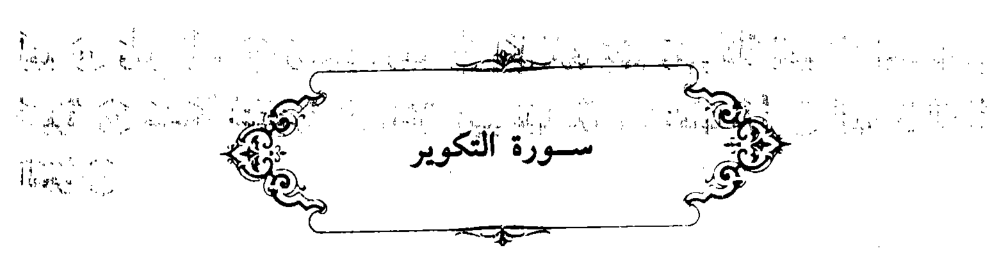
وقال غيرهما هو إكرام للنبي ﷺ وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن **﴿أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ﴾** في موضع مفعول من أجله وهو منصوب بتولّى أو عبس وذكر ابن أُم مكتوم بلفظ الأعمى ليدلّ أن عماه هو الذي أوجب احتقاره وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة أو يشهد صاحبها ومنه قول المحدّثين سليمان الأعمش وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك **﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾** أي أيّ شيء يُطلِعك على حال هذا الأعمى **﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾** أو يتطهّر وينتفع في دينه بما يسمع منك، **﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾** أي تتعرّض للغني رجاء أن يسلم **﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾** أي لا حرج عليك أن لا يتزكّى هذا الغني **﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾** إشارة إلى عبد الله ابن أُم مكتوم، ومعنى يسعى يسرع في مشيه من حرصه في طلب الخير **﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾** أي يخشى الله أو يخاف الكفّار وإذايتهم له على اتّباعك وقيل جاء وليس معه مَن يقوده، فكان يخشى أن يقع وهذا ضعيف **﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾** أي تشتغل عنه بغيره من قولك لهيت عن الشيء إذا تركته، ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ تأدّب بما أدّبه الله في هذه السورة فلم يُعرِض بعدها عن فقير ولا تعرّض لغني، وكذلك اتّبعه فضلاء العلماء، فكان الفقراء في مجلس سفيان الثّوري كالأمراء وكان الأغنياء يتمنّون أن يكونوا فقراء **﴿كَلاَّ﴾** ردع عن معاودة ما وقع العتاب فيه **﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾** فيه وجهان، أحدهما: أن هذا الكلام المتقدّم تذكرة أو موعظة للنبي ﷺ والآخر أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد، وهذا أرجح لأنه يناسبه: فمَن شاء ذكره، وما بعده، وأنّث الضمير في قوله إنها تذكرة على معنى القصة أو الموعظة أو السورة أو القراءة وذكرها في قوله: **﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾** على معنى الوعظ أو الذكرى والقرآن **﴿فِي صُحُفٍ﴾** صفة لتذكرة أي ثابتة في صحف وهي الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ وقيل هي مصاحف المسلمين **﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾** إن كانت الصحف المصاحف فمعناه مرفوعة المقدار وإن كانت صحف الملائكة فمعناه كذلك أو مرفوعة في السماء ومطهّرة أي منزّهة عن أيدي الشياطين **﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾** هي الملائكة، والسفرة جمع سافر وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن وقيل لأنهم سفراء بين الله وبين عبيده، وقيل يعني القرّاء من الناس والأول أرجح وقد قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» أي أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم **﴿قُتِلَ الإِنسَانُ﴾** دعاء عليه

يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ

على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ، ومعناه تقبيح حاله وأنه ممّن يستحق أن يقال له ذلك، وقيل معناه لعن وهذا بعيد ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ تعجيب من شدّة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ توقيف وتقرير ثم أجاب عنه بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ يعني المنيّ ومقصد الكلام تحقير الإنسان ومعناه أنه يجب عليه أن يعظّم الربّ الذي خلقه ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ أي هيّأه لما يصلح له ومنه خلق كل شيء فقدّره تقديرًا، وقيل معناه جعله على مقدار معلوم في إعطائه وأجله ورزقه وغير ذلك ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ نصب السبيل بفعل مضمر فسّره يسّره، وفي معناه ثلاثة أقوال أحدها: يسّر سبيل خروجه من بطن أمه والآخر أنه سبيل الخير والشر لقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، الثالث سبيل النظر السديد المؤدّي إلى الإيمان، والأول أرجح لعطفه على قوله من نطفة خلقه فقدّره وهو قول ابن عباس ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ أي جعله ذا قبر يقال قبرت الميت إذا دفنته وأقبرته إذا أمرت أن يدفن ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ أي بعثه من قبره يقال نشر الميت إذا قام وأنشره الله والإشارة بإذا شاء ليوم القيامة، أي الوقت الذي يقدر أن ينشره فيه ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عمّا هو فيه ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أي لم يقضِ الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله، قال بعضهم لا يقضي أحد أبدًا جميع ما افترض الله عليه إذ لا بدّ للعبد من تفريط ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ أمر بالاعتبار في الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسّره برحمته فيجب على العبد طاعته وشكره ويقبح معصيته والكفر به، وقيل فلينظر إلى طعامه إذا صار رجعيًّا فينظر حقارة الدنيا وخساسة نفسه، والأول أشهر وأظهر في معنى الآية على أن القول الثاني صحيح وانظر كيف فسّره بقوله: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ وما بعده ليعدّد النِّعَم ويُظهِر القدرة وقرىء إنّا صببنا الماء بفتح الهمزة على البدل من الطعام ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني يخرج النبات منها ﴿حَبًّا﴾ يعني القمح والشعير وسائر الحبوب ﴿وَقَضْبًا﴾ قيل هي الفصفصة، وقيل هي علف البهائم واختار ابن عطية أنها البقول وشبهها مما يؤكل رطبًا ﴿غُلْبًا﴾ أي غليظة ناعمة ﴿وَأَبًّا﴾ الأب المرعى عند ابن عباس والجمهور، وقيل التبن وقد توقف في تفسيره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ﴿الصَّاخَّةُ﴾ القيامة وهي مشتقة من قولك صخّ الأذن إذا أصمّها بشدّة صياحه فكأنه إشارة إلى النفخة في الصور أو

أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

إلى شدّة الأمر حتى يصخّ مَن يسمعه لصعوبته وقيل هي من قولك أصاخ للحديث إذا استمعه والأول هو الموافق للاشتقاق ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ الآية ذكر فرار الإنسان من أحبابه ورتّبهم على ترتيبهم في الحنوّ والشفقة فبدأ بالأقلّ وختم بالأكثر لأن الإنسان أشدّ شفقة على بنيه من كل مَن تقدّم ذكره وإنما يفرّ منهم لاشتغاله بنفسه؛ وقيل إن فراره منهم لئلا يطالبوه بالتَّبِعات والأول أرجح وأظهر، لقوله: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب، حتى لا يسعه ذكر غيره، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام يومئذ نفسي نفسي ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أي مضيئة من السرور، وهو من قولك أسفر الصبح إذا أضاء ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي غبار والقترة أيضًا الغبار قال ابن عطية: الغبرة من العبوس والكرب كما يقتر وجه المهموم والمريض، والقترة هي غبار الأرض، وقال الزمخشري الغبرة غبار يعلوها والقترة سواد فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد.



مكية وآياتها ٢٩ نزلت بعد المسد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾

بِسْـمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

ذكر الله في هذه السورة أهوال يوم القيامة، وما يعتري الموجودات حينئذ من التغيير ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾ قال ابن عباس: ذهب ضوءها وأظلمت وقيل رمي بها وقيل اضمحلّت وأصله من تكوير العمامة لأنها إذا لفّت زال انبساطها وصغر جرمها ﴿**وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ**﴾ أي تساقطت من مواضعها، وقيل تغيّرت والأول أرجح لأنه موافق لقوله: ﴿وَإِذَا الكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] وَرُوِيَ أن الشمس والنجوم تُطرَح في جهنّم ليراها مَن عبدها، كما قال: ﴿إنكم وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبَ جَهَنَّم﴾ [الأنبياء: ٩٨] ﴿**وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ**﴾ أي حملت وبعد ذلك تفتت فتصير هباء ثم تتلاشى ﴿**وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَت**﴾ العشار جمع عشراء وهي الناقة الحامل التي مرّ لحملها عشرة أشهر وهي أنفس ما عند العرب وأعزّها فلا تعطّل إلاّ من شدّة الهول، وتعطيلها هو تركها سائبة أي ترك حلبها ﴿**وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ**﴾ أي جمعت وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال: أحدها أنها تُحشَر أي تُبعَث

بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾

يوم القيامة ليقتصّ لبعضها من بعض ثم تكون ترابًا والآخر أنها تُحشَر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس وقال إنها لا تُبعَث وأنه لا يحضر القيامة إلاّ الإنس والجنّ والثالث أنها تجمع في أول أهوال القيامة وتفرّ في الأرض فذلك حشرها ﴿**وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ**﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها ملئت وفجّر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرًا واحدًا والآخر مُلِئت نيرانًا لتعذيب أهل النار والثالث فرغت من مائها ويبست وأصله من سجرت التنّور إذا ملأتها فالقول الأول والثاني أليق بالأصل. والأول والثالث موافق لقوله فجرت: ﴿**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها أن التزويج بمعنى التنويع لأن الأزواج هي الأنواع فالمعنى جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن والثاني زُوّجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين والثالث زُوّجت الأرواح والأجساد أي رُدّت إليها عند البعث والأول هو الأرجح، لأنه رُوِيَ عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب وابن عباس ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَت بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾ الموءودة هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حيّة من كراهته لها ومن غيرته عليها فتسأل يوم القيامة بأيّ ذنبٍ قُتلت على وجه التوبيخ لقاتلها وقرأ ابن عباس ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَت بأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**﴾ بضم القاف وسكون اللام وضم التاء واستدلّ ابن عباس بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة لأن الله ينتصر لهم ممّن ظلمهم ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾ هي صحف الأعمال تُنشَر ليقرأ كلّ أحد كتابه، وقيل هي الصحف التي تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء ﴿**وَإِذا السَّمَاءُ كُشِطَتْ**﴾ الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تُسلَخ وكشط السماء هو طيّها كطيّ السجل قاله ابن عطيّة وقيل معناه كُشِفَت وهذا أليق بالكشط ﴿**وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ**﴾ أي أُوقدت وأُحميت ﴿**وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ**﴾ أي قربت ﴿**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ**﴾ هذا جواب إذا المكرّرة في المواضع قبل هذا ومعناه علمت كل نفس ما أحضرت من عمل فلفظ النفس مفرد يُراد به الجنس والعموم وقال ابن عطيّة إنما أفردها ليبيّن حقارتها وذلّتها وقال الزمخشري هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢] ومعناه التكثير وكذلك هنا معناه أعمّ الجموع ﴿**مَّا أَحْضَرَتْ**﴾ عبارة عن الحسنات والسيئات ﴿**فَلاَ أُقْسِمُ**﴾ ذكرت نظائره ﴿**بِٱلْخُنَّسِ ٱلْجَوَارِ الْكُنَّسِ**﴾ يعني الدراري السبعة وهي الشمس والقمر وزُحَل وعُطارد والمرّيخ والمشتري والزهرة وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾

أي تتقهقر فيكون النجم في البرج ثم يكرّ راجعًا وهي جواري في الفلك وهي تنكنس في أبراجها أي تستتر وهو مشتق من قولك كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه وقيل يعني الدراري الخمسة لأنها تستتر بضوء الشمس وقيل يعني النجوم كلها لأنها تخنس في جريها وتنكس بالنهار أي تستتر وتختفي بضوء الشمس وقيل يعني بقر الوحش فالخنّس على هذا من خنس الأنف والكنس من سكناها في كناسها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ يقال عسعس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام فقيل ذلك في أوله وقيل في آخره وهذا أرجح لأن آخر الليل أفضل ولأنه أعقبه بقوله ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي استطار واتّسع ضوؤه ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم قال السهيلي لا يجوز أن يقال إنه محمد عليه السلام لأن الآية نزلت في الردّ على الذين قالوا إن محمدًا قال القرآن فكيف يخبر الله أنه قوله وإنما أراد جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به وهو في الحقيقة قول الله تعالى وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم فإنه قد يضاف إلى محمد ﷺ، لأنه تلقّاه عن جبريل عليه السلام وجاء به إلى الناس ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله ذي قوّة وقد وصف جبريل بهذا لقوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٥] ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ يتعلق بذي قوة، وقيل بمكين وهذا أظهر والمكين الذي له مكانة أي جاه وتقريب ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله وهو عند ذي العرش أي مُطاع في ملائكة ذي العرش ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ هو محمد ﷺ باتّفاق ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ ضمير الفاعل لمحمد ﷺ وضمير المفعول لجبريل عليه السلام وهذه الرؤية له بغار حِراء على كرسي بين السماء والأرض. وقيل الرؤية التي رآه عند سدرة المنتهى في الإسراء ووصف هذا الأفق بالمبين لأنه رُوِيَ أنه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس وأيضًا فكل أُفق فهو مبين ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ الضمير للنبي ﷺ ومَن قرأ بالضاد فمعناه بخيل أي لا يبخل بأداء ما أُلقي إليه من الغيب، وهو الوحي، ومَن قرأ بالظاء فمعناه متّهم أي لا يتّهم على الوحي بل هو أمين عليه ورجّح بعضهم هذه القراءة بأن الكفّار لم ينسبوا محمدًا ﷺ إلى البخل بالوحي بل اتّهموه فنفى عنه

ذلك ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ الضمير للقرآن ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ خطاب لكفّار قريش أي ليس لكم زوال عن هذه الحقائق وقد تقدّم تفسير بقية السورة في نظائره فيما تقدّم.



سورة الانفطار

مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ

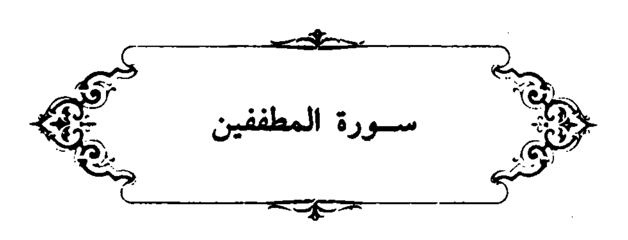
بِسْم اللهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ أي انشقت ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ أي سقطت من مواضعها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي فرغت وقيل فجر بعضها إلى بعض فاختلط ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَت﴾ أي نبشت على الموتى الذين فيها وقال الزمخشري أصله من البعث والبحث فضمّت إليها الراء والمعنى بحثت وأخرج موتاها ﴿عَلِمَتْ نَفسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا هو الجواب ومعناه علمت كل نفس جميع أعمالها وقيل ما قدّمت في حياتها وما أخّرت مما تركته بعد موتها من سُنّة سنّتها أو وصيّة أوصت بها وأفردت النفس والمراد به العموم حسبما ذكرنا في التكوير ﴿يَأَيُّهَا الإِنسَانُ﴾ خطاب لجنس بني آدم ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ هذا توبيخ وعتاب معناه أيّ شيء غرّك بربّك حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه فدخل في العتاب الكفّار وعُصاة المؤمنين ومَن يغفل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين ورُوِيَ أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم قرأ ما غرّك بربّك الكريم فقال: «غرّه جهله» وقال

فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

عمر: غرّه جهله وحمقه وقرأ إنه كان ظلومًا جَهُولا، وقيل غرّه الشيطان المسلّط عليه وقيل غرّه ستر الله عليه وقيل غرّه طمعه في عفو الله عنه ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل واحد منها مما يغرّ الإنسان إلاّ أن بعضها يغرّ قومًا وبعضها يغرّ قومًا آخرين فإن قيل ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب أن الكريم ينبغي أن يُعبَد ويُطاع شكرًا لإحسانه ومقابلة لكرمه ومَن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة وأضاع الشكر الواجب **﴿فَعَدَلَكَ﴾** بالتشديد والتخفيف أي عدل أعضاءك وجعلها متوازية فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ولا إحداهما كحلى والأخرى زرقاء ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود وشبه ذلك من الموازنة **﴿في أيّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾** المجرور يتعلق بركّبك وما زائدة والمعنى ركّبك في أيّ صورة شاء من الحُسْن والقُبح والطول والقصر والذكورة والأُنوثة وغير ذلك من اختلاف الصور، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره ركّبك حاصلاً في أيّ صورة وقيل يتعلق بعدلك على أن يكون بمعنى صرفك إلى أيّ صورة شاء وهذا بعيد، ولا يمكن إلاّ مع قراءة عدلك بالتخفيف **﴿كَلاَّ﴾** ردع عن الغرور المذكور قبل، والتكذيب المذكور بعد **﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾** هذا خطاب للكفّار والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة أو الحساب أو الجزاء **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾** يعني الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم **﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾** يعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها، وأما ما لا يُرَى ولا يُسمَع من الخواطر والنيّات والذِّكر بالقلب فقيل: إن الله ينفرد بعلم ذلك وقيل إن الملك يجد لها ريحًا يدركها به **﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾** في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع **﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾** فيه قولان أحدهما أن معناه لا يخرجون منها إذا دخلوها والآخر لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها لأنهم يعرضون عليها غدوًا وعشيًا **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾** تعظيم له وتهويل وكرّره للتأكيد والمعنى أنه من شدّته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته **﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾** أي لا يقدر أحد على منفعة أحد وقرىء يوم بالرفع على البدل من يوم الدين أو على إضمار مبتدأ وبالنصب على الظرفية بإضمار فعل تقديره

يجاوزون يوم الدين أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره اذكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكّن وهو في موضع رفع.



مكيّة وآياتها ٣٦ نزلت
بعد العنكبوت وهي آخر سورة نزلت بمكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف في اللغة هو البخس والنقص وفسّره بذلك الزمخشري واختاره ابن عطية وقيل هو تجاوز الحدّ في زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس وهو الأظهر لأن المراد به هنا بخس حقوق الإنسان في المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص فالسورة على هذا مدنية وقيل مكيّة لذكر أساطير الأوّلين وقيل نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشدّ الناس فسادًا في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة **﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾** معنى اكتالوا على الناس قبضوا منهم بالكيل فعلى بمعنى من وإنما أُبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم ويجوز أن يتعلق على الناس بيستوفون وقدّم المفعول لإفادة التخصيص **﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾** معنى يُخسِرون يُنقِصون حقوق الناس وهو من الخسارة، يقال خسر

لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ

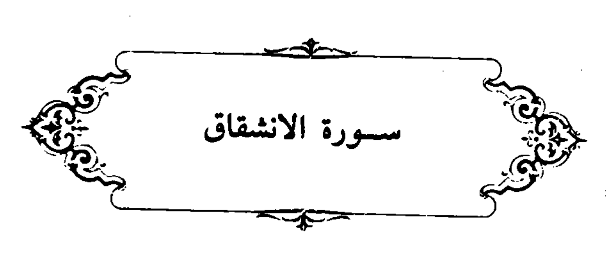
الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر، وكالوهم معناه كالوا لهم أو وزنوهم معناه وزنوا لهم، ثم حذف حرف الجرّ فانتصب المفعول لأن هذين الفعلين يتعدّى كلّ واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف الجرّ يقال كِلتُكَ وكِلْتُ لكَ ووزنتُك ووزنتُ لك بمعنى واحد وحذف المفعول الثاني وهو المكيل والموزون والواو التي هي ضمير الفاعل للمطفّفين والهاء الذي هي ضمير المفعول للناس فالمعنى إذا كالوا أو وزنوا لهم طعامًا أو غيره مما يُكال أو يُوزَن يُخسرونهم حقوقهم، وقيل إن هم في كالوهم أو وزنوهم تأكيد للضمير الفاعل ورُوِيَ عن حمزة أنه كان يقف على كالوا ووزنوا ثم يبتدىء هم ليبيّن هذا المعنى وهو ضعيف من وجهين، أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في كالوا ووزنوا فدلّ ذلك على أن هم ضمير المفعول والآخر أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولّوا الكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشر، ألا ترى أن اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم فقابل القبض بالدفع وأمّا على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود، قال ابن عطيّة ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائعين وليس ذلك بالجليّ قال صدر الآية في المشترين فهم الذين يستوفون أو يشاحّون ويطلبون الزيادة وقوله وإذا كالوهم أو وزنوهم في البائعين فهم الذين يُخسِرون المُشتري ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة، وهذا تهديد للمطفّفين وإنكار لفعلهم وكان عبد الله بن عمر إذا مرّ بالبائع يقول له اتّقِ الله وأوْفِ الكيل فإن المطفّفين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الظرف منصوب بقوله مبعوثون وقيل بفعل مضمر أو بدل من يوم عظيم، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم فمنهم مَن يقوم خمسين ألف سنة وأقلّ من ذلك حتى أن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ كتاب الفجّار هو ما يُكتَب من أعمالهم، والفجّار هنا يحتمل أن يريد به الكفّار أو المطففين وإن كانوا مسلمين، والأول أظهر لقوله بعد هذا: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وسجّين اسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة وقد عظم أمره بقوله: ﴿مَا أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ثم فسّره بأنه كتاب مرقوم أي مسطور بين الكتابين وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفّار والفجّار وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم ولأنه في مكان الهوان والعذاب كالسجن، فقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه في الأرض السُّفلى، ورُوِيَ عنه أنه في بئر هناك، وحكى كعب عن التّوراة أنه في شجرة

ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾

سوداء هنالك، وقال ابن عطيّة يحتمل أن يكون معنى الآية أن عدد الفجّار في سجّين أي كتبوا هنالك في الأزل ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ قد ذكر ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي غُطّي على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغيّ وفي الحديث أن العبد إذا أذنب ذنبًا صارت نكتة سوداء في قلبه فإذا زاد ذنب آخر زاد السواد فلا يزال كذلك حتى يتغطى وهو الرين ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ حجب الكفّار عن الله على أن المؤمنين لا يحجبون وقد استدلّ بها مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمن لله في الآخرة وتأوّلها المعتزلة أن معناها محجوبون عن رحمته ﴿إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ عليّون اسم علم للكتاب الذي تُكتَب فيه الحسنات وهذا جمع منقول من صفة علي، على وزن فعيل للمبالغة وقد عظّمه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ ثم فسّره بقوله: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ وهو مشتق من العلوّ لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في مكان عليّ فقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه تحت العرش، وقال ابن عباس: هو الجنة وارتفع كتاب مرقوم في الموضعين على أنه خبر مبتدأ مضمر تقديره هو كتاب، وقال ابن عطيّة: كتاب مرقوم خبر إن والظرف ملغى وهذا تكلّف يفسد به المعنى، وقد رُوِيَ في الأثر ما رُوِيَ في الآية وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد فإن رضيه الله قال اجعلوه في علّيين، وإن لم يرضَه قال اجعلوه في سجّين ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يعني الملائكة المقرّبين ﴿الأَرَائِكِ﴾ قد ذكر ﴿يَنظُرُونَ﴾ رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «ينظرون إلى أعدائهم في النار» وقيل ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أي بهجته ورونقه، كما يرى في وجوه أهل الرفاهية والعافية والخطاب في تعرف للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أو لكل مخاطب من غير تعيين ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ الرحيق الخمر الصافية والمختوم فسّره الله بأن ختامه مِسْك، وقُرِىء ختامه بألف بعد التّاء، وخاتمه بألف بعد الخاء وبفتح التاء وكسرها وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها أنه من الختم على الشيء، بمعنى جعل الطابع عليه فالمعنى أنه ختم على فم الإناء الذي هو فيه بالمِسْك كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ۝٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٣٦﴾

إذا قصد حفظها، وصيانتها، الثاني أنه من ختم الشيء أي تمامه فمعناه خاتم شربه مِسك أي يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المِسْك ولذّته، الثالث أن معناه مزاجه مِسك أي يمزج الشراب بالمِسك، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ **﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾** التنافس في الشيء هو الرغبة فيه، والمُغالاة في طلبه والتزاحم عليه **﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾** تسنيم اسم لعين في الجنة، يشرب منها المقرّبون صرفًا ويمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدلّ ذلك على أن درجة المقرّبين فوق درجة الأبرار، فالمقربون هم السابقون والأبرار هم أصحاب اليمين **﴿عَيْنًا﴾** منصوب على المدح بفعل مضمر، أو على الحال من تسنيم **﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾** بمعنى يشربها فالباء زائدة ويحتمل أن يكون بمعنى يشرب منها أو كقولك شربت الماء بالعسل **﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾** نزلت هذه الآية في صناديد قريش، كأبي جهل وغيره مرّ بهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وجماعة من المؤمنين، فضحكوا منهم واستخفّوا بهم **﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾** أي يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينيه والضمير في مرّوا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفّار، والضمير في يتغامزون للكفّار لا غير **﴿فَكِهِينَ﴾** من الفكاهة وهي اللهو أي يتفكهون بذكر المؤمنين، والاستخفاف بهم قاله الزمخشري ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا **﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾** أي إذا رأى الكفّار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال، وقيل إذا رأى المؤمنون الكفّار نسبوهم إلى الضلال والأول أظهر وأشهر **﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾** أي ما أرسل الكفّار حافظين على المؤمنين، يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أو ضلالهم وكأنه قال كلامهم بالمؤمنين فضول منهم **﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾** يعني باليوم يوم القيامة إذ قد تقدّم ذكره فيضحك المؤمنون فيه من الكفّار كما ضحك الكفّار منهم في الدنيا **﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** معنى ثُوّب جوزِيَ يقال ثوّبه وأثابه إذا جازاه وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها في موضع مفعول ينظرون فتوصّل مع ما قبلها أو تكون توقيفًا فيوقف قبلها ويكون معمول ينظرون محذوفًا حسبما ذكرنا في ينظرون الذي قبل هذا وهذا أرجح لاتفاق الموضعين.



ســورة الانشقاق

مكيّة وآياتها ٢٥ نزلت بعد الانفطار

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾

بِسْــم اللَّهِ الرَّحمٰن الرَّحيم

﴿**إِذَا السَّمَاءُ ٱنشَقَّتْ**﴾ اختلف في هذا الانشقاق هل هو تشقّقها بالغمام أو انفتاحها أبوابًا، وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ في التهويل إذ يقدّر السامع أقصى ما يتصوّره وحذف للعلم به اكتفاء بما في سورة التكوير والانفطار من الجواب وقيل الجواب ما دلّ عليه فمُلاقيه: أي إذا السماء انشقّت لَقِيَ الإنسان ربّه، وقيل الجواب أذِنَت على زيادة الواو وهذا ضعيف ﴿**وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا**﴾ معنى أذِنت في اللغة استمعت وهو هنا عبارة عن طاعتها لربّها وأنها انقادت لله حين أراد انشقاقها وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدّها وإلقاء ما فيها ﴿**وَحُقَّتْ**﴾ أي حقّ لها أن تسمع وتطيع لربّها أو حقّ لها أن تنشقّ من أهوال القيامة وهذه الكلمة من قولهم هو حقيق بكذا أو محقوق به أي يجب عليه أن يفعله فالمعنى يحقّ على السماء أن تسمع وتطيع لربّها أو يحقّ عليها أن تتشقّق، ويحتمل أن يكون أصله حققت بفتح الحاء وضمّ القاف على معنى التعجّب ثم أُدغمت القاف في القاف التي بعدها ونقلت

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ﴾

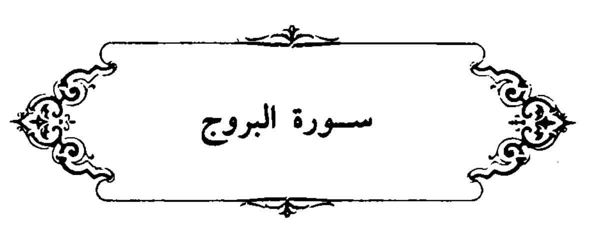
حركتها إلى الحاء ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي ألقت ما في جوفها من الموتى للحشر وقيل ألقت ما فيها من الكنوز وهذا ضعيف لأن ذلك يكون وقت خروج الدجّال قبل القيامة والمقصود ذكر يوم القيامة وتخلّت أي بقيت خالية مما كان فيها ﴿يَأَيُّهَا الإِنسَانُ﴾ خطاب للجنس ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾ الكدح في اللغة هو الجدّ والاجتهاد والسرعة فالمعنى أنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربّك لأن الزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطع حظًا من عمرك القصير فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقي ربّك، وقيل المعنى إنك ذو جدّ فيما تعمل من خير أو شرّ ثم تلقى ربّك فيجازيك به والأول أظهر لأن كادح تعدّى بإلى لما تضمن معنى السير ولو كان بمعنى العمل لقال لربّك ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ذكر في الحاقّة ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل أو بمعنى هيّن سهل، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «مَن نوقش الحساب عذّب» فقالت عائشة: ألم يقل الله فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض وأما مَن نوقش الحساب فيهلك».
وفي الحديث أيضًا عن رسول الله ﷺ: «إن الله يُدني العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقول فعلت كذا وكذا ويعدّد عليه ذنوبه ثم يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ورُوِيَ أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «مَن حاسب نفسه في الدنيا هوّن الله عليه حسابه يوم القيامة» ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي يرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا بما أعطاه الله والأهل زوجاته في الجنة من نساء الدنيا أو من الحور العين ويحتمل أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسّره الزمخشري ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ يعني الكافر ورُوِيَ أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة بن عبد الأسد وكان من فضلاء المؤمنين وفي أخيه أسود وكان من عُتاة الكافرين ولفظها أعمّ من ذلك فإن قيل كيف قال في الكافر هنا أن يؤتى كتابه وراء ظهره وقال في الحاقّة بشماله؟ فالجواب من وجهين أحدهما أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه وقيل تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره فيأخذ بها كتابه ﴿يَدْعُو ثُبُورًا﴾ أي يصيح بالويل والثبور ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي كان في الدنيا مسرورًا مع أهله متنعمًا غافلاً عن الآخرة وهذا في مقابلة ما حُكِيَ عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورًا في الجنة وهو

رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

ضدّ ما حُكِيَ عن المؤمنين في الجنة من قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي لا يرجع إلى الله والمعنى أنه يكذب بالبعث ﴿بَلَى﴾ أي يحور ويبعث ﴿فَلاَ أُقْسِمُ﴾ ذكر في نظائره ﴿بِالشَّفَقِ﴾ هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس وقال أبو حنيفة هو البياض وقيل هو النهار كله وهذا ضعيف والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة ﴿واللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي جمع وضمّ ومنه الوسق وذلك أن الليل يضمّ الأشياء ويسترها بظلامه ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أي إذا كمل ليلة أربعة عشر ووزن اتّسق افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلأ نورًا وفي الآية من أدوات البيان لزوم ما لا يلزم لالتزام السين قبل القاف في وسق واتّسق ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ الطبق في اللغة له معنيان أحدهما ما طابق غيره يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه والآخر جمع طبقة فعلى الأول يكون المعنى لتركبنّ حالاً بعد حال كل واحدة منها مطابقة للأخرى وعلى الثاني يكون المعنى لتركبنّ أحوالاً بعد أحوال هي طبقات بعضها فوق بعض ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال وفي قراءة تركبنّ فأما مَن قرأ بضمّ الباء فهو خطاب لجنس الإنسان وفي تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال أحدها أنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء والآخر أنها كون الإنسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا ثم إلى أن يهرم ثم يموت والثالث لتركبنّ سُنَن مَن كان قبلكم وأما مَن قرأ تركبنّ بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا وقيل هي خطاب للنبي ﷺ ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال أحدها لتركبنّ مكابدة الكفّار حالاً بعد حال والآخر لتركبنّ فتح البلاد شيئًا بعد شيء والثالث لتركبنّ السمٰوات في الإسراء بعد سماء وقوله عن طبق في موضع الصفة لطبقًا أو في موضع حال من الضمير في تركبنّ قاله الزمخشري ﴿فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير لكفّار قريش والمعنى أي شيء يمنعهم من الإيمان ﴿وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره لأن رسول الله ﷺ سجد فيها وليست عند مالك من عزائم السجدات ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالكفر ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب أو بما يجمعون في صحائفهم يقال أوعيت المال وغيره إذا جمعته ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وضع

وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

البشارة في موضع النذارة تهكّمًا بهم ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني مَن قُضِيَ له بالإيمان من هؤلاء الكفّار فالاستثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية وقال الزمخشري هو منقطع ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر.



سورة البروج

مكية وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ

بِسْـــمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

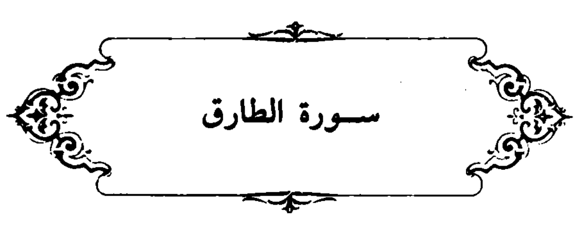
﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ**﴾ البروج هي المنازل المعروفة وهي اثنا عشر، تقطعها الشمس في السنة، وقيل هي النجوم العِظام لأنها تتبرّج أي تظهر ﴿**وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ**﴾ هو يوم القيامة باتّفاق وقد ذُكِر عن رسول الله ﷺ ﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾ يحتمل الشاهد والمشهود أن يكون من الشهادة على الأمر أو يكون من معنى الحضور وحذف المعمول وتقديره مشهود عليه أو مشهود به أو مشهود فيه، وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهود اضطرابًا عظيمًا ويتلخص من أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولاً يقابلها في المشهود اثنان وثلاثون قولاً، الأول: أن الشاهد هو الله تعالى لقوله: ﴿وكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]؛ والمشهود على هذا يحتمل ثلاثة أوجه، أحدها أن يكون الخلق بمعنى أنه يشهد عليهم والآخر أن تكون الأعمال بمعنى أنه يشهد بها والثالث أن يكون يوم القيامة بمعنى أن يشهد فيه أي يحضر للحساب والجزاء أو تقع فيه الشهادة على الناس القول الثاني: أن الشاهد محمد

صلّى الله عليه وآله وسلّم لقوله: ﴿وَيَكُون الرَّسُولُ عَلَيْكُم شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والمشهود على هذا يحتمل أن يكون أمته لأنه يشهد عليهم أو أعمالهم لأنه يشهد بها أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه أي يحضر أو تقع فيه الشهادة على الأمة، القول الثالث: أن الشاهد أمة محمد ﷺ لقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] والمشهود على هذا سائر الأمم لأنهم يشهدون عليهم أو أعمالهم أو يوم القيامة، القول الرابع أن الشاهد هو عيسى عليه السلام والمشهود أمته لقوله: ﴿وكُنْتَ عَلَيْهِم شَهِيدًا ما دُمْتَ فِيْهِم﴾ [المائدة: ١١٧] أو أعمالهم، أو يوم القيامة. الخامس أن الشاهد جميع الأنبياء، والمشهود أُممهم لأن كل نبيّ يشهد على أُمته، أو يشهد القول بأعمالهم أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه، القول السادس أن الشاهد الملائكة الحَفَظَة والمشهود على هذا الناس، لأن الملائكة يشهدون عليهم أو الأعمال لأن الملائكة يشهدون بها أو يوم القيامة أو صلاة الصبح لقوله: ﴿إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كان مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] القول السابع أن الشاهد جميع الناس، لأنهم يشهدون يوم القيامة أي يحضرونها والمشهود يوم القيامة لقوله: ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] والقول الثامن أن الشاهد الجوارح والمشهود عليه أصحابها لقوله: ﴿يَوْمَ تَشهِدُ عَلَيْهِم أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ [النور: ٢٤] أو الأعمال لأن الجوارح تشهد بها يوم القيامة لأن الشهادة تقع فيه، القول التاسع أن الشاهد الله والملائكة وأُولو العلم لقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُو العِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] والمشهود به الوحدانية، القول العاشر الشاهد جميع المخلوقات والمشهود به وجود خالقها وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك، القول الحادي عشر أن الشاهد النجم لما ورد في الأحاديث لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد وهو النجم والمشهود على هذا الليل والنهار لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل القول الثاني عشر أن الشاهد الحجر الأسود والمشهود الناس الذين يحجّون. القول الثالث عشر رُوِيَ عن النبي ﷺ أنّ الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ويوم عرفة يشهده جمع عظيم من الناس، القول الرابع عشر أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر قاله عليّ بن أبي طالب. القول الخامس عشر أن الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة. القول السادس عشر أن الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾ الكلام هنا في ثلاثة فصول: الأول في جواب القسم وفيه أربعة أقوال أحدها أنه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيد﴾ [البروج: ١٢] والثاني أنه ﴿إن الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠] وهذان القولان ضعيفان لبُعد القسم من الجواب، وثالثها أنه ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ

الأُخدُودِ﴾ تقديره لقد قتل ورابعها أنه محذوف يدلّ عليه قتل أصحاب الأخدود تقديره لقد قتل هؤلاء الكفّار كما قتل أصحاب الأخدود وذلك أن الكفّار من قريش كانوا يعذبون مَن أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدًا للكفّار وتأنيسًا للمسلمين المعذّبين، الفصل الثاني في تفسير لفظها، فأما قتل فاختلف هل هو دعاء أو خبر واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن، وأما الأخدود فهو الشقّ في الأرض كالخندق وشبهه، وأما أصحاب الأخدود فيحتمل أن يريد بهم الكفّار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود أو يريد المؤمنين الذين حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبر، أو الأول أظهر. الفصل الثالث في قصة أصحاب الأخدود وفيها أربعة أقوال: الأول ما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث طويل معناه: أن ملكًا كافرًا أسلم أهل بلده، فأمر بالأخدود فخدّ في أفواه السكك وأضرم فيها النيران فقال مَن لم يرجع عن دينه فألقوه فيها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أُمّاه اصبري فإنك على الحق. الثاني أن ملكًا زنى بأُخته ثم أراد أن يحلل للناس نكاح الأخوات فأطاعه قوم ومنهم أخذ المجوس ذلك، وعصاه قوم فحفر لهم الأخدود فأحرقهم فيه بالنار. القول الثالث أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيًا وأن الحبشة بقيّة أصحاب الأخدود. القول الرابع أن أصحاب الأخدود ذو نواس المذكورة في قصة عبد الله بن التامر التي وقعت في السير، ويحتمل أن يكون ذو نواس الملك الذي ذكره النبي ﷺ فيتفق هذا القول مع الأول فإن ذا نواس حفر أُخدوداً فأوقد فيه نيرانًا وألقى فيها كل مَن وحّد الله تعالى واتّبع العبد الصالح عبد الله بن التامر **﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾** النار بدل من الأخدود وهو بدل اشتمال والوقود ما توقد به النار والقصد وصف النار بالشدّة والعظم **﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾** الضمير للكفّار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود وهم أصحاب الأخدود على الأظهر والعامل في إذ قوله قتل فرُوِيَ أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفًا، وقيل سبعين ألفًا فقتل على هذا بمعنى لعن أي لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين ورُوِيَ أن الله بعث على المؤمنين ريحًا فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكفّار الذين كانوا عليها فقتل على هذا بمعنى القتل الحقيقي أي قتلهم النار؛ وقيل الضمير في إذ هم للمؤمنين والأول أشهر وأظهر لقوله: **﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾** يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة أو يكون بمعنى الحضور أي كانوا حاضرين على ذلك الفعل **﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾** أي ما أنكر الكفّار على المؤمنين إلاّ أنهم آمنوا بالله وهذا لا ينبغي

بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

أن ينكر فإن قيل لِمَ قال أن يؤمنوا بلفظ المضارع ولم يقل آمنوا بلفظ الماضي لأن القصة قد وقعت؟ فالجواب أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم فلذلك ذكره بلفظ المستقبل فكأنه قال إلاّ أن يدوموا على الإيمان ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق وإن كانت في كفّار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب وهذا أظهر لقوله: ﴿**ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا**﴾ لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم وأما قريش فمنهم مَن أسلم وتاب وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حال كفره لقوله ﷺ: «الإسلام يجبّ ما قبله» ﴿**وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**﴾ يحتمل أن يكون في الآخرة فيكون تأكيدًا لعذاب جهنم أو نوعًا من العذاب زيادة إلى عذاب جهنم ويحتمل أن يريد في الدنيا وذلك على رواية أن الكفّار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار ﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ**﴾ البطش الأخذ بقوة وسرعة ﴿**إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ**﴾ أي يبدىء الخلق بالنشأة الأولى ويُعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث وقيل يبدىء البطش ويعيده أي يبطش بهم في الدنيا والآخرة والأول أظهر وأرجح لقوله إنه يبدىء الخلق ثم يعيده وقد ذكرنا الودود في اللغات ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**﴾ أضاف العرش إلى الله وخصّه بالذكر لأن العرش أعظم المخلوقات والمجيد من المجد وهو الشرف ورفعة القدر وقرىء المجيد بالرفع صفة لذو العرش وبالخفض صفة للعرش ﴿**هَلْ أَتَاكَ**﴾ توقيف يُراد به التنبيه وتعظيم الأمر والمراد بذكر الجنود تهديد الكفّار وتأنيس النبي ﷺ ﴿**وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ**﴾ تهديد لهم معناه لا يفوتونه بل يصيبهم عذابه إذا شاء ﴿**فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**﴾ يعني اللوح المحفوظ الذي في السماء وقرىء محفوظ بالخفض صفة للّوح وبالرفع صفة للقرآن أي حفظه الله من التبديل والتغيير أو حفظه المؤمنون في صدورهم.



سورة الطارق

مكية وآياتها ١٧ نزلت بعد البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى

بسم الله الرحمن الرحيم

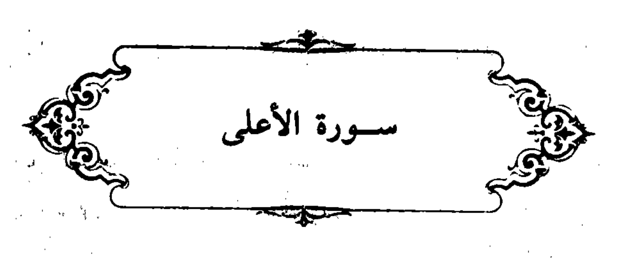
﴿والسماء والطارق﴾ هذه السماء التي أقسم الله بها هي المعروفة وقيل أراد المطر لأن العرب قد تسمّيه سماء وهذا بعيد والطارق في اللغة ما يطرق أي يجيء ليلاً وقد فسّره الله هنا بأنه النّجم الثاقب وهو يطلع ليلاً ومعنى الثاقب المضيء أو المرتفع فقيل أراد جنس النجوم وقيل الثريا لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم وقيل زُحَل لأنه أرفع النجوم إذ هو في السماء السابعة **﴿إن كلُّ نفسٍ لَّما عليها حافظ﴾** هذا جواب القسم ومعناه عند الجمهور أن كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها يعني الملائكة الحَفَظَة وَرُوِيَ عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية أن لكل نفس حَفَظَة من الله يذبّون عنها كما يذبّ عن العسل ولو وكّل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين وإن صحّ هذا الحديث فهو المعمول عليه وقرىء لما عليها بتخفيف الميم وعلى هذا تكون إن مخفّفة من الثقيلة واللام للتأكيد وما زائدة وقرىء لما بالتشديد وعلى هذا تكون إن نافية ولما بمعنى الإيجاب بعد

﴿ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣﴾

النفي ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ حذف ألف ما لأنها استفهامية وجوابها خلق من ماء دافق وسُمّي المنيّ ماءً دافقًا من الدفق بمعنى الدفع فقيل معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق في الحقيقة قال سيبويه هو على النسب أي ذو دفق، وقال ابن عطية يصحّ أن يكون الماء دافقًا لأن بعضه يدفع بعضًا ومقصود الآية إثبات الحشر فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تُجازى كل نفس بأعمالها ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ الضمير في يخرج للماء وقال ابن عطية يحتمل أن يكون للإنسان وهذا بعيد جدًا والترائب عِظام الصدر واحدها تريبة وقيل هي الأطراف كاليدين والرجلين، وقيل هي عُصارة القلب، ومنها يكون الولد، وقيل هي الأضلاع التي أسفل الصلب، والأول هو الصحيح المعروف في اللغة ولذلك قال ابن عباس: هي موضع القِلادة ما بين ثديي المرأة، ويعني صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها، وقيل أراد صلب الرجل وترائب المرأة ﴿إِنَّه عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الضمير في إنه لله تعالى وفي رجعه للإنسان، والمعنى أن الله قادر على رجع الإنسان حيًا بعد موته، والمراد إثبات البعث، وقيل إن المعنى ردّه ماء كما كان أول مرة، وقيل ردّه من الكبر إلى الشباب، وقيل الضمير في رجعه للماء الدافق، والمعنى ردّه في الإحليل أو في الصلب وهذا كله ضعيف بعيد والقول الأول هو الصحيح المشهور ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يعني يوم القيامة، والسرائر جمع سريرة وهي ما أسرّ العبد في قلبه من العقائد والنيّات وما أخفى من الأعمال وبلاؤها هو تعرّفها والاطّلاع عليها، ورُويَ عن النبي ﷺ أن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة وهذه معظمها فلذلك خصّها بالذكر، والعامل في يوم قوله رجعه أي يرجعه يوم تبلى السرائر، واعترض بالفصل بينهما وأُجيب بقوّة المصدر في العمل، وقيل العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم وهذا لا يلزم لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم وقال مَن احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى تقديره يرجعه يوم تبلى السرائر، وهذا كله على المعنى الصحيح في رجعه، وأما على الأقوال الأُخَر فالعامل في يوم مضمر تقديره اذكر ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾ الضمير للإنسان ولمّا كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبره الله أنه يعدمها يوم القيامة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المراد بالرجع عند الجمهور المطر وسمّاه رجعًا بالمصدر لأنه الرجح كل عام أو لأنه يرجع إلى

وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

الأرض، وقيل يرجع السحاب الذي فيه المطر، وقيل هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة ﴿**وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾ يعني ما تصدّع عنه الأرض من النبات، وقيل يعني ما في الأرض من الشقاق والخنادق وشبهها ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ**﴾ الضمير للقرآن، لأن سياق الكلام يقتضيه والفصل معناه الذي فصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والهزل اللهو يعني أنه جدّ كله ﴿**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا**﴾ الضمير لكفّار قريش وكيدهم هو ما دبّروه في شأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الإضرار به وإبطال أمره ﴿**وَأَكِيدُ كَيْدًا**﴾ هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب للمشاكلة بين الفعلين ﴿**فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ**﴾ أي لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم أو بالدعاء عليهم وهذا منسوخ بالسيف ﴿**أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾ أي إمهالاً يسيرًا قليلاً يعني إلى قتلهم يوم بدر أو إلى الدار الآخرة وجعله يسيرًا لأن كلّ آتٍ قريب ولفظ رويدًا هذا صفة لمصدر محذوف وقد تقع بمعنى الأمر بالتساهل كقولك رويدًا يا فلان وكرّر الأمر في قوله أمهلهم وخالف بينه وبين لفظ مهّل لزيادة التسكين والتصبير قاله الزمخشري.



مكيّة وآياتها ١٩ نزلت بعد التكوير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ

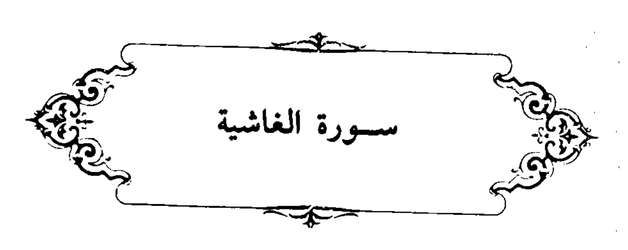
بِسْمِ اللّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ التسبيح في اللغة التنزيه وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المراد المسمّى ويكون الاسم صلة كالزائد، ومعنى الكلام سبّح ربّك أي نزّهه عمّا لا يليق به، وقد يتخرّج ذلك على قول مَن قال إن الاسم هو المسمّى، والآخر أن يكون الاسم مقصودًا بالذكر ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه، الأول: تنزيه أسماء الله تعالى عن المعاني الباطلة كالتشبيه والتعطيل، الثاني: تنزيه أسماء الله عن أن يسمى بها صنم أو وثن، الثالث: تنزيه أسماء الله عن أن تُدرَك في حال الغفلة دون خشوع، الرابع: أن المراد قول سبحان الله ولما كان التسبيح باللسان لا بدّ فيه من ذكر الاسم أوقع التسبيح على الاسم وهذا القول هو الصحيح ويؤيّده ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال سبحان ربّي الأعلى وأنها لما نزلت قال اجعلوها في سجودكم فدلّ ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب ولا بدّ في التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى فلذلك

قال سبّح اسم ربّك الأعلى مع أن التسبيح في الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه وإنما ذكر الاسم لأنه هو الذي يوصل به إلى التسبيح باللسان وعلى هذا يكون موافقًا في المعنى لقوله: ﴿فَسَبِّحِ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ لأن معناه نزّه الله بذكر اسمه ويؤيّد هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس أن معنى سبّح صلِّ باسم ربك أي صلِّ واذكر في الصلاة اسم ربك، والأعلى يحتمل أن يكون صفة للربّ أو للاسم والأول أظهر ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ حذف مفعول خلق وسوّى لقصد الإجمال الذي يفيد العموم والمراد خلق كل شيء فسوّاه أي أتقن خلقته وانظر ما ذكرنا في قوله: ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧] ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قدّر بالتشديد يحتمل أن يكون من القدر والقضاء أو من التقدير والموازنة بين الأشياء، وقرىء بالتخفيف فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير وحذف المفعول ليفيد العموم فإن كان من التقدير فالمعنى قدّر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به، وقيل هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل وقيل هدى المولود عند وضعه إلى مصّ الثدي وقيل هدى الناس للخير والشرّ والبهائم للمراتع وهذه الأقوال أمثلة والأول أعمّ وأرجح فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب، وقال الفرّاء المعنى هدى وأضلّ واكتفى بالواحدة لدلالتها على الأخرى وهذا بعيد ﴿وَٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ المرعى هو النبات الذي ترعاه البهائم، والغثاء هو النبات اليابس المحتطم، وأحوى معناه أسود وهو صفة لغثاء والمعنى أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاء أسود لأن الغثاء إذا قَدِمَ تعفّن واسودّ، وقيل: إن أحوى حال من المرعى، ومعناه: الأخضر الذي يضرب إلى السواد وتقديره الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، وفي هذا القول تكلّف ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام لأنه كان أُميًا لا يكتب وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن، وقيل معنى الآية كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] الآية: فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرّك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفًا أن ينساه فضمن الله له أن لا ينساه، وقيل ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾: نهي عن النسيان وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في قدرة البشر فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه وهذا بعيد لإثبات الألف في تنسى ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فيه وجهان: أحدهما أن معناه لا تنسى إلاّ ما شاء الله أن تنساه كقوله أو ننسها والآخر أنه لا ينسى شيئًا ولكن قال إلاّ ما شاء الله تعظيمًا لله بإسناد الأمر إليه كقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] على بعض الأقوال وعبّر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي والأول أظهر فإن

إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

النسيان جائز على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عبّاد بن بشير رحمه الله: «لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد نسيتها» ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ عطف على سنقرؤك ومعناه نوفّقك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة، وقيل معناه للشريعة اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام: «دين الله يُسْر» أي سهل لا حرج فيه ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ المراد بهذا الشرط توبيخ الكفّار الذين لا تنفعهم الذكرى، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم كقولك قد أوصيتك لو سمعت، وقيل المعنى ذكّر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه وهذا بعيد وليس عليه الرونق الذي على الأول ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ أي مَن يخاف الله ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ يعني الكافر وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة، والضمير المفعول للذكرى ﴿النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ هي نار جهنم وسمّاها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا وقيل سمّاها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم فإنها تتفاضل، وبعضها أكبر من بعض وكِلا القولين صحيح إلاّ أن الاول أظهر ويؤيده قول رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي توقدون جزءًا من سبعين جزءًا من نار جهنم» ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة وعطف هذه الجملة بثم لأن هذه الحالة أشدّ من صلي النار فكأنها بعده في الشدّة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصي أو بمعنى الطهارة للصلاة أو بمعنى أداء الزكاة وعلى هذا قال جماعة إنها يوم الفطر والمعنى أدّى زكاة الفطر ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ في طريق المصلّى إلى أن يخرج الإمام وصلّى صلاة العيد، وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ وقيل المراد أدّى زكاة ماله وصلّى الصلوات الخمس ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الإشارة إلى ما ذكر من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة أو إلى ما تضمنته السورة أو إلى القرآن بجملته، والمعنى أنه ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت في هذا الكتاب.



سورة الغاشية

مكية وآياتها ٢٦ نزلت بعد الذاريات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

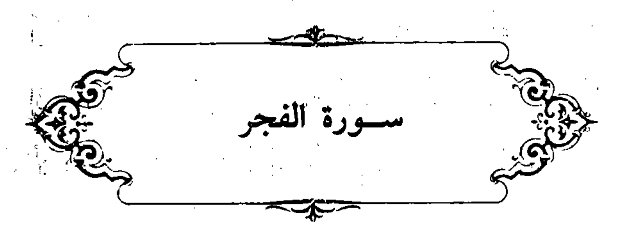
﴿هَلْ أَتاكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر، وقيل هل بمعنى قد وهذا ضعيف ﴿الْغاشِيَةِ﴾ هي القيامة لأنها تغشى جميع الخلق، وقيل هي النار من قوله وتغشى وجوههم النار وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين أهل الشقاوة وأهل السعادة ﴿خاشِعَةٌ﴾ أي ذليلة ﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ﴾ هو من النصب بمعنى التعب وفي المراد بهم ثلاثة أقوال: أحدها أنهم الكفّار ويحتمل على هذا أن يكون عملهم ونصبهم في الدنيا لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها أو يكون في الآخرة فيعملون فيها عملاً يتعبون فيه من جرّ السلاسل والأغلال وشبه ذلك ويكون زيادة في عذابهم: الثاني أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تُقبل منهم لأنهم على غير الإسلام وبهذا تأوّلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبكى رحمة لراهب نصراني رآه مجتهدًا فعاملة ناصبة على هذا في الدنيا وناصبة إشارة إلى اجتهادهم في العمل أو إلى أنه لا ينفعهم فليس لهم منه إلاّ النصب. الثالث أنها في القدرية

نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ

وقد رُوِيَ أن رسول الله ﷺ ذكر القدرية فبكى وقال إن فيهم المجتهد ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ أي شديدة الحرّ ومنه حميم آنٍ ووزن آنية هنا فاعلة بخلاف آنية من فضّة فإن وزنه أفعلة ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ في الضريع أربعة أقوال: أحدها أنه شوك يقال له البشرق وهو سُمٌّ قاتل وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه ولأن النبي ﷺ قال: «الضريع شوك في النار». الثاني أنه الزقّوم لقوله: «إن شجرة الزقّوم طعام الأثيم». الثالث أنه نبات أخضر مُنتِن ينبت في البحر وهذا ضعيف، الرابع أنه وادٍ في جهنّم وهذا ضعيف لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام إنما هو شراب ولله درّ مَن قال الضريع طعام أهل النار فإنه أعمّ وأسلم من عهدة التعيين واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به، وقيل هو بمعنى مضرع للبدن أي مضعف قيل إن العرب لا تعرف هذا اللفظ، فإن قيل: كيف قال هنا ليس لهم طعام إلاّ من ضريع وقال في الحاقّة ولا طعام إلاّ من غسلين؟ فالجواب أن الضريع لقوم والغسلين لقوم أو يكون أحدهما في حال والآخر في حال ﴿لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ هذه الجملة صفة لضريع أو لطعام نفى عنه منفعة الطعام وهي التسمين وإزالة الجوع ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أي متنعّمة في الجنة أو يظهر عليها نضرة النعيم ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي راضية في الآخرة لأجل سعيها وهو عملها في الدنيا ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ يحتمل أن يكون من علوّ المكان أو من علوّ المقدار أو الوجهين ﴿لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً﴾ هو من لغو الكلام ومعناه الفحش وما يُكره فيحتمل أن يريد كلمة لاغية أو جماعة لاغية ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحدة شرّفها بالتعيين ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ قد ذكرنا أكواب ومعنى موضوعة حاضرة معدّة بشرابها وفي قوله مرفوعة وموضوعة مطابقة ﴿وَنَمَارِقُ﴾ جمع نمرقة وهي الوسادة ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ هي بُسُط فاخرة وقيل هي الطنافس واحدها زربية ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ أي متفرّقة وذلك عبارة عن كثرتها وقيل مبسوطة ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ﴾ حضٌّ على النظر في خلقتها لما فيها من العجائب في قوّتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف وصبرها على العطش وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك وقيل أراد بالإبل السّحاب وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال والصحيح أن المراد الحيوان المعروف وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولاعتناء العرب به إذ كانت

كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

معايشهم في الغالب منه وهو أكثر المواشي في بلادهم **﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾** أي قاهر متسلّط وهذا من المنسوخ بالسيف **﴿إلاَّ مَن تَوَلَّى﴾** استثناء منقطع معناه لكن مَن تولّى **﴿وكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ﴾** وقيل هو استثناء من مفعول فذكّر والمعنى ذكّر كل أحد إلاّ مَن تولّى حتى يئست منه فهو على هذا متصل، وقيل هو استثناء من قوله لست عليهم بمسيطر أي لا تسلّط إلاّ على مَن تولّى وكفر وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه وهذا بعيد لأن السورة مكيّة والموادعة بمكة ثابتة **﴿إنَّ إلَيْنَا إيَابَهُمْ﴾** أي رجوعهم والآية تهديد.



مكيّة وآياتها ٣٠ نزلت بعد الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم كما أقسم بالصبح، وقيل أراد صلاة الفجر وقيل أراد النهار كله، وقيل فجر يوم الجمعة وقيل فجر يوم النحر وقيل فجر ذي الحجة ولا دليل على هذه التخصيصات وقيل أراد انفجار العيون من الحجارة وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر **﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾** هي عشر ذي الحجة عند الجمهور وقيل العشر الأوَل من المحرّم وفيها عاشوراء وقيل العشر الأواخر من رمضان وقيل العشر الأُوَل منه **﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾** رُوِيَ عن النبي ﷺ أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة، ورُوِيَ عنه عليه الصلاة والسلام أنها الصلوات منها شفع ووتر وقيل الشفع التنقّل بالصلاة مثنى مثنى والوتر الركعة الواحدة المعروفة وقيل الشفع العالم والوتر الله لأنه واحد وقيل الشفع آدم وحوّاء والوتر الله تعالى، وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام، وقيل الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية والوتر أبواب النار لأنها سبعة وقيل الشفع قران الحج والوتر إفراده وقيل المراد

ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ

الأعداد منها شفع ووتر فهذه عشرة أقوال وقرىء الوتر بفتح الواو وكسرها وهما لغتان **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾** أي إذا يذهب فهو كقوله والليل إذ أدبر وقيل أراد يسري فيه فهو على هذا كقولهم ليله قائم والمراد على هذا ليلة جمع لأنها التي يسري فيها والأول أشهر وأظهر **﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾** هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها والحجر هنا هو العقل كأنه يقول إن هذا لقسم عظيم عند ذوي العقول وجواب القسم محذوف وهو ليأخذنّ الله الكفّار ويدلّ على ذلك ما ذكره بعده من أخذ عاد ثمود وفرعون **﴿إِرَمَ﴾** هي قبيلة عاد سُمّيت باسم أحد أجدادها كما يقال هاشم لبني هاشم وإعرابه بدل من عاد أو عطف بيان وفائدته أن المراد عاد الأولى فإن عادًا الثانية لا يسمون بهذا الاسم وقيل إرم اسم مدينتهم فهو على حذف مضاف تقديره: بعاد عاد إرم، ويدلّ على هذا قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة من غير تنوين عاد وامتنع إرم من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث **﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾** مَن قال إرم قبيلة قال العماد أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر لأنهم كانوا أهل عمود وقال ابن عباس ذلك كناية عن طول أبدانهم ومَن قال إرم مدينة فالعماد الحجارة التي بنيت بها وقيل القصور والأبراج **﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾** صفة للقبيلة لأنهم كانوا أعظم الناس أجسامًا يقال كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أو صفة للمدينة وهذا أظهر لقوله في البلاد ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا ورُوِيَ أنها بناها شدّاد بن عاد في ثلاثمائة عام وكان عمره تسعمائة عام وجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أنواع الشجر والأنهار الجارية، ورُوِيَ أنه سمع ذكر الجنة فأراد أن يعمل مثلها فلما أتمّها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله بصيحة وكانت هذه المدينة باليمن، ورُوِيَ أن بعض المسلمين مرّ بها في خلافة معاوية، وقيل هي دمشق، وقيل الإسكندرية وهذا ضعيف **﴿جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾** أي نقبوه ونحتوا فيه بيوتًا والوادي ما بين الجبلين وإن لم يكن فيها ماء، وقيل أراد وادي القرى **﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾** ذكر في سورة داود **﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾** صفة لعاد وثمود وفرعون ويجوز أن يكون منصوبًا على الذمّ أو خبر ابتداء مضمر **﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾** استعارة السوط للعذاب لأنه يقتضي من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا إذ هو أهون من عذاب الآخرة كما أن

﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ﴾

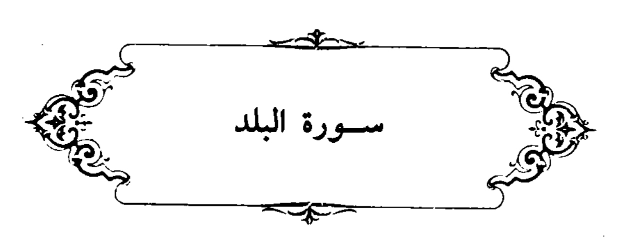
السوط أهون من القتل ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان ورقيب على كل إنسان وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفّار وفي ذلك تهديد لكفّار قريش وغيرهم والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ﴾ الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالمًا بذلك قبل كونه والإنسان هنا جنس وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشرّ كما قال في: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ولنكر عليه قوله حين الخير: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ وقوله حين الشر: ﴿رَبِّي أَهَانَنِ﴾ ويتعلق بالآية سؤالان: السؤال الأول: لِمَ أنكر الله على الإنسان قوله ربّي أكرمني وربّي أهانني والجواب من وجهين: أحدهما أن الإنسان يقول ربّي أكرمني على وجه الفخر بذلك والكبر لا على وجه الشكر ويقول ربّي أهانني على وجه التشكّي من الله وقلّة الصبر والتسليم لقضاء الله، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر. والآخر أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة وتضييقه إهانة وليس الأمر كذلك فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضيّقه على أوليائه فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا لأنه لا يصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هي الغاية فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك! السؤال الثاني: إن قيل قد قال الله فأكرمه فأثبت إكرامه فكيف أنكر عليه قوله ربّي أكرمني؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام وإنما أنكر عليه ما يدلّ عليه كلامه من الفخر وقلّة الشكر أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا في معنى الإنكار. الثاني أنه أنكر عليه قوله ربّي أكرمني إذا اعتقد أن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام على وجه التفضّل والإنعام كقول قارون إنما أُوتيته على علم عندي. الثالث أن الإنكار إنما هو لقوله ربّي أهانني لا لقوله ربّي أكرمني فإن قوله ربّي أكرمني اعتراف بنعمة الله وقوله ربّي أهانني شكاية من فعل الله ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي ضيّقه وقرىء بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد وفي التشديد مبالغة وقيل معنى التشديد جعله على قدر معلوم ﴿كَلاَّ﴾ زجر عمّا أنكر من قول الإنسان ﴿بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ هذا ذمّ لما ذكر من الأعمال القبيحة ومعنى هذا الإضراب ببل كأنه أنكر على الإنسان ما تقدّم ثم قال بل تفعلون ما هو شرّ من ذلك وهو ألا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده، قال رسول الله ﷺ: «أحبّ البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مُكرَم»

ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾ كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۢ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ

﴿وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ الحضّ على الأمر هو الترغيب فيه ومَن لا يحضّ غيره على أمر فلا يفعله هو كأنه ذمّ لترك طعام المسكين، والطعام هنا بمعنى الإطعام، وقيل هو على حذف مضاف تقديره لا تحضّون على بذل طعام المسكين وقرىء تحاضّون بفتح الحاء وألف بعدها بمعنى لا يحضّ بعضكم بعضًا **﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا﴾** التراث هو ما يورث عن الميت من المال والتاء فيه بدل من الواو، واللم الجمع واللف، والتقدير أكلاً ذا لمّ وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرًا بل ينفرد به الرجال **﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾** أي شديدًا كثيرًا وهذا ذمّ للحرص على المال وشدّة الرغبة فيه **﴿دُكَّتِ الأَرْضُ﴾** أي سُوّيت جبالها **﴿دَكًّا دَكًّا﴾** أي دكًّا بعد دكّ كما تقول تعلمت العلم بابًا بابًا **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾** تأويله عند المتأوّلين جاء أمره وسلطانه وقال المنذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل **﴿وَالْمَلَكُ﴾** هو اسم جنس فإنه رُوِيَ أن الملائكة كلهم يكونون صفوفًا حول الأرض **﴿صَفًّا صَفًّا﴾** أي صفًّا بعد صفّ قد أحدقوا بالجنّ والإنس **﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾** قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم: «يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف مَلَك يجرّونها **﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ﴾** يومئذ بدل من إذا دكّت ويتذكّر هو العامل وهو جواب إذا دُكّت، والمعنى أن الإنسان يتذكّر يوم القيامة لأعماله في الدنيا ويندم على تفريطه وعصيانه والإنسان هنا جنس، وقيل يعني عتبة بن ربيعة، وقيل أُميّة بن خلف **﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾** هذا على حذف تقديره أنّى له الانتفاع بالذكرى كما تقول ندم حين لم تنفعه الندامة **﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾** فيه وجهان: أحدهما أنه يريد الحياة في الآخرة فالمعنى يا ليتني قدّمت عملاً صالحًا للآخرة، والآخر أنه يريد الحياة الدنيا فالمعنى يا ليتني قدّمت عملاً صالحًا وقت حياتي فاللام على هذا كقوله كتبت لعشر من الشهر **﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾** مَن قرأ بكسر الذال من يعذب، والثاء من يوثق فالضمير في عذابه ووثاقه لله تعالى والمعنى أن الله يتولّى عذاب الكفّار ولا يَكِله إلى أحد، ومَن قرأ بالفتح فالضمير للإنسان أي

﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

لا يعذّب أحد مثل عذابه، ولا يوثق أحد مثل وثاقه، وهذه قراءة الكسائي ورُوِيَ أن أبا عمرو رجع إليها وهي قراءة حسنة، وقد رُوِيَت عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي الموقنة يقينًا قد اطمأنت به بحيث لا يتطرّق إليها شك في الإيمان، وقيل المطمئنة التي لا تخاف حينئذ ويؤيّد هذا قراءة أُبيّ بن كعب، «يا أيّتها النفس الآمنة المطمئنة» ﴿ٱرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، وقيل عند البعث وقيل عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار، والأول أرجح، لما رُوِيَ أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم فقال له: «يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك» ﴿رَاضِيَةً﴾ معناه راضية بما أعطاها الله أو راضية عن الله ومعنى المرضية مرضية عند الله، أو أرضاها الله بما أعطاها ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أي ادخلي في جملة عبادي الصالحين. وقرىء فادخلي في عبدي بالتوحيد معناه ادخلي في جسده وهو خطاب للنفس ونزلت هذه الآية في حمزة وقيل في خبيب بن عديّ الذي صلبه الكفّار بمكة ولفظها يعمّ كل نفس مطمئنة.



سورة البلد

مكيّة وآياتها ٢٠ نزلت بعد ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ

بسم اللّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشريفًا لها ولا زائدة ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا ٱلْبَلَدِ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده وفي معناها ثلاثة أقوال: أحدها أن المعنى أنت حالٌّ بهذا البلد أي ساكن لأن السورة نزلت والنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بمكة، والآخر أن معنى حِلٌّ تستحلّ حُرمتك ويؤذيك الكفّار مع أن مكة لا يحلّ فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر، وعلى هذا قيل لا أقسم يعني لا أُقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية. الثالث أن معنى حِلٌّ حلال يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتلك الكفّار وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك وهذا هو الأظهر لقوله ﷺ: «إن هذا البلد حرام حرّمه الله يوم خلق السمٰوات والأرض، ولم يحلّ لأحد قبلي ولا يحلّ لأحد بعدي وإنما أُحلّ لي ساعة من نهار يعني يوم فتح مكة»، وفي ذلك اليوم أمر عليه الصلاة والسلام بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، فإن قيل إن السورة مكيّة وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة؟

عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا

فالجواب أن هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمَن تعده بالكرامة أنت مكرم يعني فيما يستقبل وقيل إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح، وهذا ضعيف **﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾** فيه خمسة أقوال: أحدها أنه أراد آدم وجميع ولده، الثاني نوح وولده، الثالث إبراهيم وولده، الرابع سيّدنا محمد عليه الصلاة والسلام وولده، الخامس جنس كل والد ومولود وإنما قال وما ولد ولم يقل ومَن ولد: إشارة إلى تعظيم المولود كقوله: **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾** [آل عمران: ٣٦] قاله الزمخشري **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾** أي يكابد المشقّات من هموم الدنيا والآخرة قال بعضهم لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم وأصل الكبد من قولك كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده وقيل معنى في كبد واقفًا منتصب القامة وهذا ضعيف والإنسان على هذين القولين جنس، وقيل الإنسان آدم عليه السلام ومعنى في كبد على هذا في السماء وهذا ضعيف والأول هو الصحيح **﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾** فيه قولان، أحدهما أن معناه أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه، والآخر: أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه، فعلى الأول نزلت في جنس الإنسان الكافر، وعلى الثاني نزلت في رجل معين وهو أبو الأشد رجل من قريش كان شديد القوّة، وقيل عمرو بن عبد ودّ وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة وقتله عليّ بن أبي طالب **﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا﴾** أي كثيرًا وقرىء لبدًا بضم اللام وكسرها وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثرة ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة فإنه أنفق مالاً في إفساد أمر رسول الله ﷺ وقيل في الحارث بن عامر بن نوفل وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفّارات، فقال لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدًا **﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾** يحتمل أن يكون هذا تكذيبًا له في قوله أهلكت مالاً لبدًا أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء **﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾** أي طريقي الخير والشر فهو كقوله: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾** [الإنسان: ٣]، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد وقيل يعني ثديي الأم **﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾** الاقتحام الدخول بشدّة ومشقّة والعقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل لأنها تصعب ويشقّ صعودها على النفوس، وقيل هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلاّ من عمل هذه الأعمال ولا هنا تخصيص بمعنى هلاّ وقيل هي دعاء وقيل هي نافية واعترض هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها وأجاب الزمخشري بأنها مكرّرة في المعنى، والتقدير: فلا اقتحم العقبة ولا فكّ رقبة ولا أطعم مسكينًا وقال الزجاج قوله: **﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** [البلد: ١٧] يدلّ على التكرار لأن التقدير فلا اقتحم

﴿ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

العقبة ولا آمن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ تعظيم للعقبة ثم فسّرها بفكّ الرقبة وهو إعتاقها وبالإطعام وقرىء فكّ رقبة بضمّ الكاف وخفض الرقبة، وهو على هذا تفسير للعقبة وبفتح الكاف ونصب الرقبة وهو تفسير لاقتحم وفكّ الرقبة هو عتقها، قال رسول الله ﷺ: «مَن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار». وقال أعرابي لرسول الله ﷺ دُلّني على عمل أنجو به فقال: «فُكّ الرقبة وأعتق النسمة»، فقال الأعرابي ليس هذا واحد. فقال رسول الله ﷺ: «لا إعتاق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفكّ الرقبة أن تعين في ثمنها». وأما فكّ أسارى المسلمين من أيدي الكافرين فإنه أعظم أجْرًا من العتق لأنه واجب ولو استغرقت فيه أموال المسلمين ولكنه لا يجري في الكفّارات عن عتق رقبة ﴿أَو إِطْعَامٌ﴾ مَن قرأ فكّ بالرفع قرأ إطعام بالعطف مصدر على مصدر ومَن قرأ فكّ بالفتح قرأ إطعام بفتح الهمزة والميم فعطف فعلاً على فعل ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي مجاعة يقال سغب الرجل إذا جاع ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي ذا قرابة ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي ذا حاجة، يقال ترب الرجل إذا افتقر وهو مأخوذ من الصدقة بالتراب ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه الذي مأواه المزابل ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنوا﴾ ثم هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام، ولا يصحّ أن يكون للترتيب في الزمان لأنه لا يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام ولا يقبل عمل إلاّ من مؤمن ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي وصّى بعضهم بعضًا بالصبر على قضاء الله وكأن هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفّار ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي وصّى بعضهم بعضًا برحمة المساكين وغيرهم، وقيل الرحمة كلّ ما يؤدّي إلى رحمة الله ﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ جهة اليمين و﴿الْمَشأَمَةِ﴾ جهة الشمال، ورُوِيَ أن الميمنة عن يمين العرش ويحتمل أن يكونا من اليمن والشؤم ﴿نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي مطبقة مغلقة يقال أوصدت الباب إذا أغلقته وفيه لغتان الهمزة وترك الهمزة.

سورة الشمس

مكيّة وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

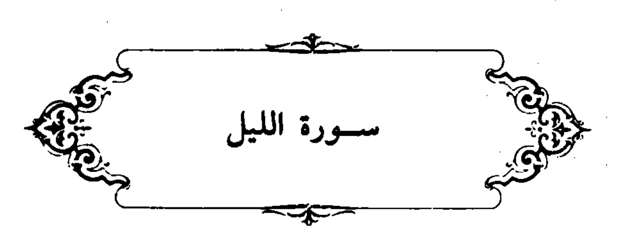
﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ الضحى ارتفاع الضوء وكماله والضحاء بالفتح والمدّ بعد ذلك إلى الزوال وقيل الضحى النهار كله، والأول هو المعروف في اللغة ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ أي تبعها وفي اتّباعه لها ثلاثة أقوال: أحدها أنه يتبعها في كثرة الضوء لأنه أضوء الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر والآخر أنه يتبعها في طلوعه لأنه يطلع بعد غروبها وذلك في النصف الأول من الشهر والضمير الفاعل للنهار لأن الشمس تنجلي بالنهار فكأنه هو الذي جلاّها وقيل الضمير الفاعل لله وقيل الضمير المفعول للظلمة أو الأرض أو الدنيا وهذا كله بعيد لأنه لم يتقدّم ما يعود الضمير عليه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي يغطّيها وضمير المفعول للشمس وضمير الفاعل لليل على الأصح ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ قيل إن ما في قوله وما بناها وما طحاها وما سوّاها موصولة بمعنى من والمراد الله تعالى وقيل إنها مصدرية كأنه قال والسماء وبنيانها، وضعّف الزمخشري ذلك بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ فإن المراد الله باتفاق، وهذا

زَكَّنٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَنٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَنٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ

القول يؤدّي إلى فساد النظم، وضعّف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق فإن قيل: لِمَ عدل عن من إلى قوله ما في قول من جعلها موصولة؟ فالجواب أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال والقادر الذي بناها **﴿طَحَاهَا﴾** أي مدّها **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾** تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها، فإن قيل: لِمَ نكر النفس؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه أراد الجنس كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] والآخر أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار **﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾** أي عرّفها طريق الفجور والتقوى وجعل لها قوة يصحّ معها اكتساب أحد الأمرين، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى أو، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاه السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾** هذا جواب القسم عند الجمهور، وقال الزمخشري: الجواب محذوف تقديره ليدمدمنّ الله على أهل مكة لتكذيبهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحًا عليه الصلاة والسلام، قال وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله: **﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾** على سبيل الاستطراد وهذا بعيد، والفاعل بزكّاها ضمير يعود على من، والمعنى قد أفلح مَن زكّى نفسه أي طهّرها من الذنوب والعيوب، وقيل الفاعل ضمير الله تعالى، والأول أظهر، **﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾** أي حقّرها بالكفر والمعاصي وأصله دسس بمعنى أخفى فكأنه أخفى نفسه لما حقرها وأبدل من السين الأخيرة حرف علّة كقولهم قصّيت أظفاري وأصله قصصت **﴿بِطَغْوَاهَا﴾** هو مصدر بمعنى الطغيان قلبت فيه الياء واوًا على لغة مَن يقول طغيت والباء الخافضة كقولك كتبت بالقلم أو سببية والمعنى بسبب طغيانها وقال ابن عباس معناه كذبت ثمود بعذابها ويؤيّده قوله فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية **﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾** العامل في إذ كذبت أو طغواها ومعنى انبعث خرج لعقر الناقة بسرعة ونشاط وأشقاها هو الذي عقر الناقة وهو أُحَيمر ثمود واسمه قدار بن سالف ويحتمل أن يكون أشقاها واقعًا على جماعة لأن أفعل التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع والأول أظهر وأشهر **﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾** يعني صالحًا عليه السلام **﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾** منصوب بفعل مضمر تقديره احفظوا ناقة الله أو احذروا ناقة الله وسقياها، شربها من الماء، **﴿فَعَقَرُوهَا﴾** نسب العقر إلى جماعة لأنهم اتفقوا عليه وباشره واحد منهم **﴿فَدَمْدَمَ﴾** عبارة عن إنزال العذاب بهم وفيه تهويل **﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾** أي بسبب ذنبهم وهو

فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

التكذيب أو عقر الناقة ﴿فَسَوَّاهَا﴾ قال ابن عطية معناه فسوّى القبيلة في الهلاك لم يفلت أحد منهم وقال الزمخشري الضمير للدمدمة أي سوّاها بينهم ﴿وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالى والضمير في عقباها للدمدمة والتسوية وهو الهلاك أي لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفي ذلك احتقار لهم وقيل إن ضمير الفاعل لصالح وهذا بعيد وقرىء فلا يخاف بالفاء وبالواو وقيل في القراءة بالواو أن الفاعل أشقاها والجملة في موضع الحال أي انبعث ولم يخف عقبى فعلته وهذا بعيد.



سورة الليل

مكية وآياتها ٢١ نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾

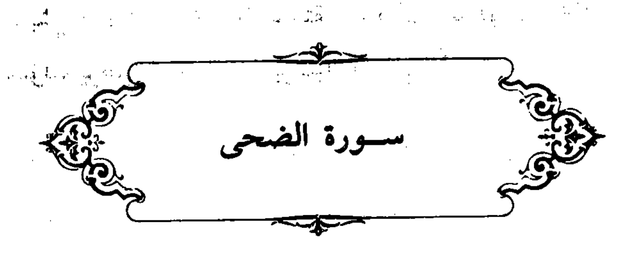
بِسْـــمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي يغطي وحذف المفعول وهو الشمس لقوله والليل إذا يغشاها أو النهار لقوله يغشى الليل النهار أو كل شيء يستره الليل ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ أي ظهر وتبيّن والنهار من طلوع الشمس واليوم من طلوع الفجر ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنثَى﴾ ما بمعنى من والمراد بها الله تعالى وعدل عن مَن لقصد الوصف كأنه قال والقادر الذي خلق الذكر والأُنثى وقيل هي مصدرية وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ والذَّكر والأُنثى ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا جواب القسم ومعناه إن عملكم مختلف فمنه حسنات ومنه سيئات وشتّى جمع شتيت ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ أي أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء واتّقى الله ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي بالخصلة الحسنة وهي الإسلام ولذلك عبّر عنها بعضهم بأنها لا إله إلاّ الله أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة وقيل يعني الأجر والثواب على الإطلاق وقيل يعني الخلف على المنفق ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ أي

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

نهيؤه للطريقة اليسرى وهي فعل الخيرات وترك السيئات وضدّ ذلك تيسيره للعسرى ومنه قوله ﷺ: «اعملوا فكلٌ ميسّر لما خُلِقَ له» أي يهيّؤه الله لما قدّر له ويسهّل عليه فعل الخير أو الشرّ ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ أي بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق فيحتمل الوجهين لأنه في مقابلة أعطى كما أن استغنى في مقابلة اتقى وكذلك كذب بالحسنى في مقابلة صدّق بالحسنى ونيسّره للعسرى في مقابلة نيسّره لليسرى، ومعنى استغنى استغنى عن الله فلم يطعه واستغنى بالدنيا عن الآخرة، ونزلت آية المدح في أبي بكر الصدّيق، لأنه أنفق ماله في مرضاة الله، وكان يشتري مَن أسلم من العبيد فيعتقهم، وقيل نزلت في أبي الدحداح وهذا ضعيف، لأنها مكيّة وإنما أسلم أبو الدحداح بالمدينة وقيل إن آية الذمّ نزلت في أبي سفيان بن حرب وهذا ضعيف لقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ هذا نفي، أو استفهام بمعنى الإنكار، واختلف في معنى تردّى على أربعة أقوال: الأول تردّى أي هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت، أو تردّى أي سقط في القبر، أو سقط في جهنم، أو تردّى بأكفانه من الرداء ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي بيان الخير والشر، وليس المراد الإرشاد عند الأشعرية خلافًا للمعتزلة ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ خطاب من الله أو من النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم على تقدير قل ﴿لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَىٰ﴾ استدلّ المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلاّ الكفّار لقوله: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، وتأوّلها الناس بثلاثة أوجه أحدها أن المعنى لا يصلاها صَلْيَ خلود إلاّ الأشقى، والآخر أنه أراد نارًا مخصوصة، الثالث أنه أراد بالأشقى كافرًا معيناً وهو أبو جهل وأميّة بن خلف وقابل به الأتقى وهو أبو بكر الصدّيق فخرج الكلام مخرج المدح والذمّ على الخصوص لا مخرج الإخبار على العموم ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ من أداء الزكاة أو من الزكاة أي يصير زكيًا عند الله أو يتطهّر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من يؤتى ماله أو حال من الضمير ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ أي لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدّم بل يفعله ابتداء خالصًا لوجه الله، وقيل: المعنى لا يقصد جزاء من أحد في المستقبل على ما يفعل والأول أظهر ويؤيّده ما رُوِيَ أن سبب الآية أن أبا بكر الصدّيق لمّا

أعتق بلالاً قالت قريش كان لبلال عنده يد متقدّمة فنفى الله قولهم ﴿إِلاَّ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ استثناء منقطع ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وعد بأن يرضيه الله في الآخرة.



سورة الضحى

مكية وآياتها ١١ نزلت بعد الفجر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا

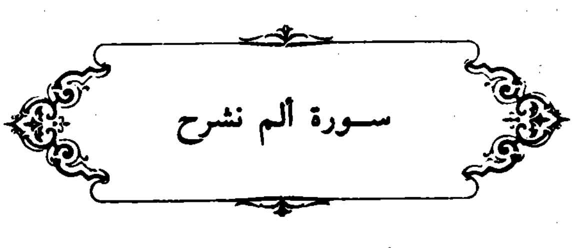
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ذكر في الشمس وضحاها ﴿وَاللَّيلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ فيه أربعة أقوال: إذا أقبل وإذا أدبر وإذا أظلم وإذا سكن أي استقرّ واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح وطرف ساجٍ أي ساكن غير مضطرب النظر وهذا أقرب في الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ بتشديد الدال من الوداع وقرىء بتخفيفها بمعنى ما تركك والوداع مبالغة في الترك ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي ما أبغضك وحذف ضمير المفعول من قلى وآوى وهدى وأغنى اختصارًا لظهور المعنى ولموافقة رؤوس الآي وسبب الآية أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أبطأ عليه الوحي، فقالت قريش إن محمّدًا ودّعه ربّه وقلاه فنزلت الآية تكذيبًا لهم وقيل رُمي عليه الصلاة والسلام بحجر في أصبعه فدميت فمكث ليلتين أو ثلاثًا لا يقوم فقالت له امرأة ما أرى شيطان محمد إلاّ قد تركه فنزلت الآية: ﴿وَلَلآخِـرَةُ خَيرٌ لَّكَ مِنَ الأُوْلَىٰ﴾ أي الدار الآخرة خير لك من الدنيا

﴿فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة، ويريد بالأولى حاله قبل نزولها، وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ رُوِيَ أن النبي ﷺ قال لمّا نزلت: «إذًا لاَ أرضى أن يبقى واحد من أُمّتي في النَّار» قال بعضهم هذه أرجى آية في القرآن، وقال ابن عباس رضاه أن الله وعده بألف قصر في الجنّة بما يحتاج إليه من النّعَم والخدم وقيل رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره والصحيح أنه وعد يعمّ كل ما أعطاه الله في الآخرة وكلّ ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ عدّد الله نِعَمه عليه فيما مضى من عمره ليقيس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه ويقوى رجاءه ووجد في هذه المواضع تتعدّى إلى مفعولين وهي بمعنى علم فالمعنى ألم تكن يتيمًا فآواك وذلك أن والده عليه السلام توفي وتركه في بطن أُمه ثم ماتت أُمه وهو ابن خمسة أعوام، وقيل ثمانية فكفله جدّه عبد المطّلب ثم مات وتركه ابن اثني عشر عامًا فكفله عمّه أبو طالب، وقيل لجعفر الصادق لِمَ نشأ النبي ﷺ يتيمًا؟ فقال: لئلا يكون عليه حق لمخلوق ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ﴾ فيه ستّة أقوال: أحدها: وجدك ضالاً عن معرفة الشريعة فهداك إليها فالضلال عبارة عن التوقيف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله فهو كقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَاب ولاَ الإيمَان﴾ [الشورى: ٥٢] وهذا هو الأظهر وهو الذي اختاره ابن عطية وغيره ومعناه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به لأنه كان معصومًا من ذلك قبل النبوّة وبعدها. والثاني وجدك في قوم ضلال فكأنك واحد منهم وإن لم تكن تعبد ما يعبدون وهذا قريب من الأول. والثالث وجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها، وهذا ضعيف، لأن السورة نزلت قبل الهجرة. الرابع وجدك خامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك وهذا بعيد عن المعنى المقصود. الخامس أنه من الضلال عن الطريق وذلك أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم ضلّ في بعض شعب مكة وهو صغير فردّه الله إلى جدّه، وقيل بل ضلّ من مُرضِعته حليمة فردّه الله إليها، وقيل بل ضلّ في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب. السادس أنه بمعنى الضلال من المحبة أي وجدك مُحِبًّا لله فهداك إليه ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿تَاللَّهِ إنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ القَدِيم﴾ [يوسف: ٩٥] أي محبتك ليوسف وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ العائل الفقير يقال عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجًا وأعال فهو معيل إذا كثر عياله وهذا الفقر والغنى هو في

المال وغناؤه صلّى الله عليه وآله وسلّم هو أن أعطاه الله الكفاف، وقيل هو رضاه بما أعطاه الله، وقيل المعنى وجدك فقيرًا إليه فأغناك به ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾ أي لا تغلبه على ماله وحقّه لأجل ضعفه أو لا تقهره بالمنع من مصالحه ووجوه القهر كثيرة والنهي يعمّ جميعها ﴿وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ النهر هو الانتهار والزجر والنهي عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ لَهُم قَوْلاً مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، ويحتمل السائل أن يريد به سائل الطعام والمال وهذا هو الأظهر، والسائل عن العلم والدين وفي قوله تقهر وتنهر لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قيل معناه بثّ القرآن وبلّغ الرسالة والصحيح أنه عموم في جميع النِّعَم قال رسول الله ﷺ: «التحدّث بالنِّعَم شكر» ولذلك كان بعض السلف يقول لقد أعطاني الله كذا ولقد صلّيت البارحة كذا وهذا إنما يجوز إذا كان على وجه الشكر أو ليقتدى به فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز، وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاث نِعَم ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا فقابل قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾، وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾، على قول مَن قال إنه السائل عن العلم وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر، وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ على القول الأظهر، وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر.



سورة ألم نشرح

مكيّة وآياتها ٨ نزلت بعد الضحى

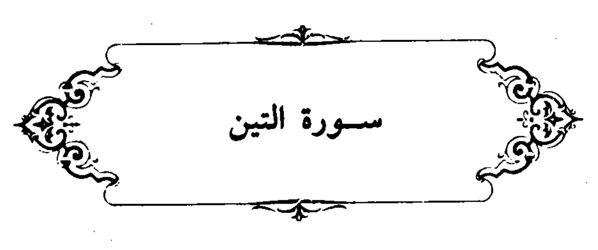
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ هذا لصدره توقيف معناه إثبات شرح صدره ﷺ وتعديد ما ذكر بعده من النِّعَم وشرح صدره ﷺ هو اتّساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة، وقيل هو شقّ جبريل لصدره في صغره أو في وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الأول قول الجمهور أن الوزر الذنوب ووضعها هو غفرانها فهو كقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وهذا على قول مَن جوّز صغائر الذنوب على الأنبياء أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوّة، الثاني أن الوزر هو أثقال النبوّة وتكاليفها ووضعها على هذا هو إعانته عليها وتمهيد عذره بعدما بلغ الرسالة، الثالث أن الوزر هو تحيّره قبل النبوّة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأته من الله أمر واضح فوضعه على هذا هو بالنبوّة والهدى للشريعة ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدّته عليه قال الحارث المحاسبي: إنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل

وهي صغائر مغفورة لهم لهمّهم بها وتحسّرهم عليها فهي ثقيلة عندهم لشدّة خوفهم من الله، وهي خفيفة عند الله وهذا كما جاء في الأثر إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كالذُّبابة تطير فوق أنفه. واشتقاق أنقض ظهرك من نقض البُنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت فكأنه يسمع لظهره نقيض كنقيض ما يحمل عليه شيء ثقيل ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي نوّهنا باسمك وجعلناه شهيرًا في المشارق والمغارب وقيل معناه اقتران ذكره بذكر الله في الأذان والخطب والتشهّد وفي مواضع من القرآن، وقد رُوِيَ في هذا حديث أن الله قال له: إذا ذكرت ذكرت معي فإن قيل لِمَ قال لك ذكرك ولك صدرك مع أن المعنى مستقل دون ذلك؟ فالجواب أن قوله لك يدلّ على الاعتناء به والاهتمام بأمره ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذا وعد لما يسّر بعد العُسر وإنما ذكره بلفظ مع التي تقتضي المقاربة ليدلّ على قرب اليُسْر من العسر فإن قيل ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله؟ فالجواب أنه ﷺ كان بمكة هو وأصحابه في عُسْر من إذاية الكفّار ومن ضيق الحال ووعده الله باليُسْر وقد تقدّم تعديد النِّعَم تسليةً وتأنيسًا لتطيب نفسه ويقوى رجاؤه كأنه يقول إن الذي أنعم عليك بهذه النِّعَم سينصرك ويُظهِرك ويبدّل لك هذا العُسْر بيُسر قريب ولذلك كرّر إن مع العسر يُسرًا مبالغة وقال ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين» وقد رُوِيَ ذلك عن عمر وابن مسعود وتأويله أن العسر المذكور في هذه السورة واحد، لأن الألف واللام للعهد كقولك جاءني رجل فأكرمت الرجل واليُسْر اثنان لتنكيره وقيل: إن اليسر الأول في الدنيا والثاني في الآخرة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ هو من النصب بمعنى التعب والمعنى إذا فرغت من أمر فاجتهد في آخر ثم اختلف في تعيين الأمرين فقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل وقيل إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء وقيل إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ قدّم الجار والمجرور ليدلّ على الحصر أي لا ترغب إلاّ إلى ربّك وحده.



سـورة التين

مكية وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

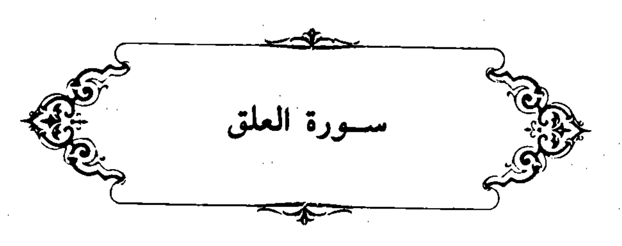
وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿والتِّينِ وَالزَّيتُونِ﴾ فيها قولان: الأول أنه التين الذي يؤكل والزيتون الذي يُعصَر أقسم الله بهما لفضيلتهما على سائر الثمار رُوِيَ أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تينًا فقال: «لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس»، وقال ﷺ: «نِعمَ السِّواك الزيتون فإنه من الشجرة المباركة هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي». القول الثاني أنهما موضعان ثم اختلف فيهما فقيل هما جبلان بالشام أحدهما بدمشق ينبت فيه التين والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون فكأنه قال ومنابت التين والزيتون، وقيل التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس، وقيل التين مسجد نوح والزيتون مسجد إبراهيم والأظهر أنهما الموضعان من الشام وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى ومسكنه وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلّم عليه موسى والبلد الذي بعث منه محمد ﷺ فتكون الآية نظير ما في التوراة أن الله تعالى جاء من طور

بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

سيناء وطلع من ساعد وهو موضع عيسى وظهر من جبال باران وهي مكة وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى وهو بالشام وأضافه الله إلى سينين ومعنى سينين مبارك فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقيل معناه ذو الشجر واحدها سينة قاله الأخفش وقال الزمخشري ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكر بالواو والياء وأن يلزم الياء وتحريك النون بحركات الإعراب ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ هو مكة باتفاق والأمين من الأمانة أو من الأمن لقوله: ﴿اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما أن أحسن التقويم هو حُسْن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة وأسفل سافلين الضعف والهرم والخرف فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَن نعمّره نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨] وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وشَيبة﴾ [الروم: ٥٤] وقوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعد هذا غير متصل بما قبله والاستثناء على هذا القول منقطع بمعنى لكن لأنه خارج عن معنى الكلام الأول. والآخر أن حُسْن التقويم الفطرة على الإيمان وأسفل سافلين الكفر أو تشويه الصورة في النار والاستثناء على هذا متصل لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يردّوا أسفل سافلين ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر ﴿فَمَا يُكَذِّبكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ فيه قولان: أحدهما أنه خطاب للنبي ﷺ والدين شريعته والمعنى أيّ شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوّتك والآخر أنه خطاب للإنسان الكافر والدين على هذا الشريعة أو الجزاء الأُخروي ومعنى يكذبك على هذا يجعلك كاذبًا لأن مَن أنكر الحق فهو كاذب والمعنى أيّ شيء يجعلك كاذبًا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم ثم ردّك أسفل سافلين ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا فلأي شيء تكذب بالبعث والجزاء ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ تقرير ووعيد للكفّار بأن يحكم عليهم بما يستحقون وكان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».



سورة العلق

مكية وآياتها ١٩ وهي أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

نزل صدرها بغار حِراء، وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾ فيه وجهان: أحدهما أن معناه اقرأ القرآن مفتتحًا باسم ربك أو متبرّكًا باسم ربك وموضع باسم ربك نصب على الحال ولذا كان تقديره مفتتحًا فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بقول بسم الله الرحمن الرحيم أو يريد الابتداء باسم الله مطلقًا والوجه الثاني أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو باسم ربك الذي خلق فيكون باسم ربّك مفعولاً وهو المقروء ﴿**الَّذِي خَلَقَ**﴾ حذف المفعول لقصد العموم كأنه قال الذي خلق كل شيء ثم خصّص خلقة الإنسان لما فيه من العجائب والعِبَر ويحتمل أنه أراد الذي خلق الإنسان كما قال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ٣] ثم فسّره بقوله: ﴿**خَلَقَ الإنسَانَ مِن عَلَقٍ**﴾ والعلق جمع علقة، وهي النطفة من الدم والمراد بالإنسان هنا جنس بني آدم، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة بخلاف قوله: ﴿فإِنَّا خَلَقْنَاكُم من

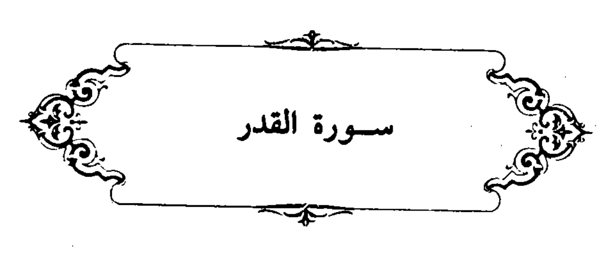
يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ

تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقة﴾ [الحج: ٥] لأنه أراد كل واحد على حِدته ولم يدخل آدم في الإنسان هنا لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ كرّر الأمر بالقراءة تأكيدًا والواو للحال والمقصود تأنيس النبي ﷺ كأنه يقول افعل ما أمرت به فإن ربك كريم وصيغة أفعل للمبالغة ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ هذا تفسير للأكرم فدلّ على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخصّ من التعليمات الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير علّم الخط بالقلم ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق، وقيل إن الإنسان هنا سيدنا محمد ﷺ والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾ نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عداوة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وكلاّ هنا يحتمل أن تكون زجرًا لأبي جهل أو بمعنى حقًّا أو استفتاحًا ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ في موضع المفعول من أجله أي يطغى من أجل غناه والرؤية هنا بمعنى العلم بدليل إعمال الفعل في الضمير ولا يكون ذلك إلاّ في أفعال القلوب والمعنى رأى نفسه استغنى، واستغنى هو المفعول الثاني ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ اتفق المفسرون أن العبد الذي صلّى هو سيّدنا محمد ﷺ وأن الذي نهاه أبو جهل لعنه الله وسبب الآية أن أبا جهل جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلّي في المسجد الحرام فهمّ بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة ورُوِيَ أنه قال لئن رأيته يصلّي لأطأنّ عنقه فجاءه وهو يصلّي ثم انصرف عنه مرعوبًا فقيل له ما هذا فقال لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا» ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ أرأيت في الموضع الذي قبله والذي بعده بمعنى أخبرني فكأنه سؤال يفتقر إلى جواب وفيها معنى التعجيب والتوقيف والخطاب فيها يحتمل أن يكون للنبي ﷺ أو لكل مخاطب من غير تعيين وهي تتعدّى إلى مفعولين وجاءت بعدها إن الشرطية في موضعين وهما قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾، وقوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ فيحتاج إلى الكلام في مفعولي أرأيت في المواضع الثلاثة وفي جواب الشرطين وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال وهي إن كان على الهدى وأمر بالتقوى وكذّب وتولى على مَن تعود هذه الضمائر فقال الزمخشري إن قوله الذي ينهى هو المفعول الأول لقوله أرأيت الأولى وأن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع

﴿يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾

المفعول الثاني وكررت أرأيت بعد ذلك للتأكيد فهي زائدة لا تحتاج إلى مفعول وإن قوله ألم يعلم بأن الله يرى هو جواب قوله إن كذب وتولّى فهو في المعنى جواب للشرطين معًا وأن الضمير في قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى للذي نهى عن الصلاة وهو أبو جهل وكذلك الضمير في قوله إن كذب وتولى وتقدير الكلام على هذا أخبرني عن الذي ينهى عبدًا إذا صلّى إن كان هذا الناهي على الهدى أو كذب وتولّى ألم يعلم بأن الله يرى جميع أحواله من هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغير ذلك فمقصود الآية تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه، وخالفه ابن عطية في الضمائر فقال إن الضمير في قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى للعبد الذي صلّى وأن الضمير في قوله إن كذب وتولّى للذي نهى عن الصلاة وخالفه أيضًا في جعله أرأيت الثانية مكررة للتأكيد وقال إنها في المواضع الثلاثة توقيف وأن جوابه في المواضع الثلاثة قوله ألم يعلم بأن الله يرى فإنه يصلح مع كل واحد منها، ولكنه جاء في آخر الكلام اختصارًا وخالفهما أيضًا الغزنوي في الجواب فقال إن جواب قوله إن كان على الهدى محذوف فقال إن تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتّباعه واجب، والضمير على هذا يعود على العبد الذي صلّى وفاقًا لابن عطية ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يؤخذ بناصيته فيلقى في النار، والناصية مقدّم الرأس فهو كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] والسفع هنا الجذب والقبض على الشيء وقيل هو الإحراق من قولك سفعته النار وأكد لنسفعًا باللام والنون الخفيفة وكتبت في المصحف بالألف مراعاة للوقف ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجرّ إلى القليب ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أبدل ناصية من الناصية ووصفها بالكذب والخطيئة تجوّزًا والكاذب الخاطىء في الحقيقة صاحبها والخاطىء الذي يفعل الذنب متعمّدًا والمخطىء الذي يفعله بغير قصد ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ النادي والنديّ المجلس الذي يجتمع فيه الناس وكان أبو جهل قد قال أيتوعدني محمد فوالله ما بالوادي أعظم ناديًا منّي فنزلت الآية تهديدًا وتعجيزًا له، والمعنى فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك ثم أوعده بأن يدعو له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب والزبانية في اللغة الشرط واحدهم زبنية وقيل زبني وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانًا» ﴿واسْجُدْ واقْتَرِبْ﴾ أي

تقرّب إلى الله بالسجود كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد فاجتهدوا في الدعاء وهذا موضع سجدة عند الشافعي وليست عند مالك من عزائم السجود.



سورة القدر

مكيّة وآياتها ٥ نزلت بعد عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

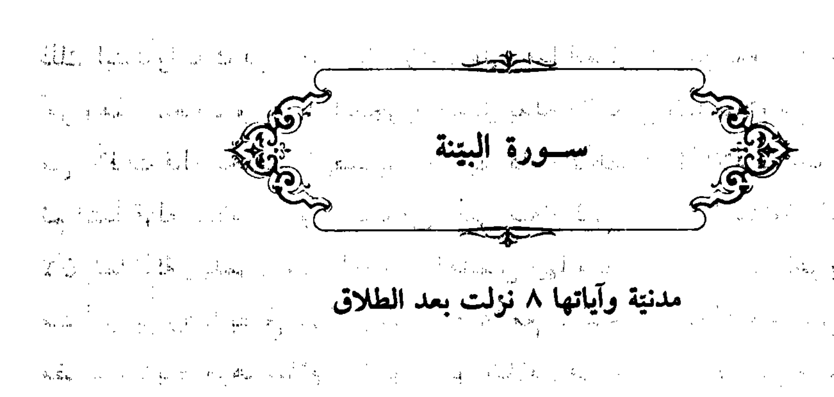
إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً وهي أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر من رمضان على قول مَن ابتدأ عدّتها من أول العشر وقد ابتدأ بعضهم عدّتها من آخر الشهر فجعل ليالي الأوتار ليلة ثلاثين لأنها الأولى وليلة ثمانٍ وعشرين لأنها الثانية وليلة ستة وعشرين لأنها الخامسة وليلة أربع وعشرين لأنها السابعة وليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة فهذه خمسة أقوال أُخَر فتلك عشرة أقوال والقول الحادي عشر أنها تدور في العشر الأواخر ولا تثبت في ليلة واحدة منه. الثاني عشر أنها مخفيّة في رمضان كله وهذا ضعيف لقوله ﷺ التمسوها في العشر الأواخر. الثالث عشر أنها مخفيّة في العام كله. الرابع عشر أنها ليلة النصف من شعبان وهذان القولان باطلان لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيلَةِ الْقَدْرِ﴾ وقال: ﴿شَهْر رَمَضَان الذي

أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآن﴾ [البقرة: ١٨٥] فدلّ ذلك على أن ليلة القدر في رمضان. القول الخامس عشر أنها رفعت بعد النبي ﷺ وهذا ضعيف. القول السادس عشر أنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان أو ليلة ثلاث وعشرين أو ليلة سبع وعشرين فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرّجها مسلم وغيره والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ الضمير في أنزلناه للقرآن دلّ على ذلك سياق الكلام وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه: أحدها أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شُهرته والاستغناء عن تسميته، والثاني أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات والثالث أن الله أسند إنزاله إلى نفسه وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان أحدهما أنه ابتدأ إنزاله فيها والآخر أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وذكرها وهذا ضعيف وسُمّيت ليلة القدر من تقدير الأمور فيها أو من القدر بمعنى الشرف ويترجح الأول بقوله فيها يفرق كل أمر حكيم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا تعظيم لها قال بعضهم كلّ ما قال فيه ما أدراك فقد علمه النبي ﷺ وما قال فيه ما يدريك فإنه لا يعلمه ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ معناه أن مَن قامها كتب الله له أجْر العبادة في ألف شهر قال بعضهم يعني في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدّم من ذنبه» وسبب الآية أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم ذكر رجلاً ممّن تقدّم عبد الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيرًا من العبادة في تلك المدة الطويلة ورُوِيَ أن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما عوتب حين بايع معاوية فقال إن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم رأى في المنام بني أُمية ينزون على منبره نزو القردة وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر فاهتمّ لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من ملك بني أمية ألف شهر ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أُميّة بالمشرق ألف شهر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ الروح هنا جبريل عليه السلام وقيل صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلاّ تلك الليلة وتنزلهم هو إلى الأرض، وقيل إلى السماء الدنيا وهو تعظيم لليلة القدر ورحمة للمؤمنين القائمين فيها ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ هذا متعلق بما قبله والمعنى أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضي الله في ذلك العام فإنه رُوِيَ أن الله يعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير

ذلك ليتمثلوا ذلك في العام كله، وقيل على هذا المعنى أن من بمعنى الباء أي ينزلون بكل أمر وهذا ضعيف وقيل إن المجرور يتعلق بعده والمعنى أنها سلام من كل أمر أي سلامة من الآفات قال مجاهد لا يصيب أحد فيها داء والأظهر أن الكلام تمّ عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ قوله سلام هي واختلف في معنى سلام فقيل إنه من السلامة وقيل إنه من التحيّة لأن الملائكة يسلّمون على المؤمنين القائمين فيها وكذلك اختلف في إعرابه فقيل سلام هي مبتدأ وخبر وهذا يصحّ سواء جعلناه متصلاً مع ما قبله أو منقطعًا عنه وقيل سلام خبر مبتدأ مضمر تقديره أمرها سلام أو القول فيها سلام وهي مبتدأ خبره حتى مطلع الفجر أي هي دائمة إلى طلوع الفجر ويختلف الوقف باختلاف الإعراب وقال ابن عباس إن قوله هي إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرين من كلمات السورة.



سورة البيّنة

مدنيّة وآياتها ٨ نزلت بعد الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

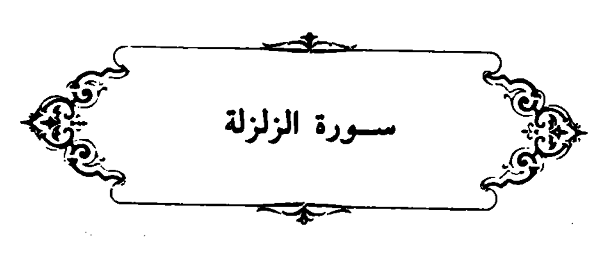
ذكر الله الكفّار ثم قسمهم إلى صنفين أهل الكتاب والمشركين وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكّين حتى تأتيهم البيّنة وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ ومعنى منفكّين منفصلين ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال: أحدها أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البيّنة لتقوم عليهم الحجة. الثاني لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوّة سيّدنا محمد ﷺ حتى بعثه الله. الثالث اختاره ابن عطيّة وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى يبعث الله إليهم رسولاً يقيم عليهم الحجة. الرابع وهو الأظهر عندي أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم سيّدنا محمدًا ﷺ فقامت عليهم الحجة لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فلما بعثه الله لم يبقَ لهم عذر ولا حجّة فمنفكّين على هذا كقولك لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا **﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾** يعني سيدنا محمدًا ﷺ وإعرابه بدل من البيّنة أو خبر ابتداء مضمر

ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ

﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يعني القرآن في صحفه **﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾** أي قيّمة بالحق مستقيمة المعاني ووزن قيّمة فيعلة وفيه مبالغة قال ابن عطية هذا على حذف مضاف تقديره فيها أحكام كتب ولا يحتاج إلى هذا الحذف لأن الكتب بمعنى المكتوبات **﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾** أي ما اختلفوا في نبوّة سيّدنا محمد ﷺ إلاّ من بعد ما علموا أنه حق ويحتمل أن يريد تفرّقهم في دينهم كقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [هود: ١١٠] وإنما خصّ الذين أُوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة لأنهم كانوا يعلمون صحّة نبوّة سيّدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بما يجدون في كتبهم من ذكره **﴿وَمَا أُمِرُوا﴾** الآية: معناها: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلاّ بعبادة الله ولكنهم حرّفوا وبدّلوا ويحتمل أن يكون المعنى ما أُمِروا في القرآن إلاّ بعبادة الله فلأيّ شيء ينكرونه ويكفرون به **﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾** استدلّ المالكية بهذا على وجوب النيّة في الوضوء وهو بعيد لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال وهذا الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجليّ وهذا الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفيّ وهو الرياء قال رسول الله ﷺ: «الرياء الشرك الأصغر»، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربّه إنه تعالى يقول: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمَن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشريكه»، واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع مأمورات ومَنهيّات ومُباحات فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النيّة لوجه الله بحيث لا يشوبها بنيّة أُخرى فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول وإن كانت النيّة لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود وإن كانت النيّة مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال وأما المنهيّات فإن تركها دون نيّة خرج عن عهدتها ولم يكن له أجر في تركها وإن تركها بنيّة وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر وأما المُباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نيّة لم يكن له فيها أجر وإن فعلها بنيّة وجه الله فله فيها أجر فإن كل مُباح يمكن أن يصير قُربة إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفّف عن الحرام **﴿حُنَفَاءَ﴾** جمع حنيف وقد ذكر **﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾** تقديره الملّة القيّمة أو الجماعة القيّمة وقد فسّرنا القيّمة ومعناه أن الذي أُمروا به من عبادة الله والإخلاص له

﴿هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾

وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام فلأيّ شيء لا يدخلون فيه ﴿الْبَرِيَّةِ﴾ الخلق لأن الله برأهم وأوجدهم بعد العدم وقرئ بالهمز وهو الأصل وبالياء وهو تخفيف من المهموز وهو أكثر استعمالاً عند العرب ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة فرضاهم عن الله في الدنيا هو الرضا بقضائه والرضا بدينه قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان مَن رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً»، ورضاهم عنه في الآخرة: هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها، أو رضا الله عنهم. لمّا ورد في الحديث أن الله يقول يا أهل الجنة هل تريدون شيئًا أزيدكم فيقولون يا ربّنا وأيّ شيء نريد وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحدًا من العالمين فيقول عندي أفضل من ذلك وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي لمَن خافه وهذا دليل على فضل الخوف قال رسول الله ﷺ: «خوف الله رأس كل حكمة».



مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد النساء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

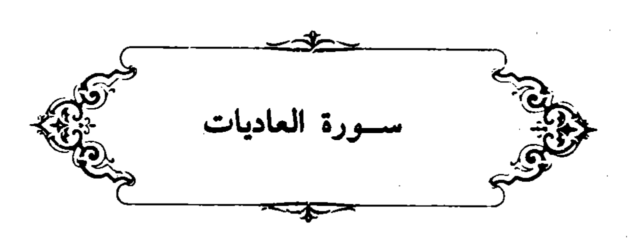
إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ أي حُرِّكت واهتزّت ﴿زِلْزَالَهَا﴾ مصدر وإنما أُضيف إليها تهويلاً كأنه يقول الزلزلة التي تليق بها على عظم جرمها ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني الموتى الذين في جوفها وذلك عند النفخة الثانية في الصور وقيل هي الكنوز وهذا ضعيف لأن إخراجها للكنوز وقت الدجّال ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ أي يتعجّب من شأنها فيحتمل أن يريد جنس الإنسان أو الكافر خاصّة لأنه الذي يرى حينئذ ما لا يظن ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ هذه عبارة عمّا يحدث فيها من الأهوال فهو مجاز وحديث بلسان الحال وقيل هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة وتحدّث يتعدّى إلى مفعولين حذف المفعول منهما والتقدير تحدّث الخلق أخبارها وانتزع بعض المحدّثين من قوله تحدّث أخبارها أن قول المحدّث حدّثنا وأخبرنا سواء وهذه الجملة هي جواب إذا زلزلت وتحدّث هو العامل في إذا ويومئذ بدل من إذا ويجوز أن يكون العامل في إذا مضمر وتحدّث عامل في يومئذ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ الباء سببية متعلقة بتحدّث أي تحدّث بسبب أن الله أوحى لها ويحتمل أن يكون بأنّ الله أوحى لها بدلاً من إخبارها وهذا كما تقول حدّثت كذا وحدّثت بكذا والمعنى على هذا تحدّث بحديث الوحي لها وهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهامًا أو كلامًا بواسطة الملائكة ولها بمعنى إليها، وقيل معناه أوحى إلى الملائكة من أجلها وهذا بعيد ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معنى أشتاتًا مختلفين في أحوالهم وواحد الأشتات شتّ وصدر الناس هو انصرافهم من موضع وردهم فقيل الورد هو الدفن في القبور والصدر هو القيام للبعث وقيل الورد القيام للحشر والصدر الانصراف إلى الجنة والنار وهذا أظهر وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتًا ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ المثقال هو الوزن والذرة هي النملة الصغيرة، والرؤية هنا ليست برؤية بصر وإنما هي عبارة عن الجزاء وذكر الله مثقال الذرّة تنبيهًا على ما هو أكثر منه من طريق الأولى كأنه قال مَن يعمل قليلاً أو كثيرًا وهذه الآية هي في المؤمنين لأن الكافر لا يُجازَى في الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه واستدلّ أهل السُّنّة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمن في النار لأنه إذا خلد لم يرَ ثوابًا على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات، ورُوِيَ عن عائشة أنها تصدّقت بحبة عنب فقيل لها في ذلك فقالت كم فيها من مثقال ذرّة، وسمع رجلاً هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال حسبي الله لا أبالي أن أسمع غيرها ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ هذا على عمومه في حق الكافر وأما المؤمنون فلا يُجازون بذنوبهم إلاّ بستّة شروط: وهي أن تكون ذنوبهم كبائر وأن يموتوا قبل التوبة منها وأن لا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها وأن لا يشفع فيهم وأن لا يكون ممّن استحقّ المغفرة بعمل كأهل بدر وأن لا يعفو الله عنهم فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له.



مكية وآياتها ١١ نزلت بعد العصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

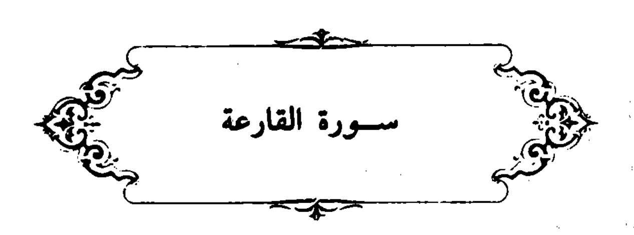
وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

بِسْـمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

اختلف في العاديات والموريات والمغيرات هل يراد بها الخيل أو الإبل وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعني خيل المجاهدين أو الخيل على الإطلاق وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعني إبل غزوة بدر أو إبل المجاهدين مطلقًا أو إبل الحجّاج أو الإبل على الإطلاق ومعنى العاديات التي تعدو في مشيها، والضبح هو تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهال وهو مصدر منصوب على تقدير يضبحن ضبحًا أو هو مصدر في موضع الحال تقديره العاديات في حال ضبحها، والموريات من قولك أوريت النار إذا أوقدتها والقدح هو صكّ الحجارة فيخرج منها شُعلة نار وذلك عند ضرب الأرض لأرجل الخيل أو الإبل وإعراب قدحًا كإعراب ضبحًا والمغيرات من قولك أغارت الخيل إذا خرجت للإغارة على الأعداء وصبحًا ظرف زمان لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح **﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾** هذه الجملة معطوفة على العاديات وما بعده لأنه في تقدير التي تعدو

۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

والنقع الغبار والضمير المجرور للوقت المذكور وهو الصبح فالباء ظرفية أو لكان الذي يقتضيه المعنى فالباء أيضًا ظرفية أو للعدو وهو المصدر الذي يقتضيه العاديات فالباء سببية ومعنى أثرن حرّكن والضمير الفاعل للإبل أو للخيل أي حرّكن الغبار عند مشيهنّ ﴿**فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا**﴾ معنى وسطن توسطن وجمعًا اختلف هل المراد به جمع من الناس أو المزدلفة لأن اسمها جمع والضمير المجرور للوقت أو للمكان أو للعدو أو للنقع ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**﴾ هذا جواب القسم والكنود الكفور للنعمة فالتقدير إن الإنسان لنعمة ربّه لكفور والإنسان جنس، وقيل الكنود العاصي وقال بعض الصوفية الكنود هو الذي يعبد الله على عوض ﴿**وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ**﴾ الضمير للإنسان أي هو شاهد على نفسه بكنوده وقيل هو لله تعالى على معنى التهديد والأول أرجح لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق فيجري الكلام على نسق واحد ﴿**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾ الخير هنا المال كقوله إن ترك خيرًا والمعنى أن الإنسان شديد الحبّ للمال فهو ذمّ لحبّه والحرص عليه وقيل الشديد البخيل والمعنى على هذا أنه بخيل من أجل حبّ المال والأول أظهر ﴿**إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ**﴾ أي بحث عند ذلك عبارة عن البعث ﴿**وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ**﴾ أي جمع ما في الصحف وأظهر محصلاً أو ميّز خيره من شرّه ﴿**إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ**﴾ الضمير في ربّهم وبهم يعود على الإنسان لأنه يراد به الجنس وفي هذه الجملة وجهان: أحدهما أن هذه الجملة معمول أفلا يعلم فكان الأصل أن تفتح إن ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها والثاني أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول أفلا يعلم محذوفًا ويكون الفاعل ضميرًا يعود على الإنسان والتقدير أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور وهذا هو الذي قاله ابن عطيّة ويحتمل عندي أن يكون فاعل أفلا يعلم ضميرًا يعود على الله والمفعول محذوف والتقدير أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعثر ما في القبور ثم استأنف قوله: ﴿**إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ**﴾ على وجه التأكيد أو البيان للمعنى المتقدّم والعامل في إذا بعثر على هذا الوجه هو أفلا يعلم والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطيّة هو المفعول المحذوف وإذا هنا ظرفية بمعنى حين ووقت وليست بشرطية والعامل في يومئذ خبير وإنما خصّ ذلك بيوم القيامة لأنه يوم الجزاء بقصد التهديد مع أن الله خبير على الإطلاق.



سورة القارعة

مكية وآياتها ١١ نزلت بعد قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

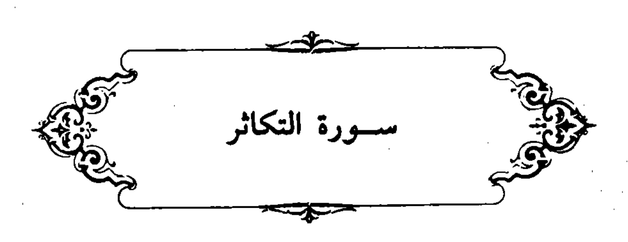
ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم

﴿الْقَارِعَةُ﴾ من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بهولها وقيل هي النفخة في الصور لأنها تقرع الأسماع ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ مبتدأ وخبر في موضع خبر القارعة والمراد به تعظيم شأنها وكذلك ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ العامل في الظرف محذوف دلّ عليه القارعة تقديره تقرع في يوم والفراش هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح والمبثوث هو المنتشر المتفرّق شبّه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذلّتهم ويحتمل أنه شبّههم به لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المِصباح قال بعض العلماء الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة، وقيل الفراش هنا الجراد الصغير وهو ضعيف ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ﴾ العهن هو الصوف، وقيل الصوف الأحمر وقيل

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾

الصوف الملوّن ألوانًا شبّه الله الجبال يوم القيامة به لأنها تنسف فتصير ليّنة، وعلى القول بأنه الملوّن يكون التشبيه أيضًا من طريق اختلاف ألوان الجبال لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء ﴿مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ هو جمع ميزان أو جمع موزون وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفّتان عند الجمهور، وقال قوم هو عبارة عن العدل ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ معناه ذات رضًا عند سيبويه: وثقل الموازين بكثرة الحسنات وخفّتها بقلّتها ولا يخفّ ميزان مؤمن خفّة موبقة لأن الإيمان يوزن فيه ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن الهاوية جهنم سُمّيت بذلك لأن الناس يهوون فيها أي يسقطون وأُمه معناه مأواه كقولك المدينة أُم فلان أي مسكنه على التشبيه بالأُمّ الوالدة لأنها مأوى الولد ومرجعه. الثاني أن الأُمّ هي الوالدة، وهاوية ساقطة وذلك عبارة عن هلاكه كقولك أُمّه ثكلى إذا هلك: الثالث أن المعنى أُمّ رأسه هاوية في جهنم أي ساقطة فيها لأنه يطرح فيها منكوسًا، ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «لا أُمّ لك»، فقال يا رسول الله تدعوني إلى الهدى وتقول لي لا أُمّ لك؟! فقال رسول الله ﷺ: «إنما أردت لا نار لك»، قال الله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ وهذا يؤيّد القول الأول ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ الهاء للسكت والضمير لجهنم على القول بأنها الهاوية وهو للفعلة والخصلة التي يراد بها العذاب على القول الثاني والثالث والمقصود تعظيمها ثم فسّرها بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.



سورة التكاثر

مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الكوثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

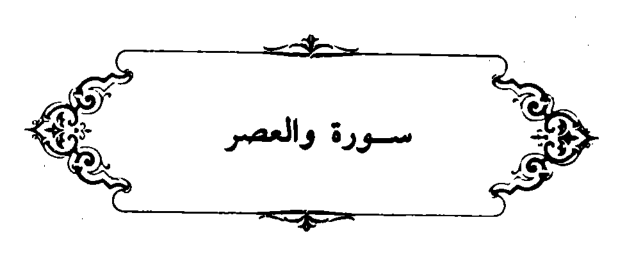
أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرّحيم

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ هذا خبر يُراد به الوعظ والتوبيخ ومعنى ألهاكم شغلكم والتكاثر المُباهاة بكثرة المال والأولاد وأن يقول هؤلاء نحن أكثر ويقول هؤلاء نحن أكثر ولما قرأها النبي ﷺ قال: «يقول ابن آدم مالي مالي وليس لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدّقت فأمضيت» **﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾** فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن معناه حتى مُتُّم فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها. الثاني أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابل فعبّر بزيارتها عن التفاخر بمَن فيها لأن بعض العرب تفاخر بآبائها الموتى فالمعنى ألهاكم التكاثر حتى بلغتم فيه إلى ذكر الموتى. الثالث أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم فيقال هذا قبر فلان ليشهر ذكره ويعظم قدره **﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾** زجر وتهديد ثم كرّره للتأكيد وعطفه بثم إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول، وقيل الأول تهديد للكفّار والثاني تهديد للمؤمنين وحذف معمول تعلمون وتقديره تعلمون ما يحلّ بكم، أو

لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

تعلمون أن القرآن حقّ أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا، وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدّر السامع أعظم ما يخطر بباله ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ جواب لو محذوف تقديره لو تعلمون لازدجرتم واستعددتم للآخرة فينبغي الوقف على اليقين ومعمول لو تعلمون محذوف أيضًا وعلم اليقين مصدر ومعنى علم اليقين العلم الذي لا يشكّ فيه قال بعضهم هو من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك دار الآخرة وقال الزمخشري معناه علم الأمور التي تتيقنونها بالمشاهدة ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ هذا جواب قسم محذوف وهو تفسير لمفعول لو تعلمون تقديره: لو تعلمون عاقبة أمركم ثم فسّرها بأنها رؤية الجحيم والتفسير بعد الإبهام يدلّ على التهويل والتعظيم والخطاب لجميع الناس فهو كقوله وإن منكم إلاّ واردها وقيل للكفّار خاصّة فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا تأكيد للرؤية المتقدمة وعطفه بثم للتهويل والتفخيم والعين هنا من قولك عين الشيء نفسه وذاته أي لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا فقيل النعيم الأمن والصحة وقيل الطعام والشراب وهذه أمثلة والصواب العموم في كل ما يتلذّذ به قال رسول الله ﷺ: «بيت يكنّك وخرقة تواريك وكسرة تشدّ قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم»، وقال ﷺ: «كلُّ نعيم فمسؤول عنه إلاّ نعيم في سبيل الله»، وأكل ﷺ يومًا مع أصحابه رُطبًا وشربوا عليه ماء فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه».



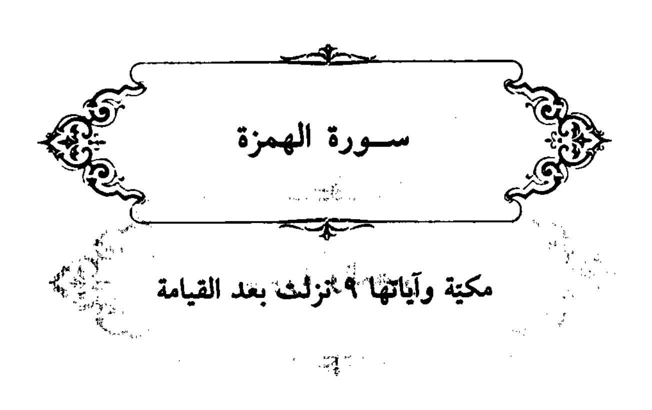
مكية وآياتها ٣ نزلت بعد الشرح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرَّحيم

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الأول أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها قال رسول الله ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله». الثاني أنه العشيّ أقسم به كما أقسم بالضحى ويؤيّد هذا قول أُبيّ بن كعب سألت رسول الله ﷺ عن العصر فقال: «أقسم ربّكم بآخر النهار». والثالث أنه الزمان ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ الإنسان جنس ولذلك استثنى منه الذين آمنوا فهو استثناء متصل ﴿وَتَوَاصَوا بِالْحَقِّ﴾ أي وصّى بعضهم بعضًا بالحق وبالصبر فالحق هو الإسلام وما يتضمنه وفيه إشارة إلى كذب الكفّار وفي الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذاية الكفّار لهم بمكة.



سورة الهمزة

مكية وآياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ هو على الجملة الذي يعيب الناس ويأكل أعراضهم واشتقاقه من الهمز واللمز وصيغة فعلة للمبالغة واختلف في الفرق بين الكلمتين فقيل الهمز في الحضور واللمز في الغيبة وقيل بالعكس وقيل الهمز باليد والعين واللمز باللسان، وقيل: هما سواء ونزلت السورة في الأخنس بن شريق لأنه كان كثير الوقيعة في الناس وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ أي أحصاه وحافظ على عدده ألاّ ينقص فمنعه من الخيرات، وقيل معناه استعدّه وادّخره عدّة لحوادث الدهر ﴿أيَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده في الدنيا وقيل يظن أنّ ماله يوصله إلى دار الخلد ﴿كَلاَّ﴾ ردّ عليه فيما ظنه ﴿لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ هذا جواب قسم محذوف والحطمة هي جهنم وإنما سميت حطمة لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهبه وقد عظمها بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ثم فسّرها بأنها

عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ أي تبلغ القلوب بإحراقها قال ابن عطية يحتمل أن يكون المعنى أنها تطّلع على ما في القلوب من العقائد والنيّات بإطلاع الله إياها ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ مغلقة ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ العمد جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع، وقرىء عمد بضمتين، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب والممددة الطويلة، وفي المعنى قولان: أحدهما أن أبواب جهنم أُغلقت عليهم ثم مُدّت على أبوابها عمد تشديدًا في الإغلاق والثقاف كما تثقف أبواب البيوت بالعمد وهو على هذا متعلق بمؤصدة، والآخر أنهم موثقون مغلولون في العمد فالمجرور على هذا في موضع خبر مبتدأ مضمر تقديره هم موثقون في عمد.

سورة الفيل

مكيّة وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

نزلت هذه السورة منبّهة على العبرة في قصة الفيل التي وقعت في عام مولد رسول الله ﷺ فإنها تدلّ على كرامة الله للكعبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يُشرِكوا به وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدّة عقابه، وقد ذكرت القصة في كتب السِّيَر وغيرها واختصارها أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتًا باليمن وأراد أن يحجّ الناس إليه كما يحجّون إلى الكعبة فذهب أعرابي وأحدث في البيت فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة فاحتفل في جموعه وركب الفيل وقصد مكة فلما وصل قريبًا منها فرّ أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة وأخذ لعبد المطّلب مائتي بعير فكلّمه فيها فقال له كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك فقال له أنا ربّ الإبل وإن للبيت ربًّا سيمنعه فبرك الفيل بذي الغميس ولم يتوجّه إلى مكة فكانوا إذا وجّهوه إلى غيرها هرول وإذا وجّهوه إليها توقف ولو بضعوه بالحديد فبينما هم كذلك

أرسل الله عليهم طيورًا سُودًا وقيل خُضْرًا عند كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يقتل مَن وقع عليه ورُوِيَ أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره ووقع في سائرهم الجدري والأسقام وانصرفوا فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل وتقطّع أبرهة أنملة أُنملة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ معناه ألم تعلم وكيف في موضع نصب بفعل ربّك لا بألم ترَ والجملة معمول ألم ترَ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي إبطال وتخسير ﴿أَبَابِيلَ﴾ معناه جماعات شيئًا بعد شيء قال الزمخشري واحدها أبالة وقال جمهور الناس هو جمع لا واحد له من لفظه ﴿بِحِجَارَةٍ﴾ رُوِيَ أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحمصة قال ابن عباس إنه أدرك عند أُم هانيء نحو قفّتين من هذه الحجارة وأنها كانت مخطّطة بحُمْرة ورُوِيَ أنه كان على كل حجر اسم مَن يقع عليه مكتوبًا ﴿سِجِّيلٍ﴾ قد ذكر ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ العصف ورق الزرع وتبنه والمراد أنهم صاروا رميمًا وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه الأول أنه شبّههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثته فجمع التلف والخسّة ولكن الله كنّى عن هذا على حسب أدب القرآن. الثاني أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود. الثالث أنه أراد ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ زرعه وبقي هو لا شيء.

سورة قريش

مكيّة وآياتها ٤ نزلت بعد التين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾

بِسْـــمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرّحيم

﴿لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قريش هم حيّ من عرب الحجاز الذين هم من ذرّيّة معدّ بن عدنان إلاّ أنه لا يقال قريشيّ إلاّ لِمَن كان من ذرّيّة النضر بن كنانة وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت نحو بني هاشم وبني أُميّة وبني مخزوم وغيرهم وإنما سُمّيت القبيلة قريشًا لتقرّشهم والتقرّش التكسّب وكانوا تجّارًا، وعن معاوية أنه سأل ابن عباس لِمَ سُمّيت قريش قريشًا؟ قال: لدابّة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تُعلى، وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام، وقيل كانت الرحلتان جميعًا إلى الشام، وقيل كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظلّ، فيقيمون بها ويرحلون في الشتاء إلى مكة لسكناهم بها والإيلاف مصدر من قولك آلفت المكان إذا ألفته وقيل هو منقول منه بالهمزة يقال أَلِفَ الرجل الشيء وآلِفه إياه غيره فالمعنى على القول الأول أن قريشًا أَلِفوا رحلة

الشتاء والصيف وعلى الثاني أن الله ألِفهم الرحلتين واختلف في تعلّق قوله لإيلاف قريش على ثلاثة أقوال: أحدها أنه يتعلق بقوله فليعبدوا والمعنى فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين فإن ذلك نعمة من الله عليهم. الثاني أنه يتعلق بمحذوف تقديره اعجبوا لإيلاف قريش. الثالث أنه يتعلق بسورة الفيل والمعنى أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش فهو يتعلق بقوله فجعلهم أو بما قبله من الأفعال ويؤيد هذا أن السورتين في مصحف أُبيّ بن كعب سورة واحدة لا فصل بينهما وقد قرأهما عمر في ركعة واحدة من المغرب، وذكر الله الإيلاف أولاً مطلقًا ثم أبدل منه الإيلاف المقيّد بالرحلتين تعظيمًا للأمر ونصب رحلة لأنه مفعول بإيلافهم وقال رحلة وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ هذا إقامة حجة عليهم بملاطفة واستدعاء لهم وتذكير بالنِّعَم والبيت هو المسجد الحرام ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين فقد رُوِيَ أنهم كانوا قبل ذلك في شدّة وضيق حال حتى أكلوا الجيف ويحتمل أن يريد إطعامهم على الإطلاق فقد كان أهل مكة ساكنين بوادٍ غير ذي زرع ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو قوله: ﴿وَارْزُقْهُم مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ يحتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل ويحتمل أن يريد آمنهم في بلدهم بدعوة إبراهيم في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] وقد فسّرناه في موضعه أو يعني آمنهم في أسفارهم لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين لا يتعرّض لهم أحد بسوء وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم وقيل آمنهم من الجذام فلا يرى بمكة مجذومًا قال الزمخشري: التنكير في جوع وخوف لشدتهما.

سورة الماعون

مكية ثلاث الآيات الأول،

مدنيّة الباقي: وآياتها ٧ نزلت بعد التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

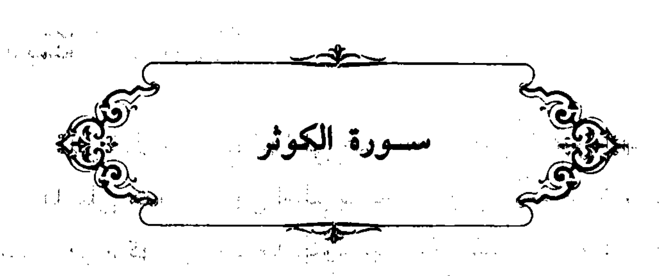
أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ قيل إن هذا نزل في أبي جهل وأبي سفيان بن حرب وقيل هو مطلق والدين هنا الملّة أو الجزاء ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي يدفعه بعنف وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه، والإحسان إليه أو عن ماله وحقوقه وهذا أشدّ والذي لا يحضّ على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى وهذه الجملة هي جواب أرأيت لأن معناها أخبرني فكأنه سؤال وجواب والمعنى انظر الذي كذّب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات فمقصود الكلام ذمّ الكفّار وأحوالهم ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قيل إن هذا نزل في عبد الله بن أُبيّ ابن سلّول المنافق والسورة على هذا نصفها مكيّ ونصفها مدني قاله أبو زيد السهيلي وذلك أن ذكر أبي جهل وغيره من الكفّار أكثر ما جاء في السور المكيّة وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها إنما هو من صفة الذين كانوا

﴿يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

بالمدينة لا سيما على قول مَن قال إنها في عبد الله بن أُبيّ، وقيل إنها مكيّة كلها وهو الأشهر ونزل آخرها على هذا في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان، وقيل مدنية، والسهو عن الصلاة هو تركها أو تأخيرها تهاونًا بها، وقد سُئِل رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال: «الذين يؤخّرونها عن وقتها»، وقال عطاء بن يسار الحمد لله الذي قال: «عن صلاتهم ساهون» ولم يقل في صلاتهم ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ هو من الرياء أي صلاتهم رياء للناس لا لله ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ وصف لهم بالبخل وقلّة المنفعة للناس. وفي الماعون أربعة أقوال: الأول أنه الزكاة، الثاني أنه المال بلغة قريش. الثالث أنه الماء، الرابع أنه ما يتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقصّ، وسُئِل رسول الله ﷺ ما الشيء الذي لا يحلّ منعه؟ فقال: «الماء والنار والملح» وزاد في بعض الطرق الإبرة والخميرة.



مكيّة وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

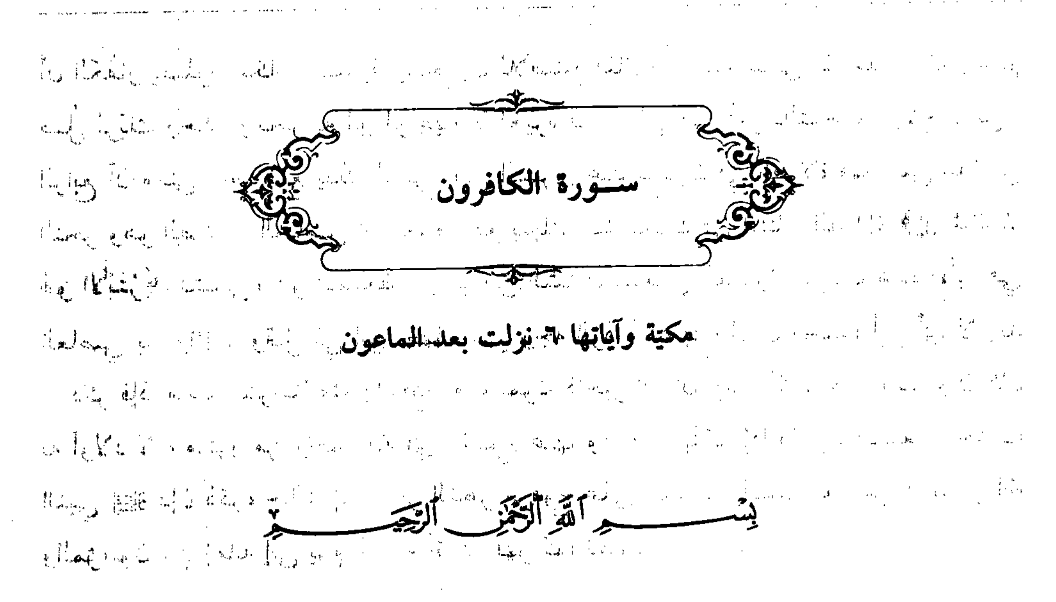
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿إِنَّا أَعطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ والكوثر بثاء مبالغة من الكثرة وفي تفسيره سبعة أقوال: الأول حوض النبي ﷺ، الثاني أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير، فإن قيل إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم. الثالث أن الكوثر القرآن. الرابع أنه كثرة الأصحاب والأتباع. الخامس أنه التوحيد. السادس أنه الشفاعة، السابع أنه نور وضعه الله في قلبه ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء» ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ فيه خمسة أقوال: الأول أنه أمره بالصلاة على الإطلاق وبنحر الهدي والضحايا، الثاني أنه ﷺ كان يضحّي قبل صلاة العيد فأمره أن يصلّي ثم ينحر فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة، الثالث

أن الكفّار يصلون مكاء وتصدية وينحرون للأصنام فقال الله لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم صلِّ لربّك وحده وانحر له أي لوجهه لا لغيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص. الرابع أن معنى انحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر. الخامس أن معناه ارفع يديك عند نحرك في افتتاح الصلاة **﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾** الشانىء هو المبغض وهو من الشنآن بمعنى العداوة ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل، وقيل في أبي جهل على وجه الردّ عليه إذ قال إن محمدًا أبتر أي لا ولد له ذكر فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله أي مقطوع عنها ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلاّ باللعنة بخلاف النبي ﷺ فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم.

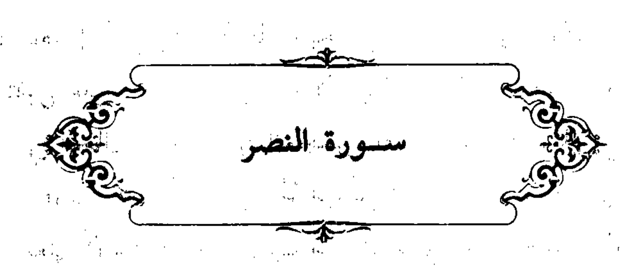


قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

بِسْــم اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

سبب هذه السورة أن قومًا من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأُميّة بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم قالوا يا محمد اتّبع ديننا ونتّبع دينك اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال: «معاذ الله أن نشرك بالله شيئًا» ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم ولذلك قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأها فقد برىء من الشرك» ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم، فإن قيل لِمَ كرّر هذا المعنى بقوله: ﴿وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾؟ فالجواب من وجهين أحدهما قال الزمخشري وهو أن قوله ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يريد في الزمان المستقبل وقوله: ﴿وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُّمْ﴾ يريد به فيما مضى أي ما كنت قطّ عابدًا ما عبدتم فيما سلف فكيف تطلبون ذلك منّي الآن، الثاني قاله ابن عطية وهو أن قوله: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصّة قال ولا أنا عابد ما عبدتم أي أبدًا ما عشت لأن لا النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلّصته للاستقبال

بقوله لا أعبد لا يحتمل أن يراد به الحال ويحتمل عندي أن يكون قوله لا أعبد ما تعبدون يراد به في المستقبل على حسب ما تقتضيه لا من الاستقبال ويكون قوله: ﴿وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ يريد به في الحال فيحصل من المجموع نفي عبادته للأَصنام في الحال والاستقبال ومعنى الحال في قوله: ﴿وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ ثم أظهر من معنى المضي الذي قاله الزمخشري ومن معنى الاستقبال فإن قولك ما زيد بقائم بنفي الجملة الاسمية يقتضي الحال ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ هذا إخبار أن هؤلاء الكفّار لا يعبدون الله كما قيل لنوح إنه لن يؤمن من قومك إلاّ مَن قد آمن إلاّ أن هذا في حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر وقد رُوِيَ أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطّلب وأُميّة بن خلف وأُبيّ بن خلف وابن الحجّاج وكلهم ماتوا كفّارًا فإن قيل لِمَ قال ما أعبد بما دون من التي هي موضوعة لمَن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها أن ذلك لمناسبة قوله لا أعبد ما تعبدون فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل ثم جعل ما أعبد على طريقته لتناسب اللفظ. الثاني أنه أراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشري. الثالث أن ما مصدرية والتقدير لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وهذا ضعيف، فإن قيل لِمَ كرّر هذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ولا أنتم عابدون ما أعبد مرة أخرى؟ فالجواب من وجهين: أحدهما قول الزمخشري وهو أن الأول في المستقبل والثاني فيما مضى والآخر قاله ابن عطيّة وهو أن الأول في الحال والثاني في الاستقبال فهو حتم عليهم أن لا يؤمنوا أبدًا ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي لكم شرككم ولي توحيدي وهذه براءة منهم وفيها مسالمة منسوخة بالسيف.



سورة النصر

نزلت بمنى في حجة الوداع فتعدّ مدنية
وهي آخر ما نزل من السور وآياتها ٣ نزلت بعد التوبة

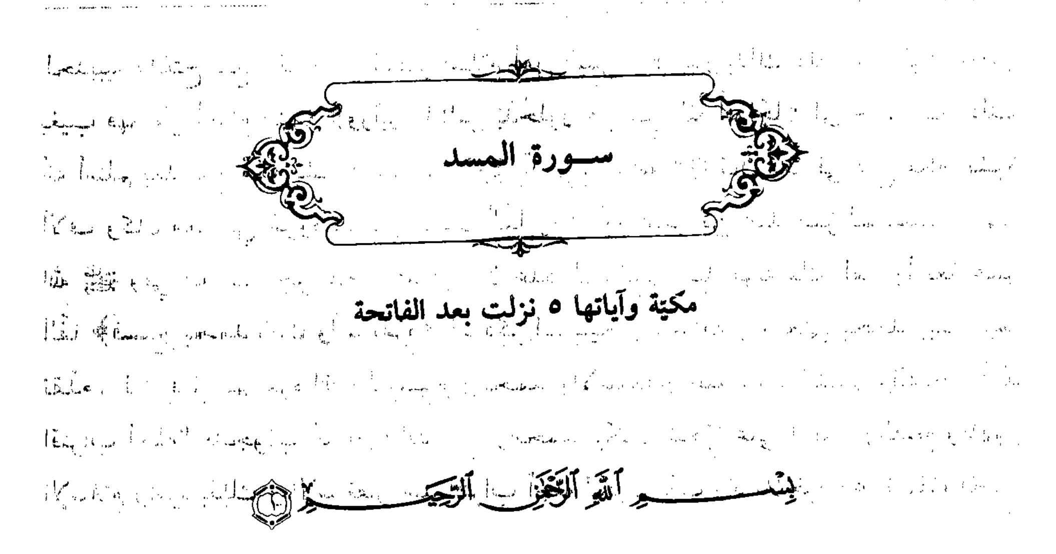
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن معنى هذه السورة فقالوا إن الله أمر رسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضرهم يا عبد الله ما تقول أنت؟ قال هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح فقال عمر ما أعلم منها إلاّ ما علمت وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره ويؤيّده قول عائشة إن رسول الله ﷺ لمّا فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول سبحانك اللّهمّ وبحمدك اللّهمّ إني أستغفرك يتأوّل القرآن أي هذه السورة وقال لها مرّة: «ما أراه إلاّ حضور أجلي». وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى أيام التشريق في حجّة الوداع وعاش رسول الله ﷺ بعدها ثمانين يومًا أو نحوها وقال ابن مسعود هذه السورة تسمى سورة التوديع ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يعني بالفتح فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ وقال ابن عباس إن النصر صلح

الحديبية والفتح فتح مكة وقيل النصر إسلام أهل اليمن والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوّة ﴿**وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا**﴾ أي جماعات وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير، فقد رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان معه في فتح مكة عشرة آلاف وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفًا وقال أبو عمر بن عبد البرّ لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر وقد قيل إن عدد المسلمين عند موته مائة ألف وأربعة عشر ألفًا ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ**﴾ قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدّم، فإن قيل لِمَ أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب أجله؟ فالجواب أنه أمر بالتسبيح والحمد ليكون شكرًا على النصر والفتح وظهور الإسلام وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زاد للآخرة وعدّة للقاء الله.



سورة المسد

مكيّة وآياتها ٥ نزلت بعد الفاتحة

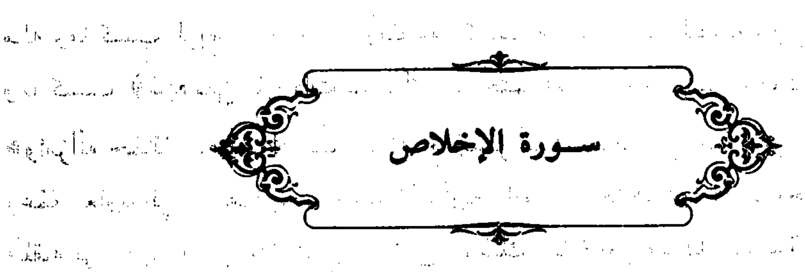
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

بِسْـمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

سببها أنه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِر عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِين﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد رسول الله ﷺ على الصفا فنادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال لهم إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ثم أنذرهم عمومًا وخصوصًا فقال له أبو لهب تبًّا لك لهذا جمعتنا فنزلت السورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ معنى تبّت خسرت والتباب هو الخسران وأبو لهب هو عبد العزّى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عمّ رسول الله ﷺ وكان من أشد الناس عداوة له فإن قيل لِمَ ذكره الله بكنيته دون اسمه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر وغيره ويقال إنه كُنّي بأبي لهب لتلهب وجهه جمالاً. الثاني أنه لما كان اسمه عبد العزّى عدل عنه إلى الكنية. الثالث أنه لما كان من أهل النار واللهبّ كنّاه أبا لهب وليناسب ذلك قوله: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية يراد بها النفي وماله هو رأس

ماله وما كسب الربح أو ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه لنفسه وقيل ماله جميع ماله وما كسب ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرًا ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أُميّة وهي أُخت أبي سفيان وعمّة معاوية في وصفها بحمّالة الحطب أربعة أقوال: أحدها أنها كانت تحمل حطبًا وشوكًا فتُلقيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه. الثاني أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة يقال فلانٌ يحمل الحطب بين الناس أي يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم. الثالث أنه عبارة عن سعيها بالمضرّة على المسلمين يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به. الرابع أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ الجيد العنق والمسد الليف، وقيل الحبل المفتول وفي المراد به ثلاثة أقوال: الأول أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول وفي ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها. والآخر أنه حالها في جهنم يكون كذلك أي يكون في عنقها حبل. الثالث أنها كانت لها قِلادة فاخرة، فقالت لأنفقنّها على عداوة محمد فأُخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذمّ لها بتبرّجها ويحتمل قوله وامرأته وما بعده وجوهًا من الإعراب يختلف الوقف باختلافها وهي أن يكون امرأته مبتدأ وحمّالة الحطب خبره، أو يكون حمّالة الحطب نعت والخبر في جيدها حبل من مسد أو يكون امرأته معطوفًا على الضمير في يصلى وحمّالة الحطب نعت أو خبر ابتداء مضمر.



سورة الإخلاص

مكية وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

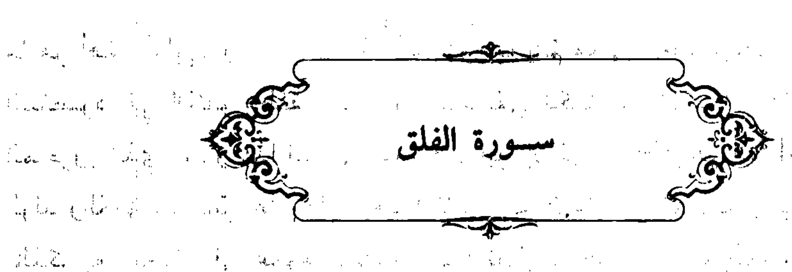
بِسْــمِ اللَّهِ الرَّحمٰن الرّحيم

سبب نزول هذه السورة أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها، فارتعد رسول الله ﷺ حتى خرّ مغشيًا عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة، وقيل إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ أنسب لنا ربّك فنزلت وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية، لأن سؤال اليهود بالمدينة وعلى الرواية الثانية تكون مكيّة، واختلف في معنى قوله ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن». فقيل إن ذلك في الثواب أي لمَن قرأها من الأجر مثل أجر مَن قرأ ثلث القرآن، وقيل إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم وذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد وأحكام وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطيّة الحديث. ويؤيده أن في بعض روايات الحديث إن الله جزّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل قل هو الله أحد جزءًا من أجزاء القرآن وخرّج النسائي أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرؤها

فقال: «أما هذا فقد غفر له»، وفي رواية أنه قال: «وجبت له الجنة»، وخرّج مسلم أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سَرِيّة فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة قُل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سَلُوه لأيّ شيء يصنع ذلك» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أُحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبّه» وفي رواية خرّجها الترمذي أنه ﷺ قال للرجل: «حبّك إيّاها أدخلك الجنة»، وخرّج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلاّ أن يكون عليه دَيْن» ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن والذي يُراد به التعظيم والتفخيم، وإعرابه مبتدأ وخبره الجملة التي بعده وهي المفسّرة له والله مبتدأ وأحد خبره وقيل الله هو الخبر وأحد بدل منه وقيل الله بدل وأحد هو الخبر وأحد له معنيان أحدهما أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلاّ في غير الواجب كقولك ما جاءني أحد وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله ولم يكن له كفوًا أَحد والآخر أن يكون بمعنى واحد وأصله وحد بواو ثم أبدل من الواو همزة وهذا هو المراد هنا واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معانٍ كلها صحيحة في حق الله تعالى. والأول أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد. والثاني أنه واحد لا نظير له ولا شريك له كما تقول فلان واحد عصره أي لا نظير له والثالث أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض والأظهر أن المراد في السورة نفي الشريك لقصد الردّ على المشركين ومنه قوله تعالى: ﴿وإلهكم إلهٌ واحِد﴾ [الكهف: ١١٠] قال الزمخشري أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء قلت وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك في القرآن كثير جدًا وأوضحها أربعة براهين: الأول قوله: ﴿أَفَمَن يَخْلِقُ كَمَن لاَ يَخْلِق﴾ [النحل: ١٧] لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكًا له. والثاني قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَة إلاّ الله لفَسَدَتا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. والثالث قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَة كَمَا يَقُولُون إذًا لاَبْتَغوا إلَى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢]. والرابع قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِّن إلهٍ إذًا لَذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بِمَا خَلَقَ ولَعَلاَ بَعْضهم عَلَى بَعض﴾ [المؤمنون: ٩١] وقد فسّرنا هذه الآيات في مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله: ﴿وَإِلهُكم إلهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿اللَّهُ الصَّمَد﴾ في معنى الصمد ثلاثة أقوال: أحدها أن الصمد الذي يصمد إليه في الأمور أي يلجأ إليه، والآخر أنه الذي لا يأكل ولا يشرب فهو كقوله: ﴿وَهُوَ يطعم ولا يطعم﴾ [الأنعام: ١٤]. والثالث أنه الذي لا جوف له، والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجّحه ابن عطيّة بأن الله مُوجِد الموجودات وبه قوامها فهي مفتقرة إليه أي تصمد إليه إذ لا تقوم

بأنفسها ورجّحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير بورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالى كقوله في مريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦] ثم أعقبه بقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِى الرَّحمن عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [البقرة: ١١٧] وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦] وكذلك هنا ذكره مع قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيكون برهانًا على نفي الولد، قال الزمخشري: صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه في الحوائج ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ هذا ردٌّ على كل مَن جعل لله ولدًا فمنهم النصارى في قولهم: «عيس ابن الله» واليهود في قولهم: «عزير ابن الله» والعرب في قولهم: «الملائكة بنات الله» وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد وأوضحها أربعة أقوال: الأول، أن الولد لا بدّ أن يكون من جنس والده، والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٨٥] فوصفهما بصفة الحدوث لينفي عنهما صفة القِدَم فتبطل مقالة الكفّار. والثاني: أن الوالد إنما يتخذ ولدًا للحاجة إليه والله لا يفتقر إلى شيء فلا يتخذ ولدًا وإلى هذا أشار بقوله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [يونس: ٦٨]. الثالث: أن جميع الخلق عباد الله والعبودية تُنافي النبوّة وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِى الرحمن عبدًا﴾ [مريم: ٩٣]. الرابع: أنه لا يكون له ولد إلاّ لمَن له زوجة والله تعالى لم يتّخذ زوجة فلا يكون له ولد وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ هذا ردّ على الذين قالوا انسب لنا ربك وذلك أن كل مولود محدث والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره فلا يمكن أن يكون مولودًا تعالى عن ذلك ﴿وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحد﴾ الكفؤ هو النظير والمماثل قال الزمخشري يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفيًا للصاحبة وهذا بعيد والأول هو الصحيح ومعناه أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل ويجوز في كفوًا ضمّ الفاء وإسكانها مع ضمّ الكاف وقد قرىء بالوجهين ويجوز أيضًا كسر الكاف وإسكان الفاء ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمدّ ويجوز فيه الهمزة والتسهيل وانتصب كفوًا على أنه خبر كان وأحد اسمها قال ابن عطية ويجوز أن يكون كفوًا حالاً لكونه كان صفة للنكرة فقدّم عليها، فإن قيل لِمَ قدّم المجرور وهو له على اسم كان وخبرها وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه قدّم للاعتناء به والتعظيم لأنه ضمير الله تعالى وشأن العرب تقديم

ما هو أهمّ وأولى. والآخر أن هذا المجرور به يتمّ معنى الخبر وتكمل فائدته فإنه ليس المقصود نفي الكفؤ مطلقًا إنما المقصود نفي الكفؤ عن الله تعالى فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يحرز هذا المعنى فقدّم فإن قيل إن قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يقتضي نفي الولد والكفؤ فلِمَ نصّ على ذلك بعده؟ فالجواب أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم ما تقدّم كقوله تعالى: ﴿وَمَلائِكَته ورُسُله وجِبريل ومِيكَال﴾ [البقرة: ٩٨] ويفعل ذلك لوجهين يصحّ كل واحد منهما هنا أحدهما الاعتناء ولا شك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي الاعتناء به للردّ على مَن قال خلاف ذلك من الكفّار. والآخر الإيضاح والبيان فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه فنصّ على هذا بيانًا وإيضاحًا للمعنى ومبالغة في الردّ على الكفّار وتأكيدًا لإقامة الحجّة عليهم.



سورة الفلق

مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ تقدّم معنى أعوذ في التعوّذ ومعنى ربّ في اللغات والفاتحة، وفي الفلق ثلاثة أقوال: الأول أنه الصبح ومنه فالق الإصباح قال الزمخشري هو فعل بمعنى مفعول، الثاني: أنه كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحبّ والنوى وغير ذلك، الثالث: أنه جبّ في جهنم، وقد رُوِيَ هذا عن رسول الله ﷺ **﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾** هذا عموم في جميع المخلوقات وشرّهم على أنواع كثيرة أعاذنا الله منها وما هنا موصولة أو موصوفة أو مصدرية **﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾** فيه ثمانية أقوال: الأول أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى: **﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيلِ﴾** [الإسراء: ٧٨] وهذا قول الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجنّ ولذلك قال في المثل: الليل أخفى للويل. الثاني أنه القمر. خرّج النسائي أن رسول الله ﷺ رأى القمر فقال يا عائشة: «استعيذي بالله من شرّ هذا فإنه الغاسق إذا وقب»

ووقوبه هذا كسوفه لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول فالمعنى إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به. الثالث أنه الشمس إذا غربت والوقوب على هذا المعنى الظلمة أو الدخول. الرابع أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله، الخامس أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده، ورُوِيَ أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا». السادس أنه الذكر إذا قام حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس. السابع قال الزمخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيّات ووقبه ضربه. الثامن أنه إبليس حكى ذلك السهيلي ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطيّة وقال الزمخشري هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضرّه ذلك وحكى ابن عطية أنه حدّثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطًا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان وهي أولاد الإبل فمنعها بذلك رضاع أُمّهاتها فكان إذا حلّ عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أُمه فرضع في الحين قال الزمخشري إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه: أحدها أن يستعاذ من مثل عملهنّ وهو السحر ومَن ائتمن في ذلك والثاني أن يستعاذ من خداعهنّ للناس وفتنتهنّ. والثالث أن يستعاذ مما يصيب من الشرّ عند نفثهنّ والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات والأول أصحّ لأنه رُوِيَ أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي وكُنّ ساحرات سحرن هنّ وأبوهنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وعقدن له إحدى عشرة عقدة فأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية بعدد العقد وشفى الله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإن قيل لِمَ عرّف النفّاثات بالألف واللام ونكّر ما قبله وهو غاسق وما بعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه؟ فالجواب أنه عرّف النفاثات ليفيد العموم لأن كل نفاثة شرّيرة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرّهما في بعض دون بعض ﴿مِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد خلق مذموم طبعًا وشرعًا قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصى الله بها في السماء والأرض أما في السماء فحسد إبليس لآدم وأما في الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد ثم إن الحسد على درجات الأولى أن يحبّ الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به، الثانية أن يحبّ زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه، الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة

والحاسد يضرّ نفسه ثلاث مضرّات أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام، الثانية سوء الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله، الثالثة تألّم قلبه من كثرة همّه وغمّه فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة ولله درّ القائل:

وإني لأرحم حسادي لفرط ما ضمّت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار

وقال آخر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظًا بما يجد

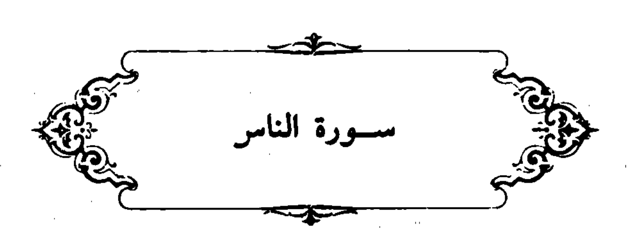
ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكي كأنه مظلوم ولقد صدق القائل:

كل العداوة قد ترجى إزالتها إلاّ عداوة مَن عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء:

وأظلم خلق الله مَن بات حاسدًا لمَن بات في نعمائه يتقلّب

قال ابن عطية قال بعض الحذّاق هذه السورة خمس آيات وهي مراد الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين الخمسة على عينك، فإن قيل لِمَ قال إذا وقب وإذا حسد فقيد بإذا التي تقتضي تخصيص بعض الأوقات؟ فالجواب أن شرّ الحاسد ومضرّته إنما تقع إذا أمضى حسده فحينئذ يضرّ بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين فإن عين الحسود قاتلة وأما إذا لم يَمضِ حسده ولم يتصرّف بمقتضاه فشرّه ضعيف ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا ينجو منهنّ أحد الحسد والظن والطِّيرة» فمخرجه من الحسد أن لا يبقى ومخرجه من الظن أن لا يحقّق ومخرجه من الطيرة ألاّ يرجع، فلهذا خصّه بقوله إذا وقب، فإن قيل إن قوله من شرّ ما خلق عموم يدخل تحته كل ما ذكر بعده فلأي شيء ذكر ما بعده؟ فالجواب أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم ولقد تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهود رسول الله ﷺ وشدّة حسدهم له.



سورة الناس

مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إن قيل لِمَ أضاف الرب إلى الناس خاصّة وهو ربّ كل شيء؟ فالجواب أن الاستعاذة وقعت من شرّ الموسوس في صدور الناس فخصّهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التعويذ والمقصودون هنا دون غيرهم ﴿مَلِكِ النَّاسِ إلهِ النَّاسِ﴾ هذا عطف بيان فإن قيل لِمَ قدّم وصفه تعالى بربّ ثم بملك ثم بإله؟ فالجواب أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس فيقال فلان ربّ الدار وشبه ذلك فبدأ به لاشتراك معناه وأما الملك فلا يوصف به إلاّ أحد من الناس وهم الملوك ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس فلذلك جاء به بعد الرب وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدّعي الملوك أنهم آلهة فإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فلذلك ختم به فإن قيل لِمَ أظهر المضاف إليه وهو الناس في المرة الثانية والثالثة فهلاّ أضمره في المرتين لتقديم ذكره في قوله بربّ الناس أو هلاّ اكتفى بإظهاره في المرة الثانية؟

فالجواب أنه لمّا كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار وقصد أيضًا الاعتناء بالمكرّر ذكره كقول الشاعر:

لا أرى الموت يسبق لموت شيء يغصّ الموت ذا الغني والفقير

﴿الوَسْوَاسِ﴾ هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية الوسواس من أسماء الشيطان ويحتمل أن يكون مصدرًا وصف به الموسوس على وجه المبالغة كعدّل وصوّم أو على حذف مضاف تقديره ذي الوسواس وقال الزمخشري إنما المصدر وسواس بالكفر ﴿الخَنَّاسِ﴾ معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانًا وذلك متمكّن في الشيطان فإنه يوسوس فإذا ذكر العبد الله وتعوّذ به منه تباعد عنه ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة منها إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الإنسان إلى شرّ الأعمال وأقبح الأحوال وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء واحدها الإكثار من ذكر الله وثانيها الإكثار من الاستعاذة بالله منه ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة وثالثها مخالفته والعزم على عصيانه فإن قيل لِمَ قال في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس؟ فالجواب أن ذلك إشارة إلى عدم تمكّن الوسوسة وأنها غير حالّة في القلب بل هي محوّمة في الصدر حول القلب ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هذا بيان لجنس الوسواس وأنه يكون من الجن ومن الناس ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة فإنه شيطان كما قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الإنسِ والجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] أو يريد به نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء فإنها أمّارة بالسوء والأول أظهر وقيل من الناس معطوف على الوسواس كأنه قال أعوذ من شرّ الوسواس من الجنّة ومن شرّ الناس وليس الناس على هذا ممّن يوسوس والأول أظهر وأشهر فإن قيل لِمَ ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لمّا كان القرآن من أعظم النِّعَم على عباده والنِّعَم مظنّة الحسد فختم بما يطفىء الحسد من الاستعاذة بالله. الثاني يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله ﷺ قال: «فيهما أنزلت عليّ آيات لم يَرَ مثلهنّ قطّ»، كما قال في فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها

فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم يرَ مثلهما ليجمع حُسْن الافتتاح والاختتام ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حُسْن افتتاحها واختتامها. الوجه الثالث يظهر لي أيضًا أنه لما أمر القارىء أن يفتتح قراءته بالتعوّذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء وليكون القارىء محفوظًا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لا ربّ غيره.

كَمُلَ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بحمد الله وعونه وحُسْن توفيقه

فهرس الجزء الثاني

مـــــن

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

فهرس الجزء الثاني
من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

تفسير سورة مريم

تفسير سورة طٰه

تفسير سورة الأنبياء

تفسير سورة الحج

تفسير سورة المؤمنون

تفسير سورة النور

تفسير سورة الفرقان

تفسير سورة الشعراء

تفسير سورة النمل

تفسير سورة القصص

تفسير سورة العنكبوت

تفسير سورة الروم

تفسير سورة لقمان

تفسير سورة السجدة

تفسير سورة الأحزاب

تفسير سورة سبأ

تفسير سورة فاطر

تفسير سورة ص

تفسير سورة الزمر

تفسير سورة غافر

تفسير سورة فصّلت

تفسير سورة الشورى

تفسير سورة الزخرف

تفسير سورة الدخان

تفسير سورة الجاثية

تفسير سورة الأحقاف

تفسير سورة محمد

تفسير سورة الفتح

تفسير سورة الحجرات

تفسير سورة ق

تفسير سورة الذاريات

تفسير سورة الطور

تفسير سورة النجم

تفسير سورة القمر

تفسير سورة الرحمن

تفسير سورة الواقعة

تفسير سورة الحديد

تفسير سورة المجادلة

تفسير سورة الحشر

تفسير سورة الممتحنة

تفسير سورة الصفّ

تفسير سورة الجمعة

تفسير سورة المنافقون

تفسير سورة التغابن

تفسير سورة الطلاق

تفسير سورة التحريم

تفسير سورة الملك

تفسير سورة القلم

تفسير سورة الحاقّة

تفسير سورة المعارج

تفسير سورة نوح

تفسير سورة الجنّ

تفسير سورة المزّمّل

تفسير سورة المدّثر

تفسير سورة القيامة

تفسير سورة الإنسان

تفسير سورة المرسلات

تفسير سورة النبأ

تفسير سورة النازعات

تفسير سورة عبس

تفسير سورة التكوير

تفسير سورة الانفطار

تفسير سورة المطففين

تفسير سورة الانشقاق

تفسير سورة البروج

تفسير سورة الطارق

تفسير سورة الأعلى

تفسير سورة الغاشية

تفسير سورة الفجر

تفسير سورة البلد

تفسير سورة الشمس

تفسير سورة الليل

تفسير سورة الضحى

تفسير سورة الانشراح

تفسير سورة التين

تفسير سورة العلق

تفسير سورة القدر

تفسير سورة البينة

تفسير سورة الزلزلة

تفسير سورة العاديات

تفسير سورة القارعة

تفسير سورة التكاثر

تفسير سورة العصر

تفسير سورة الهمزة

تفسير سورة الفيل

تفسير سورة قريش

تفسير سورة الماعون

تفسير سورة الكوثر

تفسير سورة الكافرون

تفسير سورة النصر

تفسير سورة المسد

تفسير سورة الإخلاص

تفسير سورة الفلق

تفسير سورة الناس